بنیاد پژوهشهای اسلامی
آستان قدس رضوی

ظهور الحقائق وانقلابها

في عالم الملك والملكوت

عبد الحليم عوض الحلّي

بسم الله الرحمن الرحيم

ظهور الحقائق وانقلابها

في عالم الملك والملكوت

عبد الحليم عوض الحلي

الحلّيّ، عبدالحليم عوض
ظهور الحقائق و انقلابها في عالم المُلك و الملكوت / عبدالحليم عوض الحلّيّ .مشهد: مجمع البحوث الإسلاميّة ، ١٤٣٤ق. = ١٣٩٢ش .
٤٨٨ ص. ISBN 978-964-971-609-1
فيپا.
١. معاد. ٢. زندگي پس از مرگ (اسلام). الف. بنياد پژوهشهاي اسلامي. ب. عنوان
٢٩٧/٤٤ BP ٢٢٢ / ح ٨ ظ ٩ ١٣٩٢
٣١٠٤٣٣٥ كتابخانه ملّي جمهوري اسلامي ايران

بنياد پژوهشهای اسلامی
آستان قدس رضوی

ظهور الحقائق و انقلابها

في عالم المُلك و الملكوت

عبدالحليم عوض الحلّيّ

مراجعة : جعفر البياتيّ

الطبعة الأولى ١٤٣٤ ق. / ١٣٩٢ ش. / ١٥٠٠ نسخة ، وزيريّ
الثمن ١٤٥٠٠٠ ريال إيرانيّ
الطباعة: مؤسّسة الطّبع والنشر التّابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة
مجمع البحوث الإسلاميّة، ص.ب ٣٦٦-٩١٧٣٥
هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلاميّة: ٢٢٣٠٨٠٣
معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلاميّة، (مشهد) ٢٢٣٣٩٢٣، (قمّ)٧٧٣٣٠٢٩
www.islamic-rf.ir info@islamic-rf.ir

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله آل الله، واللعن الدائم على أعدائهم أعداء الله، من الآن إلى يوم لقاء الله.

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وأكرمه وفضّله على سائر مخلوقاته وجعله يتقلّب في عوالمه، فتُحدِّثنا الروايات عن وجود عالم للأرواح قبل اتصالها بالأبدان، ولها عوالم أُخرى بعد انفصالها عن الأبدان. وعالم الأرواح وعالم ما وراء المادة وعالم القبر وعالم الآخرة من العوالم الغامضة علينا نحن البشر، فلا اطلاعَ تصديقيٌ عندنا حول تلك العوالم، ولا علم لنا بكيفية وجود المخلوقات غير المرئية، ولا علم لنا بكيفية الحساب والعقاب والمجازاة والخلود في النار والجنّة.

وكما هو المعلوم أنّ أصحاب كلّ عقيدة، سماويةً كانت أو أرضية، لهم تصور خاص عن ذلك العالم الأُخروي استقوه من مشرّعهم الأصلي، سواءً كان ذلك المشرّع مبعوثاً من قِبل السماء أم لم يكن كذلك؛ ولذا نرى أنّ بعض أصحاب العقائد يكذب الأحداث التي جرت والتي تجري فيما وراء المادة، وكذلك نراه ينكر الأحداث الأُخروية كلّها، كالملاحدة استناداً إلى ما يقوله مشرّعهم، وبعضٌ يصدقها كلّها، وبعض يقبل بعض الأمور التي عندنا،

ويرفض البعض الآخر وهكذا.

وعلى أيّ حال، فإنّ اطّلاعنا ـ نحن المسلمين ـ عن عالم ما وراء المادة من ملائكة وجنٍّ وشياطين وعن العالم الأُخروي، له طرقه الخاصة ودلائله الثابتة في نصوص الشريعة الإسلاميّة المنقولة من القرآن الكريم والسنّة الشريفة عن لسان المشرّع الأصلي بواسطة شخص رسول الله ﷺ وعترته الطاهرة عليهم السلام.

والله سبحانه وتعالى خلق الأشياء ماديةً وغير مادية، فبعضها نراه بأمّ أعيننا وبعض لم نره ولم يكن لنا حظ منه إلاّ السمع، وهذه المخلوقات لها حقائق ثابتة، وهذه الحقائق قد تتبدّل من شكل لآخر، وقد تظهر لنا بصور وأشكال معينة.

ولا غرابة عندنا في التبدلات التي تطرأ على الإنسان في عالم الدنيا، منذ انعقاد نطفته مروراً بالمراحل الجنينية ثمّ الولادة والطفولة والصبا والشباب والكهولة والشيخوخة. كما لا غرابة في التبدلات والتغيرات الكيمياوية التي تصيب المركبات وتنقلها من شكل لآخر، بسبب ما يحصل من تفاعلات فيما بينها. ولو دققنا النظر في هذا النوع من التبدّل فإن العناصر الأصلية لم تتبدّل، بل الذي يتبدّل كيفية الارتباط فيما بينها، وهذا واضح لمن كان له معرفة وإحاطة بالعلوم الطبيعية.

أما التبدّل الذي نطقت به بعض الروايات الشريفة الواردة عن رسول الله وعن أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، فهي تجري في أعمال البشر وحركاتهم وسكناتهم، بل وفي اعتقاداتهم وأفكارهم، فإنها تتصور وتتجسّم بصور حسنة أو قبيحة في القبر والمحشر، وإنّ القرآن يتجسّم ويأتي بصورة رجل شابّ أو شاحب يوم القيامة، وإنّ بعض سور القرآن تؤدي أدواراً معينة

في القبر والمحشر.

وهناك طوائف من الأخبار تحكي لنا تبدّل أفراد بل مجاميع من الناس في عالم الدنيا بالمسخ من الحالة الإنسانية إلى الحالة الحيوانية كالقردة والخنازير، وطوائف أُخرى من الأخبار تتحدث عن تبدّل الجمادات إلى جمادات أُخرى، وتتحدّث عن انتقالها إلى أشياء ذات روح تمشي وتتحرك على يد نبي من أنبياء الله تعالى أو على يد وصي من أوصيائه. هذا مجمل الكلام في التبدّل.

أما التشكّل والظهور والبروز بشكل معين أو بأشكال مختلفة، فهو من قَبيل تمثل المخلوقات غير المرئية، مثل تمثل الملائكة والجن والشياطين وهي تؤدي بعض أدوارها الخيّرة أو الشريرة في عالم الدنيا، وكذلك البروز والظهور الحاصل في الرؤيا أو في اليَقَظة أو فيما بينهما، فإنّه تمثل وظهور للرائي يؤثّر أثره من تخويف أو ترغيب أو ترهيب أو... .

وهذا الكتاب جُمِعت فيه بعض الموارد الدالة على حصول مثل هذا التغيّر والتجسّم والظهور الحاصل لمخلوقاته سبحانه وتعالى في هذه الدار أو في تلك الدار، أسأله سبحانه وتعالى التوفيق لإتمامه وقبوله بقبول حسن، وأن يجعله ذخراً وذخيرة ليوم لقائه جلّ وعلا.

وفي الختام أتقدم بجزيل الشكر والامتنان للأخ الفاضل المحقق جعفر البياتي على إبداء ملاحظاته القيمة بعد أن قرأ الكتاب كله، ولضيف الإمام الرضا عليه السلام الأُستاذ الشيخ جبار مكاوي الذي قرأه بتمامه وأبدى ملاحظاته أثناء إقامته في مشهد في شهر رمضان المبارك فجزاهما الله خير الجزاء.

عبد الحليم عوض الحلّي

مشهد المقدّسة

تمهيدان

الأوّل: في إمكان الخوض في هذه المباحث وعدمه

هل يمكن للإنسان الذي تحيط به المادة في عالم الدنيا أن يخوض في الأبحاث المرتبطة بعالم الغيب وعالم الموت وما بعده من قبر ومحشر وحساب وثواب وعقاب، وأن يحصل على النتائج المعقولة أم لا؟ بمعنى أنّه هل يوجد سبيل للوصول إلى تصور معين نفياً أو إثباتاً في هذه المباحث أم لا؟

نقول في الجواب: هذه الأبحاث تتّسم بالغرابة والدقة، وأحد الأقوال والنظريات المطروحة في هذا المجال هو القول بعدم لزوم الخوض فيها، بل بعدم جواز الخوض في مثل هذه المباحث؛ لقصور العقل وعدم قدرته على تحليل مثل هذه الأمور المرتبطة بعالم الغيب وعالم الآخرة، الذي هو عالمُ ما لا عينٌ رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما نطقت بذلك الروايات الكثيرة [1]، بل إنّ المناقشة في مثل هذه الأبحاث من حيث الرفض والقبول، نظير وزن الأشياء الضخمة الهائلة بميزان توزن فيه الأشياء الصغيرة.

وعليه، فالبحث في ما وراء الغيب وما وراء الحياة الدنيا، وكيفية الحساب والثواب والعقاب، وتجسّم الأعمال، وتبدّل الأشياء من ماهية إلى أُخرى، أمر يكون فيه المرء كمن يريد أن يزن الصخور الكبيرة بميزان أُعدّ لوزن الذهب،

---

١. **الأمالي**: ٢٨١ و٥١٧ .

فإن الظرافة الموجودة في ميزان الذهب تتحطّم أمام الصخور الكبيرة، وهكـذا الأمر فيما نحن فيه، فإن عقل الإنسان لا يتحمّل ولا يتمكّن من فهم أو تصور أمورِ ما وراء عالم الدنيا وعالم الطبيعة.

وعلى هذا، فاللازم علينا الاعتقاد ـ على نحـو التسـليم ـ بمسـائل الغيـب والمعاد ومسائل الجزاء والعقاب والثواب ووجود الملائكة والجنّ والشياطين، وأما كيفية ذلك وسبب التصديق بها فهـو لأنّ الشـارع المقـدّس عرضـها مـن خلال القرآن الكريم والسنّة الشريفة، وإلاّ فكيفية بقـاء الأعمـال التـي يؤديهـا الإنسان وكيفية تصورها فـي الـدنيا والآخـرة، وهكـذا كيفيـة انقـلاب بعـض الأشياء وتحولها من ماهية لأخرى، أمر مبهم لا يسع عقولُنا التحدث فيه، هـذا أولاً.

وثانياً: يحق لنا أن نقول: إن الشريعة الإسلامية لم تـأت لتوضـيح الحقـائق والدقائق العقلية الظريفة، ولم يكن همّ الشريعة الأولى تفسير المطالب العقلية الدقيقة، سواء المطالب المرتبطـة بالغيـب أو بـالآخرة أو المطالـب المرتبطـة بالدنيا، بل إنّ مهمة الشريعة وعملها هو إرشاد ووعظ الناس إلى سبيل الخيـر والصلاح، فتحكي للناس لزوم الإيمان بالمعاد، وأنّ هذا العمـل عليـه عقـاب وذاك له ثواب، إلى غير ذلك من الأمور المرتبطة بهداية الناس وإخراجهم من الضلال إلى الهدى. وأما كيفية حصول ذلك وكيفية الحساب وكيفيـة العقـاب، فإن الشريعة المقدسة قد بينت جهات من ذلك وبصورة إجمالية تقريبية.

وإلى هذه المعاني أشار المازندراني في (شرح أُصول الكافي) حيث قـال: إنّ مهمّة الأنبياء وشأنهم وعملهم تقريب الحقائق إلـى أفهـام النـاس، وشـأن وعمل الفلاسفة والحكماء بيانُ الحقائق لأهل الفضـل والمسـتعدّين، وإن لـم ينلـه النـاس، فالحكمـة كسـائر الفنـون الخاصـة بأهـل الخبـرة، والعـالِمين

باصطلاحهم كالنحو والصرف والطب والهندسة، ويخصّ فهمه بالتمرين والتدريج. وأمّا الدين، فأكثر مسائله لعامّة الناس، وإن كان فيها مسائل دقيقة لأهل الذوق والعرفان، وممّا ألهمه الله الأنبياء لتقريب الناس إلى الحقائق غير المحسوسة بتشبيهها بالمحسوسات[١].

ثمّ إنّ الإنسان إذا أراد أن يتجاوز الأمور التي بيّن معالمها القرآن الكريم والسنة النبوية، دفعاً للشُّبه التي يثيرها الباحثون والمشككون بالتماس البرهان العقلي أو التجربة الحسية، فإنّه يجني على نفسه بضياع الوقت في منازعات لا نهاية لها. وليس في الدين ما يدعو إلى مثل هذه التفصيلات التي غصّت بها كتب المتكلّمين المتفلسفين، ولا ضرورةَ دينية ولا اجتماعية ولا فكرية تدعو إلى أمثال هاتيك المشاحنات والمقالات التي شُحنت بها كتبٌ كثيرة عبثاً، حتّى استنفدت كثيراً من جهود المجادلين وأوقاتهم وتفكيرهم بلا فائدة[٢].

فالشبهات والشكوك التي تثار حول التفصيلات الخاصة بما وراء المادة وبعالم الآخرة وعالم الملائكة والجنّ والشياطين، يكفي في ردّها قناعتنا بقصور الإنسان عن إدراك هذه الأمور الغائبة عنا، والخارجة عن أُفقنا ومحيط وجودنا، والمرتفعة فوق مستوانا الأرضي، مع علمنا أنّ الله تعالى ـ وهو العليم القدير ـ قد أخبرنا عن تحقق المعاد، فلا يجب الاعتقاد في المسائل الخاصة بتفصيلات المعاد الجسماني أكثر من هذه العقيدة على بساطتها، والتي نادى بها القرآن الكريم من الحساب والصراط والميزان، والجنّة والنار، والثواب

---

١. **شرح أُصول الكافي** للمازندراني ٩ : ٣٦٠.

٢. **بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية** ٢: ٢٥٠.

والعقاب.

وقد تحصّل من هذا الكلام عدم جواز الخوض في المباحث العقلية الدقيقة التي ترتبط بعالم الغيب وعالم ما وراء المادة وعالم الآخرة؛ وذلك لأمرين:

الأول: قصور العقل الإنساني عن إدراك ما وراء المادة من ملائكة وجنّ وشياطين، وعن إدراك ما وراء الحياة الدنيا، فإن ذلك العالم عالم آخر، لم يُدرك بعد، كما هو صريح الروايات الكثيرة.

الأمر الثاني: اهتمام الشريعة بالوعظ وإرشاد الناس إلى سبيل الخير، فإنّ عمل الشريعة غالباً ما يكون مع عوام الناس، والشريعة لم تقصد بيان الحقائق الدقيقة لهم كما هي عليه، بل هي تكتفي بتقريب الأمور غير المحسوسة بلغة المحسوس، وهذا هو الغالب على لغة الدين في مثل هذه الأمور المختصة بالآخرة وعالم الحساب والعقاب.

ويرد عليه: أنّ مهمة الأنبياء والرسل عليهم السلام لم تكن منحصرة في إرشاد الناس ووعظهم وهدايتهم إلى الآخرة، بل إنّ لهم أثراً كبيراً حتى في الطب والفلك والصرف والنحو وغير ذلك. بل إننا نرى أنّ الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين يبيّنون الحقائق والدقائق العقلية للخلّص الخواصّ من أصحابهم، فكلام النبي صلى الله عليه وآله في بعض المواطن مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لا يفهمه عوام الناس، وهكذا في كلامه صلى الله عليه وآله مع سلمان المحمدي وبقية الخلّص من الصحابة. فالناس متفاوتون، ومما يشير إلى هذا التفاوت في الفهم قول النبي الكريم صلى الله عليه وآله: «والله لو عَلِم أبو ذرّ ما في قلب سلمان

لَقتَلَه»[١].

وهذه السيرة جارية في عمل الأئمةعليهم السلام، فإن لهم أصحاباً يحدّثونهم بأُمور لا تطيقها عامة الناس، ومثال ذلك واضح حيث نرى أن بعض الصحابة حدّثوا بأحاديث عن أهل بيت العصمةعليهم السلام قد سمعوها منهم، وقد استدعى عدمُ تحمل السامعين لها رميَهم بالكذب والغلو، مع أنهم من أجلاء الصحابة، مثل: سهل بن زياد ومحمد بن سنان وغيرهما.

وبالنتيجة، فإنّ مهمة الأنبياء والأوصياء مهمة عالية، والنبي المصطفىصلى الله عليه وآله ـ وكذا الوصي المرتضىعليه السلام ـ هو الأوّل والسبّاق في مجال بيان الأمور الدقيقة والمسائل الأخروية والدنيوية المرتبطة بالإنسان، ولا يحق لأحد القول بأفضلية أثر الفلاسفة أو المتخصصين على أثر الأنبياء والأوصياء في الأمور المختصة بالمعاد.

فضلاً عن أنّ عقل الإنسان يتمكن من البحث في الأمور الظريفة بالاستفادة من نصوص الشريعة الإسلامية وظواهرها، فالله تعالى وهب للإنسان الهادِيَين: الهادي القولي المتمثّل بنصوص الشريعة الإسلامية من آيات وروايات، والهادي العقلي المتمثّل بعقل الإنسان وفطرته التي أدرك بها وجود الله سبحانه وتعالى وضرورة بعث الرسل ولزوم عبادة الله سبحانه وتعالى[٢].

مضافاً إلى ذلك: إنّنا لا نطلب مجالاً نطّلع عليه أكثر مما أُطْلعنا عليه القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأحاديث العترة الطاهرةعليهم السلام، فإنّ أحاديثهم غنية

---

١. **الكافي** ١: ٤٠١ / ح ٢ ـ باب فيما جاء أنّ حديثهم صعبٌ مستصعَب .

٢. قال الإمام موسى الكاظمعليه السلام لهشام بن الحكم: «يا هِشام، إنّ لله على الناس حُجّتَين: حجّةً ظاهرة، وحجّةً باطنة. فأمّا الظاهرة فالرُّسل والأنبياء والأئمّةعليهم السلام، وأمّا الباطنة فالعقول». (**تحف العقول** لابن شعبة الحرّاني: ٣٨٦) .

وكفيلة بتوضيح جوانب من هذا المجهول، فنكتفي بالمقدار الذي أخبرتنا به الشريعة المقدسة عن ذلك العالم المجهول. نعم الشريعة المقدسة ـ قرآناً وسُنّةً ـ أمرتنا بالتفكّر والتدبّر والتأمّل، وهذا الأمر يوصل إلى نتائج محمودة إن اعتمدت الموازين الخاصة بذلك.

الثاني: بين الإمكان والمُحال

قد يسأل سائل: لماذا يبحث المتكلّمون وعلماء الأصول في إمكان شيء وعدمه، فتراهم يُتْعبون أنفسهم أياماً هل هذا الشيء ممكن أو غير ممكن، مثلاً يقولون: هل يمكن للشارع المقدس أن يأمرنا بالعمل بخبر الواحد أو لا يمكن؟ وتراهم يتساءلون: هل يمكن للشارع المقدس أن يأمر بكذا أمرٍ أو لا يمكن ذلك؟ إلى غير ذلك من المباحث المرتبطة بمقام الثبوت.

والجواب عن ذلك هو: أنّه لو ثبت الإمكان ولم يكن في البين استحالة لَجاز لنا الأخذ بظاهر الكلام من دون تأويل وتصرف وحمل على المجازية، وأما إذا ثبتت الاستحالة العقلية فإنّه لا يجوز الأخذ بظاهر الكلام، بل لا بدّ من التأويل والحمل على غير الظاهر، فتكون الاستحالة العقلية قرينة للحمل على المجاز والأخذ بخلاف ظاهر الكلام. مثال ذلك: إذا ثبت بالبرهان العقلي استحالة تجسّم ربّ العزة، واستحالة ثبوت اليد والرِّجل له، فهنا لا بدّ لنا من حمل الأدلة الظاهرة بثبوت اليد له على أنّ المراد باليد هي السلطة والهيمنة كما في قوله تعالى ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1]، بل نقول هنا: إنّ الظاهر من اليد هي السلطة؛ للقرينة العقلية.

ونصوص الشريعة الإسلامية ـ قرآناً وسنةً ـ مملوءة بالكنايات والمجازات

---

١. الفتح: ١٠ .

بأنواعها، وإذا دار الأمر في تفسير الكلام بين الحمل على الحقيقة أو الحمل على المجاز فالأصل هو الحمل على الحقيقة؛ إذ الحمل على المجاز يحتاج إلى قرينتين: صارفة ومؤيّدة.

قال الشيخ محمد حسين عبد الرحيم في (الفصول الغروية في الأصول الفقهية): واعلم أنه قد اشتهر أنّ المجاز يستدعي قرينتين: إحداهما صارفة عن المعنى الحقيقي، والأخرى معيّنة للمعنى المراد من المعاني المجازية، بخلاف المشترك، فإنّه إنّما يستدعي قرينةً واحدة معيّنة للمعنى المراد من بين المعاني الحقيقية لا غير، وكأنّ هذا الفرق مبني على القول بأن الكناية قسيم للحقيقة والمجاز، وأنّ المجاز استعمال اللفظ في اللازم مع عدم جواز إرادة الملزوم، والكناية استعماله في اللازم مع جواز إرادة الملزوم معه، فإن المجاز حينئذ يستدعي قرينتين، أي ما يدلّ على الأمرين وإن كان أمراً واحداً بخلاف المشترك.

ثم قال: وأما على ما حقّقناه في معنى الكناية من عدم جواز استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد، فالقرينة المعتبرة في المقامين هي القرينة المعيّنة للمعنى المراد، والصرف يأتي فيهما من جهة المنع عن الجمع [1].

وبعد هاتين المقدمتين ندخل في فصول الكتاب.

---

١. الفصول الغروية في الأُصول الفقهية: ٣٢.

الفصل الأوّل

تجسّم الأعمال

هناك طائفة من آيات القرآن الحكيم، وأُخرى من الروايات الواردة عن نبي الأمّة المصطفى وعترته الطاهرة صلوات الله عليهم أجمعين، يظهر منها تجسّم العمل الذي يقوم به الإنسان في عالم الآخرة، خيراً كان ذلك العمل أو شراً. والمتمعّن في هذه الطوائف من الآيات والروايات يرى فيها ما يثير العجب والحيرة، إذ إنّ بعضها صريح بتجسّم الفعل الصلاتي والزكاتي الذي قام به العبد في دار الدنيا، وبعضها صريح بتجسّم فعل آخر كالسرور المُدْخَل على قلب الإخوان والجيران. وبعضها صريح بتجسّم العمل الحسن والرأي الحسن، وبعضها صريح بتجسّم العمل القبيح والرأي الخبيث. وبعضها صريح بتجسّم القرآن الكريم، وبعضها صريح بتجسّم السورة الفلانية من القرآن الكريم لمن كان يداوم على قراءتها حيث تتمثّل أمامه.

وهذا كله محل إبهام ومجهولية تبعث التساؤل عند البعض، وأنّه هل يمكن هذا؟ وهل يحصل أو يتحقق ما في هذه النصوص في عالم الآخرة أم لا، وكيف يكون ذلك؟

وما هو موقفنا من هذه النصوص القرآنية والتي جاء بها النبي الكريم وأوصياؤه الهداة عليهم السلام؟ وكيف نتعامل مع ما يُسمّى بالمحاذير العقلية المنافية لظاهر

النصوص؟

أمر الإجابة على هذه التساؤلات موكول إلى الخوض في هـذه المباحـث، عسى أن نُوفّق لكشف الستار عن بعض هذه الأسرار، بمعونة الواحـد القهـار، وببركة نبيه المصطفى المختار وعترته الأخيار، عليهم صلوات العزيز الغفّار.

مقدّمات

قبل الشروع في بيان نظرية تجسّم الأعمال، لا بدّ مـن بيـان مقـدمات لهـا مدخلية في بيانها وكشف الستار عنها وتوضيحها.

المقدّمة الأولى: تعريف الجسم

الجسم هو ما يمكن أن يُفرَض فيه خطوط ثلاثة على زوايا قوائم، على مـا نشاهد في الخيال المتّصل من الجبال الراسيات والأرضـين والسـماوات ومـا بينهما.

جاء في (لسان العرب) لابـن منظـور فـي مـادة «جسـد»: الجسـد: جسـم الإنسان، ولا يقال لغيره من الأجسام المغتذية، ولا يقال لغيـر الإنسـان جسـد من خَلْق الأرض. والجسد: البدن، تقول منه: تَجَسَّد، كما تقـول مـن الجسـم: تَجَسَّم، وقد يُقال للملائكة والجنّ جَسَد [١].

وقال أيضاً: والجُسُم: الأمور العِظام، والجُسُم: الرجال العقلاء، والجَسِيم: مـا ارتفع من الأرض وعَلاه الماء، والأجْسَم: الأضخم [٢].

وقال أيضاً: وكلُّ خَلقٍ لا يأكل ولا يشرب من نحو الملائكـة والجـنّ ممّـا

---

١. لسان العرب ٣: ١٢٠ .

٢. نفسه ١٢: ٩٩.

يعقل فهو جسد، وكان عِجلُ بني إسرائيل جسداً يصيح لا يأكل ولا يشرب، وكذا طبيعة الجن؛ قال عزّ وجلّ: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ﴾[1] جسداً، بدل من عِجْل؛ لأنّ العجل هنا هو الجسد، وإن شئت حَمَلْتَه على الحذف، أي ذا جسد[2].

وفي (مجمع البحرين): في (كتاب الخليل) نقلاً عنه: الجِسْم يجمع البدن وأعضاءَه من الناس والدوابّ ونحو ذلك مما عظم من الخَلْق. والجِسم في عُرف المتكلّمين: هو الطويل العريض العميق، فهو ما يقبل القِسمة في الأبعاد الثلاثة، والسطحُ ما يَقبلها في الطول والعَرض، والخطُّ ما يقبلها في الطول لا غير، والنقطة هي التي لا تقبل القسمة في شيء من الأبعاد، فالسطح طرف الجسم، والخط طرف السطح، والنقطة طرف الخط. ورجل له جِسمٌ وجمال، أي متانة وحُسن، والجسيم العظيم [3].

المقدمة الثانية: تعريف العمل

يحقّ لنا القول بأن عمل الإنسان الذي لم يقع تحت عنوان غير قابل للاتّصاف بالصلاح أو الفساد، مثل حركة اليد يميناً وشمالاً، فإنّ هذه الحركة لاتتّصف بالصلاح أو الفساد، أمّا إذا وقعت تحت عنوان عام ذي صلاح أو فساد، مثل حركة اليد لضرب اليتيم، فإنها تدخل تحت عنوان الظلم وهو قبيح، وهكذا الأمر في حركة اليد لضرب المعتدي فإنها تدخل تحت عنوان العدل وهو حَسَن، وأما الحركة من غير دخولها تحت عنوان معيّن فهي

---

١. طه: ٨٨.

٢. **لسان العرب** ٣: ١٢٠، **مجمع البحرين** ٣: ٢٥ (جسد).

٣. **مجمع البحرين** ٦: ٢٩ (جسم).

ليست حسنةً ولا قبيحة.

كتب السيد الطباطبائي في (الميزان) معلّقاً على قول الإمام الصادقعليه السلام: «وإنّما هي ـ أي الأعمال ـ صفةُ ما عَمِلوا»: يشير إلى أن ليس المراد بالأعمال في هذه الأبواب هو الحركات الطبيعية الصادرة عن الإنسان؛ لاشتراكها بين الطاعة والمعصية، بل الصفات الطارئة عليها والتي تُعتَبر لها بالنظر إلى السنن والقوانين الاجتماعية أو الدينية، مثل الحركات الخاصة التي تُسمّى وقاعاً بالنظر إلى طبيعة نفسها، ثمّ تُسمّى نكاحاً إذا وافقت السنّة الاجتماعية أو الإذن الشرعي، وتُسمّى زناً إذا لم توافق ذلك، وطبيعة الحركات الصادرة واحدة[1].

وبالنتيجة فإنّ العمل المتجسّم يوم القيامة أو في قبر الإنسان هو العمل المتّصف بالصلاح والحُسن، والمتصف بالفساد والقبح، لا مطلق العمل الذي لا يُؤاخَذ عليه ولا يحاسب.

المقدمة الثالثة: المؤلّفون في مسألة تجسّم الأعمال

بعد البحث الدقيق في معاجم المؤلّفات وفهارس المخطوطات التي تحت أيدينا، وجدنا كتباً نادرة تحت عنوان (تجسّم الأعمال) لم تقع بأيدينا من قبل ونحن نذكرها هنا:

الأول: مرآة البُلهاء، لميرزا حبيب الله لشكرنويس، على ما في آخر نسخته المطبوعة في سنة ١٣٢١ هجرية، وهو في تجسّم فضائل أعمال بعض رجال العصر على طريق الهزل النقدي. أوّله: (گرانمايه برادران آگاه باشند كه از آموختن علم أخلاق، وسير أنفُس وآفاق).

---

١. أنظر: **الميزان في تفسير القرآن** ٨: ١٦.

والكتاب في طهران في مكتبة الأدبيات تحت الرقم ١٠٦ج، وفي مكتبة الإلهيات تحت الرقم ٦| ٥٤٢ ج، وسنة كتابته ١٣١٢ هجرية، واحتُمِل في فهرس الأخير أنه لشريعتمدار التبريزي[١].

الثاني: رسالة الزوراء، للمحقق الدواني، نأمل أن تقع بأيدينا، وهو المولى جلال الدين محمّد بن سعد الدواني المتوفّى سنة٩٢٨ هجرية، ولد بدوان من بلد كازرون، المنتهي نسبه إلى محمّد بن أبي بكر الحكيم الفاضل الشاعر المدقق صاحب أُنموذج العلوم، وهو كتاب لطيف يحتوي على مسائل من كلّ علم.

وله شرح على متن التهذيب وعلى العقائد العضدية، وله الحاشية القديمة والجديدة على شرح التجريد للفاضل القوشچي، ويقال: إنّه كتب الحاشية القديمة في يومين[٢].

الثالث: روح الأرواح في تجسّم الأعمال بالأشباح، للسيد أبكر بن علي مصلح مؤلّف كتاب (أنيس النفوس) سنة ١٢٨١ هجرية، كما في التقريظ عليه[٣].

الرابع: بعد أن أتممنا هذا المبحث اطّلعنا على كتاب صدر مؤخراً باللغة الفارسية تحت عنوان (تجسّم الأعمال في الدنيا والقبر والقيامة) لمحمد رضا كوهي، من منشورات بوستان فدك في أصفهان.

هذا ما عثرنا عليه خلال تتبعنا لفهارس الكتب والمخطوطات وللآن لم يقع بأيدينا واحد منها سوى الأخير.

---

١. أُنظر: **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** ٢٠: ٢٦٦.

٢. **الكنى والألقاب** ٢: ٢٣٠.

٣. **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** ١١: ٢٦٢/ الرقم ١٥٩٦.

كما اتضح لنا من خلال تَتبّعنا لكتب العلماء الأعلام أن المتعرّضين لبحث تجسّم الأعمال التي يقوم بها البشر، في القبر والمحشر، جماعة نذكر منهم: الشيخ بهاء الدين العاملي في كتاب (الأربعين حديثاً)، والسيد عبد الله شبّر في كتاب (مصابيح الأنوار في حلّ مشكلات الأخبار)، والتويسركاني في (لآلئ الأخبار). والمازندراني في (شرح أُصول الكافي)، والسيد الجزائري في (نور البراهين)، والسيد مصطفى الخميني في (تحريرات في الأصول)، والسيد محمّد حسين الطباطبائي في (تفسير الميزان). والسيد روح الله الخميني والسيد محمّد الروحاني، والشيخ الطريحي في (المنتخب) و(مجمع البحرين)، والشيخ مكارم الشيرازي والشيخ جعفر السبحاني، والشيخ الرَّي شهري في (ميزان الحكمة).

المقدمة الرابعة: حكم الاعتقاد بالتجسّم في الآخرة

ما هو حكم الإيمان بتجسّم الأعمال التي يقوم بها الإنسان في الآخرة؟

هل إنّ الاعتقاد بتجسّم الأعمال لازم أو غير لازم؟ وهل هو من جملة الأمور التي يلزم الاعتقاد بها أو لم يكن كذلك؟ وبعبارة أخرى ما هو حكم مَن يعتقد أو لم يعتقد بذلك؟

قبل الإجابة على هذا السؤال لا بأس من بيان مقدّمة، وهي أنّ المعروف والمشهور بين علماء الأمة الإسلامية أنّ الاعتقاد بأُصول الدين واجب، كما أنّ الاعتقاد بفروع الدين الثابتة بالضرورة لازم.

وعليه، فالمُنكِر لأصل من أُصول الدين كالتوحيد والنبوة والمعاد كافر، كما أنّ المنكر لضرورة من ضروريات الدين الثابتة بالأدلة القطعية كوجوب الحج أيضاً كافر خارج عن ملّة الإسلام، فإذا كان هذا هو الملاك نقول هنا: إن مسألة تجسّم الأعمال في الآخرة من المسائل النظرية التي اختلفت أقوال

العلماء والمتكلّمين فيها، فهي لم تكن من مسائل أُصول الدين، ولم تكن من الضروريات اللازم الاعتقاد بها. وعليه، فلا يُحكَم على مُنكر تجسّم الأعمال بالخروج عن ملّة الإسلام، ولا يحكم بلزوم الاعتقاد بها، وإن كنا قد ذكرنا ثمرات كثيرة مترتبة على هذا المبحث، فتأمل.

وبالنتيجة، فإن المسألة من المسائل النظرية التي اختلفت نظرات العلماء فيها، فلا الاعتقاد بالتجسّم من الضروريات ولا الاعتقاد بعدمه، وعلى هذا فنسبة الضلال إلى من قال بالتجسّم في غير محلها، فتأمل.

وبعد أن اطّلعت على هذه المقدمات نعرض لك ـ أيها القارئ الكريم ـ جملةً من الآيات التي فيها ظهور ولو بنحو ما في تجسّم الأعمال في ذلك اليوم العصيب.

الآيات الظاهرة في تجسّم الاعمال

إنّ المتدبّر في القرآن الكريم يرى كثيراً من الآيات فيها دلالة واضحة ـ صريحة أو ظاهرةـ على أنّ الأعمال التي يقوم بها الإنسان في دار الدنيا تتجسّم وتتمثّل بصورة متناسبة مع ذلك العمل الذي عَمِله، فإذا كان العمل الذي يعمله في دار الدنيا حسناً كانت صورته حسنة، أمّا إذا كان عمله في دار الدنيا قبيحاً كانت الصورة كريهة مخيفة.

وهنا نعرض إليك بعضها:

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ

بِالْعِبَادِ﴾[١].

فهنا نرى إنّ الله سبحانه وتعالى قال في الآية الكريمة: ﴿مُحْضَراً﴾ ولم يقل «حاضراً»، وفي هذا الكلام دلالة على تجسّم الأعمال، فإنّ الإحضار إنّما يتمُّ في الموجود الغائب، فالأعمال موجودة محفوظة يُحضِرها الله تعالى لخلقه يوم القيامة[٢]، وليس المراد أنَّ الإنسان يجد جزاءه، بل يجد عمله بعينه ولكنّه يظهر في جلباب آخر.

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٣]، ومعنى توفيتهم أعمالَهم إعطاؤُهم نفس أعمالهم، فالآية من الآيات الدالة على تجسّم الأعمال. وقيل: الكلام على تقدير مضاف، والتقدير: وليُوفّيَهم أُجورَ أعمالهم[٤]. والحمل على المعنى الحقيقي أولى من الحمل على المعنى المجازي في مثل هذه الآية، خصوصاً مع عدم محذورٍ عقلي في البين ومع عدم قرينة تُوجب ذلك.

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[٥]، وتدل هذه الآية على إحاطة جهنّم بالكافرين بالفعل في دار الدنيا دون الإحاطة المستقبلية، لأنّ اسم الفاعل (محيطة) في قوله تعالى ليس بمعنى الاستقبال بأن يكون المراد أنها ستحيط بهم في النشأة الأُخرى كما ذكره الظاهريون من

---

١. آل عمران: ٣٠ .

٢. أنظر: **الميزان في تفسير القرآن** ٣: ١٥٦، **معاد انسان وجهان**: ٣٤٣ لجعفر سبحاني .

٣. الأحقاف: ١٩ .

٤. أنظر: **الميزان في تفسير القرآن** ١٨: ٢٠٤.

٥. العنكبوت: ٥٤.

المفسرين[١]، بل هو على حقيقته من معنى الحال، فإن قبائحهم الخُلقية والعملية والاعتقادية محيطة بهم في هذه النشأة، وهي بعينها جهنّم التي ستظهر لهم في النشأة الأُخرى بصورة النار وعقاربها وحيّاتها[٢].

فالعمل الدنيوي بعدما صدر من الإنسان محيط به في هذه الدار الدنيوية، وإنّما يبرز ويظهر هذا العمل في دار الآخرة على حقيقته بصور تتناسب مع الأعمال التي قام بها في الحياة الدنيا، فإن كانت الأعمال حسنة كانت الصور في دار الآخرة مُفرِحة، وإن كانت الأعمال قبيحة كانت الصور في دار الآخرة محزنة.

وقال السيد عبد الله الجزائري في (التحفة السَّنيّة): الآية الكريمة تدل على إحاطة جهنّم بهم في الحال، ولا حاجة إلى الصرف عن الظاهر، فإن الأخلاق الرذيلة والعقائد الباطلة التي هي محيطة بهم في هذه النشأة هي بعينها جهنّم التي ستظهر بالصورة الموعودة عليهم كما أنذرهم الشارع[٣].

الآية الرابعة: قال تعالى: **﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾**[٤].

وفي تفسيرها عن الإمام الباقر عليه السلام قال: خيرُه وشرّه معه حيث كان، لا يستطيع فراقَه حتى يُعطى كتابَه يوم القيامة بما عَمِل[٥].

---

١. وهم الذين يلتزمون بالظواهر ولا يقبلون التأويل، وهؤلاء كثيراً ما يقعون في التجسيم، ويُسمّونَهم الحَشَوية.

٢. نقله عن البهائي: السيد شبر في (**مصابيح الأنوار** ٢: ١٥١).

٣. **التحفة السَّنية**: ١٥٢.

٤. الإسراء: ١٣.

٥. **تفسير البرهان** ٤: ٥٤٣.

الآية الخامسة: قال تعالى: ﴿**وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾[١].

ويظهر من الآية المباركة أن ستتّضح أمامهم أعمالهم السيئة وسيجازَون ويعاقبون بنفس العمل، وأنّ الاستهزاء نفسه سيكون محيطاً بهم[٢].

إن إضافة السيئات إلى ما عملوا إضافةٌ بيانية، أو بمعنى «مِن»، والمراد بما عملوا جنسُ ما عملوا، أي ظهرت لهم سيئاتهم أو أعمالهم السيئة، أو السيئات من أعمالهم. قال السيد الطباطبائي في تفسير (الميزان): الآية من الآيات الدالة على تمثّل الأعمال، وقيل: إنّ في الكلام حذفاً، والتقدير جزاءُ ما عَمِلوا[٣].

الآية السادسة: قال تبارك وتعالى: ﴿**مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا * خَالِدِينَ فِيهِ**﴾[٤].

وهذه من أوضح الآيات دلالةً على أنّ الإنسان إنّما يُعذَّب بعمله ويُخلَّد به، وهو تجسّم الأعمال[٥].

الآية السابعة: قال تعالى: ﴿**تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ**﴾[٦]، فإنّ هذا الخطاب موجّه للنبيّ المصطفى ﷺ بعنوان أنّه سامع، فيشمل كلّ مَن مِن شأنه أن يرى، والمراد بالظالمين التاركون لدين الله الذي شرّعه لعباده، المُعرِضون عن الساعة.

---

١. الجاثية: ٣٣.

٢. **معاد جهان پس از مرگ**: ٣٦٧ لمكارم الشيرازي.

٣. **الميزان في تفسير القرآن** ١٨: ١٧٩.

٤. طه: ١٠٠ـ ١٠١.

٥. **الميزان في تفسير القرآن** ١٥: ٢١٦.

٦. الشورى: ٢٢.

والمعنى: يرى الراؤون هؤلاء الظالمين يوم القيامة خائفين ممّا كسبوا من السيئات، وهو واقع بهم لا مناصَ لهم عنه، والآية من الآيات الظاهرة في تجسّم الأعمال[١].

وقيل: في الكلام مضاف محذوف، والتقدير: مُشْفقين مِن وبال ما كسبوا.

الآية الثامنة: قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾[٢]، بمعنى يصبّون في بطونهم نارَ جهنّم، وهذه الآية تدلّ أيضاً على تجسّم الأعمال يوم القيامة[٣].

ولعل هذا مراد مَن قال من المفسرين: إنّ قوله تعالى في الآية أعلاه كلامٌ على الحقيقة دون المجاز.

وقال بعض المفسرين: إنّ قوله ﴿**يَأْكُلُون**﴾ أُريد به الحال دون الاستقبال، بقرينة عطف قوله: ﴿**وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾ عليه، وهو فعل دخل عليه حرف الاستقبال، فلو كان المراد به حقيقةَ الأكل ووقته يوم القيامة لكان من اللازم أن يقال: سيأكلون في بطونهم ناراً ويصلون سعيراً.

وهناك تفسير آخر للآية يعتمد على المعنى المجازي، وهو أنّ مَن أكل مال اليتيم كان كمن يأكل في بطنه ناراً[٤]. ومثل الآية المتقدمة قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ**﴾[٥].

---

١. **الميزان في تفسير القرآن** ١٨: ٤٢.

٢. النساء: ١٠.

٣. **الميزان في تفسير القرآن** ٤: ٢٠٣.

٤. نقله في **الميزان في تفسير القرآن** ٤: ٢٠٣.

٥. البقرة: ١٧٤.

قال السيد الطباطبائي في (الميزان) في تفسيره لهذه الآية: وفي الآية من الدلائل على تجسّم الأعمال وتحقق نتائجها[١].

الآية التاسعة: قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾[٢]. إنّ ﴿**قُوا**﴾ أمرٌ من الوقاية بمعنى حفظ الشيء ممّا يؤذيه ويضرّه، والوَقود ـ بفتح الواو ـ اسم لما تُوقَد به النار من حطب ونحوه. والمراد بالنار جهنّم، وكون الناس المعذبين فيها وقوداً لها معناه اشتغال الناس فيها بأنفسهم، كما في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**﴾[٣]، فيناسب تجسّم الأعمال[٤].

الآية العاشرة: قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾[٥]. قال السيد الطباطبائي في (الميزان): ولَعَمْري لو لم يكن في كتاب الله تعالى إلاّ هذه الآية لكان فيه كفاية، إذ الغفلة لا تكون إلاّ عن معلوم حاضر، وكشفُ الغطاء لا يستقيم إلاّ عن مغطّىً موجود، فلو لم يكن ما يشاهده الإنسان يوم القيامة موجوداً حاضراً مِن قبلُ لَما كان يصحّ أن يقال للإنسان: إن هذه أُمور كانت مغفولة لك مستورة عنك، فهي اليوم مكشوفٌ عنها الغطاء، مزالة منها الغفلة[٦].

الآية الحادية عشرة: قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا**

---

١. **الميزان في تفسير القرآن**: ٢: ٤٢٦.

٢. التحريم: ٦.

٣. المؤمن (غافر): ٧٢.

٤. **الميزان في تفسير القرآن** ١٩: ٣٣٤.

٥. سورة قَ: ٢٢.

٦. **الميزان في تفسير القرآن** ١: ٩٢.

كَافُوراً﴾[١]، وهذه الآية تصف تَنعُّم الأبرار بشراب الجنّة في الآخرة، ولايبعد أن تكون مَسُوقةً على مسلك تجسّم الأعمال، حيث إنّها تصف حقيقة العمل الصالح من الإيفاء بالنذر وإطعام الطعام لوجه الله، وأنّ أعمالهم المذكورة بحسب باطنها شربٌ من كأس كان مزاجها كافوراً، من عين لا يزالون يفجّرونها بأعمالهم الصالحة، وستظهر بحقيقتها في جنة الخلد، وإن كانت في الدنيا في صورة الأعمال[٢].

الآية الثانية عشرة: قال سبحانه وتعالى: ﴿**قالُواْ هَـذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ**﴾[٣]، وفي هذه الآية إشارة إجمالية إلى تجسّم الأعمال والأخلاق، فإنّ ما رُزقوا من قبل ليس إلاّ الأعمال الصالحة التي وُعِدوا عليها، فإذا دخلوا في تلك الجنّة كأنّهم رأوا تلك الأعمال متجسّمةً بصورة ثمرات، فقالوا: ﴿**هَـذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ**﴾[٤].

الآية الثالثة عشرة: قوله تعالى: ﴿**مالِكِ يَومِ الدِّين**﴾[٥] ظاهر في فعليّة اتّصاف المولى جلّ وعلا بالمالكية يوم الدين، ومقتضى ذلك فعلية يوم الدين، وفعلية الدين، فإذا كان المراد من الدين العقوبة، بل ولو كان المراد منه الحساب، فتكون الآية دالة على تجسّم الأعمال والأفعال، وتبعية الأعمال للصور المسانخة معها التي هي حقيقة الجزاء والعقوبة[٦].

---

١. الإنسان (الدهر): ٥.

٢. **الميزان في تفسير القرآن** ٢٠: ١٢٥.

٣. البقرة: ٢٥.

٤. **تفسير القرآن الكريم** للسيد مصطفى ٥: ٨٤.

٥. الحمد: ٤ .

٦. **تفسير القرآن الكريم** للسيد مصطفى ١: ٤٥٢ .

وجميع الأفعال والأقوال السيئة ذوات الآثار والتبعات البرزخية والصور المؤذية، وهكذا الحسنات منها، وتلك التبعات تحصل في النفس بمجرد اتصافها بها، وتكون باقية، وعليه يكون الآن مالك يوم الدين؛ لأنّ كلّ وقت وآن يوم الدين، إلاّ أنّ ظهور ذلك يكون في الوقت المعلوم(١).

الآية الرابعة عشرة: قال تعالى: **﴿ولا يَغْتَبْ بَعضُكُم بَعْضاً أيُحِبُّ أحَدُكُم أن يأكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهتُمُوه﴾**(٢). يمكن تفسير الآية الكريمة تفسيراً يتوافق مع تجسّم الأعمال، بمعنى أنّ عمل مَن استغاب يتجسّم في الآخرة بصورة أكل لحم أخيه ميتاً، وهذا التصوير إيعاد بالعذاب الأُخروي. ويمكن لنا أن نفسّر الآية الشريفة بأن نقول: إن الغِيبة بمنزلة أكل لحم ميتة الأخ في الحكم بناءً على أنّ أكل الميتة من الكبائر، فهذا العمل ـ الغِيبة ـ هو من الكبائر أيضاً تنزيلاً.

الآية الخامسة عشرة: قال تعالى: **﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾**(٣).

وهذه الآية تدل ظاهراً على حضور نفس العمل وتجسّمه أمام صاحبه، لا على حضور نتيجة العمل أو العقاب المتولد من ذلك العمل(٤).

الآية السادسة عشرة: قال تعالى: **﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**(٥).

---

١. **تفسير القرآن الكريم** للسيد مصطفى ١: ٤٦٦ .

٢. الحجرات: ١٢.

٣. الكهف: ٤٩ .

٤. **معاد انسان وجهان: ٣٤٢، معاد جهان پس از مرگ: ٣٦٧ .**

٥. يسٓ: ٥٤.

يظهر من هذه الآية الكريمة أنّ جـزاء يـوم الآخـرة هـو ذات العمـل، وأن انتفاء الظلم بناءً على تجسّم الأعمال أوضح، لأنّ ما يُجزَون به إنّما هو عملهم يُرَدّ إليهم، ويُلحَق بهم[١].

الآية السابعة عشرة: قال تعـالى: ﴿**لَا تَعْتَـذِرُوا الْيَـوْمَ إِنَّمَـا تُجْـزَوْنَ مَـا كُنـتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[٢]، ودلالتها مثل سابقتها.

الآية الثامنة عشرة: قال تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَـى لَهَـا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ**﴾[٣].

ورؤية الأعمال لا تكون إلاّ بالجسد، بناءً علـى العمـل الحقيقـي، والرؤيـة الحاصلة لكلّ ذرّة من العمل كاشفة عن أنّ التجسّد ثابت لكل ذرة مـن ذرات العمل، فتأمّل.

فهذه الآية تقول: إنّ الإنسان يرى نفس العمل ـ صالحاً كان أو طالحـاً ـ لا أنّه يرى جزاء العمل[٤].

ويمكن أن نفسّر الآية الكريمة تفسيراً آخر لا ربـط لـه بتجسّـم الأعمـال، وهو أن نقول: إنّ التقدير في عبارة ﴿**لِيُرَوا أعمالهم**﴾ هو ليُـرَوا جـزاءَ أعمـالِهم بمعنى أننا قدرنا المضاف، وكأن المولى جلّ وعلا ارتكب هنا مجازاً بحـذف المضاف، فيكون مرتكباً لخلاف الظاهر[٥].

وبعد هذا النقل للآيات، الصريحِ بعضُها والظاهر بعضها الآخر، في تجسّـم

---

١. **معاد جهان پس از مرگ**: ٣٦٠.

٢. التحريم: ٧.

٣. الزلزلة: ٤ ـ ٨.

٤. **معاد جهان پس از مرگ**: ٣٦٨.

٥. حكاه في **بحار الأنوار** ١٧: ٢٩١.

أعمال الإنسان في القبر ويوم القيامة، نعطف الكلام على ما وقع بأيدينا من روايات يُستفاد منها ذلك، فنقول ومنه الاستعانة:

الروايات الظاهرة في تجسّم الأعمال

المنقول إلينا عن الرسول المصطفى وعترته الطاهرة صلوات الله عليه وعليهم أجمعين رواياتٌ كثيرة فيها دلالة واضحة على تجسّم الأعمال، بعضها صريح وبعضها ظاهر:

الرواية الأولى: ورد في (الكافي) عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن سدير الصيرفي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في حديث طويل: «إذا بعث الله المؤمنَ مِن قبره خرج معه مثال يَقْدم أمامه، كلّما رأى المؤمنُ هولاً من أهوال يوم القيامة قال له المثال: لا تَفزَعْ ولا تحزن، وأبشِرْ بالسرور والكرامة من الله عزّ وجلّ. حتّى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ فيحاسبه حساباً يسيراً ويأمر به إلى الجنّة، والمثال أمامه، فيقول له المؤمن: يَرحَمُك الله، نِعم الخارجُ خرجتَ معي من قبري، وما زلتَ تُبشّرني بالسرور والكرامة من الله حتى رأيتُ ذلك. فيقول: مَن أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي كنت أدخلتَ على أخيك المؤمن في الدنيا، خَلَقني الله عزّ وجلّ منه لأُبشّرك»[١].

قال الشيخ البهائي قُدّس سرّه: المثال: الصورة، ويَقْدم على وزن يكرم، أي يقوّيه ويشجّعه من الإقدام في الحرب وهو الشجاعة وعدم الخوف، ويجوز أن يقرأ على وزن يَنْصُر، وماضيه قَدَمَ كنَصَرَ أي يتقدّمه، كما قال الله تعالى:

---

١. **الكافي** ٢: ١٩٠ ح ٨ ـ باب إدخال السرور على المؤمنين، **ثواب الأعمال**: ٢٠٠ .

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[١]. ولفظ: أمامه حينئذ تأكيد، انتهى[٢].

ثم قال في مقام شرح قوله عليه السلام: «أنا السرورُ الذي كنتَ أدخلَته»: فيه دلالة على تجسّم الأعمال في النشأة الأُخروية، وقد ورد في بعض الأخبار تجسّم الاعتقادات أيضاً، فالأعمال الصالحة والاعتقادات الصحيحة تظهر صوراً نورانيةً مُستحسَنة موجبة لصاحبها كمالَ السرور والابتهاج، والأعمال السيّئة والاعتقادات الباطلة تظهر صوراً ظُلمانية مستقبحة توجب غاية الحزن والتألم، كما قاله جماعة من المفسّرين عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[٣]. ويرشد إليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٤]، ومن جعل التقدير لِيُرَوا جزاء أعمالهم ولم يُرجِع ضمير «يره» إلى العمل فقد أبعد، انتهى[٥].

وقال العلامة المجلسي: يُحتَمل أن يكون الحمل في قوله: أنا السرور، على المَجاز، فإنّه لمّا خُلق بسببه فكأنّه عينُه، كما يرشد إليه قوله: «خَلَقني الله»، ومِن للسببيّة أو للابتداء.

الرواية الثانية: علي بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عبد الله ابن مرحوم، عن أبي سيار، عن أبي عبد الله عليه السلام: «إذا دخل المؤمن في قبره كانت الصلاة عن يمينه، والزكاة عن يساره، والبِرّ مطلّ عليه، ويتنحّى الصبر

---

١. هود : ٩٨.

٢ . **الأربعون حديثاً** للبهائي: ٤٠٢ .

٣. آل عمران: ٣٠ .

٤. الزلزلة: ٦ ـ ٨ .

٥. **الأربعون حديثاً**: ٤٠٢ .

ناحية، فإذا دخل عليه الملكانِ اللذان يليانِ مساءلتَه، قال الصبر للصلاة والزكاة والبِرّ: دونَكم صاحبَكم، فإن عجَزْتم عنه فأنا دونه»[١].

ويمكننا القول بالاعتماد على هذا الخبر لورود أمثاله من طرق مختلفة، فلا ينبغي إنكاره، وقد التزم بهذا النظر المازندراني في شرح أُصول الكافي[٢].

قال العلامة المجلسي في ذيل هذا الحديث: أطلّ عليه أي أشرف، وفي بعض النسخ بالظاء المعجمة «أظلّ»، وربّما يُستدلّ بأمثاله على تجسّم الأعمال في النشأة الأخرى. ويمكن أن يخلق الله تعالى بإزاء كلٍّ منها صورةً تناسبه. ويمكن حمله على الاستعارة التمثيلية[٣].

وقال في مكان آخر في ذيل هذا الحديث: ويدل ظاهراً على تجسّم الأعمال والأخلاق في الآخرة، ومَن أنكره يُؤوّله وأمثالَه بأنّ الله تعالى يخلق صوراً مناسبة للأعمال يريه إياها لتفريحه أو تحزينه، أو الكلام مبني على الاستعارة التمثيلية. وتنحّي الصبر وتمكنه في إعانته يناسب ذاته، فتفطن[٤].

وختم العلامة المجلسي كلامه بقوله: لكنّ عدم التصرف في الظواهر مع عدم الضرورة أحوطُ وأولى[٥].

الرواية الثالثة: عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا وُضِع الميّت في قبره مُثِّل له شخص فقال له: يا هذا، كنا ثلاثة: كان رزقك فانقطع بانقطاع أجَلك، وكان أهلك فخلّفوك وانصرفوا عنك، وكنتُ عملَك فبَقِيتُ معك، أما إنّي كنتُ أهونَ

---

١. **الكافي** ٢: ٩٠ / ٨ ـ باب الصبر، **شرح أُصول الكافي** للمازندراني ٨: ٢٨٣ .

٢. **شرح أُصول الكافي** للمازندراني ٨: ٢٨٢ ح ٨ .

٣. **مرآة العقول** ١٤: ٢١٣ .

٤. **مرآة العقول** ٨: ١٣٤ ـ باب الصبر .

٥. **مرآة العقول** ١٤: ٢١٣ ـ باب المُساءلة في القبر .

الثلاثة عليك»[١]. وهذا الحديث يوافق مضمونه أحاديث أُخرى ـ سيأتيك بعضها خلال هذا المبحث ـ فتكون مقوية له.

الرواية الرابعة: عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنّ للمرء المسلم ثلاثة أخلّاء: فخليل يقول له: أنا معك حيّاً وميتاً، وهو عمله. وخليل يقول له: أنا معك إلى باب قبرك ثمّ أُخلّيك، وهو وَلَده. وخليل يقول له: أنا معك إلى أن تموت، وهو ماله، فإذا مات صار للوارث»[٢]. وورد في (معاني الأخبار) مثله [٣].

الرواية الخامسة: عن زرارة، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «دخل يهودي على رسول الله صلى الله عليه وآله، وعائشة عنده، فقال: السام عليكم . ثم دخل آخر فقال مثل ذلك، فرد عليه كما ردّ على صاحبه، ثمّ دخل آخر فقال مثل ذلك، فردّ رسول الله صلى الله عليه وآله كما ردّ على صاحبه، فغضبت عائشة فقالت: عليكم السامُ والغضب واللعنة، يا معشر اليهود، يا إخوةَ القردة والخنازير! فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عائشة، إن الفحش لو كان ممثّلاً لكان مثالَ سوء، إنّ الرفق لم يُوضَع على شيء إلاّ زانه، ولم يُرفَع عنه إلاّ شانه. قالت: يا رسول الله أما سمعت إلى قولهم: السام عليكم. فقال: بلى، أما سمعتِ ما رددتُ عليهم؟ قلت: عليكم. فإذا سلّم عليكم مسلم فقولوا: سلام عليكم، فإذا سلّم عليكم كافر فقولوا: عليك» [٤].

---

١. **الكافي** ٣: ٢٤٠ / ح ١٤، والسند هكذا: علي بن محمد، عن محمّد بن أحمد الخراساني، عن أبيه قال، قال:

٢. **الخصال**: ١١٤ / ح ٩٢ـ عنه، **بحار الأنوار** ٧١ : ١٧٥/ ح ١١.

٣. **معاني الأخبار**: ٢٣٢ / ح ١، **بحار الأنوار** ٨٢ : ١٧٤ .

٤. حكاه المازندراني في **شرح أُصول الكافي** ٩ : ٣٦٤ ـ باب البَداء، وسنده هكذا: علي بن

ومحل الشاهد قولهﷺ: «لو كان ممثَّلاً»، أي لو كان شخصاً مجسَّداً في هذه النشأة لكان مثال سوء، وأما في النشأة الأخرى، فالظاهر أنه مثال قبيح يُرى ويتأذّى به صاحبه. وأما علّة عدم ظهوره وبروزه في هذه النشأة فهو لكون هذه الدار دار تكليف، ودار الكمون، وأنّ النشأة الأخرى دار الجزاء ودار البروز، فيظهر فيها صور الأخلاق والأعمال، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً [1].

الرواية السادسة: ورد في (ثواب الأعمال) في: باب ثواب مَن أدخل على أهل بيتِ مؤمنٍ سروراً، بسند ذكره، قال: قال رسول اللهﷺ: «ما مِن عبدٍ يُدخل على أهل بيت مؤمن سروراً إلاّ خلق الله من ذلك السرور خَلْقاً يجيؤه يوم القيامة..»، إلى آخر الخبر [2]. وقد عبّرت الرواية عن كون ما يقابل عملَ الإنسان في الآخرة بالخَلْق، فهو خلق يخلقه الله من ذلك السرور يجيء يوم القيامة، وهويته وشخصيته غير معروفة وغير واضحة.

الرواية السابعة: رواية (ثواب الأعمال) في آخر رواية وضوء أمير المؤمنين قالعليه السلام: «مَن توضّأ مثل وضوئي وقال مثل قولي، خلق الله عزّ وجلّ من كلّ قطرة مَلَكاً يقدّسه ويسبّحه ويكبّره، ويكتب الله تعالى له ثواب ذلك إلى يوم القيامة» [3]. وقوله: مِن كلّ قطرة، أي بسببها أو من عملها، بناءً على تجسّم الأعمال.

الرواية الثامنة: عن أبان بن تغلب قال: سألت أبا عبد اللهعليه السلام عن حق

إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عُمَير، عن ابن أُذَينة، عن زرارة، عن أبي جعفرعليه السلام.

١. أُنظر: **شرح أُصول الكافي** للمازندراني ٩ : ٣٦١.

٢. **ثواب الأعمال**: ١٤٩ .

٣. **ثواب الأعمال**: ١٦، **أمالي الصدوق**: ٣٣١، **بحار الأنوار** ٧٧ : ٣٨١ / ح ١٢ .

المؤمن على المؤمن، فقال: «حقُّ المؤمن أعظم من ذلك، لو حدّثتكم به لَكفرتم. إنّ المؤمن إذا خرج من قبره خرج معه مثال من قبره، فيقول له: أبشِرْ بالكرامة من ربِّك والسرور، فيقول له: بَشّرَك الله بخير. ثمّ يمضي معه يبشّره بمثل ذلك». ورُوي عن غيره قال: «فإذا مرّ بِهَولٍ قال: ليس هذا لك، وإذا مرّ بخير قال: هذا لك. فلا يزال معه يُؤْمنه مما يخاف ويبشّره بما يحب، حتى يقف معه بين يدي الله عزّ وجلّ، فإذا أُمر به إلى الجنة قال له المثال: أبشِرْ بالجنّة؛ فإن الله عزّ وجلّ قد أمر بك إلى الجنة، فيقول له: مَن أنت يرحمك الله، بشّرتَني حين خرجتُ من قبري وآنستني في طريقي وخبّرتني عن ربي؟ فيقول: أنا السرور الذي كنتَ تُدخله على إخوانك في الدنيا جُعلتُ منه لأنصرك، وأُؤنس وحشتك»[١].

الرواية التاسعة: روي عن المجاشعي عن الإمام الصادقعليه‌السلام عن آبائه: قال: قال رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله: «مانع الزكاة يجرّ قُصبَه في النار ـ يعني أمعاءه في النار ـ، ويُمثَّل له ماله في النار في صورة شُجاع أقرع له زنمتان ـ أو زبيبتان ـ يفرّ الإنسان منه، وهو يَتْبعه حتى يقضمه كما يقضم الفجل، ويقول: أنا مالُك الذي بَخِلتَ به»[٢].

والمراد بالشُّجاع: الحيّة الذكَر، وقيل: الذي يقوم على ذَنَبه ويواثب الفارس. والأقرع: الذي تَقرّع رأسُه، أي تمعّط لكثرة سمّه.

قوله: «له زبيبتان» تثنية زبيبة بفتح الزاي وموحّدتين وهما الزبدتان اللتان في الشدقين، يقال: تكلّم حتى زبد شدقاه، أي خرج الزَّبَد منهما. وقيل: هما

---

١. **كتاب المؤمن** للحسين بن سعيد: ٥٥ / ح ١٤٢ .

٢. **الأمالي** للطوسي: ٥١٩ / ح ١١٤٣، **وسائل الشيعة** ٩: ٣٠، **بحار الأنوار** ٣٩: ١٥.

النكتتان السوداوان فوق عينيه، وقيل: نقطتان يكتنفان فاه، وقيل: هما في حلقه بمنزلة زنمتي العنز. وقيل: لحمتان على رأسه مثل القرنين، وقيل: نابان يخرجان مِن فِيه[١].

وورد هذا المضمون مع تفاوت عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «الذي يمنع الزكاة يحوّل الله ماله يوم القيامة شُجاعاً من نار له ريمتان، فيطوّقه إياه ثمّ يقال: الزمه كما لَزِمك في الدنيا، وهو قول الله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ﴾»[٢].

ومثله عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام قال: «ما مِن رجل منع حقاً في ماله إلاّ طوّقه الله به حيةً من نار يوم القيامة»[٣].

وجاء في (مجمع الزوائد) في ذيل الآية الكريمة: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ﴾ عن عبد الله بن مسعود قال صلى الله عليه وآله: «يُطَوّق شجاعاً أقرع، بِفِيه زبيبتان ينقر رأسه. فيقول: ما لي ولك؟ فيقول: أنا مالُك الذي بَخِلتَ به».

قوله: «مُثِّل له» أي صُوِّر أو ضمن مثل معنى التصيير، أي صُيِّر ماله على صورة شجاع، ووقع في رواية زيد بن أسلم: ما مِن صاحبِ ذهبٍ ولا فضة لا يُؤدّي منها حقَّها إلاّ إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأُحميَ عليها في نار جهنّم، فيُكوى بها جَنْبُه وجبينه وظهره[٤].

الرواية العاشرة: عن عمار بن موسى الساباطي، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، قال: «مَن صلّى الصلوات المفروضات في أوّل وقتها فأقام حدودها، رَفَعها المَلَك إلى السماء بيضاءَ نقيّة، وهي تهتف به: حَفِظك الله كما

---

١. فتح الباري ٣: ٢١٤ .

٢. آل عمران: ١٨٠.

٣. الكافي ٣: ٥٤٦ / ح٢، جامع أحاديث الشيعة ٨: ٢٦١ .

٤. مسند أحمد ٢: ٣٥٥، صحيح البخاري ٢: ١١٠، مجمع الزوائد ٦: ٣٢٩، سنن البيهقي ٤: ٨١

حَفِظتَني، واستودَعَك الله كما استودعتني مَلَكاً كريماً. ومَن صلاها بعد وقتها من غير علّة فلم يُقم حدودها، رَفَعها المَلك سوداء مظلمة، وهي تهتف به: ضيّعتَني ضيّعَك الله كما ضيّعتني، ولا رعاك الله كما لم تَرْعَني». ثمّ قال الصادق عليه السلام: «إنّ أوّل ما يُسأل عنه العبد إذا وقف بين يدَي الله جلّ جلاله الصلواتُ المفروضات، وعن الزكاة المفروضة، وعن الصيام المفروض، وعن الحج المفروض، وعن ولايتنا أهلَ البيت، فإن أقرّ بولايتنا ثمّ مات عليها قُبلَت منه صلاته وصومه وزكاته وحَجّه، وإن لم يُقرّ بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يَقبل الله عزّ وجلّ منه شيئاً من أعماله»(١).

الرواية الحادية عشرة: قال الشيخ الصدوق: قد روى أصحابنا رضي الله عنهم عن قيس بن عاصم(٢) قال: وفدتُ مع جماعة من بني تميم على النبي صلى الله عليه وآله، فدخلت عليه وعنده الصلصال بن الدلهمس(٣).

فقلت: يا نبيّ الله، عِظْنا موعظة ننتفع بها، فإنّا قوم نعبر في البريّة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا قيس، إنّ مع العزّ ذلّاً، وإنّ مع الحياة موتاً، وإنّ مع الدنيا آخرة، وإنّ لكلّ شيء حسيباً، وعلى كلّ شيءٍ رقيباً، وإنّ لكلّ حسنة ثواباً، ولكلّ سيئةٍ عقاباً، ولكلّ أجَلٍ كتاباً. وإنّه لا بدّ لك يا قيس من قرين

---

١. **الأمالي** للشيخ الصدوق: ٣٢٨ / ح ٣٨٨ حدّثنا الحسين بن إبراهيم بن ناتانه رحمه الله، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن هِشام بن سالم .

٢. هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد المنقري: قال ابن حجر في (**التقريب**: ٤٢٦) صحابي مشهور بالحلم، نزل البصرة، انتهى. وترجمه ابن عبد البَرّ في (**الاستيعاب** ٣:٢٢٤) وقال: قدم في وفد بني تميم على رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك في سنة تسع، فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «هذا سيد أهل الوبر». وكان عاقلاً حليماً مشهوراً بالحلم، وكان قد حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية .

٣. ترجمه ابن حجر في **الإصابة** ٣: ٣٦١ / الترجمة: ٤١١٨.

يُدفَن معك وهو حيّ، وتُدفَن معه وأنت ميّت، فإن كـان كريمـاً أكرمـك، وإن كان لئيماً أسلمك، ثمّ لا يُحشر إلاّ معك ولا تُبعَث إلاّ معه، ولا تُسأل إلاّ عنـه، فلا تجعله إلاّ صالحاً؛ فإنّه إن صلح أنِستَ به، وإن فسد لا تستوحش إلاّ منه، وهو فِعلُك».

قال الصلصال: يا رسول الله، قد حضـرني أبيـات أحسَبُها توافـق مـا أراد قيس، فقال: هاتها، فقال:

تَخيّـرْ قَرينـاً مِـن فِعالِـك إنّمـا | قرينُ الفتى في القبر ما كـان يفعـلُ
ولا بـدّ بعـد المـوت مـن أن تُعِـدَّهُ | ليـومٍ يُنـادى المـرءُ فيـه فيُقْبِـلُ
فإن كنتَ مشغولاً بشـيءٍ فـلا تكـنْ | بغيرِ الـذي يَرضـى بـه اللهُ تُشـغَلُ
ولن يَصْحَبِ الإنسانَ مِن قبـل موتِـهِ | ومِـن بعـدِهِ إلاّ الـذي كـان يَعمـلُ
ألا إنّمــا الإنســانُ ضيــفٌ لأهلِهِ | يُقيـم قليــلاً بينهم ثـمّ يَرحَـلُ[١]

الرواية الثانية عشرة: ورد في (نهج البلاغة) عن الإمام عليعليه السلام أنـه قـال: «أعمال العباد في عاجِلهم، نَصْبُ أعيِنهم في آجِلِهم»[٢].

نصب أعينهم صريحة في أن العمل الدنيوي موجود أمام العين في الآخرة.

الرواية الثالثة عشرة: ورد في (نهج البلاغة) أنّ الإمـام علياًعليه السلام قـال فـي

---

١. **معاني الأخبار**: ٢٣٣ / ح ١، والسند هكذا: حدّثنا أبو أحمـد الحسـن بـن عبـد الله بـن سـعيد العسكري، قال: حدّثنا أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرنا أبو حاتم، عن العتبـي ـ يعني محمّد بن عبد الله ـ عن أبيه . وأخبرنا محمّد بن عبد الله بـن شـبيب البصـري، قـال حدّثنا زكريا بن يحيى المنقري قال: حدّثنا العلاء بن الفضيل، عن أبيه، عـن جـدّه قـال: قـال قيس بن عاصم: وفدتُ ...

٢. **نهج البلاغة**: الحكمة ٧، **شرح نهج البلاغة** لابن أبي الحديد ١٨: ١٠٠، **تحف العقول**: ٢٠٢، **بحار الأنوار** ٦٦: ٤٠٩ .

صفة المأخوذين على الغِرّة عند الموت: «ثمّ حَمَلوه إلى مَخطٍّ (محطّ) في الأرض، فأسلموه فيه إلى عمله»[١].

قال: أي إلى خطّ، سماه مخطّاً أو خطّاً لدقّته ـ يعني اللحد ـ ويُروى بالحاء المهملة (محطّ)، وهو المنزل، وحَطّ القوم: أي نزلوا[٢].

الرواية الرابعة عشرة: في نهج البلاغة، قال أمير المؤمنين عليه السلام لكميل: «ياكميل، مُرْ أهلك أن يَرُوحوا في كسب المكارم، ويُدلجوا في حاجة من هو نائم، فوَالذي وَسِع سمعُه الأصوات، ما من أحدٍ أودَعَ قلباً سروراً إلاّ وخلق الله له من ذلك السرور لطفاً، فإذا نَزَلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره، حتّى يطردها عنه كما تُطرَد غريبة الإبل»[٣].

وهذه الرواية عبّرت عن كون ما يقابل السرور الدنيوي المُدخَل على المسلم هو اللطف.

وقد نقل علي الليثي في (عيون الحكم) والآمدي في (غرر الحكم) مثلها عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ما أودع أحدٌ قلباً سروراً إلاّ خلق الله له من ذلك السرور لطفاً، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره، حتى يطردها عنه كما تُطرَد الغريبة من الإبل»[٤].

والضمير في «جرى» يعود على اللطف، وفي «إليها» يعود للنائبة.

وغريبة الإبل لا تكون من مال صاحب المرعى، فيطردها من بين ماله.

---

١. **نهج البلاغة** الخطبة ١٠٩.

٢. **شرح نهج البلاغة** ٧: ٢٠٩ ـ ٢١٠.

٣. **نهج البلاغة** الحكمة ٢٥٧، **وسائل الشيعة** ١٦: ٢٥٤، و ١١: ٥٧٤.

٤. **عيون الحكم والمواعظ** لعلي بن محمّد الليثي الواسطي: ٤٧٨، **غرر الحكم** ٢: ٧٥٤ / ح ٢٤٧، **مستدرك الوسائل** ١٢: ٤٠١.

والرواح: السير من بعد الظهر، والإدلاج السير من أول الليل، والمراد من المكارم المحامد، وكسبها بعمل المعروف.

وكأنّه يقول: أوصِ أهلك أن يواصلوا أعمال الخير برواحهم في الإحسان وإدلاجهم في قضاء الحوائج وإن نام عنها أربابها[١].

قال بعض المحقّقين: معناه خلق الله تعالى بدل ذلك السرور وعوّضه مَلَكاً ذا لطف، ويُبعَث ذلك الملك اللطيف عند كلّ بلية على عجلة ليخلّصه منها[٢].

قال ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) فإن قلت: السرور عرض، فكيف يخلق الله تعالى منه لطفاً؟

قلت: «مِن» ها هنا مثل «من» في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ**﴾[٣]، أي عوضاً منكم ومثله:

فليتَ لَنا مِن ماءِ زمزمَ شُربةٌ　　مُبرَّدةٌ باتت على الطَّهْيانِ [٤]

أي ليت لنا شربة مبردة باتت على طهيان، وهو اسم جبل، بدلاً وعوضاً من ماء زمزم[٥].

الرواية الخامسة عشرة: قد ورد في (جامع الأخبار) عن النبي ﷺ أنه قال: «**اجتنبوا الغِيبةَ فإنّها إدام كلاب أهل النار**»[٦].

---

١. انظر: **نهج البلاغة** ٤: ٥٦ (الهامش) .

٢. حكاه المازندراني في **شرح أُصول الكافي** ٩ : ٧٤.

٣. الزخرف: ٦٠.

٤. البيت للأحول الكِنْدي (**اللسان** ١٥: ١٧ ـ طها) .

٥. **شرح نهج البلاغة** ١٩: ١٠١ .

٦. **جامع الأخبار** للسبزواري: ٤١٣ / ح ١١٤٥، **مسند زيد بن علي**: ٤٩٠، **مستدرك الوسائل** ٩: ١٢١ / ح ٣١، **وسائل الشيعة** ٥: ٦٠٠ / ح ١٦ ، باب تحريم اغتياب المؤمن .

الرواية السادسة عشرة: قد ورد في (غوالي اللآلي) أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أكثروا من قول: سبحان الله، والحمدُ الله، ولا إلـه إلاّ الله والله أكبـر، فـإنّهنّ يـأتين يـوم القيامـة، لهـنّ مقـدّمات ومـؤخّرات ومعقّبـات، وهـنّ الباقيـات الصالحات»[١].

الرواية السابعة عشرة: قد نُقل عن الحسين بن محمد، عـن المعلّـى، عـن الوشاء، عن عبد الله بن سنان، عن رجل من أهل المدينـة، عـن الحسـين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما يُوضَع في ميزان امـرئٍ يـوم القيامـة أفضـلُ مِـن حُسن الخُلق»[٢].

الرواية الثامنة عشرة: ورد عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله أنّـه قـال: «الـدنيا مزرعـة الآخرة»[٣]. قال السيد عبد الله الجزائري في (التحفـة السَّـنيّة) فـي ذيـل هـذا الحديث: كما أنّ البذر هو مادة، بل هو الذي يظهر بعينه بعد انبساطه بصـورة الشجرة بأغصانها وأوراقها وثمارها، فكذا الأعمـال والأخـلاق المكتسـبة فـي الدنيا هي مادة الجنّة والنار، وهي تظهر في ذلك الموطن بصورتهما وصورة ما فيهما من اللذائذ والمكاره[٤].

الرواية التاسعة عشرة: قد ورد في صحيح البخاري ومسـلم أنّ النبـي صلى الله عليه وآله

---

١. **غوالي اللآلي** ١ : ٣٤٩ / ح ١.

٢. **الكافي** ٢: ٩٩ / ح ٢، **بحار الأنوار** ٨٦: ٣٤٧ .

٣. **تحف العقول**: ١٦٤ وقد كتب الشهيد الثاني (ش٩٦٦ هـ) رسـالة فـي شـرح حـديث «الـدنيا مزرعة الآخرة» . أُنظـر: **كشف الحجب والأستار**: ٢٦٧/ ١٤٢٥ للسـيد اعجـاز حسـين، وأُنظـر: **موسوعة مؤلفي الإمامية** ١: ٣٢١ (مجمع الفكر الإسلامي)، **كشف الخفاء** للعجلوني ٢:٢٥١.

٤. **التحفة السَّنية**: ١٥٢.

قال: «مَن شَرِب في آنية الذهب والفضة إنّما يُجرجِر في جوفه نارَ جهنّم»[١].

قال العلامة الحلّي في (منتهى المطلب): معناه يُلقي في جوفه نار جهنّم، يقال: جرجر فلان الماء في حلقه إذا جرع جرعاً متتابعاً يُسمَع له صوت، والجرجرة حكاية ذلك الصوت[٢]. وقد فُسِّر الحديث بأنه يصبّ في بطنه نار جهنّم[٣].

الرواية العشرون: قد ورد في كتاب (كشف الخفاء) حديث: مَن زرع حصد[٤].

ومعناه: كما أن الإنسان يبذر بذراً وهو مادة النتاج المستقبلي، بل هو الذي يظهر بعينه بعد ظهوره بصورة زرع مثمر، فكذا الأعمال التي يقوم بها الإنسان والأخلاق المكتسبة في الدنيا هي مادة الجنّة والنار، وهي تظهر في ذلك الموطن بصورتها وصورة ما فيها من اللذات والمكاره.

قال في (المقاصد): معناه صحيح وإليه يشير قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا**﴾[٥].

الرواية الحادية والعشرون: رُوي عن النبيﷺ أنه نظر في النار ليلة الإسراء، فإذا بقوم يأكلون الجِيَف.

---

١. **صحيح البخاري** ٧، ١٤٦، **صحيح مسلم** ٣:١٦٣ ح ٢٠٦٥، **موطّأ مالك** ٢: ٩٢٤ ح ١١، **مسند أحمد** ٦: ٩٨، **سنن البيهقي** ١: ٢٧، **الخلاف** للشيخ الطوسي ٢: ٩١ .

٢. **منتهى المطلب** ١:١٨٦ (الطبعة الحجرية)، وفي الطبعة الجديدة ٣: ٣٢٢ .

٣. **التحفة السَّنية**: ١٥٢ .

٤. **كشف الخفاء** للعجلوني ٢:٢٥١ / ح ٢٤٩١ .

٥. آل عمران: ٣٠ ، حكاه عنه في كشف الخفاء ٢: ٢٥١.

فقال: «يا جبرئيل، مَن هؤلاء؟»، قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس[١].

الرواية الثانية والعشرون: أخرج أحمد والطبراني في (الأوسط) عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: تَجيء الأعمال يوم القيامة، فتجيء الصلاة فتقول: يا ربّ أنا الصلاة، فيقول: إنّكِ على خير. وتجيء الصدقة فتقول: يا رب أنا الصدقة، فيقول: إنّكِ على خير. ثم يجيء الصيام فيقول: أنا الصيام، فيقول: إنّكَ على خير. ثم تجيء الأعمال على ذلك فيقول الله: إنّك على خير، ثم يجيء الإسلام فيقول: يا ربّ، أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول الله: إنّك على خير، بك اليوم آخذُ وبك أُعطي. قال الله في كتابه: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[٢].

الرواية الثالثة والعشرون: ورد عن عبد الرحمن بن سَمُرة، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «إنّي رأيتُ البارحة عجباً، رأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه، فجاء بِرُّه لوالديه فردّه عنه.

ورأيت رجلاً من أمتي سُلّط عليه عذاب القبر، فجاء وضوؤه فاستنقذه من ذلك. ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاء ذكرُ الله فخلّصه من بينهم. ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً، كلّما ورد حوضاً مُنع منه، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه.

---

١. **مسند أحمد** ١: ٢٥٧، **مجمع الزوائد** ٨: ٢٩، **كنز العمال** ١٢: ٤١٦ / ح ٣٥٤٥٤.

٢. **مسند أحمد** ٢: ٣٦٢، **مجمع الزوائد** ١٠: ٢٤٥، **شرح المعاني والآثار** لأحمد بن محمّد بن سلمة ٦:٢، **المعجم الأوسط** للطبراني ٧: ٣١٧، **الدرّ المنثور** ٢: ٤٨، **تفسير ابن كثير** ١: ٣٨٧. وسنده في **مسند أحمد** هكذا: حدّثنا عبد الله، حدّثني أبي، حدّثنا أبو سعيد مولى هاشم، حدّثنا عبّاد بن راشد، حدّثنا الحسن، حدّثنا أبو هريرة . وفيه عباد بن راشد وثقة أبو حاتم، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح (**مجمع الزوائد** ١٠: ٣٤)، والآية في سورة آل عمران: ٨٥ .

ورأيت رجلاً من أمتي والنبيّون قعود حلقاً حلقاً، كلّما دنا لحلقةٍ طردوه، فجاء اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده إلى جنبه.

ورأيت رجلاً من أمتي، بين يديه ظُلمة وخلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة، ومن فوقه ظلمةٌ ومن تحته ظلمةٌ، فهو متحيّر فيها، فجاءه حجّه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور.

ورأيت رجلاً من أمتي يكلّم المؤمنين ولا يكلّمونه، فجاءته صلةُ الرّحم فقالت: يا معشر المؤمنين كلّموه، فكَلّموه.

ورأيتُ رجلاً من أمتي يتّقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت ستراً على وجهه، وظلاً على رأسه.

ورأيت رجلاً من أمتي أخذته الزبانيةُ [1] من كلّ مكان، فجاءه أمرُه بالمعروف ونهيُه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم، وأدخلاه مع ملائكة الرحمة.

ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت به صحيفته من قِبل شِماله، فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها عن يمينه.

ورأيت رجلاً من أمتي قد خفّ ميزانه، فجاءته أفراطُه[2] فثقّلوا ميزانه.

ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنّم، فجاءه وَجَلُه من الله، فاستنقذه من ذلك ومضى.

ورأيت رجلاً من أمتي هوى في النار، فجاءته دموعه التي بكى من خشية

---

١. الزبانية: من فعل زبن: دفع ورمى وسمّي بها بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها كما في **لسان العرب** ١٣: ١٩٤ و **مجمع البحرين** ٢: ٢٦٦ .

٢. أفراطه: جمع فَرَط، وهو ما يتقدّم الإنسان من أجر وعمل، ويقال في الدعاء للطفل الميت: «اللهمّ اجعَلْه لنا فَرَطاً» أي: أجراً يتقدّمنا حين نَرِد عليه ـ كما في **لسان العرب** ٧: ٣٦٧ .

الله في الدنيا، فاستخلصته من النار.

ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة[١]، فجاءه حسنُ ظنّه بالله فسكّن روعه[٢] ومضى.

ورأيت رجلاً من أمتي على الصراط، يزحف أحياناً ويحبو أحياناً، فجاءته صلاته عليه، فأخذت بيده فأقامته، ومضى على الصراط.

ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنّة فغُلّقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلاّ الله، ففَتَحَت له الأبواب وأدخلته الجنّة.

ورأيتُ ناساً تُقرَّض شفاههم، فقلت: يا جبريل، مَن هؤلاء؟ قال: المشّاؤون بين الناس بالنميمة.

ورأيتُ رجالاً معلّقين بألسنتهم، قلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا »[٣].

الرواية الرابعة والعشرون: روى أبو هريرة عن النبيﷺ أنّه قال: «والذي نفسي بيده، إنّ الميت إذا وُضع في قبره إنّه لَيسمع خَفْق نِعالكم حين تُولّون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصوم عن شماله، وفعل الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه. فيُؤتى من قِبل رأسه، فتقول الصلاة: ليس من قبلي مدخل. فيؤتى عن يمينه، فتقول الزكاة: ليس من قبلي مدخل. ثم يؤتى عن شماله، فيقول الصوم: ليس من قبلي مدخل، ثمّ يؤتى من قبل رجليه، فيقول فعل الخيرات والإحسان إلى الناس: ليس من قبلي مدخل.

---

١. السعفة: جريدة النخل وخوصه كما في **مجمع البحرين** ٢ ٣٧٤ .

٢. روعه: الرّوع هو القلب والعقل، وسكن روعه: طمأنه وأذهب عنه الفزع .

٣. **شرح الصدور** للسيوطي :١٨٣، ورواه الصدوق في **الأمالي**: ٣٠١ / ح ١ بتغيير يسير في الألفاظ .

فيقال له: اجلس، فيجلس، وقد مَثُلَت الشمس للغروب، فيقولون له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان بُعِث فيكم؟ يعني النبيﷺ، فيقول: أشهد أنه رسول الله، جاءنا بالبيّنات من عند ربنا فصدّقناه واتّبعناه. فيُفسَح له في قبره مدّ بصره، فذلك قوله سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[1]، الآية.

فيقال: افتحوا له باباً إلى النار، فيُقال: هذا منزلك لو عصيت الله! فيزداد غبطة وسروراً. ويقال: افتحوا له باباً إلى الجنّة، فيفتح له. فيقال: هذا منزلك وما أعدّ الله لك. فيزداد غبطة وسروراً»، إلى آخر الخبر.

وروي عن محمّد بن الصامت عن ابن عُيَينة عن طلحة بن مصرّف، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، يرفعه: «يُؤتى الرجل من قِبل رأسه في قبره، فإذا أُتي دفعه تلاوة القرآن، فإذا أُتي من قبل يديه دفعته الصدقة، فإذا أُتي من قبل رجليه دفعه مشيه إلى المساجد»، وذكر نحوه[2].

الرواية الخامسة والعشرون: خرّج الإمام أحمد من حديث محمّد بن المنكدر، قال: كانت أسماء تحدّث عن النبيﷺ أنّه قال: «إذا أُدخل الإنسان في قبره، فإن كان مؤمناً حفّ به عمله: الصيام والصلاة.

قال: فيأتيه المَلَك من نحو الصلاة فيردّه، ومن نحو الصيام فيردّه، فيناديه: اجلس. فيجلس فيقول: ماذا تقول في هذا الرجل؟ ويعني النبيﷺ، قال: من؟ قال: محمّد. قال: فيقال: وما يدريك أدركته؟ قال: يقول: إنه رسول اللهﷺ. قال: يقول: على ذلك عشت، وعليه متّ، وعليه تُبعث. قال: إن كان فاجراً أو

---

١. إبراهيم: ٢٧ .

٢. **مجمع الزوائد** ٣: ٥٢، **شرح الصدور**: ١٣٤ .

كافراً قال: جاءه الملك ليس بينه وبينه شيء يردّه، فأجلس.

قال: يقول: اجلس، ماذا تقول في هذا الرجل؟ قال: أي رجل؟ قال: محمد. قال: يقول: والله ما أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته. قال: فيقول له الملك: على ذلك عشت، وعليه مت، وعليه تُبعث. قال: ويسلّط عليه دابّة في قبره، معها سوط بمرزبة[1] جمرة مثل غرب البعير تضربه ما شاء الله، صمّاء لا تسمع صوته فترحمه.قلت: قوله: ويسلط عليه دابة إلى آخره.

قد روي من وجه آخر عن ابن المنكدر أنه بلغه ذلك، فلعلّه مدرج في الحديث»[2].

الرواية السادسة والعشرون: ورد في حديث زاذان، عن البراء عن النبي محمدﷺ قال في المؤمن: «ويأتيه رجل حَسَن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرّك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الحسن. فيقول: ربّ أقِمِ الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي».

وقال في حق الكافر: «يأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، يقول: أبشر بالذي يسوؤك، فهذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشرّ! فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة»[3].

---

١. في **مجمع الزوائد** ٣: ٥١، و**شرح الصدور**: ١٣٧: معها سوط ثمرته جمرة ... .

٢. انظر: **أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور**: ٥٥، **مسند أحمد** ٦: ٣٥٣ . قال الهيثمي في **مجمع الزوائد** ٣: ٥١ قلت: لها ـ أي لأسماء ـ في الصحيح حديث غير هذا رواه أحمد، وروى الطبراني طرفاً منه في المعجم الكبير .

٣. **أهوال القبور**: ٥٧ .

الرواية السابعة والعشرون: خرج البزّار والطبراني، بسياق مطوّل، من حديث أنس أيضاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «ما من عبد إلاّ له ثلاثة أخلّاء، فأما خليل فيقول له: ما أنفقت فلك، وما أمسكت فليس لك، فذلك ماله.

وأما خليل فيقول: أنا معك، فإذا أتيت باب الملك تركتك، فذلك أهله وحشمه. وأما خليل فيقول: أنا معك حيث دخلت، وحيث خرجت، فذلك عمله، فيقول: كنت لأهون الثلاثة عليّ»[١].

قال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه[٢].

ومن كلام بعضهم: إنما تقدم على ما قدمت، ولست تقدم على ما تركت، فآثر ما تلقاه غداً على ما لا تراه أبداً ومن حكمة أفلاطون: أكتمْ حُسنَ صنيعك عن أعين البشر؛ فإنّ له ممّن بيده ملكوت السماء أعيناً ترمقه فتجازى عليه[٣].

الرواية الثامنة والعشرون: جاء في (كنز العمال) عن رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ المؤمن إذا خرج من قبره صُوِّر له عمله في صورة حسنة، فيقول له: ما أنت؟ فوالله إني لأراك امرأ الصدق!

فيقول له: أنا عملك، فيكون له نورٌ أو قائد إلى الجنة. وإنّ الكافر إذا خرج

---

١. عزاه الهيثمي في **مجمع الزوائد** ٣: ١٢٣ للطبراني في الأوسط، ثمّ قال: «ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام» انتهى. وخرج البزّار والحاكم من حديث النعمان بن بشير، عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله معناه وقد اختلف في رفعه ووقفه. وقد رُوي هذا من حديث عائشة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله بسياق، ولكنّ إسناده ضعيف جداً. وخرّج البزار هذا المعنى ـ من حديث أبي هريرة، وسَمُرة بن جندب، عن النبي صلى الله عليه وآله. وخرجه الطبراني من حديث سمرة أيضاً.

٢. **المستدرك** للحاكم ١: ٧٣.

٣. **شرح نهج البلاغة** ١٨: ١٠٢.

من قبره صُوِّر له عمله في صورة سيئة، وبشارة سيئة، فيقول: من أنت؟ فوالله إني لأراك امرأ السوء! فيقول: أنا عملك! فينطلق به حتى يدخل النار[١].

ويُستَدلّ بهذا الخبر على تجسّم الأعمال بقوله صلى الله عليه وآله: «صُوِّر له عمله في صورة حسنة» يراها الميت حين خروجه من قبره، بالمحاورة الجارية بين الميت والصورة وبجواب الصورة: أنا عملك.

الرواية التاسعة والعشرون: ورد في (كنز العمال) أنّ جبرئيل قال للنبي الكريم صلى الله عليه وآله: يا محمّد، عشْ ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مُفارقه، واعمل ما شئت فإنك مُلاقيه[٢].

وتدل العبارة الأخيرة من الحديث على تجسّم الأعمال في الآخرة، فإنها مُصرِّحة بملاقاة الإنسان ما يعمله في دنياه، وهذه الرواية مطلقة ولم تحدد كون الملاقاة في القبر أو يوم القيامة أو فيهما.

إلى هنا استعرضنا جملة من الآيات والروايات الصريحة والظاهرة في تجسّم أعمال الإنسان يوم القيامة بصورة مفرحة أو محزنة.

الموضع العلمي لتجسّم الأعمال

ذهب بعض العلماء المعاصرين في محاولةٍ لتطبيق مسألة تجسّم الأعمال مع الأصول العلمية الحديثة، وفي هذا المجال نقول: تجسّم الأعمال يوم القيامة من قبيل تبديل القوة والطاقة إلى جسم، ومن قبيل تحول الطاقة إلى مادة، والمسلَّم عند الفيزيائيين أن تبديل المادة إلى طاقة أمر ممكن بل حاصل، ومن الممكن عندهم أيضاً أن تتحول الطاقة إلى المادة، لأن المادة

---

١. **كنز العمال** ١٤: ٣٦٦ / ح ٣٨٩٦٣، رواه ابن جرير عن قتادة مرسلاً.

٢. **كنز العمال** ١٥: ٥٤٦ / ح ٤٢١١٤، رواه الطيالسي، عن جابر.

عبارة عن طاقة، والطاقة والقوة مركّزة وكامنة في المادة، فإذا انبسطت المادة تحولت إلى طاقة وقوة، فإذا كان تبديل المادة إلى طاقة وقوة أمراً واقعاً فمِن المسلّم أن يتحقق عكس ذلك وتتحول الطاقة إلى مادة. وتوضيح ذلك في عدة أُصول:

الأصل الأول: إنّ آخر نظرية حول المادة والطاقة هي أن المادة والطاقة مظهران لحقيقة واحدة، والمادة طاقة كامنة مخزونة مضغوطة، وإنّها تتبدّل إلى طاقة وقدرة هائلة بشرائط معينة، فتارة الطاقة الكامنة والمخزونة في غرام واحد من المادة تُعادَل بقدرة انفجار تتجاوز ٣٠ ألف طن ديناميت، وفي غرام واحد من التراب بقدر يتجاوز المحصول من عمل مولدة كهرباء، هذا هو عين المادة التي تنبسط وتظهر بصورة طاقة، وإذا رجَعَت عن حالة الانبساط إلى حالة التراكم المضغوطة فإنها ترجع إلى حالة الجسمية المادية.

الأصل الثاني: أصل بقاء المادة والطاقة: الكاشف الأصلي لهذا القانون العالم لافازيه في سنة ١٧٧٥م، ومفاده أن مقدار الكون وكتلته ثابتة، ولا ينقص منه شيء، بل تتغير صورته.

الأصل الثالث: أصل بقاء الطاقة: أثبتت الاختبارات أنه إذا حصل فعل وانفعال كيميائي لدمج شيئين وخلق شيء واحد منهما فإننا نحتاج إلى صرف حرارة، وإذا أردنا تقسيمه إلى جزءين تنتج حرارة عالية.

الأصل الرابع: أصل تبديل المادة للطاقة: قد قام عالم الخلقة على قانون تبديل المادة إلى طاقة، وفي كلّ يوم يتبدّل ٣٥٠ ألف مليون طن من المادة إلى الطاقة لمعيشة الحيوانات والنباتات. وكل موجود حي عن طريق التنفس والأكل والشرب يحوّل مقداراً من مادة الكون إلى جزء من جسده، ثمّ بعد ذلك تتحول تدريجاً إلى طاقة في أثناء العمل. وإذا بقيت المادة المذخورة في

البدن على تلك الحالة فإن بدن الإنسان سيفقد تعادله.

الأصل الخامس: حقيقة العمل عند الإنسان: الإنسان جزء من عالم المادة، حقيقة عمله هو أنه يستهلك في إنجاز أي عمل حسن أو قبيح ذخائرَه المادية الكامنة في بدنه بصورة طاقة. فإذا صلّى فإنّه في الحقيقة والواقع قد استهلك مقداراً من المادة في صلاته وتخرج بصورة الطاقة، وإذا وضع مظلوماً تحت سوط ضرباته فإنّه يصرف موادَّ من مادة بدنه، وهكذا جميع أعماله السيئة والحسنة.

الأصل السادس: تبديل الطاقة إلى مادة يكون نتيجة قبول الأُصول الخمسة المتقدمة، لأننا إذا قبلنا أن المادة والطاقة مثل الماء والثلج والبخار مظاهر لحقيقة واحدة، وإذا كان أصل بقاء المادة والطاقة مورد اتفاق الفيزيائيين، وإذا كان تمام أفعال الإنسان من قبيل تبديل المادة إلى طاقة، في هذا الحال لا مانع عن الأصل المذكور وهو أن الطاقة المنتشرة تتراكم من جديد وتتحول إلى مادة وجسم، والطاقة المصروفة في الإصلاح والخير والطاقة المصروفة في الظلم والشرّ تنكشف وتتحول إلى أجسام خاصة يوم القيامة، وهو المطلوب[1].

هذا وإنّ المعروف بين علماء النبات أن النباتات فقط تقوم بعملية تحويل الطاقة وتبديلها إلى مادة، وهي العملية المعروفة بعملية التركيب الضوئي.

النظريّات في تجسّم الأعمال

والآن نشرع ببيان تفصيلي للنظريّات المذكورة في تجسّم أعمال الإنسان يوم القيامة، فنقول وعلى الله التوكل:

---

١. أُنظر هذه الأصول في كتاب: **المعاد** لجعفر سبحاني: ٤٤١ (فارسي) .

النظريّة الأُولى: نظريّة المَلَكات

إنّ الأعمال التي يعملها الإنسان لها خاصية التأثير على قلبه، حيث تجعله أرضاً لقبول وتحمّل الخير والبركة، فإذا فعل الإنسان عملاً صالحاً، فإن هذا العمل يؤثر على القلب ويجعله صالحاً لنزول البركات.

وإلى هذا المعنى أشار المازندراني في شرحه لأصول الكافي حيث قال: إن تأثير الأعمال والأخلاق من جهة الإعداد وتهيئة قلب الإنسان بصفائه وتوجّهه إلى الغيب لنزول بركات لا يدركها إلاّ من نالها، لا لأنّ نفس الأعمال ومكارم الأخلاق أُمور مقصودة لذاتها، بل لأنّها أسباب لكمال آخر مقصود بذاته يبقى مع النفس بعد المفارقة عن البدن، ومعنى تجسّم الأعمال أو الملكات ذلك.

ثم ضرب المازندراني لذلك مثلاً فقال: فالحسد مثلاً أو الغضب أو حبّ الدنيا ملكات خبيثة بدنية والبدن آلة لوجودها، يتأثّر من الأوهام والشهوات البدنية، فإذا زالت لم تَبقَ علّة لوجود الحسد وأمثالها، لكنّها ما دامت في الدنيا مصاحِبةً لقلب الإنسان فإنّها تمنعه من التوجه إلى الغيب، وأن يترقى إلى أن يعرف الله ويتحقق بمعرفته[1].

وعبارته ظاهرة في أن الملكات الخبيثة كالحسد والغضب وحب الدنيا وغيرها، إن حلّت بالقلب منعت عن التوجه للغيب وحجبت عن قبول الرحمة، ومنعت عن التوجه لما يريده الله تعالى من الإنسان.

أمّا إذا فرغ من هذه الملكات الخبيثة وحلت محلها الملكات الصالحة بالأعمال الصالحة، فإن القلب يكون مؤهّلاً للتوجه للغيب ونزول الخيرات

---

١. **شرح أُصول الكافي** للمازندراني ٤: ٢١٧ .

والبركات عليه.

قال الملا هادي السبزواري في كتابه (شرح الأسماء الحسنى) في مقام شرح قوله عليه السلام «يا مَن وَعْدُه صِدْق، يا مَن عَفْوُه فَضْل، يا مَن عذابُه عَدْل» ما نصه: إنّ عذاب المعذَّب على وفق ملكاته، وكلّ ملكة رذيلة تُصوَّر بصورة تناسبها، على ما تقتضيه قاعدة تجسّم الأعمال، كالصور النملية لمَلَكة الحرص مثلاً، والمؤذية كصور الحيات والعقارب لملكة الأذية، وهكذا فتلك الملكة لسان حال له يستدعي صورها المناسبة استدعاءً لزومياً طبيعياً للعلاقة اللزومية بينهما، فإن النسبة بينهما نسبة الفعل إلى الفاعل، لا المقبول إلى القابل[1].

توضيح ذلك: لو قال قائل: أحرَقَت النارُ الخشبة، فإنّ هنا نسبتين:

الأولى: نسبة الإحراق إلى النار، ونسمّيها نسبة الفعل إلى الفاعل.

الثانية: نسبة الإحراق إلى الخشبة، ونسمّيها نسبة المقبول (الإحراق) إلى القابل (الخشبة).

وفعل الإنسان وعمله بالنسبة إلى الصورة المؤذية أو المفرحة نسبة الفعل إلى الفاعل، أي كنسبة الإحراق إلى النار، لا أنها من قبيل نسبة المقبول (الإحراق) إلى القابل (الخشبة)، فدقّق.

وقد بيّن نظيرَ هذا الكلام الفيض الكاشاني، حيث قال في كتابه (علم اليقين في أُصول الدين): كلُّ ما يدركه الإنسان بحواسه يرتفع منه أثر إلى روحه، ويجتمع في صحيفة ذاته وخزانة مدركاته.

وكذلك كلّ مثقال ذرة من خير أو شرّ يرى أثره مكتوباً ثمّة، ولا سيّما ما

---

١. **شرح الأسماء الحسنى** ١: ١٨١.

رسخت بسببه الهيئات، وأكّدت به الصفات، وصار خلقاً وملكة، فإنّ ذلك مما يوجب خلود الثواب والعقاب.

وذلك لأنّ الملكات النفسانيّة تصير صوراً جوهريّة وذواتاً قائمة فعّالة في النفس تنعيماً وتعذيباً، ولو لم يكن للآثار الحاصلة في النفس من الأعمال والأقوال دوامٌ وثبات وقوّةٌ واشتدادٌ يوماً فيوماً، إلى حدّ تصير ملكة راسخة، لم يكن لأحد أن يتعلم شيئاً من الصنايع والحرف، ولم ينجح فيه التأديب والتهذيب، ولم يكن في تعليم الأطفال فائدة، ولا لهم تفاوت من أوّل الحداثة إلى آخر حدّ الكمال، وتكون التكاليف الشرعيّة عبثاً لا فائدة فيها.

ولو لم يكن لتلك الملكات من الثبات والتجوهر ما يبقى أبد الآباد، لم يكن لخلود أهل الجنّة في الثواب وخلود أهل النار في العقاب ـ أبداً ـ وجهٌ، فإنّ منشأ الثواب والعقاب لو كان نفس العمل أو القول ـ وهما أمران زائلان ـ لَلَزِم بقاءُ المعلول مع زوال العلّة المقتضية، وذلك غير صحيح.

والفعل الجسماني الواقع في زمان متناهٍ، كيف يصير منشأ للجزاء الواقع في أزمنة غير متناهية؟ ومثل هذه المجازاة غير لائق بالحكيم، سيّما في جانب العذاب، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[1]، ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[2].

ولكن إنما يخلد أهل الجنّة في الجنّة وأهل النار في النار بالثبات في النيات والرسوخ في الملكات.

وموادّ الأشخاص الأُخروية ـ وما يكون لها بمنزلة البذور للأشجار والنُّطَف للحيوانات ـ إنّما هي التصورات الباطنية والتخيلات النفسانية والتأملات

---

١. الحجّ: ١٠ .
٢. قٓ: ٢٩ .

العقلية، فإنها تصير صوراً معقولة قائمة بذواتها حيّة مع كثرتها بحياة واحدة هي نفس ذاتها مرتسمة كلّها في لوح النفس[١].

ولعله إلى هذه المطالب تشير الأحاديث المتظافرة المشجعة على الدوام على العمل وإن قلّ، والمبيّنة لكون العمل القليل المداوَم عليه أفضلَ من العمل الكثير المملول منه. وإليك بعضها:

الأول: رُوي في (الكافي) عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «المداومة على العمل في اتّباع الآثار والسنن وإن قلّ، أرضى لله وأنفع عنده في العاقبة من الاجتهاد في البِدع واتّباع الأهواء»[٢].

الثاني: في (تحف العقول) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أمّا المداومة على الخير فيتشعّب منه: تركُ الفواحش، والبعد من الطيش، والتحرج، واليقين، وحب النجاة، وطاعة الرحمن، وتعظيم البرهان، واجتناب الشيطان، والإجابة للعدل، وقول الحقّ، فهذا ما أصاب العاقل بمداومة الخير»[٣].

الثالث: نقل في كتاب (الترغيب والترهيب) أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وآله حصير، وكان يحتجره بالليل فيصلي عليه، ويبسطه بالنهار فيجلس عليه، فجعل الناس يثوبون[٤] إلى النبي صلى الله عليه وآله فيصلّون بصلاته حتى كثروا، فأقبل عليهم فقال: «أيها الناس، خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يملّ حتى تملّوا، وإنّ أحب

---

١. **علم اليقين في أُصول الدين** ٢: ١١٤١. وأنظر: **الأسفار الأربعة** ٩: ٢٩٥، **شرح أُصول الكافي** لصدر المتألهين: ٤٣٠ / ح ٢ ـ باب الهداية في كتاب التوحيد، **الوافي** ٤: ٣٠.

٢. **الكافي** ٨: ٨ / ح ١.

٣. **تحف العقول**: ١٧.

٤. أي يرجعون، كما في **غريب الحديث** ١: ٣٠٦.

الأعمال إلى الله ما دام وإن قلّ»[١].

الرابع: نُقل في (كنز العمال) أنّ رسول الله ﷺ قال: «إن النفس مَلُولة، وإنّ أحدكم لا يدري ما قدر المدة، فلينظر من العبادة ما يُطيق، ثمّ ليداوم عليه، فإن أحبّ الأعمال إلى الله ما دِيم عليه وإن قلّ»[٢].

إلى غير ذلك من الروايات الصريحة في التأكيد على المداومة على العمل وإن قلّ وقد ورد بهذه المضامين أحاديث كثيرة عن أئمة الهدى سلام الله عليهم، ومن شاء المراجعة فلينظر ميزان الحكمة فإن فيه من الوفرة ما يكفي[٣].

النظرية الثانية: نظرية الأشباح

إحدى النظريات المطروحة في مسألة تجسّم الأعمال يوم القيامة وكيفية هيأتها هي نظرية الأشباح، وخلاصتها: أنّ الله سبحانه وتعالى يخلق بسبب الأعمال الحسنة التي يؤديها الإنسان مثل الصلاة والصوم وغيرها أشباحاً حِساناً، وكذلك يخلق أشباحاً مستكرهة بسبب الأعمال الرذيلة التي يقوم بها الإنسان كالزنا وشرب الخمر وغيرهما.

وهذه الصور نوع من الجزاء على الأفعال الحسنة والأفعال القبيحة.

وقد نقل الالتزام بهذه النظرية عن جماعة السيّد الجزائري في كتابه (نور البراهين) حيث قال: وقالوا: معنى هذا التجسّم أنّ الله سبحانه يخلق بسبب تلك الطاعات الأشباحَ الحِسان، وكذلك الصورَ المستكرَهة.

---

١. **الترغيب والترهيب** ٤: ١٢٨ / ح ١ و ١٣٠ ح ٦.

٢. **كنز العمال:** ٣٠ ح ٥٣١٢.

٣. أنظر: **ميزان الحكمة** ٥: ٢١٢٤ ـ ٢١٢٦.

وبالجملة فهي من ضروب التنعم والعذاب، كما أنّه يدخل الجنّة والنار بعمله، كما قال عز شأنه: ﴿ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١] [٢].

وفي رواية أبان بن تَغلُب المتقدمة: «إنّ المؤمن إذا خرج من قبره خرج معه مِثالٌ من قبره يقول له: أبشِرْ بالكرامة من الله والسرور»، قال المازندراني في شرحه لأصول الكافي في ذيل هذا الحديث: فالمثال صورة أو شاخص يحكي شيئاً، والحكاية مأخوذة في مفهومه، ولمّا كان السرور في الدنيا أمراً معنوياً غير محسوس ولا مقدَّر، وفي الآخرة أمراً محسوساً يُرى مقدراً، أُطلق عليه المثال، إذ يحكي شيئاً غيره، ومفاد الحديث أنه يراه بعد الخروج من القبر[٣].

والذي يُفهَم من كلامه أنّ العمل لم يكن متجسّماً أو كان متجسّماً لكن لم يكن ظاهراً له في القبر، بل إنّ مرافقته له كانت حين الخروج من القبر، كما يُفهم من المغايرة بين العمل وبين المثال المصاحب له حين الخروج من القبر.

والذي يفهم من الروايات المتكثرة أن الصورة الماثلة أمام الإنسان في القبر تقوم بأدوار عديدة.

منها: الشهادة للإنسان إن كانت الأعمال حسنة، وعليه إن كانت الأعمال سيئة.

ومنها: أنّ نفس الصورة ـ مضافاً إلى الشهادة ـ تُفْرح الميت وتُطَمْئنه، أو تحزنه وتخيفه.

---

١. النحل: ٣٢ .

٢. **نور البراهين** ١: ٣٠٨ .

٣. **شرح أصول الكافي** للمازندراني ٩: ٧٥ .

ومنها: أنّ نفس الصورة نوع من العقاب، وهو غير ذلك العقاب الموعود الذي إن شاء رب العزة رفعه وإن شاء أخذ به.

النظرية الثالثة: نظرية الجسم المثالي الخيالي

هذه النظرية تعتمد على تشبيه وتنظير الدنيا والآخرة باليَقَظة والنوم، فقالوا: إنّ الدنيا تشبه اليقظة وإنّ الآخرة تشبه النوم، وعلى هذا فالعمل الواقع في الدنيا وإن كان عرضاً لكنه في الآخرة يكون جسماً مثالياً، فهو مثل العمل في اليقظة فإنّه عرض، وهو نفسه يكون جسماً في النوم.

وقد نسب العلامة المجلسي هذه النظرية إلى جمعٍ من علماء المسلمين فقال: قد ذهبت طائفة من علماء المسلمين إلى هذه النظرية واستعملوا التأويل في المعاد، والتجأوا إلى الأجسام المثالية وأرجَعوا تفسير هذه الأمور إلى الخيال، كما شبّهوا الدنيا والآخرة بنشأتَيِ النوم واليقظة، وأنّ الأعراض في اليقظة أجسام في المنام[١].

ثمّ إنّ هذا الجسم المثالي الخيالي قال فيه أصحاب هذه النظرية: إنّ هذا الجسم من مجعولات نفس العمل.

وقد أشكل العلامة المجلسي على هذه النظرية بقوله: إنّ هذا المذهب مستلزم لإنكار الدين وللخروج عن الإسلام، وكثير من أصحابنا المتأخرين يتّبعون الفلاسفة القدماء والمتأخرين والمشّائين والإشراقيين في بعض مذاهبهم، ذاهلين عمّا يستلزمه من مخالفة ضروريات الدين[٢].

هل إنّ الجسم والصورة يراهما الفاعل فقط، أو يراهما الناس أيضاً؟

---

١. **بحار الأنوار** ٧١: ٢٩١.

٢. نفسه.

في ذلك تفصيل، فإن الصورة والجسم والمثال الكائن مع الإنسان في الحياة الأبدية: إما أن يكون معه في القبر، أو يخرج معه من القبر أو في يوم الحساب. وكل طوائف هذه الروايات صريحة في رؤية نفس الشخص لذلك الجسم مع عدم معرفته إياه، وأما رؤية باقي الناس له فلا تُشعر به الأدلة القائلة بتصوره في القبر. نعم، قد تُشعر بذلك الأدلة القائلة بمرافقة الصورة للإنسان يوم الحساب.

النظرية الرابعة: خلق الصور المناسبة للعمل

إنّ بعض من أنكر مسألة تجسّم الأعمال يؤوّل الآيات والروايات الواردة عن رسول الله وعن الذرية الطاهرة صلوات الله عليه وعليهم أجمعين في ذلك، على أنّ الله سبحانه وتعالى يخلق صوراً مناسبة يريه إياها لتفريحه أو تحزينه، وقد بيّن هذا النظر العلامة المجلسي في (البحار)[1].

ولهذا قد التزم جمع بتفسير بعض الروايات الواردة في المقام والحاكية عن دفاع عمل الإنسان عن صاحبه بما يتناسب ونظريةَ خلق الصور المناسبة للعمل، فتراهم فسّروا الرواية التي ورد فيها «أنا السرور الذي أدخلتَه على أخيك المسلم»، أنّ هذا الجسم مخلوق يشبه السرور، وأنه مخلوق من السرور لا أنه عين السرور أو جسم السرور.

وقد بيّن هذه النظرية العلامة المجلسي بصورة احتمال قائلاً: من المحتمل أن يكون المدافع عن الميت بقوله أنا السرور الذي كنتَ أدخلتَه على أخيك، هو المخلوق بسبب إدخال السرور، لا أنّه عين السرور، وإنما قال: أنا السرور؛ تشبيهاً بأنّه هو السرور، وإلّا فحقيقته المخلوق من السرور، ويُرشد إلى هذا

---

١. بحار الأنوار ٨٦: ٧٣.

المعنى قوله «خَلَقَني الله منه».

والفرق واضح بين أن يصير السرور مثالاً فيدلّ على تجسّم الأعمال في النشأة الأُخروية، وبين أن يخلق الله مثالاً لأجل السرور، ونحمل قوله: «أنا السرور» على المبالغة في السببية. والحاصل: أنه يمكن حمل الآيات والأخبار على أنّ الله تعالى يخلق بإزاء الأعمال الحسنة صوراً حسنة ليظهر حُسنَها للناس، ويخلق بإزاء الأعمال السيئة صوراً قبيحة ليظهر قبحها معاينةً[1].

وممّا يدل على نظرية خلق الصورة الملائمة للعمل ما ورد في حديث «أنا السرور» حيث جاء فيه عبارة «خُلِقتُ منه»، فإنّه قال: أولاً: أنا السرور، ثمّ قال: خُلقتُ منه، ولا منافاة أيضاً بينهما، إذ يصدق على ما كانت له صورة تبدّلت إلى صورة أُخرى، كالماء يصير هواءً أنّه هو، باعتبار اشتراك المادة، وأنّه ليس هو بل خُلق منه باعتبار تغيّر الصورة. فالمثال المرئي يصدق عليه أنّه عين السرور، بناءً على تجسّم الأعمال وأنه خُلق منه يعني تغيّر عنه[2].

قال السيّد عبد الله شبر في (مصابيح الأنوار) بعد ذكر مجموعة من الأدلة الدالّة على تجسّم الأعمال: إنّ حملها على خلق الله تعالى ما يماثل الأعمال والاعتقادات غيرُ بعيد، كما يشهد بذلك كثير من الروايات[3].

وعلى هذا المنوال تُفسَّر العبارات الواردة في بعض الأحاديث، مثل: أنا الصبر، أو: أنا الصلاة، أو: أنا الزكاة، بأنّ الله سبحانه وتعالى يخلق بسبب الصبر ما يشبه الصبر، وهذا هو الذي يدافع عن الإنسان، وإليك هذه الرواية الواردة في هذا المجال: رُويَ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «ما من أحد

---

١. **بحار الأنوار** ٧١: ٢٩١، وانظر: **شرح أُصول الكافي** للمازندراني ٩:٧٥.

٢. **شرح أُصول الكافي** للمازندراني ٩: ٧٥.

٣. **مصابيح الأنوار** ٢: ١٥٢.

أودَعَ قلباً سروراً إلاّ وخَلَق الله له من ذلك السرور لُطفاً، فإذا نزل به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه»[١].

قال بعض المحققين على ما حكاه عنه المازندراني في شرحه لأُصول الكافي: معناه: خَلَق الله تعالى بدل ذلك السرور وعِوضَه مَلَكاً ذا لطف، ويبعث ذلك الملك اللطيف عند كلّ بلية على عجلة ليخلّصه منها[٢].

وسند هذا الحديث علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عُمَير، عن الحكم بن مسكين.

ونتمكّن من القول بصحّة سند هذه الرواية؛ لأنّ الحكم بن مسكين وإن كان لم يوثّق في كتب الرجال إلاّ أنّه لمّا كان الراوي عنه: ابن أبي عمير، والحسن بن محبوب، والحسن بن علي بن فضّال، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب وغيرهم من الأجلة، ولمّا كان كثير الرواية ومقبولها وصاحب كتب، أمكننا أن نقول بإمكان الاعتماد عليه[٣].

النظرية الخامسة: حقيقة واحدة وصور متعددة

ورد في الخبر الحسن عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «ما مِن أحد يمنع مِن زكاة ماله شيئاً إلاّ جعل الله عزّ وجلّ ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوقاً في عنقه، ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب»، ثمّ قال: «وهو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾»[٤][٥].

---

١. **نهج البلاغة**: الحكمة ٢٥٧.

٢. **شرح أُصول الكافي** للمازندراني ٩: ٧٥ ح ١٢ باب إدخال السرور على المؤمنين.

٣. لاحظ: **تعليقة الوحيد البهبهاني**: ١٢٢، و **منتهى المقال** ٣: ١٠٧ /٩٧٩.

٤. آل عمران: ١٨٠.

٥. **الكافي** ٣: ٥٠٢ / ح ١ ـ باب منع الزكاة، **بحار الأنوار** ٧: ١٩٦ / ح ٦٥.

قال السيد عبد الله الجزائري: والإشارة إما إلى الشيء الممنوع أو إلى المنع، وفي لوائح الكتاب والسنة ما يؤيد الوجهين، والآية محتمِلة لهما أيضاً.

وليس في شيء منهما خروج عن طور العقل كما حسبه من زعم أنه من باب انقلاب الحقائق الذي قام البرهان على امتناعه، فاضطُرّ إلى الدخول في باب التأويل وقلب كثير من الظواهر السمعية عن حقائقها إلى معنى التجوّز، والوجه أنه ليس إلا من باب تبدّل الصور على الحقيقة الواحدة الذي لا سبيل إلى إنكاره لقيام البرهان على إمكانه، والاشتباه إنما نشأ من عدم الفرق.

ولنقتصر في توضيح المرام على تلخيص الكلام لبعض الإلهيين، وهو أنّ الحقيقة الواحدة تظهر في البصر بالصورة المعينة المكتنفة بالعوارض المادية وملازمة وضع معين من محاذاة وقرب وعدم حجاب إلى غير ذلك، وهي بعينها تظهر في الحس المشترك بصورة تشابهها من غير تلك الشرائط، وهي في الحالتين تقبل التكثر بحسب الأشخاص، كصورة زيد وعمرو وبكر، ثمّ تظهر تلك الحقيقة في العقل بحيث لا تقبل التكثر وتصير الأفراد المتكثرة في الصورة المبصرة والمتخيلة متّحدة في الصورة العقلية.

ثمّ الصور العقلية متفاوتة في قبول التكثر، فإنّ صور الأنواع من حيث خصوص نوعيتها متكثرة، ومن حيث خصوص جنسيتها واحدة، وهكذا إلى جنس الأجناس تتحد في صورتها جميع أنواعها، لكن تمتاز عن جنس آخر مقابله، وإذا اعتبرت من المفهومات ما يشمل جميع الحقائق والاعتبارات لتجد الكلّ في صورته كالشيء والممكن العام، فإذا تحققتَ ذلك تحددت أن الصورة ولو عقلية غير الحقيقة، بل هي ملابسها المختلعة عليها باختلاف المشاعر والمدارك.

ثمّ إنّ تلك الحقيقة مع وحدتها الذاتية قد تظهر في صور متكثّرة متخالفة

الحكم كصور الأشخاص، وقد تظهر في صورة واحدة كالصورة العقلية، وكما أنّ المختلفَينِ بالصورة في موطن قد يتّحدان فيها في موطن آخر فقد تتعاكس الصورتان في الموطنَين، فيظهر هذا بالصورة التي كانت للآخر والآخر بالصورة التي كانت لهذا، كالفرح الظاهر في الرؤيا بصورة البكاء ونحو ذلك من الأمور المعلومة بممارسة التعبير.

ومحصّل هذا أنّ الحقيقة مغايرة لجميع الصور التي تتجلى فيها على المشاعر الظاهرة والباطنة، مغايرةً من حيث الذات، وأنها من حيث ذاتها قابلة للظهور بصور مختلفة الأحكام، وأن جميع الصور التي تظهر هي بها متساوية بالنسبة إليها، وليس بعضها أولى بها من البعض في حد ذاتها، بل إنما يخصص تلك الصور ويعينها لها أحكام المواطن والمشاعر، فالعلم حقيقة واحدة تظهر في موطن اليقظة بصورة عرضية محتجبة عن الحس، وهي بعينها تظهر في موطن الرؤيا بصورة جوهرية محسوسة، أعني صورة اللبن، وكما أن الظاهر على المدارك الباطنة في اليقظة حقيقة العلم كذلك الظاهر على المشاعر في الرؤيا حقيقة العلم، إلاّ أنّه يتجلّى في كلّ موطن بصورة يعيّنها لها ذلك الموطن.

ثمّ إنّ المحجوب المنغمس في أحكام الطبيعة، الذي لا يعرف الحقائق إلا بصورها المألوفة للطبيعة، يُنكر الحقيقة عند تبدّل الصورة، ولا يعرفها لتحولها في ملابسها، لكن العارف المدرك الذي له نفس قوية لا يصير مغلوباً بأحكام خصوصيات المواطن، ولا يحجبه حكم موطن عن أحكام المواطن الأُخَر، بل يعرفها في سائر ملابسها.

وهذه النكتة مرقاة إلى الاطلاع على أسرار نفيسة من جملتها حقيقة الانطباق بين العوالم، فإنها بأسرها صور لحقيقة واحدة متخالفة من جهة

تخالف أحكام المواطن التي تشترطها النفس في مدارج صعودها وهبوطها والمدارك التي هي مقتضى تلك المواطن، بل تطلع بها على حقيقة العوالم، فإنها صور تظهر على النفس في مواطنها، وتنكشف اليك أسرار غامضة من أحوال المبدأ والمعاد من ظهور الواحد في الكثرات، وظهور الأعمال والأخلاق الظاهرة في النشأة الدنيوية بالصور الخاصة، وفي النشأة الأخروية بالصور التي تقتضيها أحكام تلك النشأة.

ومعنى قوله عزّ وجلّ: **﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾**[١]، فإنّه يدل على إحاطتها بهم في الحال ولا حاجة إلى الصرف عن الظاهر، فإن الأخلاق الرذيلة والعقائد الباطلة التي هي محيطة بهم في هذه النشأة هي بعينها جهنّم التي ستظهر بالصورة الموعودة عليهم كما أنذرهم الشارع، وقوله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾**[٢]، وقولهﷺ: «الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنّما يجرجر»، أي يصبّ، «في بطنه نارَ جهنّم»[٣]، وقوله عليه وآله السلام: «إنّ الجنّة قيعان، وإنّ غراسها: سبحانَ الله وبحمده»[٤].

وتعلم أن جميع ذلك على الحقيقة دون المجاز، وكذلك قوله: «الدنيا مزرعة الآخرة»[٥]، فكما أنّ البذر هو مادة، بل هو الذي يظهر بعينه بعد انبساطه بصورة الشجرة بأغصانها وأوراقها وثمارها، فكذا الأعمال والأخلاق

١. العنكبوت: ٥٤ .

٢. النساء: ١٠ .

٣. **صحيح البخاري** ٧: ١٤٦، **صحيح مسلم** ٣: ١٦٣ـ ح: ٢٠٦٥، **موطأ مالك** ٢: ٩٢٤ / ح ١١.

٤. **الدر المنثور** ٤: ١٥٣ .

٥. **تحف العقول**: ١٦٤ .

المكتسبة في الدنيا هي مادة الجنّة والنار، وهي تظهر في ذلك الموطن بصورتها وصورة ما فيها من اللذائذ والمكاره. فإن قلت: كيف يكون العرض بعينه هو الجوهر، وكيف يكون المعنى واحداً، والحال أنّ الحقائق مختلفة بذواتها؟

قلت: قد لوّحنا إليك أنّ الحقيقة غير الصورة، فإنها في حد ذاتها وصرافة سذاجتها عارية عن جميع الصور التي تتجلى بها، لكنها تظهر في صورة تارة وفي غيرها أُخرى، والصورتان متغايرتان قطعاً، لكنّ الحقيقة المتجلّية في الصورتين بحسب اختلاف الموطنين شيء واحد. وما أشبه ذلك بما يقول أهل الحكمة النظرية: إنّ الجواهر باعتبار وجودها في الذهن أعراض قائمة به محتاجة إليه، ثمّ هي في الخارج قائمة بأنفسها مستغنية عن غيرها، فإذا اعتقدتَ أنّ حقيقة تظهر في موطن بصورة عرضية محتاجة وفي آخر بصورة مستغنية مستقلة جوهرية، فاجعلْ ذلك تأنيساً لك تكسر به صولة نبو طبعك عنه في بدو النظر حتى يأتيك اليقين، وتصعد الأفق المبين، وترى بعين العيان ما يعجز عنه البيان، وتشرف على حقيقة قوله: النوم أخو الموت، وقول صاحب سرّه وباب مدينة علمه: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»...، إلى آخر ما قال[1].

ملاحظة: لا فرق بين خلق الصور وتجسّم العمل

قد التزم البعض بعدم وجود الفرق بين: نظرية القائلين بتجسّم الأعمال نفسها، وبين نظرية القائلين بأنّ الله سبحانه وتعالى يخلق صوراً مناسبة للعمل بسبب ذلك العمل يكون شفيعاً للإنسان في قبره وآخرته إن كان الفعل حسناً، ويكون مؤذياً إن كان الفعل قبيحاً. قال المازندراني في تفسير حديث السرور:

---

١. **التحفة السَّنية** للسيد عبد الله الجزائري: ١٥١ ـ من المخطوط .

والحق أنّه لا منافاة بين كونه نفس السرور، وكونه مخلوقاً منه [١].

ولكنّ الظاهر من الأخبار الكثيرة ومنها خبر «أنا السرورُ الذي كنت أدخلتَه على أخيك المؤمن في الدنيا» هو أنّ السرور يصير مثالاً.

النظرية السادسة: الدنيا حاجبة عن رؤية العقاب

جزاء الإنسان على الأعمال وعقابه وثوابه يكون في دار الدنيا ولا يَعلم بـه، وينكشف أمامه في الآخرة بصورة أوضح وأصرح، وعدم الرؤيـة هـو بسـبب الحجاب، قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٢].

ولا شبهة في أنّ محاسبة النفس ليست مبتدأة من زمن مفارقـة البـدن، بـل النفس تحاسَب من الأول والابتداء.

إذن يكون الجـزاء بالفعـل، أي حـين صـدور الفعـل، والحسـابُ بالفعـل وأسبابهما موجودة الآن: ﴿وَإِنَّ جَهَـنَّمَ لَمُحِيطَـةٌ بِالْكَـافِرِينَ﴾[٣] بالفعـل، أي فـي الحياة الدنيا حين صدور المعصـية مـن الإنسـان، إلاّ أنّ لكـل شـيء ظهـوراً وبطوناً.

وهذا الجزاء والحساب بطونُهما حال العناق مع المـادة، وظهورُهمـا لـدى الفراق عن المادة والمدة، ولظهورهما مراحل ومراتب تبتدئ من القبر وتنتهي يوم القيامة الكبرى والرجعة العظمى[٤].

قال بعض أصحاب القلوب على مـا نقلـه عنـه السـيد شـبر: إنّ الحيّـات

---

١. شرح أُصول الكافي للمازندراني ٩ : ٧٥ .

٢. الإسراء: ١٤ .

٣. التوبة: ٤٩ .

٤. تفسير القرآن الكريم للسيد مصطفى الخميني ١: ٤٥٢ .

والعقارب، بل والنيران التي تظهر في القيامة، هي بعينها الأعمال القبيحة والأخلاق الذميمة والعقائد الباطلة التي ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة، وتجلببت بهذه الجلابيب.

كما أنّ الرَّوح والريحان والحور والثمار هي الأخلاق الزكية والأعمال الصالحة والاعتقادات الحقّة التي برزت في هذا العالم بهذا الزي، وتسمّت بهذا الاسم، إذ الحقيقة واحدة، تختلف صورها باختلاف المواطن، فتتحلّى في كلّ موطن بحِلْية وتتزيّا في كلّ نشأة بزيّ[1].

ولا بأس بالإشارة إلى أنه قد وردت أحاديث وقصص كثيرة تبيّن تحقق الجزاء والعقوبة في دار الدنيا، لكنها لم تصرّح بتجسمه. وقد حكى صدر المتألّهين في الأسفار عن بعض العلماء أنّه قال: كلّ من شاهد بنور البصيرة باطنه في الدنيا لرآه مشحوناً بأنواع المؤذيات والسباع مثل الشهوة والغضب والمكر والحسد والكِبْر والرياء والعُجب، وهي التي لا تزال تفترسه وتنهشه إن سها عنها لحظة[2]. وقال السيد مصطفى في (تفسير القرآن الكريم): إنّ كلّ عمل يعمله الإنسان من صالح أو طالح، من فضيلة أو رذيلة، ينتقش في صحيفة وجوده ويكون خالداً باقياً، فإذا مات عليه رآه شاخصاً أمام عينيه.

وبالنتيجة إن أعمال الإنسان قد تصورت بصورها المناسبة الآن ـ في هذه الدنيا ـ والناس في غطاء عن رؤيتها، وعليه فإنّ الصورة تابعة للعمل بالفعل على نعت الضعف والقوة والكتمان والسر[3]. وقال الملّا هادي السبزواري في (شرح الأسماء الحسنى): إنّ الأعمال تصورت بصورها المناسبة الآن، والناس

---

١. مصابيح الأنوار ٢: ١٥١.
٢. الأسفار الأربعة ٩: ٢٢٠.
٣. تفسير القرآن الكريم للسيد مصطفى ١: ٤٥٢.

في غطاء عن رؤيتها كما ورد في قوله سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[1][2]. وتلك التبعات تحصل في النفس بمجرّد اتّصافها بها وتكون باقية، وعليه يكون الآن مالك الدين، لأنّ كلّ وقت يومُ الدين، إلاّ أنّ ظهور ذلك في الوقت المعلوم[3].

وإليك بعض الأخبار الدالة على ذلك:

الأوّل: روى الشيخ الصدوق في كتاب (الأمالي) عن عبد الله بن سنان، عن الصادقعليه السلام عن آبائهعليهم السلام: «قال النبيصلى الله عليه وآله: ما من صلاة يحضر وقتها إلاّ نادى مَلَك بين يدي الناس: أيها الناس، قُوموا إلى نيرانِكمُ التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفِئُوها بصلاتكم»[4]. وفيها ظهور على تجسّم العمل في دار الدنيا، وعلى تأثير أعمال الخير في إطفاء النيران في دار الدنيا، وكأنّ الإطفاء يصير للنار الموجودة في دار الدنيا.

الثاني: ورد في الخبر أنّ الآية ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[5] نزلت في رجلَين من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله اغتابا رفيقهما، فقد رُوي أنّ أبا بكر وعمر بعثا سلمان إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله ليأتي بطعام، فبعثه إلى أُسامة بن زيد، وكان خازنَ رسول اللهصلى الله عليه وآله، فقال: ما عندي شيء، فعاد إليهما.

---

١. التوبة: ٤٩ .

٢. **شرح الأسماء الحسنى** ١: ١٨١ .

٣. **تفسير القرآن الكريم** للسيد مصطفى ١: ٤٦٥ .

٤. **أمالي الصدوق**: ٢٩٧، **ثواب الأعمال**: ٣٢، **بحار الأنوار** ٧٩: ٢٠٩ . والسند هكذا: محمّد بن موسى بن المتوكل، عن علي بن الحسين السعد آبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان، عن واصل بن سليمان .

٥. الحجرات: ١٢ .

فقالا: بخل أُسامة، ولو بَعثْنا سلمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها. ثـم انطلقـا إلى رسول الله ﷺ فقال لهما: ما لي أرى خضرة اللحـم فـي أفواهكمـا! قـالا: يا رسول الله، ما تناولنا يومنا هذا لحمـاً، قـال: ظللـتم تـأكلون لحـم سـلمان وأُسامة، فنزلت الآية[١].

الثالث: ورد أنه مرّ رسول الله ﷺ بناس من أصحابه فقال لهم: تخلّلوا.

فقالوا: ما أكلنا لحماً، قال: بلى، مرّ بكم فلان فوقَعْتم فيه[٢].

ويدل هذا الخبر والخبران الآتيان بعده على أنّ الأعمال تتجسم فـي الـدنيا قبل الآخرة، وهذا ظاهر لمن كُشف له الغطاء، وهـو المعصـوم ولمـن أقـدره المعصوم على ذلك كما هو الثابت بالأدلة.

الرابع: أخرج ابن مردَوَيه والبيهقي عن أنس أنّ النبي ﷺ أمـر أن يصـوموا يوماً ولا يفطرن أحد حتى آذن له. فصام النـاس، فلمّـا أمسـوا جعـل الرجـل يجيء إلى رسول الله ﷺ فيقول: ظللت منذ اليوم صائماً فـأذَنْ لـي فلأفطـرن. فيأذن له حتى جاء رجل فقال: يا رسول الله، إنّ فتاتَين مِـن أهلـك ظلّتـا منـذ اليوم صائمتين، فأذَنْ لهما فليفطرا. فأعرَضَ عنه، ثمّ أعاد عليـه، فقـال رسـول الله ﷺ: ما صامتا، وكيف صام مَن ظل يأكل لحوم الناس؟! اذهب فمُرْهمـا إن كانتا صائمتين أن يستقيئا. ففعلتـا، فقـاءت كـلّ واحـدة منهمـا علقـة، فـأتى النبي ﷺ فـأخبره، فقـال رسـول الله ﷺ: «لـو صـامتا وبقـي فيهمـا لأكلتهمـا النار!»[٣].

قال فيثاغورس، وهو من الحكماء الأقدمين: إنّك ستعارض لك في أفعالـك

---

١. حكاه في: **نور الثقلين** ٥: ٩٥ / ح ٨٠ عن (جوامع الجامع)، و**الدرّ المنثور** ـ في ذيل الآية الشريفة .

٢. حكاه في: **مستدرك الوسائل** ٩ : ١٢٦ / ح ١٠٤٤٠، عن: لبّ اللباب .

٣. **الدرّ المنثور** ٦: ٩٦.

وأقوالك وأفكارك، وسيظهر لك من كلّ حركة فكرية أو قولية أو عملية صورةٌ روحانية وجسمانية، فإن كانت الحركة غضبيةً أو شهوية صارت مادة لشيطان يؤذيك في حياتك، ويحجبك عن ملاقاة النور بعد وفاتك، وإن كانت الحركة عقليةً صارت مَلَكاً تلتذّ بمنادمته في دنياك وتهتدي به في أُخراك إلى جوار الله ودار كرامته[١].

وهنا ملاحظتان:

الملاحظة الأُولى: علّة عدم مشاهدة صور الأعمال المتجسّمة

قد تقدم الكلام في بيان كون الأعمال قد تجسمت في دار الدنيا، ولكنّ الإنسان لا يراها لحاجب، وبمجرد الموت ينكشف الغطاء ويرى أجسامَ أعماله متأيداً بقوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٢]، فأكثر الناس محجوبة أعينهم عن مشاهدة المؤذيات والسباع لشغلهم بالأمور الدنيوية، وبما يرد عليهم من الخارج من طرق الحواس، فإذا انكشف الغطاء ووُضع الإنسان في قبره عاينها، وقد تمثلت بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها، فيرى بعينه العقارب والحيات قد أحدقت به، وإنّما هي ملكاته وصفاته الحاضرة الآن في نفسه، وقد انكشفت له صورها الأصلية، فإن لكلّ معنى صورة تناسبه[٣].

وقد عُلِّل عدم رؤيتنا لصور أفعالنا في الدنيا بأمور:

الأول: غلبة أحكام المادة، بمعنى أنّ الغالب على الإنسان المادة، فالنفس

---

١. حكاه في: **الحكمة المتعالية** ٩: ٢٩٤، وانظر: **علم اليقين في أُصول الدين** ٢: ١٠٨٠.

٢. قٓ: ٢٢.

٣. أُنظر: **الحكمة المتعالية** ٩ : ٢٢٠، **مفاتيح الغيب**: ٦٣٨، **علم اليقين** ٢: ١٠٧٧.

تألف المادة، وما وراء المادة لا تألفه لشدة أُنسها بالماديات.

الثاني: إنّ النفس ضعيفة بسبب ارتباطها بالبدن، وهذا الارتباط مانع عن أن ترى صور أعمالها في هذه الدنيا، قال السيد الطباطبائي: إن عذاب القبر وثوابه بعينه الأمور التي كانت مع الإنسان في الدنيا تلذه وتؤذيه وهو لا يشعر بذلك لانهماكه في الحسيات الفانية، ويؤيّده كثير من الآيات والأخبار.

ولو لم يكن في كتاب الله تعالى إلاّ قوله: ﴿**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾[١] لكان فيه كفاية، إذ الغفلة لا تكون إلاّ عن معلوم حاضر، وكشفُ الغطاء لا يستقيم إلاّ عن مغطّى موجود، فلو لم يكن ما يشاهده الإنسان يوم القيامة موجوداً حاضراً مِن قَبل لما كان يصحّ أن يقال للإنسان: إن هذه أُمور كانت مغفولة لك مستورة عنك، فهي اليوم مكشوف عنها الغطاء مزالة منها الغفلة[٢].

الملاحظة الثانية:

الظاهر من كلام السيد مصطفى الخميني المتقدم أنّ الأدلة تدلّ على تجسّم الأعمال بعد فراغ النفس عن البدن، فإنّه قد صرّح بذلك في تفسير القرآن الكريم بعد أن أورد مجموعة من الأدلة قائلاً: وتدلّ بمجموعها على أنّ الأعمال تتجسّم بعد فراغ النفس عن البدن[٣]. وفي هذا الكلام مخالفة لقوله في مكان آخر: إن كلّ عمل يعمله الإنسان من صالح أو طالح، من فضيلة أو رذيلة ينتقش في صحيفة وجوده ويكون خالداً باقياً، فإذا مات عليه

---

١. قٓ: ٢٢ .

٢. أُنظر: **الميزان في تفسير القرآن** ١: ٩٢.

٣. **تفسير القرآن الكريم** ٤: ٤٦٩.

رآه شاخصاً أمام عينه. ثم قال: وبالنتيجة إنّ أعمال الإنسان قد تصورت بصورها المناسبة الآن ـ في هذه الدنيا ـ والناس في غطاء عن رؤيتها، وعليه فإن الصور تابعة للعمل على نعت الضعف والقوة والكتمان[١].

النظرية السابعة: عروض النور

المقصود من الصورة الحسنة هو عروض النور على الذات الإنسانية، فالتجسّم بمعنى إضافة شيء نوراني لذات الإنسان الميت في القبر، أو إضافة شيء قبيح لذات الإنسان الميت في القبر، وهذا الشيء المضاف للإنسان الميت يتناسب مع أفعاله.

الحمل على المجاز

هناك نظرية أُخرى تحمل كلّ الأحاديث الواردة في هذا المجال على المجاز والاستعارة التمثيلية، وأنّ الأحاديث وردت للترغيب والترهيب، فالمقصود منها تخويف الناس وترهيبهم. وناس ذلك الوقت وسامعو تلك الأحاديث قد استقبلوا هذا الكلام ارتضاءً منهم بالمجازات المتكلّم بها بينهم، فقد روى الصدوق في (الأمالي) عن عبد الله بن سنان، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه: قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «ما من صلاة يحضر وقتها إلاّ نادى مَلَكٌ بين يدي الناس: أيها الناس، قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم»[٢].

---

١. **تفسير القرآن الكريم** ١: ٤٥٢.

٢. **أمالي الصدوق**: ٢٩٧، **ثواب الأعمال**: ٣٢، **بحار الأنوار** ٧٩: ٢١٠ والسند هكذا: مجالس الصدوق عن محمّد بن موسى بن المتوكل، عن علي بن الحسين السعد آبادي، عن أحمد ابن أبي عبد الله البرقي عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان، عن واصل بن سليمان، عن عبد الله بن سنان، عن الصادق عن آبائه، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله.

والآن نشرع في تفسير هذا الخبر مع ما يتلاءَم والمجاز على نحو الاستعارة التمثيلية، وقبل الخوض في ذلك لا بأس ببيان مقدمة.

الاستعارة: من المجاز اللغوي، وهي تشبيهٌ حُذف أحدُ طرفَيه، فعلاقتها المشابهة دائماً. ومن أقسامها: الاستعارة التصريحية، وهي ما صُرِّح فيها بلفظ المشبه به، ففي قوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾[١]، استعارة تصريحية، حيث إنّ في الآية كلمتي الظلمات والنور، ولا يُقصَد بالأولى ﴿**الظُّلُمَاتِ**﴾ إلاّ الضلال، ولا يُراد بالثانية ﴿**النُّورِ**﴾ إلاّ الهدى والإيمان، والعلاقة المشابهة والقرينة حالية.

وكأنّ الله سبحانه وتعالى قال: كتاب أُنزل إليك لتخرج الناس من الضلال الذي يشبه الظلمات إلى الهدى والإيمان الذي يشبه النور. ثم حذف المشبَّه وأبقى المشبَّه به نيابةً عنه، وهذه هي الاستعارة التصريحية[٢].

والمراد من الترشيح في الاستعارة التصريحية هو ذكر ما يلائم المشبَّه به، أي المذكور في العبارة، ففي قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ**﴾[٣] اختيار الإنسان بالشراء، فحَذَف المشبَّه وأبقى المشبَّه به محلَّه.

وهذه هي الاستعارة التصريحية، ثمّ ذكر ما يتلاءم ويتناسب مع المشبه به، وهو قوله تعالى: ﴿**فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ**﴾ وهذا ـ ذكر الملائم ـ يسمّونه ترشيحاً أو استعارة ترشيحية[٤].

---

١. إبراهيم: ١ .

٢. **البلاغة الواضحة**: ٧٧.

٣. البقرة: ١٦ .

٤. أنظر: **البلاغة الواضحة**: ٨٩ .

الاستعارة التمثيلية: تركيب استُعمِل في غير ما وُضِع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي، فيقال لمن يلحّ في شأن لا يمكن الحصول منه على غاية: أنت تَرقُم على الماء، فإنّ مَن يكتب على الماء يعمل عملاً غير مثمر، ثمّ استُعير هذا التركيب لكلّ شخصٍ يعمل عملاً غير مثمر على سبيل الاستعارة التمثيلية[١]. وهكذا يقال: يبتغي الصيد في عرين الأسد، لمن يخاطر بنفسه في أمر أو مكان فيه هلاكه، حيث إنّ المتكلّم قد شبهه بحال من يطلب الصيد في مأوى الأسد على نحو الاستعارة التمثيلية[٢].

وتطبيق الاستعارة التصريحية على قولهعليه السلام: (قوموا إلى نيرانكمُ التي أوقدتموها على ظهوركم، فأطفئوها بصلاتكم) يكون بأن نقول: قوموا إلى ذنوبكم التي تشبه النيران، فحذف المشبَّه وأبقى المشبه به في محلّه؛ لعلاقة المشابهة والقرينة حاليّة.

قال العلّامة المجلسي في (البحار): وقوله: «إلى نيرانكم» استعارة مصرّحة شَبَّهت الذنوبَ بالنار في إهلاك مَن وقع فيها. و«أوقدتموها» ترشيح، و «أطفِئُوها» ترشيح آخر.

وإن جعلت نيرانكم مجازاً مرسلاً من قبيل تسمية السبب باسم المسبب، فالترشيحان على ما كانا عليه، إذ المجاز المرسل ربّما يرشح أيضاً، كما قالوه في قولهصلى الله عليه وآله: «أسرعُكنّ لحوقاً بي أطولُكنّ يداً»[٣].

ولا يبعد أن يجعل الكلام استعارة تمثيلية من غير ارتكاب تجوّز في المفردات، بأن تشبه الهيئة المنتزعة من المذنب وتلبّسه بالذنب المهلك له،

---

١. **البلاغة الواضحة**: ٩٧ .

٢. نفسه: ٩٩ .

٣. **المجازات النبوية** للشريف الرضي: ٦٦، **الخرائج والجرائح** ١: ٦٥ / ح ١١٥ .

وتخفيف ذلك بالصلاة بالهيئة المنتزعة من موقد النار على ظهره ثمّ إطفائه لها[١].

التجسّم ليس لكلّ عمل يوميّ

إنّ القول: إنّ كلّ عمل من أعمال الإنسان يتجسّم في الآخرة مردود؛ لأنّ الروايات الصريحة بتجسّم الصلاة والزكاة والسرور، وهذا العمل المتجسم لم يكن عملاً فَعَله الإنسان اليوم أو البارحة، بل هو حصيلة أعماله في الدنيا. وعليه فالعمل الصلاتي المتجسّم هو حصيلة الفعل الصلاتي المتكرر، وهكذا الأمر في الفعل الزكاتي فإنّ الحصيلة من تكرر الفعل تتجسّم في اليوم الآخر وتقف لصاحبها وتقول: أنا الزكاة.

وبالنتيجة فهذا التصوير يقرّب للأذهان أن المتجسّم في ذلك اليوم هو المَلَكة الحاصلة من تكرر الفعل، فيموت الإنسان وتُحشَر معه ملكاته المكتسبة من الأفعال المتكررة، ومن البعيد أن نقول: إن لكل عمل يومي يقوم به الإنسان صورةً وجسماً في الآخرة، بل إنّ الصورة ثابتة لجنس فعل الإنسان مثل صورة الزكاة وصورة الصلاة. ولا دليل على تجسّم عمل وظهور صورة عمل معين، بل إنّ الدليل ظاهر في تجسّم جنس العمل.

وبهذا الكلام لا ننكر أثر الفعل الصلاتي أو الصومي الذي يقوم به الإنسان يومياً، بل إنّ له أثراً في زيادة نورانية الإنسان وتهيئة أرضيةٍ لقبول فيض أكثر. كما أنّ له أثراً في زيادة ظلمانية الإنسان ورفع الأرضية عن قبول الفيض.

لكن يرد عليه أنه ليست الأعمال الكبيرة وحدها التي تتجسد ذلك اليوم، بل حتّى أصغر ما يتصوره الإنسان من عمل من وسوسة الصدر، حتّى لمحة

---

١. أُنظر: **بحار الأنوار** ٧٩: ٢١٠ .

بصر ونصف كلمة ونفضة من حركة، كلُّها مسجلة[١].

وربما يستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[٢]، حيث إنّ فيه إشعاراً بأن ما يعمله الإنسان من صغائر وجزئيات، حسنةً كانت أو قبيحة، يراه في ذلك اليوم.

والملاحظ من جملة الروايات المتقدمة أنّ الشخص الميت لا يعرف الصورة المتمثلة له في القبر أو الخارجة معه منه أو المرافقة له يوم الحساب، فتراه يسأل: مَن أنت؟ فيأتيه الجواب: أنا عملك الصالح، أو: أنا عملك الطالح، أو: أنا الزكاة، أو... .

المُلازَمة بين الجسم والمادة وعدمها

بناءً على القول بتجسّم أعمال الإنسان في القبر ويوم القيامة يأتي مبحث مفاده: هل توجد ملازمة بين التجسّم والمادية أو لا توجد؟ بمعنى أنه إذا قلنا بتجسّم الأعمال يوم القيامة، هل يمكن أن تُوجَد الصورة والجسم بلا مادة؟ وبعبارة أُخرى: هل يمكن تصوّر جسمية شيء في يوم القيامة بدون ماديته أو لا يمكن؟

وقبل بيان الحق في المسألة لا بأس ببيان مقدمة:

قد وقع بحث عند المتكلّمين في أنّ المعاد يوم القيامة للروح أو للجسم أولهما معاً، على أقوال.

فاختار المحققون من علماء الإمامية جسمانيةَ وروحانية المعاد، مستدلّين على ذلك بالآيات القرآنية وأحاديث النبي والعترة الطاهرة صلوات الله عليهم

---

١. من هدى القرآن ١٨: ٢٨٠ .

٢. الزلزلة: ٥ .

أجمعين والإجماع والعقل. والظاهر أنّ مقصودهم من الجسمانية هو المادية حسبما يظهر من أدلتهم، وإليك بعضها:

الأول: قال الله تعالى: ﴿**قَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ**﴾[1]، وهذه الآية صريحة في بعث الجلود، والمراد من الجلود حسب ما نفهم جسمَ الجلود ومادتها.

الثاني: قال تعالى: ﴿**قَالَ مَنْ يُحْيِى الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[2]، وهي صريحة في إحياء العظام مادة.

الثالث: قال الله تبارك وتعالى: ﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُ**﴾[3]، ويُفهَم من الآية الكريمة إعادة جزئيات الإنسان.

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة والروايات الدالة على أنّ البعث يوم القيامة يكون بالروح والجسم، ومقصودهم من الجسم هو المادة، والله أعلم. وقد أحصى أدلّة المعاد النقلية العلامة المجلسي في المجلّد السابع من (بحار الأنوار) فراجع.

وبهذا البيان يبطل قول القائل بالتفكيك بين جسمانية المعاد وماديته، حيث إنّ إطلاق الأدلة ظاهر في أنّ المراد من الجسمانية هو المادية، فدقّق.

ونص كلامه: إنّ مقتضى قول الشرائع السماوية والعقول النظرية هو جسمية المعاد لا ماديته، بل إنّ الآثار البالغة عن الرسول المصطفى ﷺ والأئمة الطاهرين تنفي المعاد المادي، كما أنّ الآيات الكريمة والروايات

---

١. فُصّلت: ٢١ .

٢. يسٓ: ٧٨ ـ ٧٩ .

٣. القيامة: ٣ و ٤ .

الشريفة تدل على أنّ المعاد جسماني، فإن نفي آثار المادة يلازم نفيها، وإثبات آثار الجسمانية يستلزم إثبات الجسمانية[١].

ثم يحق لنا ـ بناءً على تجسّم الأعمال ـ القول بوجود ملازمة بين الجسمية والمادة، وأنّ الجسمية من خصائص المادة، ولا جسم بدون مادة إلاّ إذا كان في صورة الخيال، وعلى هذا فالخصائص المادية تَثبت للجسم، كما أنّ الخصائص الجسمية تثبت للمادة.

إلّا أنّ هذا الكلام ـ الترابط بين المادة والجسم ـ وإن كان له موجب في بحث معاد الإنسان يوم القيامة، إلاّ أنّه لا موجب له في الأعمال في ذلك اليوم، حيث إنّ الدليل دلّ على تجسّم الأعمال وظهورها بصورة جسم، لكن هذا الجسم لا يعني المادية، بل يعني التجسّم والظهور بصورة مجسمة، وهذا واضح لمن دقق في الأدلة. بل يوجد في الروايات ما يستفاد منه عدم الملازمة بين جسمية الأفعال وماديتها، حيث تراه عليه السلام ينفي الوزن عن الأعمال مستدلاً على ذلك بأنها ليست بأجسام، أي ليست بأجسام مادية، فليس كلّ ما يتجسّم يكون مادياً.

وإليك نص الرواية، عن هشام بن الحكم حيث طرح الزنديق سؤالاً عند الإمام أبي عبد الله عليه السلام فقال: أو ليس توزن الأعمال؟ فأجابه عليه السلام: «لا، إنّ الأعمال ليست بأجسام، وإنّما هي صفة ما عَمِلوا، وإنّما يحتاج إلى وزن الشيء مَن جَهِل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها وخفّتها، وإنّ الله لا يخفى عليه شيء». قال: فما معنى الميزان؟ قال: «العدل»، قال: فما معناه في كتابه: ﴿فَمَن

---

١. أُنظر: **العوائد والفوائد** للسيّد مصطفى: ٢٠.

﴿ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾[١]؟ قال: فَمَن رَجَح عملُه[٢].

فقد نفيتم أصل الجسمية والتجسم، فهذه صفات الأعمال تتجسم في القبر ويوم القيامة، ولكنها ليست بأجسام لها مادة تقبل أن توزن.

لكن يظهر من بعض الروايات مادية الصورة المتجسّمة للعمل في الدنيا، كما في بعض الروايات المتقدمة في النظرية السادسة، يضاف اليها قصّة تخللوا وإليك نصها: أخرج ابن أبي الدنيا في ذمّ الغِيبة، والخرائطي في (مساوي الأخلاق)، وابن مردَوَيه، والبيهقي في (شُعب الإيمان) عن عائشة قالت: إنّي كنت عند رسول الله ﷺ فمرّت امرأة طويلة الذيل، فقلت: يا رسول الله، إنّها لطويلة الذيل! فقال النبي ﷺ: «الفظي»، فلفظتُ بضعةَ لحم[٣].

فهذا الخبر ظاهر في مادية الصور المتجسّمة وأنّ أعمال الإنسان تتجسّم بصورة مادية في الحياة الدنيا. ونظير الخبر المتقدم ما ورد عن عبد بن حميد عن عكرمة رفع الحديث إلى النبي ﷺ أنه لحق قوماً فقال لهم: «تَخلَّلوا»، فقال القوم: واللهِ يا نبيَّ الله ما طَعِمنا اليوم طعاماً، فقال النبي ﷺ: «إنّي لَأرى لحم فلان بين ثناياكم»، وكانوا قد اغتابوه[٤]. ورؤية النبي ﷺ تُحمَل على المعنى الحقيقي لا المجازي، ويعتضد هذا الحمل بالرواية المتقدمة وببقية الروايات الظاهرة في مادية وجسمية العمل في دار الدنيا.

---

١. الأعراف: ٨ المؤمنون: ١٠٢.

٢. **الاحتجاج**: ٣٥١، وحكاه في **بحار الأنوار** ٧: ٢٤٨ ب ١٠ / ح ٣، وانظر: **البرهان** ١: ٧٣٥.

٣. **الدرّ المنثور** ٦: ٩٥ .

٤. نفسه ٦: ٩٤ .

شرطية العلم في التجسّم

قد اشترط البعض شرطاً للقول بتجسّم الأعمال في البرزخ والقيامة، وهو علم المكلّف بالعصيان حين الارتكاب.

قال السيّد مصطفى: إنّ تجسّم الأعمال وتمثّل الأفعال صحيح، ولكن هناك شرط وهو العلم بالمخالفة والعصيان حين الارتكاب، أو العلم بمخالفة الحجّة الظاهرية أو هو جزء دخيل، بل هو تمام الموضوع لتلك التبعة وتلك التجسمات والصور المؤذية المزاحمة في البرازخ والنّشآت والعقبات[1].

والذي يفهم من كلام السيّد رحمه الله أنّ العاصي يتجسّم عمله بصورة مؤذية له إن كان عالماً بالمعصية للحكم الواقعي أو كان عاصياً للحكم الظاهري، وأمّا إذا لم يكن عالماً بالمعصية فلا يتجسّم العمل القبيح أمامه بصورة مؤذية.

ويرد عليه: إن كان الارتباط ما بين العمل القبيح وصورته بناءً على نظرية تجسّم الأعمال من اللازم والملزوم الذاتي، فإنّه يلزم انفكاك اللازم عن الملزوم في صورة الجهل، بمعنى إن كان العاصي عالماً بالمعصية تجسّم له عملُه بصورة موحشة وإلّا فلا. وهو غير معقول، بمعنى أنه من قبيل انفكاك الإسكار عن الخمر للجاهل، وهو خلاف الوجدان. وأما إذا اعترفنا بوجود الملازمة وأنكرنا كونها ذاتية كان لكلامه مجال.

حفظ الأعمال

العمل الإنساني حسناً كان أو قبيحاً من قبيل الأعراض، حيث إنّه يتقوّم بالبدن الإنساني، ومرادنا من تقوّمه بالبدن الإنساني، أي تقوّم حدوثه بالبدن، لا

---

١. تحريرات في الأصول ٧: ١٣٨ .

تقوّم بقائه، بل إنّه مرتبط ببقاء النفس، وهي خالدة أبداً. وقد أشار إلى هذا المطلب المازندراني في (شرح أُصول الكافي) حيث قال: إنّ كلّ كمال لا يتوقّف استمرار وجوده على الجوارح، بل يبقى مع النفس، وإن كان متوقّفاً على البدن أوّل حصوله[1]. وإنّ الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾[2] يتضمّن نفس الأعمال بحقائقها دون الرسوم المخطوطة على حدّ الكتب المعمولة فيما بيننا في الدنيا، فنفس الأعمال يُطْلِع الله الإنسان عليها عياناً، ولا حجة كالعيان.

وإنّ كتاب الأعمال بحقائقها مستور عن إدراك الإنسان، محجوب وراء حجاب الغفلة، وإنّما يُخرجه الله سبحانه للإنسان يوم القيامة فيطلعه على تفاصيله، وهو المعني بقوله: ﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾[3]. وفي ذلك دلالة على أنّ ذلك أمرٌ مهيًّأ له غير مغفول عنه، فيكون تأكيداً لقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾[4]؛ لأنّ المحصّل أنّ الإنسان ستناله تبعة عمله. والمراد بالطائر والكتاب في الآية الكريمة أمر واحد، وهو العمل الذي يعمله الإنسان وما قدّر له كأنه طير له من عش الغيب ووكر القدر، غير أنّه سبحانه قال: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾[5]. وفي الحديث: «أي قدره الذي قدّر عليه»[6].

---

١. **شرح أُصول الكافي** للمازندراني ٩ : ٣٣٩ .

٢. الإسراء: ١٣ .

٣. الإسراء: ١٣ .

٤. الإسراء: ١٣ .

٥. الإسراء: ١٣ .

٦. **تفسير القمّي** ٢: ١٧.

حفظ الأعمال في نظر العلم والحديث

لا بأس بأن نبيّن هنا بعض النظريات التي توصَّلَ إليها العلم الحديث في حفظ الأقوال والأفعال للمخلوقات، فنقول: كلّ كائن حي يُحدِث في حياته آثاراً كثيرة، سواء كانت تلك الآثار قولية أو فعلية، وتلك الآثار لا تُمحى أبداً، فإن كانت قوليةً حُملت على موجات الهواء إلى أمكنة خاصة ومخصوصة لها وحُفظت فيها، ومثل ذلك الفعلية، بعد أن تترك آثارها على الأشياء، وهذا هو الذي يحدث بالفعل، وأكده العلم الحديث بدليل ما يلي:

١ـ يقول الدكتور «باورز» الأميركي: إنّ الكلمة إذا خرجت من فم القائل مضت كالسهم لا ماحيَ لأثرها، فإن هذه متى فعلت بقيت إلى الأبد مفعولة، أي دائمة المفعول والأثر، وبقيت مسترسَلة في فضاء الزمن، لأنّ الزمن غير متناهٍ، وسواء لبثت ظاهرة أو مستترة خافية ستبقى فعالة تزكو أبداً وتنمو عنصراً جديداً لا يفنى ولا ينعدم في خضم مزيج الكائنات غير النهائي.

٢ـ ويقول الدكتور «بيل»: هنالك ما هو ادعى إلى الدهشة والعجب حينما نتأمل كيف أنّ الصور الشخصية والخطب الرنّانة والقطع الموسيقية تجتاز خلال جدران المنازل (٣٠٠٠ ميل) عبر المحيطات والهضاب، فتصل إلى أجهزة الالتقاط المتوافقة مع الأجهزة الموزعة بالذبذبات وبثوان معدودة، يرى الناس ويسمعون كلّ ما يحدث هنالك، أي على شاشة التلفزة الحديثة.

٣ـ ويقول «وليم جيوس» في كتابه (الموجات العقلية وأسرار الاتّصال الخفية): إنّ الدكتور بيل يعتقد أنّ كلّ إنسان يبعث من عقله إلى الخارج ذبذباتٍ ذات سرعات هائلة وأطوال موجيّة دقيقة تدور حول الأرض، ويمكن بها معرفة أفكاره إذا ما وجدت طريقة لتلقّي هذه الذبذبات وتسجيلها.

إنّ المُخَيخ جهاز أشبه ما يكون بالمحطّة غير السلكية، والفكر فيه قوة حيوية مشبعة بالكهربائية اللازمة لإصدار الموجات خلال الأثير، فالعصب وهو من نفس مادة المخ يُعَدّ مُوصلاً ممتازاً للتيار الكهربائي، ولكنّ التيار لا ينتهي في الأعصاب، بل يخرج من الجسم في صورة أمواج تتذبذب حول العالم دون أن تدركه حواسّنا[1].

وهذا يعني أنّ جميع الأفكار التي تدور في ذهن الإنسان، خيراً كانت أم شراً، تنبعث من المخّ على شكل ذبذبات كهربائية تدور حول العالم كما تدور الأمواج غير السلكية سواء.

ويستفاد من أقوالهم هذه أن جميع ما ينويه الإنسان مسجَّل عليه في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، ودلالة ذلك قول النبي ﷺ: «إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئٍ ما نوى»[2]. ولكي يتضح هذا السرّ العظيم لا بدّ من عرض بعض أقوال علماء المغنطيسية البشرية، فذكروا في كتبهم:

١ـ ما مِن عظمٍ وعضل، ولا نقطة سائل أو جزء من المادة في الجسم البشري إلاّ يحتوي على طاقة كهربائية، وقد أكّد هذا علماء الروح وأطلقوا عليه اسم: الجسم الأثيري.

٢ـ وأنّ نقطة من الدم تحتوي على طاقة كهربائية تكفي لأن تبعث عاصفة رعدية منظمة.

٣ـ وأنّ كهرباء الإنسان في حركاته من النوع الديناميكي، أي ذات نشاط مثالي.

---

١. حكاه في: **البراهين العلمية**: ١٠٦ .

٢. **غوالي اللآلي** ١: ٨١ / ح ٣ وص ٣٨٠ / ح ٢ و ج ٢: ١١ / ح ١٩ .

٤ـ وأنّ الطاقة الكهربائية المنبعثة من الإنسان إنّما هي موجات كموجات الضوء والصوت والحرارة.

٥ ـ وأنّ للأجسام البشرية كهرباء فطرية يفرزها المخّ وتسري في الأعصاب التي توصلها إلى جميع أنحاء الجسم.

٦ـ وأن التيارات الكهربائية في الجسم تنشأ عن التفاعل الكيميائي الذي يحدث بين القلوي والحمضي؛ الأمر الذي يدل على أنّ في الجسم البشري بطارية كهربائية.

٧ـ وأن المخّ مكثّف كهربائي حسّاس يبعث تياراته وأمواجه إلى الأعصاب والأثير.

٨ ـ وأن الكهرباء هي العنصر الهام في قوة المخّ الحيوية.

٩ـ وأن الكهرباء الفعالة من شأنها أن تحدث مغناطيسية.

كما قرّروا أن المخ يبعث موجات كهربائية مغناطيسية عن طريق العين، ومثّلوا لها بما يلي:

١ـ إغريقيّ في العصور الوسطى القديمة كان بنظرة واحدة من عينه يلقيها على رجل قوي فيشل حركته.

٢ـ وكم من شخص يخور ويسقط لدى نظرة خاصة تقع عليه من آخر.

٣ـ وكم من مدرّس يُخضع التلاميذ له بنظرة من عينيه دون أن يستعمل العصا أو يعمد إلى العقاب.

٤ ـ وكم من قاضٍ يستطيع بنظرة واحدة أن يُفهم الشاهد أو يلزمه بالصدق وقول الحق على لسانه.

٥ ـ وكم من آباء يسيطرون على سلوك أبنائهم بنظرة العين.

وهذا يُقال فيه: إن الضوء عبارة عن موجات متذبذبة، فهو يحمل التأثير

من عين إلى عين. يقول (وليم جيوس): إنّنا إذا ألقينا حجراً في وسط المحيط فإذا أحدث هذا الحجر الملقى تموّجات وذبذبات في البحر إلى الأبد، فهذا معناه أننا في كلّ مرة نحرّك فيها يدنا نخلق تموجات في الأثير الكوني «الأشعة الكونية» وهذه لا تنقطع أبداً. وهذا يصدق على الأفعال والأصوات، فإن الصوت يُحدث أيضاً تذبذبات كهربائية لا تنقطع أبداً، ويمكن التقاط الأصوات للكائنات في مختلف العصور إذا وُفّقنا لابتكار جهازِ التقاط مناسب؛ لأن أصواتهم ما زالت تجول حول العالم في رحلات أبدية خلال الأثير «الإشعاع الكوني».

وكذلك أفكار الإنسان تتذبذب عبر الفضاء إلى أن تلتقي بذبذبات موجات عقل ثانٍ يفكر، فيتمّ بينهما الاتصال قرب الزمن وإن بعد، فينتج من ذلك الاتصال تجسّد كلا التفكيرين على هيئة صور ناطقة. وقد أشار إلى هذا أحد العلماء بقوله: جميع الأجسام من المعدن والنبات والحيوان والألفاظ... وغير ذلك، لها أرواح قائمة على صورةِ ما كانت عليه أجسامها[1].

وقال صاحب كتاب (الفتوحات المكية): إن الحروف اللفظية تتشكل في الهواء إذا خرجت، وذلك بالمسموع على صورة ما نطق به المتكلم، فإذا تشكّلت في الهواء تعلقت بها أرواحها ولا تزال تمسك عليها شكلها[2]. وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4]، أي نأمر

---

١. البراهين العلمية: ١٠٧ .

٢. الفتوحات المكية ١: ١٩١ .

٣. يسٓ: ١٢ .

٤. الجاثية: ٢٩ .

بنسخ ما كنتم تعملونه من الأعمال، ونحتفظ بما تقولونه من الأقوال. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾، أي الموكّلان بالإنسان ما يحمله فيكتبانه في صحيفتي الحسنات والسيئات ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١]، يعني يضبطان ألفاظه التي يتكلّم بها كلّها.

فالأقوال البذيئة السيئة تُحفَظ في مكانها المعدّ لها، والأقوال الصالحة يُصعَد بها إلى مكانها المعدّ لها، وذلك قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[٢]، أي يصعدان إلى سماء معلومة ويُحفَظان فيها حتى يأتي اليوم الذي يقول فيه الكافرون: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٣].

فهل علمتَ أنّ أقوالك وأفعالك وأعمالك محفوظة لك في مكان أمين يأتيك الله بها يوم القيامة تنظرها بعينك وتقرأها بلسانك، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُوراً * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٤].

فإذن يأتيك الله تعالى بأقوالك وأعمالك مهما كانت ضئيلة وفي أي مكان وقعت، وذلك قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[٥]، وقوله

---

١. قٓ: ١٧ . ١٨ .

٢. فاطر: ١٠ .

٣. الكهف: ٤٩ .

٤. الإسراء: ١٣ ـ ١٤ .

٥. لقمان: ١٦ .

تعالى في آخر سورة الزلزلة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[1].

هذه قدرة الله البالغة على الناس، وكيف أنّه تعالى يعلم الأعمال والأفعال والأقوال، وأنّه الذي لاتَعزُب عنه حبة خردل، ويعلم ما تخفيه الصدور[2].

العقاب والتجسّم

الأدلة الموجودة بين أيدينا والدالة على كيفية الحساب في عالم الآخرة على نحوين:

النحو الأوّل: ما يظهر منها كون الثواب والعقاب بيد الله تعالى؛ له أن يعاقب وله أن يعفو، وعقابه قد يكون في الدنيا وقد يكون في الآخرة.

النحو الثاني: ما يظهر منها الملازمة بين العمل الدنيوي والعقاب الأخروي، وكأنّ الأعمال الدنيوية لها آثار وضعية، وهذه الآثار الوضعية قسم منها يتبين ويظهر في الدنيا، وقسم آخر يتبين ويظهر في الآخرة، والذي يقال عنه: تجسّم الأعمال. وبناءً على هذا القول في المسألة يقال: إنّ الإنسان يتعذّب في الآخرة بعذابين:

الأول: عذاب العمل المتجسم بصورة وجسم مخيف، والذي قلنا: إنّه ملازم لعمله، وكأنّ الله لا يفصل ولا يلغي الملازمة بينهما.

الثاني: عذاب الله الموعود به والتابع لإرادة الله الذي يمكن أن يعذِّب به، ويمكن أن لا يعذِّب به. وعلى هذا القول لا نستبعد أن يكون للعمل المُقترَف عقابان: عقاب بظهور صورته البشعة في عالم الآخرة وهو اللازم للعمل، حاله

---

١. الزلزلة: ٨ ـ ٧ .

٢. أُنظر: كتاب **البراهين العلمية** للربيعي عبد الجبار: ١٠٩ .

حال الآثار الوضعية الظاهرة في الدنيا، وعقاب بيد المولى إن شاء عاقب وإن شاء لم يعاقب.

المتجسّم: العنوان الكلّيّ أو مصاديقه

قد ورد في روايات الباب، أنّ السرور يتجسّم ويقف في القبر ويدافع عن صاحبه، كما أنّه قد ورد في روايات أُخرى أنّ الزكاة تتجسّم، وكذلك الصلاة، وغيرها من الأعمال التي يقوم بها الإنسان، وطائفة أُخرى من الروايات تبين أنّ المتجسّم هو العمل الصالح كما في قوله: «أنا عملك الصالح».

وهنا قد يُطرَح سؤال أو إشكال، هو: كيف يكون العمل الصالح متجسّماً، والحال أنه عنوان كلي يدخل تحته الصلاة والصوم والزكاة والسرور، وغيرها من الأعمال؟ فالمتجسم هل هو العنوان الكلي (العمل) أو مصداقه الصلاة أو الصوم أو الزكاة أو كلّها؟

الروايات تصرح بتجسّم الاثنين، أي العنوان الكلي والمصاديق، وفي هذا استحالة عقلية، فإنّه لقائل أن يقول: كيف تتجسم الصلاة ويتجسم العمل الصالح وفي ضمنه الصلاة؟! وهكذا الأمر في مسألة تجسّم القرآن، فبعض الأخبار ناطقة بتجسّم فلان سورة، وبعضها ناطق بتجسم القرآن، فكيف يوفّق بين هذه الأخبار؟ ويجاب عن هذا التساؤل بأحد الأجوبة الآتية:

أولها: قد قالوا: إذا كان بين أمرين علاقة الكلّي ومصداقه، فإن الموجود في الخارج هو المصداق لا الكلي.

وبعبارة أُخرى: الكلي يكون بوجود مصداقه، فالوجود واحد، وما نحن فيه المتجسّم واحد وهو الزكاة الداخلة تحت عنوان كلي هو العمل الصالح، وكذلك نقول: المتجسّم هو المصداق (السرور) الداخل تحت عنوان الكلي (العمل الصالح).

وعلى هذا فكلّ رواية فيها تصريح بتجسيم العمل الصالح، فإنها ناظرة إلى ذلك العمل الزكاتي أو الصلاتي الذي كان يدأب عليه ذلك الميت، فالروايات وإن كانت ناطقة بتجسّم العمل الصالح إلاّ أنّ المقصود هو العمل الزكوي المهتم بشأنه ذلك الميت، فتأمل.

ثانيها: إنّ العلاقة بين العمل الصالح والزكاة ليست هي العلاقة بين الكلي ومصداقه، بل إنّ العمل الصالح عمل مستقل حاله حال الزكاة، فالزكاة لها نظير مثل الصيام، والسرور، والصلاة، والعمل الصالح. وإذا كان الأمر كذلك ارتفعت استحالة اجتماع تجسّم العمل الصالح والزكاة، فلا مانع من القول بتجسّمهما معاً.

وبعبارة أُخرى: إنّ العمل الصالح عمل عبادي في عرض بقية الأعمال العبادية الأُخرى، كلّ له استقلاليته وتجسّمه الخاص به.

ثالثها: يوجد فرق ما بين الزكاة المبرئة للذمة وما بين الزكاة التي فيها تقرّب والتي تدخل تحت العمل الصالح، وكذلك يوجد فرق ما بين الصلاة المبرئة للذمة وما بين الصلاة التي فيها إخلاص بحت والتي تدخل تحت العمل الصالح، والفرق هو أنّ العمل الصالح، ما كان فيه إخلاص نية وتقرّب، بخلاف العمل العبادي المجزي والمبرئ للذمة والذي قد يشوبه ما يخالف الإخلاص، فإنّه وإن كان مجزياً ومبرئاً للذمة إلاّ أنه لا يدخل تحت العمل الصالح، وعلى هذا فيكون حاله حال الزكاة والصوم و.... .

وعلى هذا نحمل جميع الروايات القائلة: أنا الصلاة، أنا الزكاة، أنا الصيام، على ذلك العمل العبادي المبرئ للذمة، ونحمل جميع الروايات القائلة: أنا عملك الصالح، على العمل الزكاتي المقرِّب إلى الله تبارك وتعالى.

مسح صورة الجسم

إن كلّ ما تقدم من مطالب يوضح أنّ عمل الإنسان يتصوّر ويتجسّم بصورة وجسم يتناسب مع ذلك العمل، فإن كان العمل صالحاً كانت الصورة جميلة وحسنة، ولها مواقف إيجابية مع ذلك الميت في قبره وحين خروجه منه وفي آخرته، وإن كان العمل طالحاً كانت الصورة قبيحة ولها مواقف سلبية مع ذلك الميت.

والآن ندخل في هذا البحث، وهو: هل إنّ الصورة والجسم الحاصل بسبب عمل الإنسان في الدنيا تبقى ثابتة وغير قابلة للمسح، أو إنّها قابلة لأن تُمسَح وتحلّ بدلها صورة أُخرى؟

إنّ كلّ واحد منا نحن البشر له أعمال كثيرة كلّ يوم، قد اختلط الطيب منها بالخبيث، وبناءً على حصول الصورة وتجسّم العمل في الحياة الدنيا، هل تبقى هذه الصورة إلى الأبد، أو أنها تُمسَح وتتأثر بفعل إنساني آخر كالتوبة؟

هذا يحتاج منا إلى أن نفهم مسألة تحابط الأعمال، ومسألة تبدّل السيئات إلى حسنات، فإن الإحاطة بهما كفيلة بحلّ هذه المسألة.

ويمكن أن نقول على نحو الاختصار في الجواب عن هذا التساؤل: إنه لما كان فعل الإنسان موجباً لصورة وجسم، حسناً كان أو قبيحاً، كما وضّحنا ذلك، نقول هنا: التوبة فعل إنساني حاله حال بقية الأعمال الصادرة من الإنسان، فكما أن العمل الصلاتي له أثر وكذا العمل الزكاتي، كذلك التوبة لها أثر فإنها عمل من الأعمال.

ومن جملة آثارها مسح الصورة والجسم الحاصل من الفعل الخبيث، كذلك مسح تلك النقطة السوداء التي حصلت بسبب فعل العمل القبيح، وعليه فالصورة الخبيثة المخيفة للإنسان قابلة لأن تنمحي بفعل إنساني آخر أقوى

أثراً اسمه التوبة، والروايات فيها ما يشهد على صحة هذه الدعوى.

بل في بعض الأدلة من الآيات والروايات ما يستفاد منه تبدّل الصور الخبيثة والأجسام المخيفة إلى صور وأجسام حسنة مفرحة مبشرة للإنسان، فإن المؤمن التائب توبة نصوحاً يبدّل الله سيئاته حسنات، أي يمحي سيئاته بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات بالطاعة والتقوى على ما فَسّر المحقق الأردبيلي في (زبدة البيان) الآية الكريمة: ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[1].

كما يحق لنا القول: إن تبديل السيئات بالحسنات شامل بإطلاقه لتبديل ما قَبُح من صور وأجسام متمثلة إلى أجسام وصور حسنة مفرحة مبشرة صاحبها بالأمان[2]. هذا إجمال المطلب، ولا بأس بالخوض في تفصيل الأدلة، فنقول ومنه المنة والاستعانة:

الأوّل: قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿**إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾[3].

وقد اختلفوا في كيفية هذا التبديل وفي زمان كونه، فقال ابن عباس: يبدّل الله شِركهم إيماناً وقتلَهم إمساكاً وزناهم إحصاناً، وهذا يدل أولاً على أنه يكون في الدنيا، وممن ذهب إلى هذا المعنى: سعيد بن جبير، ومجاهد، وقَتادة، والضحاك، وابن زيد[4].

والثاني: أنّ هذا يكون في الآخرة، قاله: سلمان رضي الله عنه وسعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين. وقال عمرو بن ميمون: يبدل الله سيئات المؤمن

---

١. الفرقان: ٧٠ .

٢. أُنظر: **زبدة البيان**: ٤١١ .

٣. الفرقان: ٧٠ .

٤. **السنن الكبرى**٢: ٢٨٨ / ح ٣٤٧٦ .

ـ إذا غفرها له ـ حسنات، حتّى أنّ العبد يتمنّى أن تكون سيئاته أكثر مما هي. وروي عن الحسن عليه السلام أنه ودّ قوم يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا استكثروا من الذنوب. فقيل: من هم؟

قال: «هم الذين قال الله فيهم: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾».

ويؤكد هذا القول حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله: «يُؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه. فتُعرَض عليه صغار ذنوبه، وتُنحّى عنه كبارها. فيقال: عملتَ يوم كذا وكذا، وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من الكبار. فيقال: أعطوه مكانَ كلّ سيئة عَمِلها حسنة»[١].

الثاني: رواية أبي يعقوب بيّاع الأرزّ، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ»[٢].

الثالث: رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود النبي عليه السلام: يا داود، إن عبديَ المؤمن إذا أذنب ذنباً ثمّ رجع وتاب من ذلك الذنب واستحيى مني عند ذكره، غفرتُ له وأنسَيتُ الحَفَظَةَ وأبدلته الحسنة ولا أُبالي»[٣].

الرابع: عن محمّد بن مسلم قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾، قال: «يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يقام بين يدي الله، فيكون الله هو الذي يلي حسابه فيما بينه وبينه، لا يطّلع على

---

١. **مسند أحمد** ٥: ١٥٧، **غوالي اللآلي** ١: ١٢٤، **زاد المسير** لابن الجوزي ٦: ٢٦ .

٢. **الكافي** ٢: ٤٣٥ ح ١٠، **بحار الأنوار** ٦: ٤١ / ح ١٥، **وسائل الشيعة** ١٦: ٧٤ / ح ٢١٠١٦، **مكارم الأخلاق**: ٣١٣، **مشكاة الأنوار**: ٢٠١ .

٣. **ثواب الأعمال**: ١٥٨ / ح ١ ، باب من أذنب ذنباً ثمّ رجع وتاب .

حسابه الناس فيغفره، حتى إذا قرره بسيئاته قال: يبدّلها حسنات وأظهرها للناس، فيقول الناس: ما كان لهذا العبد سيئة واحدة!»[١].

الخامس: رواية يحيى بن بشير، عن المسعودي قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَن تاب تاب الله عليه، وأُمِرت جوارحه أن تستر عليه، وبقاع الأرض أن تكتم عليه، ونَسِيت الحفظة ما كانت كتَبَت عليه»[٢].

السادس: جاء في (فتح القدير) في تفسير قوله تعالى: ﴿**يُبَدِّلُ اللَّـهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾، قال: هم المؤمنون كانوا مِن قَبل إيمانهم على السيئات، فرغب الله بهم عن ذلك، فحوّلهم إلى الحسنات فأبدلهم مكان السيئات الحسنات[٣].

السابع: ورد في (المحاسن) عن ابن فضّال، عن علي بن عقبة، عن أبيه، عن سليمان بن خالد قال: كنت في محمل أقرأ إذ ناداني أبو عبد الله عليه السلام: إقرأ يا سليمان وأنا في هذه الآية التي في آخر «تبارك»[٤]: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ...**﴾[٥]، فقال: «هذه فينا، أما والله لقد وعَظَنا وهو يعلم أنا لا نزني، إقرأ يا سليمان»، فقرأت حتى انتهيت إلى قوله: ﴿ **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾. قال: «قف، هذه فيكم، إنّه يُؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يُوقَف بين يَدي الله عزّ وجل، فيكون هو الذي يلي حسابه فيوقفه على سيئاته شيئاً فشيئاً، فيقول: عملتُ كذا وكذا

---

١. **الأصول الستة عشر:** ١٥٢، **الأمالي** للمفيد: ٢٩٨ .

٢. **ثواب الأعمال:** ٢١٣ / ح ١ ـ باب التوبة .

٣. **فتح القدير** ٤: ٩١ .

٤. إشارة إلى سورة الفرقان التي أوّلها: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾.

٥. الفرقان: ٦٨ ـ ٦٩ .

في يوم كذا في ساعة كذا، فيقول: أعرف يا ربّ. قال: حتى يوقفه على سيئاته كلّها كلّ ذلك يقول: أعرف. فيقول: سترتُها عليك في الدنيا، وأغفرها لك اليوم، أبدِلُوها لعبدي حسنات. قال: فتُرفع صحيفته للناس، فيقولون: سبحان الله! أما كانت لهذا العبد ولا سيّئة واحدة؟! فهو قول الله عزّ وجل: ﴿فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾»(١).

الثامن: ورد عن محمّد بن عيسى، عن عمر بن إبراهيم بيّاع السابري، عن حُجر بن زائدة، عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: «يا ابن رسول الله، إنّ لي حاجة، فقال: تلقاني بمكة، فقلت: يا ابن رسول الله إنّ لي حاجة، فقال: هاتِ حاجتك، فقلت: يا ابن رسول الله، إنّي أذنبتُ ذنباً بيني وبين الله لم يطّلع عليه أحد، فعظم عَليّ وأُجلّك أن أستقبلك به، فقال: إنّه إذا كان يومُ القيامة وحاسَبَ الله عبده المؤمن أوقفه على ذنوبه ذنباً ذنباً ثمّ غفرها له، لا يطّلع على ذلك ملكٌ مقرَّب ولا نبيّ مرسل».

قال عمر بن إبراهيم: وأخبرني عن غير واحد أنه قال: «ويستر عليه من ذنوبه ما يكره أن يُوقفَه عليها، ثمّ يقول لسيئاته: كوني حسنات. قال: وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيمًا﴾»(٢).

إلى غير ذلك من الروايات المتواترة مضموناً، المفيدة بإطلاقها وعمومها محوَ السيئات وتبديلَها إلى حسنات. قال العلّامة الطباطبائي في (الميزان): إنّ كلّ سيئة منهم نفسها تتبدّل حسنة، وليست السيئة هي متن الفعل الصادر من

---

١. **المحاسن** ١: ١٧٠ / ح ١٣٦.

٢. كتاب **المؤمن** ٣٣ / ح ٦٧، كتاب **الزهد** للحسين بن سعيد الكوفي: ٩١/ ح ٢٤٥.

فاعله، وهو حركات خاصة مشتركة بين السيئة والحسنة كعمل المُواقَعة مثلاً المشترك بين الزنا والنكاح، والأكل المشترك بين أكل المال غصباً وبإذنٍ من مالكه، بل صفة الفعل من حيث موافقته لأمر الله ومخالفته له، مثلاً من حيث إنّه يتأثر به الإنسان ويحفظ عليه، دون الفعل الذي هو مجموع حركات متصرّمة منقضية فانية، وكذا عنوانه القائم به الفاني بفنائه.

وهذه الآثار السيئة التي يتبعها العقاب ـ أعني السيئات ـ لازمة للإنسان حتى يُؤخَذ بها يوم تُبلى السرائر، ولولا شَوبٌ من الشقوة والمساءة في الذات لم يصدر عنها عمل سيّئ... ولازمُ ذلك إذا تطهّرتَ بالتوبة وطابت بالايمان والعمل الصالح فتبدلت ذاتاً سعيدة ما فيها شوب من قذارة الشقاء، أن تتبدّل آثارها اللازمة كانت سيئات[١].

هذا ومن شاء المزيد من البحث في مسألة تبديل السيئات حسنات فعليه مراجعة: تفسير مجمع البيان، وتفسير الرازي[٢].

تبديل النقطة السوداء بالبيضاء

هل تجب التوبة من الصغائر مع اجتنابه عن الكبائر أم لا يجب؟ لأنّ التوبة من الصغائر مع عدم الاجتناب عن الكبائر لا أثر لها، بل يكون لغواً، فإنّ الله تبارك وتعالى وعد العفو عن الصغائر إن اجتنب المرء عن الكبائر، قال في كتابه العزيز: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾[٣]، ولكنّك خبير بأن ليس فائدة التوبة من الصغائر منحصرة بالخلاص

---

١. **الميزان في تفسير القرآن** ١٥: ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

٢. **مجمع البيان** ٧: ٣١٢ **تفسير الرازي** ٢٤: ١١٢ .

٣. النساء: ٣١ .

عن عقابها، بل كلّ معصية توجب نقصاً في النفس، كما تُوجب هبوطها عن الكمال والصعود إلى الدرجات العالية، وتُوجِد نقطةً سوداء في النفس، كما في بعض الأخبار الصادرة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، فبعد أن وفّقه الله للتوبة يبدل الله تلك النقطة السوداء بالبيضاء، وإلاّ تكبر وتحيط بتمام القلب، فلا يبالي بارتكاب أي معصية كبيرة أو صغيرة. فطهارة القلب وتزكيته عن دنس المعصية لا يمكن إلاّ بالتوبة والرجوع إلى الله وإلى الطريق المستقيم.

وهذا أثر للتوبة لا علاقة له بمسألة العفو عن العقاب، ولا يحصل هذا الأثر إلاّ بالتوبة، ولعله إلى هذا يشير قوله صلى الله عليه وآله: «التائب من الذنب كمَن لا ذنب له»[1]، أي لا يبقى بعد التوبة أي أثر لذنبه لا أنها ترفع العقاب فقط. هذا، مضافاً إلى أنه من أين يُقطَع أو يُطمأنّ من عدم صدور الكبيرة، والله تعالى علّق تكفير الصغائر ورفع العقاب على الاجتناب عن جميع الكبائر، وأنى له بذلك مع كثرة المغريات، وازدياد أسباب الشهوات، وخروج الخلق عن بساطة المعيشة مع وفور أسباب اللذائذ وسعة العيش والملهيات المهلكات وقلة المنجيات.

وأما التوبة فتريحه من جميع ذلك، وتجعل قلبه كالمرآة الصافية ذائدةً عنه كلَّ نقيصة كيوم ولدته أمُّه.

الفرق بين التوبة والكفّارة

يمكن التفريق بين الكفارة التي يدفعها المخالف للحكم الشرعي كالمفطر في شهر رمضان، وبين التوبة التي يفعلها المذنب، بالقول: إنّ الكفارة عبارة عن غرامة مالية على هذا الفعل، وهي غير رافعة لأثر الذنب، فلو فرضنا

---

١. **الكافي** ٢: ٤٣٥ / ح ١٠، **وسائل الشيعة** ١٦: ٧٤ / ح ٢١٠١٦ .

وجود شخص ثري يفطر كلّ يوم متعمداً ويكفّر عنه، مع عزمه على العودة في اليوم الآخر، هل يقول أحد بارتفاع أثر ذنبه بالنسبة إليه بمجرد تكفيره؟ الظاهر لا.

وأما التوبة فهي الرافعة لأثر الذنب حسب ما تدلّ عليه النصوص الكثيرة، منها: رواية أبي يعقوب بياع الأرزّ، عن جابر الجعفي، عن الإمام أبي جعفرعليه السلام قال: سمعته يقول: «التائب من الذنب كمَن لا ذنبَ له، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ»[1]، فشرطية محو الذنب ورفع أثره الدنيوي والأُخروي موكول إلى أُمور، منها التوبة.

شرائط الاستغفار

للاستغفار والتوبة شرائط وقيود، أفضل ما رأيته مجموعةً فيه قولُ أمير المؤمنينعليه السلام حيث قال لمن قال بحضرته: أستغفر الله: «ثكلَتْك أمّك، أتدري ما الاستغفار؟! الاستغفار درجة العلّيين، وهو اسم واقع على ستة معان:

أولها: الندم على ما مضى.

والثاني: العزم على ترك العَود إليه أبداً.

والثالث: أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عزّ وجلّ أملسَ ليس عليك تبعة.

والرابع: أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتَها فتؤدّيَ حقّها.

والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السُّحت فتذيبه بالأحزان، حتى يَلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد.

السادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك

---

١. **الكافي** ٢: ٤٣٥ / ح ١٠، **وسائل الشيعة** ١٦: ٧٤ / ح ٢١٠١٦ .

تقول: أستغفر الله»[١].

وهناك طائفة من الأخبار تبيّن أنّ الموجب لمحو الذنب وآثاره قبول ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإن لم يكن داخلاً فيها طول عمره، فقد روى معاوية بن وهب في حديث أنّ رجلاً شيخاً كان من المخالفين، عرض عليه ابن أخيه الولاية عند موته، فأقرّ بها وشهق ومات. قال: فدخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فعرض علي بن السري هذا الكلام على أبي عبد الله فقال: هو رجل من أهل الجنة. قال له علي بن السري: إنه لم يعرف شيئاً من هذا غير ساعته تلك. قال: فتريدون منه ماذا؟ قد والله دخل الجنّة[٢].

والتنظير بين الذنوب والمرض لطيف، فكما أنّ البدن يمرض بدخول الأجسام الغريبة فيه كذلك تمرض الروح بارتكاب الذنوب، وكما أنّ المضادات تحدّ من المرض أحياناً وتجتثّه أحياناً أُخرى، كذلك التوبة كلّما كانت خالصة كان أثرها أكبر في تحديد آثار الذنوب أو اجتثاثها من أصلها. وعلى هذا فالنقطة السوداء الحاصلة بسبب الذنب تزول وتمسح بالتوبة، فتأمّل.

تجسّم الاعتقادات

قد ورد في بعض الأخبار تجسّم الاعتقادات أيضاً، فالأعمال الصالحة والاعتقادات الصحيحة تظهر بشكل صورٍ نورانية مستحسنة موجبة لصاحبها كمال السرور والابتهاج، والأعمال السيئة والاعتقادات الباطلة تظهر بشكل

---

١. **نهج البلاغة**: الحكمة ٤١٧، **مكارم الأخلاق**: ٣١٤.

٢. **الكافي**: ٤٤١ / ح ٤، والسند هكذا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن معاوية بن وهب.

صور ظُلمانية مستقبحة توجب غاية الحزن والتألم، كما قاله جماعة من المفسِّرين عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[1].

فإنّ الظاهر من كلامهم أن التجسّم كائن للاعتقاد والعمل الصالحين معاً، كما أنّه كائن للاعتقاد الباطل والعمل الخبيث معاً. ويدل على المطلب ما رواه الكليني بسنده عن سالم، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما مِن موضعِ قبر إلاّ وهو ينطق كلّ يوم ثلاث مرات: أنا بيت التراب، أنا بيت البلاء، أنا بيت الدود. قال: فإذا دخله عبد مؤمن قال: مرحباً وأهلاً، أما والله لقد كنتُ أُحبك وأنت تمشي على ظهري، فكيف إذا دخلت بطني، فسترى ذلك.

قال: فيُفسَح له مدّ البصر، ويُفتَح له باب يرى مقعده من الجنة.

قال: ويخرج من ذلك رجل لم تر عيناه شيئاً قطُّ أحسن منه.

فيقول: يا عبد الله، ما رأيتُ شيئاً قط أحسن منك.

فيقول: أنا رأيك الحسنَ الذي كنت عليه وعملك الصالح الذي كنت تعمله. قال: ثمّ تؤخذ روحه فتوضع في الجنّة حيث رأى منزله. ثم يقال له: نَم قرير العين. فلا تزال نفحة من الجنّة تصيب جسده يجد لذتها وطيبها حتى يُبعَث.

قال: وإذا دخل الكافر قال: لا مرحباً بك ولا أهلاً! أما والله لقد كنتُ أبغضك وأنت تمشي على ظهري، فكيف إذا دخلت بطني، سترى ذلك. قال: فتضمّ عليه فتجعله رميماً ويعاد كما كان، ويُفتَح له باب إلى النار فيرى مقعده من النار.

ثم قال: ثمّ إنه يخرج منه رجل أقبح من رأى قط. قال: فيقول: يا عبد الله

---

١. **الأربعون حديثاً** للبهائي: ٤٠٢ والآية في سورة آل عمران: ٣٠.

مَن أنت؟ ما رأيتُ شيئاً أقبح منك!

قال: فيقول: أنا عملك السيّئ الذي كنتَ تعمله ورأيك الخبيث.

قال: ثمّ تؤخذ روحه فتوضع حيث رأى مقعده من النار، ثمّ لم تزل نفحة من النار تصيب جسده فيجد ألمها وحرها في جسده إلى يوم يبعث، ويسلّط الله على روحه تسعة وتسعين تنيناً تنهشه ليس فيها تنين ينفخ في ظهر الأرض فتنبت شيئاً»[1].

ومحل الشاهد قوله: «أنا رأيُك الحسن وعملك الصالح الذي كنتَ تعمله»، وهاتان القطعتان صريحتان في أنّ الصورة والجسم الظاهر للإنسان في القبر هي صورة الرأي الحسن والعمل الصالح معاً.

هذا وعندنا روايات متظافرة صحيحة السند تبيّن تجسّم الاعتقاد مستقلاً في القبر من دون علاقة ببقية الأعمال الصالحة، وتسمّى هذه المجموعة بأحاديث «أنا الولاية»:

الأولى: روى البرقي في (المحاسن) بسند صحيح عن أحدهما ـ يعني الإمام الصادق أو الإمام الباقر عليهما السلام ـ قال: «إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستّ صور، فيهن أحسنهن وجهاً، وأبهاهن هيئةً، وأطيبهن ريحاً، وأنظفهن صورة. قال: فتقف صورة عن يمينه وأخرى عن يساره وأخرى بين يديه، وأُخرى خلفه وأُخرى عند رجله، وتقف التي هي أحسنهن فوق رأسه، فإن أُوتي عن يمينه منعته التي عن يمينه، ثمّ كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست.

---

١. **الكافي** ٣: ٢٤١ / ح ١ باب ما ينطق به موضع القبر، والسند هكذا: محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام.

قال: فتقول أحسنهن صورة: ومن أنتم جزاكم الله عني خيراً؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة. وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة. وتقول التي بين يديه: أنا الصيام. وتقول التي خلفه: أنا الحج والعمرة. وتقول التي عند رجليه: أنا برّ من وصلت من إخوانك.

ثم يقلن: من أنتِ؟ فأنتِ أحسننا وجهاً وأطيبنا ريحاً، وأبهانا هيئة.

فتقول: أنا الولاية لآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين»[١].

الثانية: قال الصادق عليه السلام: «خمس صور يدخلن القبر مع المؤمن، كأحسن ما يكون من الصور، أمامهن صورة أحسن منهن، فإن أُتي عن يمينه منعته الصلاة، وإن أُتي عن يساره منعته الزكاة، وإن أُتي عند رأسه منعه الحج، وإن أُتي عند رجليه منعه الصوم. قال: فتقول الصورة التي هي أحسن منهن: من أنتن جُزيتنّ عن الله خيراً؟

قال: فتقول واحدة: أنا الصلاة. وتقول الأخرى: أنا الزكاة. وتقول الأخرى: أنا الحج. وتقول الأخرى: أنا الصوم.

قال: فتقول الأربع الصور: فمن أنتِ فإنكِ أحسن منّا صورة؟

قال: فتقول أنا الولاية لآل محمّد صلوات الله عليهم»[٢].

الثالثة: روى أبو بصير، عن أبي جعفر محمّد بن علي عليه السلام أنه قال: «إذا مات المؤمن من أهل ولايتنا وصار إلى قبره دخل معه قبره ست صور، منهنّ صورة أحسنهن وجهاً وأطيبهن ريحاً وأنظفهن هيئة.

---

١. **الكافي** ٢: ٩٠ / ح ٨، **المحاسن** ١: ٢٨٨ . ونقلها المجلسي في **بحار الأنوار** ٦: ٢٣٥، والسند صحيح ورجاله في (**المحاسن**) عنه، عن عبد الرحمن بن أبي نجران وأحمد بن أبي نصر، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير عن أحدهما عليهما السلام.

٢. **مستدرك الوسائل** ٣: ٧٩ .

صورة تكون عند رأسه وتكون الأُخرى منهن عن يمينه والأُخرى عن يساره والأُخرى من خلفه والأُخرى عن قدامه والأُخرى عند رجليه، فيمنعنه من حيثما أُتي من الجهات ويُؤنِسْنه في قبره.

فيقول الميت: من أنتنّ، جزاكنّ الله خيراً؟

فتقول التي عن يمينه: أنا الصلاة. وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة. وتقول التي بين يديه: أنا الصوم. وتقول التي من خلفه: أنا الحجّ والعمرة. وتقول التي عند رجليه: أنا الجهاد وأنا من وصلتَه من إخوانك.

وتقول التي عند رأسه وهي أحسنهن: أنا الولاية لعلي والأئمة من ذريته صلوات الله عليهم أجمعين»[١].

الرابعة: روى الصدوق مرفوعاً عن درست الواسطي أنّه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ المؤمن إذا مات أُدخل معه في قبره ست مثال، فأبهاهنّ صورة وأحسنهنّ وجهاً وأطيبهنّ ريحاً وأهيأهن هيئة عند رأسه، فإن أتى منكر ونكير من قِبلِ يديه منعت التي بين يديه، وإن أُتي مِن خلفه منعت التي من خلفه، وإن أُتي عن يمينه منعت التي عن يمينه، وإن أُتي عن يساره منعت التي عن يساره، وإن أُتي من عند رجليه منعت التي عند رجليه، وإن أُتي عند رأسه منعت التي عند رأسه.

قال: فتقول لهن التي هن أحسنهن صورة وأطيبهن ريحاً وأهيأهن هيئة: من أنتنّ جزاكنّ الله عني خيراً؟

قال: فتقول التي بين يديه: أنا الصلاة. وتقول التي من خلفه: أنا الزكاة. وتقول التي عن يمينه: أنا الصيام. وتقول التي عن يساره: أنا الحج. وتقول

---

١. **شرح الأخبار** للقاضي النعمان المغربي ١: ٢٢٤ .

التي عند رجليه: أنا برّه بإخوانه المؤمنين. فيقلن لها: من أنتِ؟ فأنتِ أحسننا صورة وأطيبنا ريحاً وأهيأنا هيئة. فتقول: أنا الولاية لمحمد وآل محمد»[١].

وأنت تعرف أنّ الولاية لعلي بن أبي طالبعليه السلام من الآراء والاعتقادات، بل من أهمها، فإنّ قبولها يعني تصديق النبيصلى الله عليه وآله في إخباره عن الله سبحانه وتعالى، ويظهر من الأخبار المتقدمة أنّ تجسّم الآراء والاعتقادات لا يختلف عن تجسّم الأعمال في القبر والمحشر، فتراها تؤدي نفس الآثار التي تؤديها الأعمال العبادية، بل إنّ لها الوجاهة والصدارة والهيمنة والسلطان عليها.

استشكال على نظرية التجسّم ودفعه

قد ذهب جمع من المتكلّمين، وطائفة كثيرة من أهل التشريع إلى بطلان نظرية تجسّم الأعمال التي يقوم بها الإنسان في الآخرة أو امتناعها العقلي؛ ولذلك التجأوا إلى حمل الآيات والروايات الظاهرة في تجسّم الأعمال والاعتقادات في القبر ويوم القيامة على الادّعاء والاستعارة. وقد ذكرنا سابقاً أنّ واحدة من النظريات في التعامل مع آيات وروايات تجسّم الأعمال هي الحمل على المعنى المجازي. والآن ندخل في تفصيل أوسع لهذا الكلام.

قالوا: إن الحقائق إنّما تقرب إلى الأفهام بالأمثال المضروبة، كما ينصّ على ذلك القرآن الكريم. ولبيان حقيقة الاستشكال بوضوح لا بأس ببيان مقدّمة نقول فيها:

إنّ الفلاسفة يقسّمون المخلوقات إلى قسمين كبيرين هما: الجواهر والأعراض. والجواهر، مفردها الجوهر، هي الأشياء القائمة بذاتها، بمعنى أنّ

---

١. مصادقة الإخوان: ٦٥ .

وجودها لا يفتقر إلى موضوع تظهر به. أما الأعراض، ومفردها العَرَض، فإنّ وجودها يفتقر إلى الموضوع الذي تقوم به، فإنها لا يمكن أن تقوم بنفسها، كالطول واللون والحركة، فالطول مثلاً لا وجود له إلاّ بوجود موضوع يتّصف بالطول، واللون لا يوجد من دون موضوع ملوّن، وكذا الحركة لا توجد من غير وجود شيء متحرّك.

وهنا نقول: إنّ عمل الإنسان وحركاته وسكناته من قبيل العرض، فإنّه لا توجد حركة وعمل إلاّ ببدن إنساني أو غير إنساني. إن تمهدت هذه المقدمة نقول: إن القول بتجسّم الأعمال في القبر أو في الآخرة يواجه استشكالاً كبيراً مفاده: أنّ الأعمال الحسنة التي يأتي بها الإنسان ـ مثل الصوم والصلاة والزكاة وقراءة القرآن، وكذلك الأعمال السيئة مثل الزنا واللواط والكذب والنميمة ـ هي من سنخ الأعراض، بمعنى أنها تتقوم بالغير، فإنّ فعل الصلاة أو الزكاة يحتاج لما يقوم به، فإذا انعدم الإنسان مثلاً لا يمكن للصلاة أو غيرها من الأعمال أن تتحقق في الخارج، لهذا فلا يمكن للعرض أن يتجسّم ليصير جوهراً؛ لاستحالة انقلاب مقولة إلى مقولة أُخرى، كما ثبت في محلّه.

وبعبارة أُخرى: إنّ الثابت عند أهل المعقول استحالة انقلاب وتحوّل مقولة إلى أُخرى، فمقولة الكمّ لا تنقلب إلى مقولة الكيف، ومقولة الفعل لا تنقلب إلى مقولة الجوهر، وهكذا... .

وهذا يقتضي انقلاب أفعال الإنسان، كالصلاة والصوم التي هي من سنخ العرض، إلى ما هو من سنخ الجوهر، وهو التجسّم، وهذا مُحال.

وقد بيّن هذا الاستشكال السيّد الجزائري (ت ١١١٢ هـ) في كتابه (نور البراهين)، نقلاً عن المحقق الدواني، قائلاً: ولما كان تجسّم الأعمال على هذا النحو خلاف طور العقل، لأنّ الأمور المعنوية كيف تظهر للحس؟ والأعراض

كيف تنقلب إلى جواهر مع امتناع قلب الحقائق؟[١].

ثمّ إنّ البعض أراد أن يتخلّص من هذا الاستشكال فقال: إنه وإن امتنع انقلاب العرض إلى جوهر في الحياة الدنيا، إلاّ أنّ ذلك ممكن في الحياة الأخروية، وعليه فيجوز للأعمال أن تتجسم في دار الآخرة.

وردّ عليه المجلسي بقوله: القول باستحالة انقلاب الجوهر عرضاً، والعرض جوهراً في تلك النشأة، مع القول بإمكانه في النشأة الأُخرى قريب من السفسطة، إذ النشأة الأُخرى ليست إلاّ مثل هذه النشأة، وتخلّلُ الموت والحياة لا يصلح أن يصير منشأً لأمثال ذلك. ثم قال: والقياس على حال النوم واليقظة أشد سفسطة، إذ ما يظهر في النوم إنما يظهر في الوجود العلمي، وما يظهر في الخارج فإنّما يظهر بالوجود العيني، ولا استبعاد كثير في اختلاف الحقائق بحسب الوجودين[٢].

وبالنتيجة فإن المجلسي أنكر تجسّم الأعمال مطلقاً في بعض كتبه مثل (حق اليقين)، وقد صرّح بذلك المازندراني في (شرح أُصول الكافي)[٣]. وإلى هنا تمكّنا من بيان الاستشكال المطروح ضد نظرية تجسّم الأعمال في القبر والآخرة وأنّ الظاهر من الآيات والروايات هو القول بتجسّم الأعمال، إلاّ أنّ العلماء يرتكبون خلاف الظاهر لأحد أمرين:

أحدهما: وجود القرينة اللفظية على إرادة خلاف الظاهر.

ثانيها: لزوم المحذور العقلي لو التزمنا بالظاهر.

وعين هذا الأمر أو شبيهه ذكره المازندراني حيث قال: إنّ العلماء يلتجئون

---

١. **نور البراهين** ١: ٣٠٨، وأنظر: **شرح أُصول الكافي** للمازندراني ١١: ٢٣٩ .

٢. **بحار الأنوار** ٧: ٢٣٠ .

٣. **شرح أُصول الكافي** للمازندراني ٨: ٢٨٥ .

إلى التأويل والأخذ بخلاف الظاهر إذا كان هناك قرينة لفظية، أو كان في البين محذور عقلي، فتراهم يرتكبون التأويل في الأدلة الظاهرة في تجسيم الله سبحانه وتعالى، وفي الأحاديث الظاهرة في سهو النبي ﷺ وفي الأحاديث الظاهرة في عصيان الأنبياء.

وأما إذا لم يكن في البين قرينة لفظية أو محذور عقلي، فلا يلتجئون إلى التأويل، بل يلتزمون بالظاهر[١].

وقال أيضاً في مكان آخر: والعجب أن المجلسي الثاني أنكر تجسّم الأعمال مطلقاً في بعض كتبه مثل (حق اليقين)[٢].

وأما الجواب عن الاستشكال فنقول: إنّ الذي عليه الخواصّ من أهل التحقيق أنّ سنخ الشيء ـ أي أصله وحقيقته ـ أمر مغاير لصورته التي يتجلّى بها على المشاعر الظاهرة، ويلبسها لدى المدارك الباطنة، وإنّه يختلف ظهوره في تلك الصور بحسب اختلاف المواطن والنشآت، فيلبس في كلّ موطن لباساً، ويتجلبب في كلّ نشأة بجلباب، كما قالوا: إنّ لون الماء لون إنائه.

وأمّا الأصل الذي تتوارد عليه هذه الصور، ويعبرون عنه تارة بالسنخ، ومرة بالوجه، وأُخرى بالروح، فلا يعلمه إلاّ علّام الغيوب[٣].

ثم ذكر المازندراني مثالاً يوضح ذلك قائلاً: ألا ترى إلى الشيء المبصَر، فإنّه إنّما يظهر لحس البصر إذا كان محفوفاً بالجلابيب الجسمانية، ملازماً لوضع خاص، وتوسط بين القرب والبعد المفرطين، وأمثال ذلك، وهو يظهر بالحس المشترك عرياً من تلك الأمور التي كانت شرط ظهوره لذلك الحس.

---

١. أُنظر: **شرح أُصول الكافي** للمازندراني ١: ١٤ .

٢. نفسه ٨: ٢٨٤ .

٣. **شرح أُصول الكافي** للمازندراني ١١: ٢٣٩، وانظر: **مصابيح الأنوار** ٢: ١٥٠ .

وقال البهائي: ألا ترى إلى ما يظهر في اليقظة من صورة العلم، فإنّه في تلك النشأة أمر عرضي، ثمّ يظهر في النوم بصورة اللبن، فالظاهر في الصورتين سنخ واحد تجلّى في كلّ موطن بصورة، وتحلّى في كلّ نشأة بحلية، وتزيا في كلّ عالم بزيّ، وتسمّى في كلّ مقام باسم، فقد تجسّم في مقام ما كان عرضاً في مقام آخر[1].

وقد التزم بهذا النظر ـ أي أنّ الحقيقة واحدة والصور متعددة ـ بعضُ الفلاسفة، مثل المحقق الدواني في (رسالة الزوراء) على ما نقله عنه السيد الجزائري في (نور البراهين)، وإليك بعض كلامه: إنّ الحقيقة مغايرة لجميع الصور التي تتجلى فيها على المشاعر الظاهرة والباطنة الجسمانية والروحانية، مغايرة من حيث ذاته لا من حيث الوجود، وإنّ تلك الحقيقة من حيث ذاتها قابلة للظهور مختلفة الأحكام، وأنّ جميع الصور التي تظهر هي بها، مساوية الأقدام بالنسبة إليها، وليس بعضها أولى بها من البعض في حدّ ذاتها[2].

بيان ثمرة هذه المباحث

بعد أن تمكّنا من إثبات إمكان توصّل العقل الإنساني لنتائج خلال الخوض في هذه المباحث بالاستفادة من مدارك وأدلة الشريعة الإسلامية، نقول: إنّ لهذه المباحث والنتائج التي تحصل بسببها، ثمراتٍ تظهر في موارد عديدة نذكرها بالتبع، فنقول بعد الاستعانة به تعالى:

---

١. حكاه عنه المازندراني في: **شرح أُصول الكافي** ١١: ٢٣٩ وأُنظر: **مصابيح الأنوار** ٢: ١٥٠ .

٢. **رسالة الزوراء** للمحقق الدواني: ٨٦ وحكاه عنه في: **نور البراهين** ١: ٣١٠ .

الثمرة الأُولى: في إبطال قاعدة قبح العقاب بلا بيان

المشهور بين علماء الأُصول قاعدة قبح العقاب بلا بيان، والتي تسمّى بالبراءة العقلية في مقابل البراءة الشرعية المستفادة من حديث رفع القلم[١]، ومعناها أنّه لا يحسن من المولى جلّ وعلا أن يعاقب إنساناً قد ارتكب مخالفة لأوامر ونواهي الشارع وهو لا يعلم، فإنّ عدم العلم معذّر من تحقّق عقاب المولى على المخالِف لحكم الله الواقعي. وإذا عُوقب ذلك المكلّف نادى العقل بقبح العقاب بلا بيان، وعليه فغير العالم معذور حتى يعلم.

ونحن بعد الخوض في هذا المبحث، توصّلنا إلى نتيجة تجسّم الأعمال في عالم القبر والآخرة، وأنّ للأعمال التي يقوم بها الإنسان صوراً حسنة أو قبيحة تتناسب مع نوعية ذلك العمل، وأنّ العقاب والثواب الأُخروي من قبيل الشيء الملازم للعمل الحاصل في الدنيا، بل إنّ الثواب والعقاب هو نفس العمل الدنيوي وصورته الظاهرة في الآخرة، فهنا تبطل نظرية قبح العقاب بلا بيان المبنية على مدخلية الجهل وعدم العلم، وعلى مدخلية عدم البيان في قبح العقاب وأنه مرفوع عن المكلف الجاهل، وعلى مدخلية العلم في استحقاق العقاب لمخالف الأوامر الربانية.

وإلى هذه المعاني أشار السيد مصطفى الخميني في تحريراته في الأُصول بقوله: في حين أنّ العقاب ـ حسب نظرية تجسّم الأعمال ـ من تبعات الأعمال ولوازم الأفعال، وإنّما الأنبياء والرسل أطباء النفوس، فلا مدخلية

---

١. ومتن الحديث: «ورفع عن أُمتي تسعة: الخطأ والنسيان وما أُكرهوا عليه، وما لايعلمون وما لا يطيقون وما اضطُرُّوا إليه و...». **التوحيد**: ٣٥٣ / ح ٢٤، **الخصال** ٢: ٤١٧ / ح ٩، **وسائل الشيعة** ٤: ١٢٨٤ ـ أبواب قواطع الصلاة ب ٣٧ / ح ٢ و ج ١١: ٢٥٩ ـ أبواب جهاد النفس ب ٥٦ / ح ١.

للعلم والجهل في تلك التبعات واللوازم، وفي مسألة تجسّم الأعمال وتمثّل الأفعال، فعليه لا معنى للقاعدة المذكورة[١].

وبهذا البيان تمكنّا من إثبات وجود ثمرة عملية، للخوض في مسألة تجسّم الأعمال في الآخرة، وكيفية تحقق الجزاء والعقاب والثواب، وهي إبطال القاعدة المشهورة بين الأصوليين المعروفة بقاعدة قبح العقاب بلا بيان. فصارت النتيجة لحد الآن هي أنّ علماء أُصول الفقه لديهم قاعدة قبح العقاب بلا بيان، ومفادها أنه لا يحق للمولى العقوبات الأخروية ما لم يصل البيان والعلم والقطع إلى المكلّف، فإذا وصل للمكلف جازت العقوبة، وإذا لم يصل البيان للمكلف لم يَجُز للمولى العقوبات الأُخروية.

وإذ أثبتنا تجسّم أعمال البشر في القبر والمحشر، فإنّ العقوبة تكون ملازمة لذلك العمل، سواء علم المكلف بحرمة ذلك العمل أو لم يعلم، فإن كلّ من يعمل يتجسّد عمله السيّئ أمامه، سواء كان يعلم بأن ذلك من الممنوعات أو لم يعلم. ويكون الارتباط بين العمل وجزائه كالارتباط بين شرب الخمر والإسكار. نعم هذا الكلام يصح في الآثار الوضعية للأعمال التي تظهر في هذا العالم وذاك العالم، وأما العقاب المجعول على العمل فإنّه مرتبط بالعلم.

الثمرة الثانية: رفع التعارض بين آية ورواية

من جملة الثمرات المتصوّرة في البحث في أعمال الإنسان في الآخرة تفسير بعض آيات كتاب الله العزيز، ورفع التعارض الظاهري بينها وبين ظواهر بعض الأحاديث.

---

١. تحريرات في الأصول: ٧: ١٣٨ .

فمثلاً الآية الكريمة تقول: ﴿ولا تَزرُ وازرةٌ وِزرَ أُخرى﴾[١] بمعنى لا تتحمّل نفس آثمة آثام نفس أُخرى، وكلُّ نفس مرهونة بعملها. ويقابل هذه الآية النصّ الوارد عن رسول الله ﷺ: «مَن سَنّ سُنّةً حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجره شيء، ومَن سنّ سنّة سيئة كان له وزرها ووزر من عمل بها»[٢]. وظاهر هذا الحديث أنّ سانّ السنّة الحسنة يحصل على أجره وعلى أُجور أُخرى جاءت نتيجة عمل العباد بسنته الحسنة، وسانّ السنة السيئة يحصل على وزره وعلى أوزار أُخرى متعددة جاءته بسبب عمله وبسبب عمل العباد بسنته السيئة.

وهذا الظاهر الذي فهمناه واستفدناه من الرواية الشريفة لا يتلاءم مع ما يُفهَم من الآية الكريمة المتقدّمة، حيث إنّ الآية الكريمة صريحة في أنّ النفس الآثمة لا تتحمل آثام النفس الأُخرى. ثمّ إنّ القول بتقسيم العذاب بينهما وحمل كلّ من الآمر والفاعل بعض الوزر، وإنّه يُعذَّب كلّ منهما ببعض العذاب، فإن هذا القول يناقض الآية القائلة: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾[٣]، فإن الظاهر منها أنّ الإنسان يُوفّى عملَه في الآخرة، لا أنّه يُوفّى عملَ غيره، فكيف يمكن التوفيق بين الآية الكريمة والحديث النبوي الشريف؟

يمكن الجواب عن هذه الشبهة بقولنا:

إنّه يمكن أن نرفع التعارض الظاهري بين الآية والحديث بتفسيرها

---

١. الأنعام: ١٦٤.

٢. **الكافي** ٥: ٩ / ح ١، **الهداية** للشيخ الصدوق: ٥٩، **بحار الأنوار** ١٠٠: ٧ / ح ١، **مستدرك الوسائل** ١٢: ٢٣٠ ح ١٣٩٦٢، **صحيح مسلم** ٢: ٧٠٥ / ح ٦٩.

٣. هود: ١١١.

للحديث «كان له وزرها ووزر من عملها بها» أي كان عليه مِثلُ وزْر مَن عمل بها، بمعنى أن يحمل الآمر وصاحب السنّة السيئة مِثلَ ما للعامل الفاعل.

وبعبارة أدق: الوزر واحدٌ يَـزِره اثنـان، والعـذاب واحـد يُعـذَّب بـه الآمـر والفاعل.

فالفاعل للعمل القبيح يعاقب لأنه ارتكب الفعل المنهي عنه مـن قبـل الشـارع المقدس، وسانّ السنة السيئة يعاقب مثل العقاب الذي يعاقـب بـه فاعـل العمـل القبيح ومرتكبه، وهذا هو تفسير قولهﷺ: «كان له وزرها ووزر من عمل بها».

ويسهل تصوّر وتعقل ذلك بناءً على نظرية تجسّم الأعمال في الآخرة، فإن العمل الواحد كالسيئة، واحد شخصي يتجسّم ويتمثّل لاثنين، ويُعذَّب بتمثلـه إنسانان: الآمر بالفعل القبيح والذي نسميه سانٌ السنة القبيحة، والفاعل للعمـل القبيح، فالعمل كالشخص الواحد يتصوره اثنان فيلْتذّان أو يتألّمان معاً به، وهو واحد. وعلى هذا فلا تَنافيَ بين قول الآية الكريمة أن الـنفس الآثمـة تتحمـل وزرها فقط ولا تتحمل وزر غيرها وبـين الحـديث الشـريف القائـل: إن أثـر السنة السيئة يراه الفاعل لتلك السنّة ويراه السّانُّ للسنّة السيئة.

وهذه ثمرة مبنية على النتائج الحاصلة في بحـث أعمـال الإنسـان وكيفيـة الجزاء بها في الآخرة، فإذا ثبت من خلال البحـث أن أعمـال البشـر تتجسـد وتظهر بصورة مفرحة لفاعل الأعمال الحسنة، كما أنها تظهـر بصـورة محزنـة مخيفة لفاعل الأعمال القبيحة، أمكننا القول بأنّ هـذا الجسـم وهـذه الصـورة المحزنة المخيفة تظهر لشخصين في ذلك العـالم الأُخـروي، أحـدهما: فاعـل العمل القبيح، ثانيها: سانّ السنة القبيحة، وتكون ملازمة لهما معاً.

ثمّ إنّ ما ذكرناه أحد الوجوه، في رفع التعـارض، ويمكـن أن توجـد فـي البين وجوه أُخرى يخرجنا تفصيلها عمّا رسمناه لموضوعنا.

الثمرة الثالثة: إسقاط سؤال

ومن جملة ثمرات بحث تجسّم الأعمال التي يقوم بها البشر في القبر والمحشر الجوابُ عن سؤال بإسقاطه من أصله، والسؤال: ما هو الغرض من عقوبة الإنسان في الآخرة، هل العقوبة للتشفّي كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّه سُلطاناً فَلا يُسرِفْ فى القَتلِ إنَّهُ كانَ مَنْصُوراً**﴾[١]؟ علماً أنّ هذه الغاية منتفية في جانب المولى جلّ وعلا، فإن الله سبحانه وتعالى أجلّ من أن يكون له هذا الداعي، وأنّ القول به يستلزم طروء الانفعال إلى ذاته، والله سبحانه وتعالى أجلّ من ذلك.

إن قلت: إنّ العقوبة تكون لأجل اعتبار الآخرين.

قلت: إنّ هذا الكلام يصح في العقوبة التي تقع على الإنسان في دار التكليف والعمل، لا في دار الجزاء والحساب والثواب. وإنّ اعتبار الآخرين بالعقوبة واضح وصريح في قوله تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٢].

والقطعة القرآنية الآخيرة قرينة على أنّ الغاية الموجودة من جلد الزاني في الحياة الدنيا هي العِبرة، وإن شئت قلت: إنّ هذا أحد الغايات في جلد الزاني. قال السيد الروحاني في (منتقى الأصول): إنّ العقاب الثابت بعنوان التأديب كالعقاب الدنيوي لا يحكم العقل بثبوته في الآخرة، لأنه لغوٌ محض[٣].

وبالنتيجة يحق لنا القول بعدم الموجب للعقوبة في دار الآخرة، فلماذا هذا

---

١. الإسراء: ٣٣ .

٢. النور: ٢ .

٣. منتقى الأصول: ٤: ٢٨ .

العذاب الأُخروي؟

وهنا نقول: إنّ هذا السؤال ساقط من أصله إذا ثبت لنا كون العقوبة لازمةً للذنب في دار الآخرة، وهي مثل الآثار الوضعية، بمعنى وجود الارتباط الضروري بين الذنب والعقاب الأُخروي. بيان ذلك: أنّ القول بتجسّم الأعمال الإنسانية في الآخرة وأنها بمنزلة الآثار الوضعية للأعمال يسقط السؤال عن أنّه لماذا يُعاقَب المسيء؟ فإنّه بمنزلة السؤال: لماذا يسكر مَن شرب الخمر؟ فكما أنّ الأثر وضعيّ في الأخير فكذلك العقاب الأُخروي يكون من هذا القبيل. وعندئذٍ لا يصحّ السؤال عن علّة وقوع العقوبة الأُخروية، بل هي لازم من لوازم أعمال الإنسان[1].

ثم إنه قد يسأل سائل ويقول: بناءً على قولكم أنّ العقاب في دار الآخرة ملازم للفعل الذي يقوم به الإنسان في دار الدنيا، وأنّ الذي كان يفعل الحسنات تتجسد حسناته أُموراً مفرحة، تلازمه في القبر والمحشر، والذي يفعل السيئات تتجسد سيئاته أُموراً مخيفة تلازمه في القبر والمحشر. وهذا مخالف للأدلة القرآنية والروائية القائلة بأنّ العقاب والثواب من الأُمور الربانية التي تتعلق بها مشيئته وإرادته فله أن يعاقب المسيء وله أن يعفو.

قلت: أنحاء العقاب والثواب يوم القيامة عديدة مختلفة: فمنها ما كان بصور الأعمال وتجسّمها، ومنها ما كان بالفضيحة، ومنها ما كان بالحساب واللوم، ومنها ما كان بالنار بأمر الزبانية الشداد الغلاظ، ومنها غير ذلك، ومع كلّ هذا المرحمة والشفاعة حاكمتان على الكلّ.

---

١. أُنظر: **الإلهيات** لجعفر سبحاني ١: ٢٩٥ .

الثمرة الرابعة: إسقاط إشكال

ومن جملة ثمرات بحث تجسّم الأعمال: الجواب عن سؤال بإسقاطه من أصله، بيان ذلك: إنّ من السنن العقلية المقررة الثابتة مساواةُ العقوبة للجرم كماً وكيفاً، وهذه المعادلة منتفية في العقوبات الأُخروية، فنرى في الآيات القرآنية الكريمة ما يشير إلى خلود قسمٍ من المجرمين في النار، مع أنّ معصيتهم في الحياة الدنيا لم تتعدَّ أياماً قلائل، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١].

وكقوله تعالى: ﴿وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[٢].

وهذا السؤال ساقط من أصله لو بحثنا في مسألة أعمال الإنسان ووصلنا إلى أن العقوبة مثل الأثر الوضعي الثابت للعمل في الدنيا، فلا مطابقة هنا بين العمل وأثره، فالسائق الغافل لحظة واحدة قد يتحمّل خسارات كبيرة لا يوفيها إلى آخر عمره. والإنسان الباذر بذره في لحظة يحصل ويحصد خيرها دائماً أو لمدة وزمان أكثر من زمان وضع البذر في الأرض.

وعلى هذا فإن كان عمل الإنسان في الحياة بذوراً لما يحصده في الآخرة، فلا مانع من أن تكون النتيجة دائمية والعمل آنياً قصير المدة. وهذا كاف لإسقاط السؤال من أساسه. وآيات القرآن الكريم كفيلة ببيان أن الأفعال الواقعة في مدة قصيرة تورث حسرة كبيرة[٣]. وبعبارة أدق: إنّ ما ذكره العقلاء من لزوم مساواة العقوبة للذنب والجرم مما لا أساس لها ـ بناءً على القول

---

١. البقرة: ٣٩ .

٢. التوبة: ٦٨ .

٣. أُنظر: **الالهيات** لجعفر سبحاني ١: ٣٠٠ .

بالملازمة بين الفعل وبين نتائجه ـ وهذا واضح في كثير من الامور الدنيوية.

الثمرة الخامسة: لزوم التقوى

ومن ثمرات تجسّم الأعمال في الآخرة أنه يجب عقلاً المواظبةُ على ترك الأخلاق السيئة، والمراقبة الشديدة على تزكية النفس عن الرذائل وتحلّيها بالمكارم والمحاسن، حذراً من الوقوع في تلك المهالك، ولأجل ذلك قيل بالاحتياط في الشبهات، لأنّ تبعات السائل المشكوك كونه خمراً تظهر ـ كسكرها ـ في اليوم الآخر[1].

وبعبارة أوضح: إن العمل الإنساني القبيح، مثل شرب الخمر، له آثار تظهر في الحياة الدنيا، وهي الإسكار، وله آثار تظهر في الدار الآخرة وهي تصوُّره بصورة قبيحة، وتجسّمه بجسم قبيح لا يفارقه في القبر والقيامة. وتصديق الإنسان بهذه الصورة يكوِّن عنده رادعاً أقوى عن ارتكاب المعاصي.

خلاصة الفصل الأول:

يرى القارئ الكريم بعد مروره على جملة من الآيات القرآنية والروايات الشريفة الواردة عن بيت الوحي والرسالة محمد وآله الطاهرين، أنّ مسألة تجسّم الأعمال في القبر والمحشر أمر ليس بالبعيد، بل قد ظهر من بعض الأدلة أنّ التجسّم قد حصل في دار الدنيا. كما أنه لا توجد قرينة من النقل للحمل على المجاز وصرف النظر عن الظاهر، ولا من العقل بعد إثبات إمكان ذلك وعدم استحالته.

---

١. أُنظر: **العوائد والفوائد** للسيّد مصطفى: ٣٥ .

الفصل الثاني

تجسّم الملائكة والجن والشياطين

الملائكة من مخلوقات الله تعالى والتي لها أثر كبير في الحياة الإنسانية، لكن مع ذلك لم تكن رؤيتها وبروزها للإنسان بصورة مألوفة، وقد خُصِّص هذا الفصل لبيان الحالات والموارد التي ظهرت فيه هذه المخلوقات وبرزت بصورة جسم يتكلّم مع الإنسان ويدافع عنه في مواقف المحنة والشدّة.

والسؤال: كيف يتمثّل المَلَك لبعض الناس دون بعض، فإذا رأى الإنسان صورته فهل هي صورته الحقيقية أو هي مثال يتمثّل به، وإن كانت صورته الحقيقية فكيف يُرى بصور مختلفة، وكيف يُرى في وقت واحد في مكانين على صورتين؟

في الجواب عن هذا السؤال يقول صدر الدين الشيرازي: إنّ الملك له صورة حقيقية لا تُدرَك بالمشاهدة إلاّ بأنوار النبوة، فما رأى النبيﷺ جبرئيل في صورته الحقيقية إلاّ مرتين، وذلك أنهعليه السلام سأله أن يُرِيَ نفسه على صورته فواعده ذلك بِحِراء[1] فطلع جبرئيل فسدّ الأفق إلى المغرب. ورآه مرة أُخرى

---

١. اسم مكان في الجزيرة العربية، وفي **مجمع البحرين** حراء: جبلٌ بمكة. (**مجمع البحرين** ١: ٤٩٩).

على صورته ليلة المعراج عند سِدرة المنتهى[١]، وقد وقع في الرواية عنهﷺ أنه قال: «رأيت مرة جبرئيل كأنه طبّق الخافقَين»، وإنما كان يراه في صورة الآدمي غالباً، وكان يراه في صورة دِحْية الكلبي، وكان رجلاً حسن الوجه[٢].

ولكي تتضح جوانب المبحث لا بأس أن نبين مختصراً حول ماهية الملائكة، قال العلّامة المجلسي: إعلم أنّه أجمعت الإمامية بل جميع المسلمين ـ إلاّ من شذّ منهم من المتفلسفين ـ على وجود الملائكة، وأنّهم أجسام لطيفة نورانية أُولو أجنحة مَثْنى وثُلاث ورُباع وأكثر، قادرون على التشكّل بالأشكال المختلفة، وأنه سبحانه يورد عليهم بقدرته ما يشاء من الأشكال والصور على حسب الحِكَم والمصالح، ولهم حركات صعوداً وهبوطاً، وكان يراهم الأنبياء والأوصياءعليهم السلام. والقول بتجرّدهم وتأويلهم بالعقول والنفوس الفلكية والقوى والطبائع وتأويل الآيات المتظافرة والأخبار المتواترة، تعويلاً على شبهات واهية واستبعادات وهمية زَيغٌ عن سبيل الهدى، واتّباع لأهل الجهل والعمى[٣].

وقال المحقق الدواني في (شرح العقائد): الملائكة أجسام لطيفة قادرة على التشكّلات المختلفة[٤].

وقال شارح المقاصد: ظاهر الكتاب والسنة ـ وهو قول أكثر الأمة ـ أنّ الملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكلات بأشكال مختلفة كاملة في

---

١. شجرة في أقصى الجنة إليها ينتهي علم الملائكة . (**مجمع البحرين** ٤: ٣٨٣).

٢. **المبدأ والمعاد** لصدر الدين محمّد الشيرازي: ٣٠٠ .

٣. **بحار الأنوار** ٥٦: ٢٠٢ .

٤. حكاه المازندراني في: **شرح أصول الكافي** ١١: ٤٢٠ عن أكثر أهل الإسلام، وفي **بحار الأنوار** ٥٦: ٢٠٣ عن الدواني .

العلم والقدرة على الأفعال الشاقة. شأنها الطاعة، ومسكنها السماوات، وهم رسل الله تعالى إلى أنبيائه وأمنائه على وحيه، يسبحون الليل والنهار لا يَفتُرون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وقال: الملائكة عند الفلاسفة هم العقول المجردة والنفوس الفلكية، ويخصّ باسم الكروبيين ما لا تكون له علاقة مع الأجسام ولو بالتأثير[١].

كلام الفخر الرازي

قال الفخر الرازي في تفسيره: إن الناس اختلفوا في ماهية الملائكة وحقيقتهم، وطريق ضبط المذاهب أن يقال: الملائكة لابدّ وأن تكون ذوات قائمة بأنفسها، ثمّ إنّ تلك الذوات إما أن تكون متحيزة أو لا تكون.

أما الأول: وهو أن تكون الملائكة ذوات متحيزة، فهنا أقوال:

أحدها: أنها أجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل بأشكال مختلفة مسكنها السماوات، وهذا قول أكثر المسلمين.

وثانياً: قول طوائف من عبدة الأوثان، وهو أن الملائكة هي الحقيقة في هذه الكواكب الموصوفة بالإسعاد والإنحاس، فإنها بزعمهم أحياء ناطقة، وأن المسعدات منها ملائكة الرحمة، والمنحسات منها ملائكة العذاب.

وثالثها: قول معظم المجوس والثنوية، وهو أن هذا العالم مركب من أصلين أزليين، وهما: النور والظلمة، وهما في الحقيقة جوهران شفّافان مختاران قادران، متضادا النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير، فجوهر النور فاضل خير، نقي طيب الريح، كريم النفس، يسرّ ولا يضرّ، وينفع ولا يمنع، ويحيي ولا يُبلي، وجوهر الظلمة على ضدّ ذلك.

---

١. شرح المقاصد في علم الكلام ٦: ٥٤ .

ثمّ إنّ جوهر النور لم يزل يولد الأولياء، وهم الملائكة لا على سبيل التناكح، بل على سبيل تولد الحكمة من الحكيم والضوء من المضيء. وجوهر الظلمة لم يزل يولّد الأعداء وهم الشياطين، على سبيل تولّد السفه من السفيه لا على سبيل التناكح. فهذه أقوال من جعل الملائكة أشياء متحيزة جسمانية.

القول الثاني: أنّ الملائكة ذوات قائمة بأنفسها وليست بمتحيزة ولا بأجسام، فهاهنا قولان:

أحدهما: قول طوائف من النصارى، وهو أنّ الملائكة في الحقيقة هي الأنفس الناطقة المفارقة لأبدانها على نعت الصفاء والخيرية، وذلك لأن هذه النفوس المفارقة إن كانت صافية خالصة فهي الملائكة، وإن كانت خبيثة كَدِرة فهي الشياطين.

وثانيهما: قول الفلاسفة: وهي أنّها جواهر قائمة بأنفسها وليست بمتحيزة البتة، وأنها بالماهية مخالفة لأنواع النفوس الناطقة البشرية، وأنها أكمل قوة منها وأكثر علماً منها، وأنها للنفوس البشرية جارية مجرى الشمس بالنسبة إلى الأضواء.

ثمّ إنّ هذه الجواهر على قسمين، منها: ما هي بالنسبة إلى أجرام الأفلاك والكواكب كنفوسنا الناطقة بالنسبة إلى أبداننا.

ومنها: ما هي لا على شيء من تدبير الأفلاك، بل هي مستغرقة في معرفة الله ومحبته ومشتغلة بطاعته، وهذا القسم هم الملائكة المقربون، ونسبتهم إلى الملائكة الذين يدبرون السماوات كنسبة أولئك المدبّرين إلى نفوسنا الناطقة.

فهذان القسمان قد اتفقت الفلاسفة على إثباتهما، ومنهم من أثبت أنواعاً أُخر من الملائكة، وهي الملائكة الأرضية المدبّرة لأحوال هذا العالم

السفلي[١].

هذا ما قيل أو يقال في بيان حقيقة وماهية الملائكة، وعلى أي حال فهي من جملة مخلوقات الله سبحانه وتعالى ـ المصرَّح بذكرها في القرآن الكريم وفي السنة الشريفة ـ المختفية عن بصر الإنسان في الغالب ولم يكن لها بروز وظهور وتشكّل إلاّ في حالات معينة ولأشخاص معينين ممن اختصهم الله برحمته.

والآن نعرض للقارئ الكريم بعض مفردات بروز الملائكة وظهورها للإنسان بصور وأشكال مختلفة.

تبدّل المَلَك إلى حجر

الحجر الأسود ملك من عظيم ملائكة الله تعالى كان في الجنّة ونزل إلى الأرض وله تاريخ قديم، وهو الأمين على خلق الله تعالى، والناس يجددون العهد عنده في كلّ سنة في موسم الحج، وماهية الحجر الأسود نعرفها من طريق الوحي المقدس، فقد نُقل عن بُكَير بن أعيَن قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: هل تدري ما كان الحجر؟ قال: قلت: لا.

قال: كان ملكاً من عظماء الملائكة عند الله عزّ وجلّ، فلمّا أخذ الله من الملائكة الميثاق كان أول من آمن به وأقرّ ذلك الملك، فاتّخذَه الله أميناً على جميع خلقه، فألقمه الميثاق وأودعه عنده. واستعبد الخلقَ أن يجددوا عنده في كلّ سنة الإقرارَ بالميثاق والعهد الذي أخذ الله عزّ وجلّ عليهم، ثمّ جعله الله مع آدم في الجنّة يذكّره الميثاق ويجدد عنده الإقرار في كلّ سنة. فلمّا عصى آدم فأُخرِج من الجنّة أنساه الله العهد والميثاق الذي أخذ الله عليه

---

١. تفسير الرازي٢: ١٦٠.

وعلى وُلده لمحمّد صلى الله عليه وآله ووصيه عليه السلام وجعله تائهاً حيراناً.

فلمّا تاب الله على آدم حَوّل ذلك الملك في صورة درة بيضاء فرماه من الجنّة إلى آدم عليه السلام وهو بأرض الهند، فلمّا نظر إليه آنس إليه وهو لا يعرفه بأكثر من أنّه جوهرة، فأنطقه الله عزّ وجلّ فقال له: يا آدم أتعرفني؟ قال: لا. قال: أجل استحوذ عليك الشيطان فأنساك[١] ذكر ربّك. وتحول إلى الصورة التي كان بها في الجنّة مع آدم، فقال لآدم: أين العهد والميثاق؟ فوثب إليه آدم وذكر الميثاق وبكى وخضع له وقبّله وجدّد الإقرار بالعهد والميثاق، ثمّ حوّله الله عزّ وجلّ إلى جوهرة الحجر درة بيضاء صافية تضيء، فحمله آدم على عاتقه[٢] إجلالاً له وتعظيماً.

فكان إذا أعيا حَمَلَه عنه جبرئيل عليه السلام حتّى وافى به مكة، فما زال يأنس به بمكة ويجدد الإقرار له كلّ يوم وليلة.

ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ لما أهبط جبرئيل إلى أرضه وبنى الكعبة، هبط إلى ذلك المكان بين الركن والباب، وفي ذلك الموضع تراءى لآدم حين أخذ الميثاق. وفي ذلك الموضع أُلقم الملك الميثاق، فلتلك العلة وضع في ذلك الركن، ونُحّي آدم من مكان البيت إلى الصفا وحواء إلى المروة وجُعل الحجر في الركن، فكبّر الله وهلّله ومجّده، فلذلك جرت السنة بالتكبير في استقبال الركن الذي فيه الحجر من الصفا[٣]. الخبر.

---

١. من لا يجوّز الإنساء على الأنبياء يؤوّل النسيان على الترك، ومن المحتمل أن يكون المراد بذكر الرب النبي والأئمة عليهم السلام (**مرآة العقول** ١٧: ٦) أقول: هذا بعيد.

٢. العاتق ما بين المَنكِب والعنق.

٣. **الكافي** ٤: ١٨٥ / قطعة من ح ٣، **بحار الأنوار** ١١: ٢٠٥ . والسند هكذا: عن أبيه، عن محمّد العطار، عن الأشعري، عن موسى بن عمر، عن ابن سنان عن أبي سعيد القمّاط.

والمتحصّل من هذا أنّ الحجر الأسود كان في الجنّة، وكان ملكاً مقرباً وله معرفة قوية بنبي الله آدمعليه السلام، وكان نبي الله آدمعليه السلام يعرفه وكان قد رآه بشكله الأول قبل التحول إلى درة بيضاء، وقد نزل منها بعد نزول نبي الله آدم إلى الأرض وكان له صورتان، صورة حجر وصورة ملك، وقد عرفه آدمعليه السلام وحمله من موضع نزوله إلى أرض الكعبة الشريفة، نعم يبقى الكلام في أنّ الحجر الأسود نزل بعد نزول آدم من الجنّة في أرض الهند أو في أرض العرب؟ يظهر من الخبر المتقدم في الهند.

ويظهر من أخبار كثيرة أن الله تعالى أخذ الميثاق والإيمان بربوبيته وبنبوة نبيه المصطفى محمّدصلى الله عليه وآله وولاية علي بن أبي طالبعليه السلام وقد كان أسرعَ المقرّين بذلك الملك الذي أنزله الله تعالى إلى آدم وقد اختاره الله تعالى لذلك.

فقد جاء في الخبر أنّ الله أودعه الميثاق والعهد دون غيره من الملائكة؛ لأنّ الله عزّ وجلّ لما أخذ الميثاق له بالربوبية ولمحمدصلى الله عليه وآله بالنبوة ولعليعليه السلام بالوصية اصطكّت[1] فرائص الملائكة، فأول من أسرع إلى الإقرار ذلك الملك، لم يكن فيهم أشد حباً لمحمد وآل محمّدصلى الله عليه وآله منه، ولذلك اختاره الله من بينهم وألقمه الميثاق، وهو يجيء يوم القيامة وله لسان ناطق وعين ناظرة، يشهد لكل من وافاه إلى ذلك المكان وحفظ الميثاق[2].

١. أي اضطربت، والظاهر أنّه كان للدهشة وعِظم الأمر وتأكيد الفرض وخوف أن لا يأتوا في ذلك بما ينبغي.

٢. **الكافي** ٤: ١٨٦ / ذيل ح ٣.

علة وضع الحجر في الركن

نحن نعلم أنّ الحجر الأسود موجود في ركن الكعبة الشريفة، وأنّ هذا المكان قد كان باختيار الله وأمره سبحانه، لكن قد يخطر بالبال البحث عن علة وضعه في الركن، وهذه الخواطر قد وردت في أذهان جماعة مثل بكير حيث سأل الإمام الصادقعليه السلام عن ذلك، وقد أجابه صلوات الله عليه عن أسئلته مفصلاً.

روى الكليني في (الكافي) بسنده عن بكير قال: سألت أبا عبد اللهعليه السلام لأي علّة وضع الله الحجر في الركن الذي هو فيه ولم يُوضَع في غيره؟ ولأي علّة يُقبَّل؟ ولأي علّة أُخرج من الجنّة؟ ولأي علّة وُضع ميثاق العباد والعهد فيه ولم يوضع في غيره؟ وكيف السبب في ذلك؟ تخبرني جعلني الله فداك، فإن تفكّري فيه لعجب.

وبعد أن سمع الإمام الصادقعليه السلام أسئلة بكير شرع في إجابته مبيناً له تاريخ نزول الحجر الأسود من الجنّة، وأنّ علّة وضعه في الركن هي الميثاق، وسرّ الميثاق تسمعه من كلام الإمامعليه السلام حيث قال مخاطباً بكير: سألتَ وأعضلت في المسألة[1] واستقصيت، فافهَمِ الجواب وفرّغ قلبك واصغِ سمعك أُخبرك إن شاء الله.

إنّ الله تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود، وهي جوهرة أُخرجت من الجنّة إلى آدمعليه السلام فوُضعت في ذلك الركن لعلّة الميثاق، وذلك أنّه لما أُخذ من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم حين أخذ الله عليهم الميثاق في ذلك المكان وفي

---

١. أي جئت بمسألة معضلة مشكلة .

ذلك المكان تراءى لهم[١]، ومن ذلك المكان يهبط الطير على القائم عليه السلام.

فأول من يبايعه ذلك الطائر، وهو والله جبرئيل عليه السلام، وإلى ذلك المقام يسند القائم عليه السلام ظهره، وهو الحجة[٢] والدليل على القائم عليه السلام، وهو الشاهد لمن وافى ذلك المكان والشاهد على من أدى إليه الميثاق والعهد الذي أخذ الله عزّ وجلّ على العباد.

وأما القُبلة والاستلام فلعلّة العهد تجديداً لذلك العهد والميثاق، وتجديداً للبيعة ليؤدوا إليه العهد الذي أخذ الله عليهم في الميثاق، فيأتوه في كلّ سنة ويؤدوا إليه ذلك العهد والأمانة اللذَين أُخذا عليهم. ألا ترى أنّك تقول: أمانتي أدّيتُها، وميثاقي تعاهدته، لتشهد لي بالموافاة. ووالله ما يؤدي ذلك أحد غير شيعتنا، ولا حَفِظ ذلك العهد والميثاق أحد غير شيعتنا.

ثمّ بيّن الإمام الصادق عليه السلام بعض خصائص الحجر الأسود وهو مستقر في ذلك المكان المقدس، فقال: وإنّهم ليأتوه فيعرفهم ويصدّقهم، ويأتيه غيرهم فينكرهم ويكذّبهم، وذلك أنّه لم يحفظ ذلك غيرُكم، فلكم واللهِ يشهد وعليهم واللهِ يشهد بالخَفر[٣] والجحود والكفر. وهو الحجة البالغة من الله عليهم يوم القيامة، يجيء وله لسان ناطق وعينان في صورته الأُولى يعرفه الخلق ولا ينكره، يشهد لمن وافاه وجدّد العهد والميثاق عنده، بحفظ العهد والميثاق وأداء الأمانة، ويشهد على كلّ مَن أنكر وجحد ونسي الميثاق بالكفر والإنكار[٤].

---

١. تراءى لهم: أي ظهر لهم الشيء حتى رأوه.

٢. الضمير إما راجع إلى الحجر أو إلى الطائر، والأول أظهر.

٣. الخَفر: نقض العهد والغدر.

٤. **الكافي** ٤: ١٨٤/ ح٣ والسند هكذا: محمّد بن يحيى وغيره عن محمّد بن أحمد، عن موسى ابن عمر، عن ابن سنان، عن أبي سعيد القماط، عن بُكير بن أعيَن.

فاتّضح من الكلام المتقدّم أنّ الحجر الأسود كان ملكاً من ملائكة الله المقربين، وكان مستقراً في الجنّة مع نبي الله آدم، وكان من المسرعين للإقرار بنبوة خاتم الرسل محمّدﷺ وبإمامة أمير المؤمنين‌عليه السلام، وأنه من الشاهدين على عباد الله. وعلى هذا فإن نزوله من الجنّة إلى الأرض لأجل مأمورية ربانية رحمانية، لا أنها عقوبة له. ثم إنه قد اتضح لك خلال ثنايا الخبر المتقدم نوع آخر من التبدّل والتجسّم، وهو بروز الملك جبرئيل بصورة طير يبايع القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف.

تبدّل ملك الموت لإدريس‌عليه السلام

كان يُرفع لنبي الله إدريس‌عليه السلام كلّ يوم من العبادة مِثلُ ما يرفع لأهل الأرض في زمانه، فعجبت منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربَّه في زيارته فأذن له، فأتاه في صورة آدمي، وكان إدريس‌عليه السلام يصوم النهار، فلمّا كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل، ففعل به ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس وقال له: مَن أنت؟!

قال: أنا ملك الموت، استأذنت ربي أن أصحبك فأذن لي، فقال: إن لي إليك حاجة. قال: وما هي؟

قال: أن تقبض روحي. فأوحى الله تعالى إليه أن اقبض روحه، فقبضه وردّها الله إليه بعد ساعة، وقال له ملك الموت: ما الفائدة في قبض روحك؟ قال: لأذوق كرب الموت فأكون له أشدّ استعداداً. ثمّ قال له إدريس بعد ساعة: إن لي إليك حاجة أُخرى. قال: وما هي؟

قال: أن ترفعني إلى السماء فأنظر إلى الجنّة والنار. فأذن الله تعالى له في رفعه إلى السماوات، فرأى النار فصُعق، فلمّا أفاق قال: أرني الجنة. فأدخله الجنة، ثمّ قال له ملك الموت: أُخرج لتعود إلى مقرك. فتعلق بشجرة وقال: لا

أخرج منها. فبعث الله تعالى بينهما ملكاً حَكَماً، فقال: ما لك لا تخرج؟ قال: لأنّ الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[١] وأنا ذقتُه[٢].

ومحصل القصّة كما قرأتَ أنّ ملك الموت زار نبي الله إدريس في صورة آدمي وانقلب إلى صورة مخيفة وإلى صورة مفرحة. هذا وإذا خطر في ذهنك نقاش أو اعتراض على هذه الرواية فنقول لك: هذه القصّة رواها وهب بن منبه القصاص، وفيها ما فيها.

هلاك قوم لوط

ملائكة الله الصالحين لهم هيئات متعددة، يتزيَّون بـزِيّ البشر ويتشكّلون بأشكالهم، بل بأجمل هيئة من هيئاتهم وأحسنها، وفي الأخبار أنّ جماعة من الملائكة زارت نبي الله إبراهيم فلم يعرفهم أول الأمر، لكن بعد التدقيق والتأمل ورؤية العلامات عرفهم، وهكذا كان الأمر مع نبي الله لوط إلى أن جرى ما جرى وأُهلِك القوم الظالمون.

روى علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضّال، عن داود بن فرقد، عن أبي يزيد الحمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الله عزّ وجلّ بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وكروبيل، فمرّوا بإبراهيم عليه السلام وهم معتمّون فسلموا عليه فلم يعرفهم، ورأى هيئة حسنة فقال: لا يخدم هؤلاء إلاّ أنا بنفسي. وكان صاحب ضيافة، فشوى لهم عجلاً سميناً حتى أنضجه ثم قرّبه إليهم، فلمّا وضعه بين أيديهم رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خِيفة، فلمّا رأى ذلك جبرئيل حسر العمامة عن وجهه

---

١. آل عمران: ١٨٥ .

٢. **تفسير القرطبي** ١١: ١١٩ .

فعرفه إبراهيم. فقال: أنت هو؟ قال: نعم.

ومرت سارة امرأته فبشرها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب.

فقالت: ما قال الله عز وجل؟ فأجابوها بما في الكتاب، فقال لهم إبراهيم: لماذا جئتم؟

قالوا: في إهلاك قوم لوط، فقال لهم: إن كان فيهم مائة من المؤمنين أتهلكونهم؟

فقال: جبرئيل: لا، قال: فإن كان فيها خمسون؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها ثلاثون؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها عشرون؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها عشرة؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها خمسة؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها واحد؟ قال: لا، قال: فإنّ **﴿فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِين﴾**[1].

قال الحسن بن علي[2]: قال: لا أعلم هذا القول إلا وهو يستبقيهم، وهو قول الله عز وجل: **﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾**[3] فأتوا لوطاً وهو في زراعة قرب القرية، فسلّموا عليه وهم مُعتمّون، فلمّا رأى هيئةً حسنة عليهم ثياب بِيض وعمائم بيض، فقال لهم: المنزل؟ فقالوا: نعم. فتقدمهم ومشوا خلفه، فندم على عرضه المنزل عليهم، فقال: أيَّ شيء صنعت، آتي بهم قومي وأنا أعرفهم، فالتفت إليهم فقال: إنكم لَتأتون شراراً من خلق الله.

قال: فقال جبرئيل: لا نعجّل عليهم حتى يشهد عليهم ـ ثلاث مرات ـ، فقال جبرئيل: هذه واحدة. ثم مشى ساعة ثم التفت إليهم فقال: إنكم لتأتون

---

١. العنكبوت: ٣٢.

٢. أي ابن فضال راوي الخبر.

٣. هود: ٧٤.

شراراً من خلق الله. فقال وجبرئيل: هذه ثنتان. ثم مشى، فلما بلغ باب المدينة التفت إليهم فقال: إنكم لتأتون شراراً من خلق الله. فقال جبرئيل عليه السلام: هذه الثالثة. ثمّ دخل ودخلوا معه حتّى دخل منزله، فلما رأتهم امرأته رأت هيئة حسنة، فصعدت فوق السطح وصفّقت فلم يسمعوا فدخّنت، فلما رأوا الدخان أقبلوا إلى الباب يُهرَعون حتى جاؤوا إلى الباب، فنزلت إليهم فقالت: عنده قوم ما رأيت قوماً قطُّ أحسنَ هيئة منهم. فجاؤوا إلى الباب ليدخلوا، فلما رآهم لوط قام إليهم فقال لهم: يا قوم: ﴿فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[2]، فدعاهم إلى الحلال، فقالوا: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾[3]. فقال لهم: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[4]، فقال جبرئيل: لو يعلم أيُّ قوة له! قال: فكاثروه حتى دخلوا البيت، فصاح به جبرئيل فقال: يا لوطُ دَعْهم يدخلوا. فلما دخلوا أهوى جبرئيل عليه السلام بإصبعه نحوهم فذهبت أعينهم، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾[5]. ثم ناداه جبرئيل فقال له: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾[6]، وقال له جبرئيل: إنّا بُعِثنا في إهلاكهم.

---

١. هود: ٧٨ .

٢. هود: ٧٨ .

٣. هود: ٧٩ .

٤. هود: ٨٠ .

٥. سورة القمر: ٣٧ . وفي نسخة (**الكافي**): فَطَمَسْنا على أعْيُنِهم، وفي سورة يسٓ، الآية ٦٦: ﴿لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾.

٦. هود:٨١ .

فقال: يا جبرئيل: عجّل، فقال: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[١]. فأمره، فيحمل هو ومن معه إلاّ امرأته، ثم اقتلعها ـ يعني المدينة ـ جبرئيل بجَناحَيه من سبعة أرضين، ثم رفعها حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصراخ الديوك، ثم قلبها وأمطر عليها وعلى من حول المدينة حجارة من سجّيل[٢].

وقد اتّضح لك من خلال عبارات الرواية أن ملائكة الله الصالحين كانوا على هيئة البشر وصورتهم بدليل تسليمهم على نبي الله إبراهيم ونوح عليهما السلام وبدليل كونهم معتمين مع إقبال القوم الظالمين عليهم، فلو لم يكونوا على هيئة جنسهم لم يقبلوا عليهم.

تبدّل ملك الموت لإبراهيم عليه السلام

ذكرنا أن تبدّل الملائكة المقربين وتمثّلهم بصور مختلفة أمام أنبياء الله الصالحين كان أمراً عادياً، بل يظهر من الروايات أن تجسّمهم وتبدّلهم كان يحصل استجابة لأمر النبي المعصوم عليه السلام كما حصل ذلك لنبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام.

ورد في الحديث الشريف أنّ إبراهيم عليه السلام لقي ملكاً فقال له: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، فقال: أتستطيع أن تُريَني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن؟ قال: نعم، أعرض عني. فأعرض عنه فإذا هو شاب حسن الصورة، حسن الثياب، حسن الشمايل، طيب الرائحة. فقال: يا ملك الموت، لو لم يلق المؤمن إلاّ حُسنُ صورتك لكان حسبه.

---

١. هود: ٨١.

٢. **الكافي** ٥: ٥٤٦ / ح ٦.

قال له: هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر؟ قال: لا تطيق، فقال: بلى. فأعرض عنه، ثمّ التفت إليه فإذا هو رجل أسود قائم الشَّعر منتن الرائحة أسود الثياب، يخرج من فيه ومن مناخره النار والدخان، فغُشِيَ على إبراهيم، ثمّ أفاق. وقد عاد ملك الموت إلى حالته الأُولى، فقال: يا ملك الموت، لو لم يلق الفاجر إلاّ صورتك، لَكَفَته[١].

وهذه الحكاية بيّنت أن ملك الموت له ثلاث صور:

الأولى: وهي الصورة التي لم يعرفه نبي الله إبراهيم عليه السلام.

الثانية: وهي الصورة التي يتصوّر بها حين قَبضِ روح المؤمن.

الثالثة: الصورة التي يتصوّر بها حين قبض روح الكافر.

ونظير هذا المضمون نقله الطبري في (جامع البيان) حيث نقل عن السدي أنه قال: لما اتّخذ الله إبراهيم خليلاً سأل ملكُ الموت ربَّه أن يأذن له أن يبشّر إبراهيم بذلك، فأذن له، فأتى إبراهيم وليس في البيت فدخل داره، وكان إبراهيم أغيرَ الناس، إن خرج أغلق الباب، فلمّا جاء وجد في داره رجلاً، فثار إليه ليأخذه، قال: من أذن لك أن تدخل داري؟

قال ملك الموت: أذن لي ربّ هذه الدار، قال إبراهيم: صدقت! وعرف أنه ملك الموت، قال: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت جئتك أبشّرك بأنّ الله قد اتخذك خليلاً. فحمد الله وقال: يا ملك الموت أرني الصورة التي تقبض فيها أنفاس الكفار. قال: يا إبراهيم لا تطيق ذلك. قال: بلى. قال: فأعرِضْ. فأعرض إبراهيم ثمّ نظر إليه، فإذا هو برجل أسود تنال رأسه السماء، يخرج من فيه

---

١. **غوالي اللآلي** لابن أبي جمهور الأحسائي ١: ٢٧٤ / ح ١٠٠ وعنه في **بحار الأنوار** ٦: ١٤٣ وج ١٢: ٧٤ . وفي **المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء** ج ٨: ٢٥٩ عن **جامع الأخبار** الفصل ١٣٥.

لهب النار، ليس من شعرة في جسده إلاّ في صورة رجل أسود يخرج من فيه ومسامعه لهب النار، فغُشِي على إبراهيم، ثمّ أفاق وقد تحول ملك الموت في الصورة الأولى.

فقال: يا ملك الموت لو لم يلق الكافر عند الموت من البلاء والحزن إلاّ صورتك لكفاه، فأرني كيف تقبض أنفاس المؤمنين. قال: فأعرِض! فأعرض إبراهيم ثمّ التفت، فإذا هو برجل شاب أحسن الناس وجهاً وأطيبه ريحاً، في ثياب بيض، فقال: يا ملك الموت لو لم يكن للمؤمن عند ربه من قرة العين والكرامة إلاّ صورتك هذه لكان يكفيه[1].

نعم هنا تساؤل عن السرّ الذي يأمر به ملك الموت نبي الله إبراهيمعليه السلام بالإعراض عندما يريد التحول من حالة إلى أخرى؟

تبدّل ملك الموت لموسىعليه السلام

حكت الأخبار حواراً بين نبي الله موسى بن عمرانعليه السلام وبين ملك الموت عزرائيل، وكانت نتيجتها أن تأجلت وفاة النبي إلى حين، فرأى شخصاً يحفر قبراً فأعانه عليه ونام في القبر فقبض الله روحه، وكان الحافر للقبر مَلَكاً، ففي الخبر عن محمّد بن عمارة، عن أبيه، قال: قلت للصادقعليه السلام: أخبرني بوفاة موسى بن عمرانعليه السلام، فقال: إنه لما أتاه أجله واستوفى مدته وانقطع أكله، أتاه ملك الموت فقال له: السلام عليك يا كليم الله. فقال موسى: وعليك السلام، من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت: قال: ما الذي جاء بك؟ قال: جئت لأقبض روحك. فقال له موسىعليه السلام: من أين تقبض روحي؟ قال: من فمك، قال له موسى: كيف وقد كلّمتُ به ربي جل جلاله! قال: فمن يدَيك. قال: كيف وقد

---

١. جامع البيان ٣: ٦٨ .

حملتُ بهما التوراة! قال: فمن رجلَيك. قال: كيف وقد وَطِئتُ بهما طور سَيناء! قال: فمن عينَيك؟

قال: كيف ولم تزل إلى ربي بالرجاء ممدودة! قال: فمن أُذنَيك. قال: كيف وقد سمعتُ بهما كلام ربي عزّ وجلّ!

قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك الموت: لا تقبض روحه حتى يكون هو الذي يريد ذلك. وخرج ملك الموت، فمكث موسى عليه السلام ما شاء الله أن يمكث بعد ذلك، ودعا يُوشَعَ بن نون فأوصى إليه وأمره بكتمان أمره، وبأن يُوصيَ بعده إلى من يقوم بالأمر، وغاب موسى عليه السلام عن قومه، فمر في غيبته برجل وهو يحفر قبراً، فقال له: ألا أعينك على حفر هذا القبر؟

فقال له الرجل: بلى. فأعانه حتى حفر القبر وسوى اللَّحد، ثمّ اضطجع فيه موسى بن عمران عليه السلام لينظر كيف هو، فكُشِف له عن الغطاء، فرأى مكانه من الجنة، فقال: يا ربِّ، اقبضني إليك. فقبض ملك الموت روحَه مكانه، ودفنه في القبر، وسوّى عليه التراب، وكان الذي يحفر القبر ملكاً في صورة آدمي، وكان ذلك في التِّيه، فصاح صائح من السماء: مات موسى كليم الله، فأي نفس لا تموت؟![١]

نعم هذه هي المنزلة العظمى التي أعطاها الله سبحانه وتعالى لنبي الله موسى بن عمران بحيث يكون قبض روحه ورحلته إلى ذلك العالم الأُخروي الأبدي في الوقت الذي يشاء وحسب اختياره، وقد وردت روايات أُخر تبين أنّ هذه المنزلة كانت لنبينا المصطفى محمد صلى الله عليه وآله، وأنه قُبِض ورحل إلى ذلك

---

١. **الأمالي** للصدوق: ٣٠٣ / ح ٣٤٣: حدثّنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثّنا الحسن بن علي السكري قال: حدثّنا محمّد بن زكريا البصري قال: حدثنا .. **كمال الدين**: ١٥٣ / ح ١٧ .

العالم باختياره، وقد فصّلنا ذلك في كتاب (الرسول المصطفىﷺ في عالم الآخرة)[1].

هذا ولكن مع الأسف قد دخلت الأخبار الموضوعة التي توهن وتقلل من منزلة أنبياء الله تعالى، فقد حكي عن الثعالبي أنه قال: وفي أساطير الأولين أن موسى سأل ربه أن يُعْلِمَه بوقت موته ليستعد لذلك، فلمّا كتب الله له سعادة المحتضَر أرسل إليه ملك الموت وأمره بقبض روحه بعد أن يخبره بذلك، فأتاه في صورة آدمي وأخبره بالأمر، فما زال يحاجّه ويلاجّه، وحين رآه نافذ العزيمة في ذلك لطمه لطمة فذهبت منها إحدى عينيه، فهو إلى الآن أعور! وفيه قيل:

يا مَلكَ الموتِ لَقِيتَ مُنكَراً لطمةُ موسى تَركَتْك أعورا

وأنا بريءٌ من عهدة هذه الحكاية[2].

وقال محمود أبو رية في كتاب (شيخ المضيرة) بعد نقل مجموعة من الأخبار ونقل شيء من كلام الثعالبي ونقل براءته من عهدة الحكاية: ومن العجيب أن يصف الثعالبي هذا الحديث بأنه من أساطير الأولين بعد أن رواه البخاري ومسلم، وهذا مما يدل على أنّ هذين الكتابين لم يكن لهما في القرون الأولى الإسلامية تلك القداسة التي جُعِلت لهما بعد ذلك، والثعالبي ـ كما هو معروف ـ قد مات في سنة ٤٣٠ هجرية[3].

---

١. لمزيد البيان نقول: بيّنا في كتاب **الرسول المصطفى ﷺ في عالم الآخرة** الأدوار التي يؤدّيها النبي الكريم في ذلك العالم المقدس من حين رحلته إلى حين استقراره في الرفيق الأعلى والكتاب مطبوع نشره دار الأثر في بيروت .

٢. **ثمار القلوب في المضاف والمنصوب**: ٥٣ / الرقم ٦٣ .

٣. **شيخ المضيرة أبو هريرة**: ٢٤٥ .

ونحن نقول: أحسن أبو رية وأجاد في كشف وبيان القيمة العلمية لهـذين الكتابين إلى ذلك الزمن.

تبدّل جبرئيل لمريم عليها السلام

تَمثُّل الملك المقرب جبرئيل للسيدة مريم العذراء بصورة بشر سوي، قـال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَـا مَكَانًـا شَـرْقِيًّا﴾[1]، قـال فـي (مجمع البيان): انفردت من أهلها إلى مكان في جهة المشرق، وقعدت ناحيـة منهم. قال ابن عباس: إنما اتَّخَذَت النصارى المشرق قِبلة؛ لأنها انتبذت مكانـاً شرقياً. وقيل: اتخذت مكاناً تنفرد فيه للعبادة، لئلا تشتغل بكلام النـاس، عـن الجبائي. وقيل: تباعدت عن قومها حتى لا يرونها، عن الأصم وأبي مسلم. وقيـل: إنها تمنّت أن تجد خلـوة فتفلّـي رأسـها، فخرجـت فـي يـوم شـديد البـرد، فجلست في مشرقة للشمس، عن عطا.

وقال تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أي: فضربت من دون أهلها ـ لئلّا يَرَوها ـ ستراً وحاجزاً بينها وبينهم، ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَـا﴾[2] يعنـي جبرائيـل، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، وغيرهم. وسـمّاه الله روحـاً لأنـه روحـاني، وأضافه إلى نفسه تشريفاً له، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَـراً سَـوِيًّا﴾ معنـاه: فأتاهـا جبرائيـل فانتصب بين يديها في صورة آدمي صحيح، لم ينقص منه شيء.

وقال أبو مسلم: إن الروح الذي خلق منه المسيح، تَصوَّر لها إنساناً. والأول هو الأوجه لإجماع المفسرين عليه.

وقال عكرمة: كانت مريم إذا حاضت خرجت من المسجد، وكانـت عنـد

---

١. مريم: ١٦ .

٢. مريم: ١٧ .

خالتها؛ امرأة زكريا أيام حيضها فإذا طهرت عادت إلى بيتها في المسجد. فبينا هي في مشرقة لها في ناحية الدار، وقد ضربت بينها وبين أهلها ستراً لتغتسل وتمتشط، إذ دخل عليها جبرائيل في صورة رجل شاب أمرد، سويّ الخلق، فأنكرته فاستعاذت بالله منه ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾[1]، معناه: إني أعتصم بالرحمن من شرّك، فاخرج من عندي إن كنت تقياً.

سؤال: يقال كيف شرطت في التعوذ منه أن يكون تقياً، والتقي لا يحتاج أن يُتعَوّذ منه، وإنما يُتعوّذ من غير التقي؟

والجواب: إن التقي إذا تُعوِّذ بالرحمن منه ارتدع عما يُسخط الله، ففي ذلك تخويف وترهيب له، وهذا كما تقول: إن كنت مؤمناً فلا تظلمني. فالمعنى: إن كنت تقياً فاتعظ واخرج. وروي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «عَلِمَت أنّ التقي ينهاه التقى عن المعصية». وقيل: إنّ معنى قوله: ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ ما كنت تقياً حيث استحللتَ النظر إليّ، وخلوت بي. فلمّا سمع جبرائيل عليه السلام منها هذا القول ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾[2] أي: ولداً طاهراً من الأدناس.

وقيل: نامياً في أفعال الخير. وقيل: يريد نبياً، عن ابن عباس[3].

فمعنى تمثّله لمريم عليها السلام ظهوره لها في صورة بشر، بمعنى أنّه كان في ظرف إدراكها على صورة بشر وهو في الخارج عن إدراكها على خلاف ذلك.

وهذا هو الذي ينطبق على معنى التمثّل اللغوي، فإن معنى تمثُّلِ شيءٍ لشيء في صورة كذا هو تصوّره عنده بصورته، وهو هو، لا صيرورة الشيء

---

١. مريم: ١٨ .

٢. مريم: ١٩ .

٣. مجمع البيان ٦: ٤١٠ .

شيئاً آخر. فتمثُّلُ الملك بشراً هو ظهوره لمن يشاهده في صورة الإنسان لا صيرورة الملك إنساناً، ولو كان التمثّل واقعاً في نفسه وفي الخارج عن ظرف الإدراك كان من قبيل صيرورة الشيء شيئاً آخر وانقلابه إليه لا بمعنى ظهوره له كذلك.

تبدّل جبرئيل للنبي صلى الله عليه وآله

الواسطة بين الله عزّ وجلّ وبين نبينا المكرم صلوات الله عليه هو الملك المقرَّب جبرئيل، وقد كان يأتي رسولَ الله صلى الله عليه وآله بأنحاء مختلفة، منها مثل صلصلة الجرس، ومنها بصورة رجل، وقد دلّت الأخبار على نزوله عليه بهيئة الصحابي المعروف دِحية الكلبي، فقد ورد عن محمّد بن يحيى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ أبا ذرّ أتى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه جبرئيل عليه السلام في صورة دحية الكلبي، وقد استخلاه رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا رآهما انصرف عنهما ولم يقطع كلامهما، فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمّد، هذا أبو ذرّ قد مرّ بنا ولم يسلّم علينا، أما لو سلّم لرددنا عليه. يا محمّد، إنّ له دعاءً يدعو به معروفاً عند أهل السماء، فسله عنه إذا عرجتُ إلى السماء.

فلما ارتفع جبرئيل جاء أبو ذرّ إلى النبي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما منعك يا أبا ذرّ أن تكون سلّمتَ علينا حين مررت بنا؟ فقال: ظننت يا رسول الله أنّ الذي كان معك دحية الكلبي قد استخليتَه لبعض شأنك.

فقال: ذاك جبرئيل عليه السلام يا أبا ذر، وقد قال: أما لو سلّم علينا لرددنا عليه. فلمّا علم أبو ذر أنه كان جبرئيل عليه السلام دخله من الندامة ـ حيث لم يسلّم عليه ـ ما شاء الله.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما هذا الدعاء الذي تدعو به؟ فقد أخبرني جبرئيل عليه السلام أنّ لك دعاءً تدعو به، معروفاً في السماء، فقال: نعم يا رسول الله،

أقول: اللهم إني أسألك الأمنَ والإيمان بـك، والتصـديقَ بنبيـك، والعافيـةَ مـن جميع البلاء، والشكرَ على العافية والغنى عن شرار الناس»[١].

وأما الذي جاء الملك المقرب بصورته فهو دحية بن خليفـة الكلبـي أحـد الصحابة، وكان جميلاً حسن الصورة، ويُـروى بكسـر الـدال وفتحهـا، وكـان دحية الكلبي حسن الصورة، ولذلك تمثّل جبرئيلعليه‌السلام بصورته، وكان من كبار أصحابهصلى‌الله‌عليه‌وآله وبقي إلى حكومة معاوية، وقد أرسله رسـول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله إلـى قيصـر سنة ست للهجرة، فآمن قيصر وأبت بَطارقتُه أن يؤمنوا، فأخبر بـذلك رسـول الله فقال: «ثبّت اللهُ مُلكَه»[٢].

وفيه منقبة عظيمة لأبي ذر، وحقيقـة جـواز رؤيـة الملائكـة علـى صـورة الآدميين، ولكنهم لا يعلمون أنهم ملائكة، لأنهم لا يقدرون على رؤيـتهم فـي صورهم الأصلية، وكان رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله يراه في صورة دحية، وقد رآه أيضاً في صورته الأصلية مراراً، وفيه أنّ الله سبحانه يجعل صور الملائكة متى شاء، في أي صورة شاء، وإنما كان يريه في صورة الإنسان ليؤانس به ولا يهوله لعظـم خلقه.

نُقل في (شرح الأخبـار) للقاضـي النعمـان المغربـي بإسـناده عـن ربيعـة السعدي رواية طويلة جاء فيها، أنّ حذيفة قال: إنّ رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله كـان يقـول لنا: «إذا رأيتم دحية الكلبي عنـدي جالسـاً فـلا يَقربْنـي أحـد مـنكم»، وكـان جبرائيل يأتيه في صورة دحية الكلبي، وأني أتيتـه يومـاً لأسـلّم عليـه فرأيتـه نائماً، ورأسه في حجر دحية الكلبي، فغمضت عيني ورجعـت، فلقينـي علـيٌّ

---

١. **الكافي** ٢: ٥٨٧ / ح ٢٥، والسند هكذا: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن محمد ابن يحيى، عن أبي عبد اللهعليه‌السلام.

٢. **الاستيعاب** لابن عبد البَر ٢: ٤٦١ / الترجمة: ٧٠١، **أُسد الغابة** ٢: ١٣٠ .

ابن أبي طالبعليه السلام فقال لي: من أين جئت؟

قلت: من عند رسول اللهصلى الله عليه وآله وأخبرته الخبر. فقال لي: إرجعْ معي فلعلك أن تكون لنا شاهداً على الخلق، فمشى ومشيت معه حتى أتينا باب النبيصلى الله عليه وآله فجلست من وراء الباب، ودخل علي عليه السلامفقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فأجابه دحية الكلبي: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين، اُدن مني فخذ رأس ابن عمك من حِجْري فأنت أولى به مني. فوضع رأس النبيصلى الله عليه وآله في حجر عليعليه السلام، ثمّ نظرت فلم أره.

ومكث النبيصلى الله عليه وآله ملياً ثمّ انتبه، فنظر إلى عليعليه السلام فقال: يا علي، من حِجرِ مَنْ أخذتَ رأسي؟ قال: من حِجرِ دحية الكلبي يا رسول الله، قال: بل أخذته من حجر جبرائيل، فأي شيء قلتَ حين دخلت؟ وما الذي قال لك؟ قال: قلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال لي: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين، اُدن مني فخذ رأس ابن عمك من حجري فأنت أولى به مني، فقال: صدق، أنت أولى بي، إلى آخر الخبر[1].

ويظهر من هذا الخبر أنّ الإمام علي بن أبي طالب أولى برسول اللهصلى الله عليه وآله من جبرئيل بتصديق النبي الكريمصلى الله عليه وآله، كيف لا يكون ذلك، وقد أمر ربُّ العزة والكرامة بنصبه وصياً وخليفة على المسلمين من بعده.

جاءكم يعلّمكم دينكم

هذا وقد ورد في أخبار اُخر تَمثُّل جبرئيل بصورة آدمي من دون أن يُشبَّه بشخص معين، فقد ورد عن الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام، أنه قال: «إنّ جبرئيل أتى رسولَ اللهصلى الله عليه وآله في صورة آدمي فقال له: ما الإسلام؟ فقال: شهادةُ

---

١. شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ١: ٢٠٠ .

أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصيام شهر رمضان، والغُسل من الجنابة .

قال: فما الإيمان؟ قال: نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالحياة بعد الموت، وبالقَدَر كلّه خيرِه وشرِّه وحلوِه ومُرِّه.

فلمّا قام الرجل قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا جبرئيل جاءكم يعلّمكم دينكم، فكان رسول الله كلّما قال له شيئاً قال له: صدقت، قال: فمتى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلمَ مِن السائل، قال: صدقت»[1].

أقول: كأن جبرئيل عليه السلام أراد أن يعلّم الجالسين كيف يسألون عن أُمور دينهم، وما هي الأمور اللازم تعلّمها، وما هي الأمور اللازم على رسول الله صلى الله عليه وآله أن يخبر بها، لذلك فعندما سأله عن الساعة أجابه بجواب مفاده أن أمر الساعة يبقى مُبهماً على الناس، وأنّ مِثل هذا الأمر لا أنت مكلف بالسؤال عنه ولا نحن مكلفون بالجواب عنه.

رجل من جانب الناس

اهتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله بشأن الأمة الإسلامية في حياته وعيَّن من ينوب عنه بعد رحلته، وأحكم ذلك إحكاماً، وبتعبير الملك جبرئيل: عقد هذا الرسولُ لهذا الرجل عقدة لا يحلّها إلاّ كافر.

نقل السندي بن محمد، عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «لما نزلت الولاية لعليٍّ عليه السلام قام رجل من جانب الناس فقال: لقد عقد هذا الرسول لهذا الرجل عقدة لا يحلّها بعده إلاّ كافر. فجاءه الثاني فقال له: يا عبد الله مَن أنت؟ قال: فسكت، فرجع الثاني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله

---

١. كتاب سُلَيم بن قيس: ١٧٥، بحار الأنوار ٦٥: ٢٨٨، مستدرك الوسائل ١: ٧٠ / ح ٥ .

فقال: يا رسول الله، إنّي رأيتُ رجلاً في جانب الناس وهو يقول: لقد عقد هذا الرسول لهذا الرجل عقدة لا يحلّها إلاّ كافر!

فقال: يا فلان، ذلك جبرئيل، فإياك أن تكون ممّن يحلّ العقدة فينكص»[١].

ونكص عن الأمر: أحجم عنه، ونكص على عقبيه: رجع عمّا كان عليه.

فارس على فَرَس أشقر

الناس تريد شيئاً والله يريد شيئاً آخر، ولا يكون إلاّ ما يريد الله سبحانه وتعالى، فهو الباعث للنبيّ، وهو المعيّن للوصيّ، ولا دخل للناس في ذلك.

نُقل عن عبد العظيم الحسني عن الإمام الصادق عليه السلام في خبر: قال رجل من بَني عَدِي: اجتمعت إليّ قريش فأتينا النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله، إنّا تركنا عبادة الأوثان واتّبعناك، فأشرِكْنا في ولاية عليٍّ فنكون شركاء! فهبط جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[٢] الآية.

قال الرجل: فضاق صدري، فخرجت هارباً لما أصابني من الجهد، فإذا أنا بفارس قد تلقّاني على فرس أشقر، عليه عمامة صفراء يفوح منه رائحة المسك، فقال: يا رجل، لقد عقد محمّدٌ عقدة لا يحلّها إلاّ كافر أو منافق. قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته، فقال: هل عرفتَ الفارس؟! ذلك جبرئيل عرض عليكم ولاية إن حللتم العقد أو شككتم كنتُ خصمَكم يوم القيامة[٣].

تفسير التبدّل

سأل بعض الأكابر عن جسم جبرئيل فقال: أين كان يذهب جسمه الأول

---

١. **قرب الإسناد**: ٦١ / ح ١٩٤، **بحار الأنوار** ٣٧: ١٢٠ / ح ١٢ .

٢. الزمر: ٦٥ .

٣. **مناقب ابن شهر آشوب** ٢: ٢٣٩، **بحار الأنوار** ٣٧: ١٦١ .

الذي سدّ الأفق بأجنحته لمّا تراءى للنبيّ ﷺ في صورته الأصلية عند إتيانه إليه في صورة دحية؟ قال السيوطي: وقد تكلف بعضهم الجواب عنه بأنه يجوز أن يقال: كان يندمج بعضه في بعض إلى أن يصغر حجمه فيصير بقدر صورة دحية، ثمّ يعود ينبسط إلى أن يصير كهيئته الأولى. ثمّ قال: وما ذكَرَه الصوفية أحسن، وهو أن يكون جسمه الأول بحاله لم يتغير، وقد أقام الله تعالى له شبحاً آخر وروحه متصرفة فيهما جميعاً في وقت واحد، هذا كلام القونوي في كتابه الذي سماه (الإعلام بإلمام الأرواح بعد الموت محل الأجساد).

وقال ابن قيّم الجوزيّة: للروح شأن غير شأن الأبدان، فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة ببدن الميت بحيث إذا سلّم المسلم على صاحبها ردّ عليه السلام وهي في مكانها هناك، وهذا جبرئيل رآه النبيّ ﷺ وله ستمائة جناح منها جناحان سدّا الأفق، وكان يدنو من النبيّ ﷺ حتى يضع ركبتيه على ركبتيه ويديه على فخذيه، وقلوب المخلصين تتّسع للإيمان بأنّ من الممكن أنه كان يدنو هذا الدنو وهو في مستقره من السماوات.

وفي الحديث: فرفعتُ رأسي فإذا جبرئيل صافّ قدمَيه بين السماء والأرض يقول: يا محمّد، أنت رسول الله وأنا جبرئيل. فجعلتُ لا أصرف بصري إلى ناحية إلاّ رأيته كذلك. وإنما يأتي الغلط هنا من قياس الغائب على الشاهد، فيعتقد أنّ الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا شَغَلت مكاناً لم يمكن أن يكون في غيره، وهذا غلط محض[1] انتهى.

قال السيوطي: نزول جبرئيل على النبيّ ﷺ في هيئة رجل معناه أنّ الله

---

١ . شرح متن النسائي ٤: ١١٠ .

أفنى الزائد من خلقه أو أزاله عنه ثمّ يعيده إليه بعد. وجزم ابـن عبـد السـلام بالإزالة دون الفناء، وقرّر ذلك بأنّه لا يلزم أن يكون انتقالها موجباً لموتـه، بـل يجوز أن يبقى الجسد حياً؛ لأنّ موت الجسد بمفارقـة الـروح لـيس بواجـب عقلاً بل بعادة أجراها الله في بعض خلقه[1].

إشكالات وردّها

استُشكِل على أمر هذا التمثّل بأمور عديدة، نـذكر هنـا مـا جمعـه ورتبـه العلامة الطباطبائي في (الميزان) مع ذكر ما أجاب به عليها:

الإشكال الأول: أنّ جبرئيل شخص عظيم الجثة حسبما نطقت به الأخبار، فمتى صار في مقدار جثّة الإنسان، فإن تساقطت أجزاؤه الزائـدة علـى مقـدار جثة الإنسان لزم أن لا يبقى جبريل، وإن لم تتساقط لزم تداخلها، وهو مُحال.

وأُجيب عنه: بأنه لا يمتنع أن يكون لجبريل أجـزاء أصـلية قليلـة وأجـزاء فاضلة، ويتمكن بالأجزاء من أن يتمثّل بشراً، هذا على القول بأنه جسم، وأمـا على القول بكونه روحانياً فلا استبعاد فـي أن يتـدرّع تـارةً بالهيكـل العظـيم وأخرى بالهيكل الصغير، انتهى.

وأنت ترى أنّ أول الشقَّين في الجواب كأصل الإشكال مبنـي علـى كـون التمثّل تغيراً من المتمثّل في نفسه وبطلان صورته الأُولى وانتقاله إلـى صـورة أخرى، والظاهر أنّ جبريل لم يخرج بالتمثّل عن كونه مَلَكاً ولا صار بشراً في نفسه، وإنما ظهر لمريم عليها السلام في صورة البشر فهو كذلك في ظرف إدراكهـا لا في نفسه وفي الخارج عن ظرف إدراكها.

الإشكال الثاني: أنه لو جاز التمثّل ارتفع الوثوق وامتنـع القطـع بـأنّ هـذا

---

١. **تنوير الحوالك** للسيوطي: ١٦، **سبل الهدى والرشاد** ٢: ٢٦٩ .

الشخص الذي يُرى الآن هو زيد الذي رُئي بالأمس لاحتمال التمثّل.

وأجيب عنه: بأنه مشترك الورود، فإنّ مَن اعترف بالصانع القادر يلزمه ذلك لجواز أن يخلق تعالى مثل زيد مثلاً، وبذلك يرتفع الوثوق ويمتنع القطع على حذو ما ذكر في الإشكال، وكذا من لم يعترف بالصانع وأسند الحوادث إلى الأسباب الطبيعية أو الأوضاع السماوية يجوز عنده أن يتحقق من الأسباب ما يستتبع حدوث مثل زيد مثلاً فيعود الإشكال. ولعله لما كان مثل هذه الحوادث نادراً لم يلزم منه قدح في العلوم العادية المستندة إلى الإحساس، فلا يلزم الشك في كون زيد الذي نشاهده الآن هو زيد الذي شاهدناه أمس، انتهى.

وأنت خبير بأن هذا الجواب لا يحسم مادة الإشكال، إذ تسليم المغايرة بين الحس والمحسوس كرؤية غير زيد في صورة زيد وإن كانت نادرة يُبطل العلم الحسي ولا يبقى إلاّ أن يُدّعى أنه إنّما يُسمّى علماً لأن ندرة التخلّف والخطأ تستوجب غفلة الإنسان عن الالتفات إلى الشك فيه واحتمال المغايرة بين الحس والمحسوس. على أنه إذا جازت المغايرة وهي محتملة التحقق في كلّ مورد لم يكن لنا سبيل إلى العلم بكونها نادرة، فمِن أين يُعلَم أنّ مثل ذلك نادر الوجود؟

والحق أنّ الإشكال و الجواب فاسدان من أصلهما: أمّا الإشكال فهو مبني على أنّ الذي يناله الحس هو عين المحسوس الخارجي بخارجيته دون الصورة المأخوذة منه، ويتفرّع على ذلك الغفلة عن معنى كون الأحكام الحسية بديهية والغفلة عن أنّ تحميل حكم الحس على المحسوس الخارجي إنما هو بالفكر والنظر لا بنفس الحس.

فالذي يناله الحس من العين الخارجي شيء من كيفياته وهيئاته يشابهه

في الجملة لا نفس الشيء الخارجي، ثمّ التجربة والنظر يعرفان حاله في نفسه، والدليل على ذلك أقسام المغايرة بين الحس والمحسوس الخارجي، وهي المسماة بأغلاط الحس كمشاهدة الكبير صغيراً والعالي سافلاً والمستقيم مائلاً والمتحرك ساكناً، وعكس ذلك باختلاف المناظر.

وكذلك حكم سائر الحواس كما نرى الفرد من الإنسان مثلاً مع بُعد المسافة أصغر ما يمكن، ونحكم بتكرر الحس وبالتجربة أنه إنسان يماثلنا في عِظم الجثة، ونشاهد الشمس قدر صحفة وهي تدور حول الأرض، ثمّ البراهين الرياضية تسوقنا إلى أنها أكبر من الأرض كذا وكذا مرة، وأن الأرض هي التي تدور حول الشمس، فتبين أن المحسوس لنا بالحقيقة هي الصورة التي في ظرف حسّنا دون الأمر الخارجي بخارجيته.

ثم إنّا لا نرتاب في أن الذي أحسسناه وهو في حسّنا قد أحسسناه، وهذا معنى بداهة الحس، وأما المحسوس وهو الذي في الخارج عنا وعن حسنا فالحكم الذي نحكم به عليه إنما هو ناشئ عن فكرنا ونظرنا، وهذا ما قلناه: إنّ الذي نعتقده من حال الشيء الخارجي حكم ناشئ عن الفكر والنظر دون الحس هذا. وقد تبيّن في العلوم الباحثة عن الحس والمحسوس أن لأجهزة الحواس أنواعاً من التصرف في المحسوس.

ثمّ إنّ من الضروري عندنا أن في الخارج من إدراكنا سبباً تتأثر عنه نفوسنا فتدرك ما تدرك، وهذا السبب ربما كان خارجياً كالأجسام التي ترتبط بكيفياتها وأشكالها بنفوسنا من طريق الحواس، فندرك بالحس صوراً منها ثمّ نحصل بتجربة أو فكر شيئاً من أمرها في نفسها، وربما كان داخلياً كالخوف الشديد الطارئ على الإنسان فجأة يصور له صوراً هائلة مهيبة على حسب ما عنده من الأوهام والخواطر المؤلمة، وفي جميع هذه الأحوال ربما أصاب

الإنسان في تشخيصه حال المحسوس الخارجي، وهو الأغلب، وربما أخطأ كمن يرى سراباً فيقدّر أنه ماء، أو يرى أشباحاً فيحسب أنها أشخاص.

فقد تبين من جميع ما تقدم أن المغايرة بين الحس والمحسوس الخارجي في نفسه ـ على كونها مما لا بدّ منه في الجملة ـ لا تستدعي ارتفاع الوثوق وبطلان الاعتماد على الحس، فإن الأمر في ذلك يدور مدار ما حصله الإنسان من تجربة أو نظر أو غير ذلك، وأصدقها ما صدّقته التجربة.

وأما وجه فساد الجواب فبناؤه على تسليم ما تسلمه في الإشكال من نيل الحس نفس المحسوس الخارجي بعينه، وأن العلم بالمحسوس في نفسه مستند إلى الحس نفسه مع التخلف نادراً.

الإشكال الثالث: أنه لو جاز التمثّل بصورة الإنسان جاز التمثّل بصورة غيره كالبعوض والحشرات وغيرها، ومعلوم أن كلّ مذهب يجرّ إلى ذلك فهو باطل. وأُجيب عنه بأن أصل تجويز تصور المَلَك بصور سائر الحيوان غير الإنسان قائم في الأصل، وإنما عُرف فساده بدلائل السمع، انتهى.

وفيه: أنه لا دليل من جهة السمع يُعتَدّ به، نعم يرد على أصل الإشكال أن المراد بالإمكان إن كان هو الإمكان المقابل للضرورة والامتناع، فمن البيّن أنّ تمثّل الملك بصورة الإنسان لا يستلزم إمكان تمثله بصورة غيره من الحيوان، وإن كان هو الإمكان بمعنى الاحتمال العقلي فلا محذور في الاحتمال حتى يقوم الدليل على نفيه أو إثباته.

الاشكال الرابع: أنه لو جاز ذلك ارتفع الوثوق بالخبر المتواتر كخبر مقاتلة النبيﷺ يوم بدر؛ لجواز أن يكون المقاتل هو المتمثّل به.

وأجيب عنه بمثل ما أجيب به عن الثالث، فإنّ احتمال التخلف قائم في المتواتر، لكنّ دلائل السمع تدفعه.

وفيه: أنّ نظير الاحتمال قائم في نفس دليل السمع، فإنّ الطريق إليه حاسة السمع. والجواب الصحيح عن هذا الإشكال هو الذي أوردناه جواباً عن الإشكال الثاني، والله أعلم.

فإن قلت: لازم ذلك القول بالسفسطة، فإنّ الإدراك الذي ليست وراءه حقيقة تطابقه من جميع الجهات ليس إلاّ وَهْمٌ سرابي وخيالي باطل، ورجوعه إلى السفسطة.

قلت: فرق بين أن يكون هناك حقيقة يظهر للمدرك بما يألفه من الصور وتحتمله أدوات إدراكه، وبين أن لا يكون هناك إلاّ صورة إدراكية ليس وراءها شيء، والسفسطي هي الثاني دون الأول وتوخي أزيد من ذلك في باب العلم الحصولي طمع فيما لا مطمع فيه[1].

وهنا سؤال آخر ـ نترك جوابه للقارئ الكريم ـ وهو أنّه: لماذا يتمثّل جبرئيل بصورة دحية الكلبي من الصحابة مع العلم أن قضية تمثّل جبرئيل بدحية الكلبي روتها فرق المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم؟

رؤية سواد بن قارب الملائكة

سواد بن قارب الدوسي ـ أو السدوسي ـ رأى نزول ملائكة السماء إلى الأرض مستبشرين بولادة خاتم الرسلﷺ.

قال الواقدي: فلمّا أتى على رسول اللهﷺ في بطن أمه سبعةُ أشهر جاء سواد بن قارب إلى عبد المطلب فقال له: اعلم يا أبا الحارث أنّي كنت البارحة بين النوم واليقظة فرأيت أبواب السماء مفتحة، ورأيت الملائكة ينزلون إلى الأرض معهم ألوان الثياب يقولون: زيّنوا الأرض فقد قرب خروج

---

١. الميزان في تفسير القرآن ١٤: ٣٦.

مَن اسمه محمّد، وهو نافلة عبد المطلب رسول الله إلى الأرض، وإلى الأسود والأحمر والأصفر، والى الصغير والكبير والذكر والأنثى، صاحب السيف القاطع والسهم النافذ.

فقلت لبعض الملائكة: مَن هذا الذي تزعمون؟ فقال: ويحك! هذا محمّد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَناف. فهذا ما رأيت، فقال له عبد المطلب: اكتم الرؤيا ولا تخبر بها أحداً لننظر ما يكون[1].

ومن الواضح أنّ هذا الخبر يبيّن معرفة سواد بن قارب للملائكة وتكلّمه معهم، وهذا إمّا أنه يكشف عن عظمة سواد بن قارب الملهم بهذه المعرفة الكبرى، أو أنّ نزول الملائكة ورؤية الناس لهم كان شيئاً عادياً في ذلك الزمان، وإذا حصل التشكيك في الأمرين معاً فلا مجال للاعتماد على صحة هذا المضمون، فتأمّل.

أظنّه أنت أيها السائل

وهذا مورد آخر يبرز فيه جبرئيلعليه السلام لعلي بن أبي طالب، وسترى فيه أنّه يقول له: أظنّه أنت أيها السائل، والمراد بالظن بعد الطواف في السماوات والأرض القطعُ واليقين، فقد رُوي عن الإمام عليّعليه السلام أنّه قال في مجلسه العامّ: «سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طُرق السماء فإنّي أعلمها زقاقاً زقاقاً، ومَلَكاً ملكاً»، فقال رجل من الحاضرين: حيث ادّعيتَ ذلك يا ابن أبي طالب، أين جبرئيل هذه الساعة؟ فغطس قليلاً وتفكّر في الأسرار، ثمّ رفع رأسه قائلاً: «إنّي طفت السماوات السبع فلم أجد جبرئيل، وأظنّه أنت أيها السائل»، فقال السائل: بخٍ بخ، مَن مِثلُك يا ابن أبي طالب، وربُّك يباهي بك

١. **الفضائل** لشاذان بن جبرئيل القمي: ١٦ .

الملائكة؟! ثمّ سجى[١] من الحاضرين[٢].

صورة الملائكة يوم بدر

نصر الله سبحانه وتعالى المسلمين في مواطن كثيرة بأساليب مختلفة، من جملتها إنزال الملائكة، وقد جاء في الأخبار أنّ الملائكة كانت على صورة الإمام علي بن أبي طالب، فقد روي عن عامر بن سعد أنّه لما جاء أبو اليسر الأنصاري بالعباس بن عبد المطلب، قال العباس: واللهِ ما أسَرَني إلاّ ابن أخي علي بن أبي طالب! فقال النبيﷺ: «صدق عمّي، ذلك ملك كريم»، فقال: لقد عرفته بجلحته[٣] وحسن وجهه.

فقال النبيﷺ: «إنّ الملائكة الذين أيّدني الله بهم على صورة علي بن أبي طالبعليه السلام ليكون ذلك أهيب في صدور الأعداء». وقال: قال أبو اليسر الأنصاري: رأيت العباس آنفاً وعقيلاً، معهما رجل على فرس أبلق[٤]، عليه ثياب بيض، يقود العباس وعقيلاً، فدفعهما إلى علي[٥].

وأمير المؤمنينعليه السلام كان أشجع البرية، وإنه بلغ من بأسه وخوف الأعداء منه أن جعل الله عزّ وجلّ الملائكة على صورته، ليكون ذلك أرعب لقلوبهم، وإنّ هذا لم يحصل لبشر قبله ولا بعده. ويؤيد ما رويناه ما جاء في الأثر، عن أبي جعفر الباقر محمّد بن عليعليهما السلام في حديث بدر، قال: لقد كان يُسأل

---

١. أي اختفى عن الأنظار.

٢. حكاه في: **شرح إحقاق الحق** ٧: ٦٢١.

٣. الجلحة: موضع انحسار الشَّعر عن جانبي الرأس، والرجل أجلح.

٤. البلق سواد في بياض.

٥. **مناقب ابن شهر آشوب** ٢: ٧٩، **مدينة المعاجز** ٢: ٣٠٤ / ح ٥٦٥، **بحار الأنوار** ١٩: ٢٨٤ / ح ٢٧.

الجريح من المشركين فيقال له: مَن جرَحَك؟ فيقول: علي بن أبي طالب. فإذا قالها مات في الحال[١].

روى أبو الحسن البصري في كتابه أن القوم لما انهزموا يوم الأحزاب انقسموا سبعين فرقة، كلّ فرقة ترى وراءها عليًّ بن أبي طالب عليه السلام[٢].

شبيه بعلي عليه السلام

كما أنّ الله سبحانه وتعالى أنزل ملائكة كراماً ينصرون دينه في أرضه على صورة الإمام عليّ بن أبي طالب في حرب بدر الكبرى والأحزاب وغيرهما، كذلك خلق ملائكة يشبهونه في العالم العُلويّ، فقد ورد في الخبر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «ليلةَ أسري بي وصرت إلى السماء الرابعة، نظرت فإذا بِمَلكٍ شبيهٍ بعليّ بن أبي طالب، فقلت له: ألم أُخْلُفْك في أمتي؟! قال: فتبسم جبرئيل عليه السلام ضاحكاً وقال لي: يا محمّد، شبّهتَه بابن عمّك؟ فقلت: نعم. فقال: والذي بعثك بالحق نبياً، لقد خلق الله عزّ وجلّ هذا الملك في صورة عليّ بن أبي طالب عليه السلام مِن حبّه لعليّ»[٣].

فصارت محبة الله سبحانه وتعالى لعلي بن أبي طالب عليه السلام هي الداعي لأن يخلق ملائكة على شكله في ذلك العالم العلوي المقدس، وقد مرّ عليك أنّ

---

١. **مناقب ابن شهر آشوب** ٢: ٧٩، **بحار الأنوار** ٤١: ٩٩.

٢. **مناقب ابن شهر آشوب** ٢: ٧٩، **مدينة المعاجز** ٢: ٣٠٤ / ح ٥٦٥.

٣. **نوادر المعجزات في مناقب الأئمّة الهداة** لمحمد بن جرير الطبري الإمامي: ٧٣ / ح ٣٧. ومنها: وأخبرني عبد الله بن الحسين بن عبد الله القطيفي، قال: حدثّني محمّد بن صالح، عن عبد الرحمان بن محمّد الحسني، عن أحمد بن الحسين، عن محمّد بن سيف الرازي قدم علينا ببغداد، قال: حدثّنا حرث بن بنان، عن عبد الأعلى عن حمّاد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن عَدِي بن ثابت.

الله عزّ وجلّ جعل الهيبة والخوف في قلوب الأعداء هي الباعث على تصوير الملائكة النازلين لنصرة نبيه على شكل علي بن أبي طالب عليه السلام.

دعثور بن الحارث بن محارب

جبرئيل عليه السلام مدافع وحافظ لرسول الله صلى الله عليه وآله من شر الأعداء، وقد وقف إلى جانبه طيلة أيام الرسالة، ومن جملة مواقف نصرته له صلوات الله عليه وآله ما حدث مع دعثور بن الحارث، حيث جاء في (إعلام الورى بأعلام الهدى) للشيخ الطبرسي رحمه الله أنّه بلغ النبيَّ الكريم صلى الله عليه وآله أن جمعاً من غَطَفان قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف المدينة، عليهم رجل يقال له: دعثور ابن الحارث بن محارب، فخرج في أربعمائة وخمسين رجلاً ومعهم أفراس، وهرب منه الأعراب فوق ذرى الجبال، ونزل صلى الله عليه وآله ذا أمر[1] وعسكر به، وأصابهم مطر كثير.

فذهب رسول الله صلى الله عليه وآله لحاجته فأصابه ذلك المطر فبلّ ثوبه، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وادي أمر بينه وبين أصحابه، ثمّ نزع ثيابه فنشرها لتجفّ وألقاها على شجرة ثمّ اضطجع تحتها، والأعراب ينظرون إلى كلّ ما يفعل رسول الله، فقالت الأعراب لدعثور ـ وكان سيدهم وأشجعهم ـ: قد أمكنك محمّد، وقد انفرد من بين أصحابه، حيث إن غوث بأصحابه لم يُغَث حتى

---

١. أمر: بلفظ الفعل من أمر يأمر معرب، ذو أمر موضع غزاه رسول الله صلى الله عليه وآله . قال الواقدي: هو من ناحية النخيل، وهو بنجد من ديار غطفان، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في ربيع الأول من سنة ثلاث للهجرة لجمع بلغه أنه اجتمع من محارب وغيرهم، فهرب القوم منهم إلى رؤوس الجبال، وزعيمها دعثور بن الحارث المحاربي، فعسكر المسلمون بذي أمر (**معجم البلدان** ١: ٢٥٢).

تقتله! فاختار سيفاً من سيوفهم صارماً، ثم أقبل مشتملاً على السيف حتى قام على رأس رسول اللهﷺ بالسيف مشهوراً فقال: يا محمّد مَن يمنعك مني اليوم؟! قال: الله.

ودفع جبرئيل في صدره فوقع السيف من يده، فأخذه رسول الله وقام على رأسه وقال: «من يمنعك منّي؟!»

قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، والله لا أُكثر عليك جمعاً أبداً. فأعطاه رسول الله سيفه ثمّ أدبر، ثمّ أقبل بوجهه ثمّ قال: والله لأنت خير مني. قال رسول الله: «أنا أحق بذلك منك».

فأتى دعثور قومه، فقيل له: أين ما كنت تقول، وقد أمكنك والسيف في يدك؟

قال: قد كان والله ذلك، ولكني نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك، وشهدتُ أن محمّداً رسول الله، والله لا أُكثر عليه. وجعل يدعو قومه إلى الإسلام، ونزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ الآية [١].

ويستفاد من الخبر عمق ثقة رسول الله صلوات الله عليه وآله بالله سبحانه وتعالى، وفي ذلك درس وعبرة لنا في أنّ الله ناصر دينه وناصر الحق بملائكته المقربين إلى آخر لحظة، فلم يبق بين فعل دعثور بن الحارث وبين وقوع أثره إلاّ الله سبحانه وتعالى. ويستفاد من الخبر أيضاً أنّ ملائكة الله المتصوِّرة

---

١. **إعلام الورى بأعلام الهدى** للشيخ الطبرسي ١: ١٧٣، عنه في **بحار الأنوار** ٢٠: ٢، والآية في سورة المائدة: ١١.

بصور بني آدم قابلة لأن يراها غير المعصوم من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، فيكون هذا الخبر عاضداً ومعتضداً بخبر رؤيا سواد بن قارب للملائكة.

ويستفاد من الخبر كذلك أنّ ظهور الملك أمام دعثور حجّةٌ كبرى كفته وجعلته يؤمن بالله سبحانه وتعالى ويدعو لدينه، وأفهمته أن هذا أمر غيبي من العالم العلوي المقدس يجب الإيمان به.. إلى غير ذلك من الاستفادات التي يمكن للمتأمّل أن يستفيدها.

ملك نزل إلى الدنيا في صورة آدمي

ملائكة الله سبحانه وتعالى على أقسام وأنواع، ولكلّ منهم وظيفة مخصوصة، ولا يحقّ له أن يتحول من مكانه إلى مكان آخر إلاّ بإجازة من المولى جلّ جلاله، فقد ورد عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إستأذن ملك ربَّه أن ينزل إلى الدنيا في صورة آدمي فأذن له، فمرّ برجل على باب قوم يسأل عن رجل من أهل الدار.

فقال الملك: يا عبد الله، أيَّ شيءٍ تريد من هذا الرجل الذي تطلبه؟ قال: هو أخ لي في الإسلام أحببته في الله، جئتُ لأسلّم عليه، قال: وما بينك وبينه رحم ماسّة ولا يُرغّبنّك إليه حاجة؟ قال: لا، إلاّ الحب في الله تعالى، جئت لأسلّم عليه، قال: فإني رسول الله إليك وهو يقول: قد غفرتُ لك بحبك إياه فيّ»[1].

الملك في صورة إنسي

الثواب المترتب على العبادة والدين والفضل على قدر العقل، فإن كان

---

١. الاختصاص: ٢٢٤، بحار الأنوار ٥٦: ١٩١ / ح ٤٩.

كاملاً كان الثواب كاملاً، وإن كان ناقصاً كان الثواب ناقصاً؛ لأنّ زيادة الثواب بكمال العبادة، وكمال العبادة بمعرفة المعبود وصفاته واستحقاقه للعبادة دون غيره، ومعرفة حقيقة العبادة وأحكامها وشرائطها وكيفية فعلها وبصدورها عن الخوف والخشية، ولا يحصل ذلك إلاّ بزيادة العقل والعلم. إذن، فزيادة الثواب على قدر العقل كما أن زيادة العقاب على قَدْره.

روى إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن محمّد بن سليمان الديلمي، عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: فلان من عبادته ودينه وفضله! فقال: كيف عقله؟ قلت: لا أدري. فقال: إن الثواب على قَدْر العقل، إنّ رجلاً من بني إسرائيل كان يعبد الله في جزيرة من جزائر البحر، خضراء نضرة، كثيرة الشجر ظاهرة الماء، وإن مَلَكاً من الملائكة مرّ به فقال: يا ربّ أرِني ثواب عبدك هذا. فأراه الله تعالى ذلك، فاستقلّه الملك، فأوحى الله تعالى إليه: أنِ اصحَبْه. فأتاه الملك في صورة إنسي فقال له (أي الرجل): من أنت؟ قال: أنا رجل عابد بلغني مكانُك وعبادتك في هذا المكان، فأتيتك لأعبد الله معك.

فكان معه يومه ذلك، فلمّا أصبح قال له الملك: إن مكانك لنزه، وما يصلح إلاّ للعبادة، فقال له العابد: إنّ لمكاننا هذا عيباً، فقال له: وما هو؟ قال: ليس لربنا بهيمة، فلو كان له حمار رَعَيناه في هذا الموضع، فإن هذا الحشيش يضيع! فقال له ذلك الملك: وما لربك حمار؟ فقال: لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا الحشيش! فأوحى الله إلى الملك: إنما أُثيبه على قَدْر عقله[1].

إنّ أمثال هذه الاعتقادات الفاسدة والاعتراضات الباطلة والاقتراحات الكاسدة لا يضر في أصل الإيمان، ولا في الإثابة على الأعمال الصالحة إذا

---

١. **الكافي** ١: ١٢ / ح ٨ عن علي بن محمّد بن عبد الله .

كانت مستندة إلى قلّة العقل وضعف البصيرة، كيف وقد دلّت الأحاديث الكثيرة على أن أكثر أهل الجنة من ضعفاء العقول (البُلْه).

لا يقال: ترتب الثواب على العبادة مشروط بصحّتها، وصحّتها مشروطة بنية التقرب إلى الله تعالى، ونية التقرب إليه متوقفة على معرفته، ومعرفته بهذا النحو وهو أنه خالق الأشياء عبثاً بلا مصلحة ولا منفعة ليست بمعرفة حقيقة، فكيف يترتب الثواب على عبادة هذا الرجل في الآخرة؟

لأنه يقال: أدنى المعرفة مع نفي الشريك يكفي في ترتّب أدنى الثواب على العمل، وذلك أنّ العبد إذا عرف ربه بقدر عقله ووُسْعه، ولم يعتقد الشريكَ له ولا مشابهته لخلقه في الجسمية والمقدار وما يتبعهما، كان قابلاً لرحمته الواسعة مع رجحان الرحمة، فإذا ضمّ معها عبادة عارية من الكِبْر والعُجب والرياء وغيرها من الآفات والمفسدات للعبادة صار جانبُ الرحمة أرجحَ واستحقاق الثواب أقوى، فوجب تحقق الثواب[١].

ملك على صفة طير

إنّ ملكاً نزل من السماء على صفة الطير فقعد على يد النبي صلى الله عليه وآله فسلّم عليه بالنبوة، وعلى يد الإمام علي عليه السلام فسلّم عليه بالوصية، وعلى يد الحسن والحسين عليهما السلام فسلّم عليهما بالخلافة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لِمَ لَم تقعد على يد فلان؟!»، فقال: أنا لا أقعد أرضاً عصيَ عليها الله، فكيف أقعد على يدٍ عصت الله؟![٢].

١. شرح أُصول الكافي ١: ٨٤.

٢. مناقب ابن شهر آشوب ٣: ١٦٣، مدينة المعاجز ٢: ٤١٦ / ح ٦٤٥.

تجسّم الملائكة طيراً

ورد في الأخبار عن النبيّ المختار وآله الأطهار أنّ الملائكة لم تكن منقطعة عن هذا العالم، بل لها اتصال دائم وأنّ الملائكة تتصوّر بصور مختلفة، فتارة يتصور الملك بصورة آدمي وأخرى بصورة طير، فقد روى الشيخ الصدوق بإسناده إلى جارية أبي علي الخيزراني أنها رأت ـ عندما وُلد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ـ طيوراً بيضاء تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده ثمّ تطير.

قال أبو علي الخيزراني: فأخبَرْنا أبا محمّد العسكري عليه السلام بذلك فضحك، ثمّ قال: «تلك ملائكة نزلت للتبرك بهذا المولود، وهي أنصاره إذا خرج»[1].

وقد ذكرنا لك سابقاً في قضية سواد بن قارب وفي قضية دعثور بن الحارث أن رؤية الملائكة مِن قِبل غير المعصوم أمر ممكن، بل حاصل في ظروف معينة.

من زغب الملائكة

وردت روايات عديدة وصحيحة سنداً تدلّ على أنّ الملائكة تدخل بيوت الأئمة وتطأ بُسُطَهم وتتّكئ على مساورهم[2]، ويجمع الأئمةُ من زَغَبها لأولادهم.

منها: ما رواه الشيخ الكليني عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يا حسين» ـ وضرب بيده إلى مساور في البيت ـ «مساور طالما

---

١. **كمال الدين**: ٤٣١ / ح ٧، **روضة الواعظين**: ٢٦٠ .

٢. المَساوِر: متّكآت من الجلد .

اتّكت عليها الملائكة، وربّما التقَطْنا من زغبها»[١].

ومنها: ما رواه الكليني أيضاً عن أبي حمزة الثمالي، قال: دخلت على علي ابن الحسينعليه السلام فاحتبستُ في الدار ساعة، ثمّ دخلت البيت وهو يلتقط شيئاً وأدخل يده من وراء الستر فناوله مَن كان في البيت.

فقلت: جُعلت فداك، هذا الذي أراك تلتقطه، أيُّ شيءٍ هو؟ فقال: «فضلة من زغب الملائكة نجمعه إذا خلونا، نجعله سَيْحاً[٢] لأولادنا»، فقلت: جعلت فداك، وإنهم ليأتونكم؟ فقال: «يا أبا حمزة، إنّهم لَيُزاحمونا على تُكأتنا»[٣].

وقوله: نجعله سيحاً لأولادنا، قيل: سبحاً بالباء الموحدة لا الباء المثناة، والمراد القلادة من زغب الملائكة تُجعَل في سلك ويعلق على أعناق الأطفال، ويؤيّد ذلك رواية المفضَّل بن عمر حيث رأى القلادة من الريش على بعض أولاد الأئمةعليهم السلام فسأل عنها فقال الإمام: «إنّها من ريش الملائكة».

فإن قيل: قد تواتر أنّ الناس لم يكونوا يرون الملائكة في عهد الرسول والأئمةعليهم السلام، كما لا نراهم الآن إلاّ نادراً لبعض الأولياء وكان من شبهات الكفار على رسول الله قولهم: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾[٤]، ولم تكن خديجة ترى جبرئيل حين نزل عليه أول البعثة، وهذا ظاهر للمتتبع في سيرة الرسول، فكيف رأى المفضَّل أو أبو حمزة الثمالي ريش الملائكة وليس الريش إلا بعض جسم الملك فكما لا يُرى جسمه لا يُرى ريشه؟!

---

١. **الكافي** ١: ٣٩٣ / ح ٢ .

٢. السَّيح: ضربٌ من البرود .

٣. **الكافي** ١: ٣٩٤ / ح ٣ والسند هكذا: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن حكم، قال: حدثني مالك بي عطية، عن أبي حمزة الثمالي .

٤. الأنعام: ٨ .

قلنا: أما أبو حمزة فلا يدل هذا الحديث على أنه رأى زغب الملائكة، بل يدل على أنّ علي بن الحسين عليه السلام كان يلتقط وكأنه يأخذ شيئاً من غير أن يرى أبو حمزة الشيء المُلتقَط، فسأل الإمام عليه السلام عن التقاطه مع أنه لا يرى شيئاً. وأما رواية المفضَّل فإنها لا تدل على أن غير المفضل لو كان حاضراً كان يرى الريش والقلادة، إذ لا يمتنع اختصاص رؤية الملائكة ببعض الناس في بعض الأوقات، وكذا ريشهم.

وما قرأتَه لا إشكال فيه ولا استفسار بناء على القول بجسمية الملائكة، كما عليه العلامة المجلسي، وأما بناءً على عدم الجسمية فالمسألة تحتاج إلى تفصيل.

جبرئيل في صورة رجل من قبيلة كلب

ومما ذُكر في أحوال آخر الزمان أنّ المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف يجلس تحت شجرة سمرة، فيجيئه جبرئيل في صورة رجل من قبيلة كلب، فيقول: يا عبد الله ما يجلسك هاهنا؟ فيقول: يا عبد الله، إنّي أنتظر أن يأتيني العِشاء فأخرج في دبره إلى مكة، وأكره أن أخرج في هذا الحرّ. قال: فيضحك، فإذا ضحك عرفه أنه جبرئيل، قال: فيأخذ بيده ويصافحه ويسلّم عليه، ويقول له: قم. ويجيئه بفرس يقال له البراق[1] فيركبه، ثمّ يأتي إلى جبل رضوى[2]، فيأتي محمّد وعلي فيكتبان له عهداً منشوراً يقرؤه على الناس، ثمّ يخرج إلى مكة والناس يجتمعون بها.

---

١. البُراق: وهي الدابة التي ركبها صلى الله عليه وآله ليلة الإسراء. سُمّي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه. وقيل: لسرعة حركته شبّهه فيهما بالبرق. (**النهاية** ١: ١٢٠).

٢. جبل قرب ينبع في جزيرة العرب، كما في: **معجم البلدان** ٣: ٥١.

قال: فيقوم رجل منه فينادي: أيها الناس، هذا طَلِبتُكم قد جاءكم، يدعوكم إلى ما دعاكم إليه رسول اللهﷺ. قال: فيقومون، قال: فيقوم هو بنفسه فيقول: أيها الناس، أنا فلان ابن فلان، أنا ابن نبيّ الله، أدعوكم إلى ما دعاكم إليه نبيّ الله، فيقومون إليه ليقتلوه، فيقوم ثلاثمائة وينيف على الثلاثمائة فيمنعونه، منهم خمسون من أهل الكوفة، وسائرهم من أفناء الناس لا يعرف بعضهم بعضاً، اجتمعوا على غير ميعاد[١].

وهذا الخبر كسائر الأخبار المتقدمة الظاهرة في عدم معرفة الإمامعليه السلام في الوهلة الاولى لجبرئيل، لكن عرفه ويعرفه من خلال علامات وإشارات، وكأنّ الإمامعليه السلام كان عنده علم سابق في انتظار نصرة جبرئيل له من خلال إتيانه بالبراق ونقله إلى البلد الحرام.

رؤية الملكين الكاتبين

المستفاد من كثير من الأدلة أنّ الإنسان عند الاحتضار أو بعده يتراءى له ملكاه الكاتبان للأعمال، فيكلّمانه بكلام المدح والشكر إذا كان من الصالحين، أو يكلّمانه بكلام الذم إذا كان من الطالحين. وقد نقل ذلك الشيخ محمّد السبزواري في (معارج اليقين في أُصول الدين) حيث قال: ما من ميّت يموت حتّى يتراءى له ملكاه الكاتبان عملَه، فإن كان مطيعاً قالا له: جزاك الله عنّا خيراً، فرُبّ مجلسٍ صدقٍ أجلستَنا، وعملٍ صالح قد أحضرتنا.

وإن كان فاجراً قالا: لاً جزاك الله عنا خيراً، فرُبَّ مجلس سوء قد أجلستنا، وعملٍ غير صالح قد أحضرتنا، وكلام قبيح قد أسمعتنا[٢].

---

١. بحار الأنوار ٥٢: ٣٠٦، معجم أحاديث الإمام المهديعليه السلام ٣: ١٩٨ / ح ٧١٩.

٢. معارج اليقين في أُصول الدين: ٤٨٨.

وسيمرّ عليك في هذا الكتاب أنّ الحضور حال الاحتضار لم يكن مقتصراً على هذين الملكين، بل إنّ أهل بيت العصمة بزعامة رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين يحضرون حال الاحتضار، ومن ذلك الحين يدرك الإنسان مصيره إلى جنة أو إلى نار.

أهبط اللّه ملكاً في صورة آدمي

إنّ الله سبحانه وتعالى ستّار يأمر بالستر ويحب الساترين ولا يرضى لعبده الفضيحة، لكن إذا تمادى العبد في غيّه وظلمه وجرمه وكان لا يتناهى عن المنكر، سلّط الله عليه طريقاً يكشف واقعه وحقيقته أمام الناس، فقد ورد عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «ما من عبد يعمل عملاً لا يرضاه الله إلاّ ستره الله عليه، فإذا ثنّى ستره الله عليه، فإذا ثلّث أهبط الله ملكاً في صورة آدمي يقول للناس: فَعَل كذا وكذا»[١].

ولاية اللّه المعطاة للملائكة

هل إنّ ولاية الله جلّ وعلا على كلّ شيء ـ بمعنى تصرّفه وتسلّطه على كلّ شيء ـ قابلة لأن تُمنَح لغيره بالتبع، أو لا يمكن ذلك؟

يظهر لنا في أول وهلة أنّ الله سبحانه هو الولي المطلق على كلّ مخلوق، والقرآن يفيض بالآيات التي تتحدّث عن ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿**هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا**﴾[٢]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾[٣]،

---

١. كتاب **الزهد** للحسين بن سعيد: ٧٤ / ح ١٩٨، **مستدرك الوسائل** ١١: ٣٢٩ / ح ١٣١٧٤ .

٢. الكهف: ٤٤ .

٣. التوبة: ١١٦ .

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّموات وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[١].

وغير ذلك من الآيات التي تشير بما هو مفروغ عنه إلى أنّ لله الولاية الحق، ومحض أن تكون له الولاية، فلا محذور مَن أن يلي مَن أمره من يشاء فهو صاحب الأمر، وما أولاه لغيره، إنما يعبّر عن كمال ولايته، وهذا الأمر نجده يتجلّى في العديد من الآيات التي تحدّثت عن أنّ الله جلّ وعلا قد أولى جملة من الخلائق بعضاً من شؤون ولايته، كما نجد ذلك في الآيات التي تتحدّث عن الملائكة، فبعضها خُصّص لشؤون الوحي كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٢].

وهناك الملائكة التي وُصِفت بأوصاف متعددة، كما في الآيات الكريمة: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾[٣]، وكذا في الملائكة التي سُمِّيت بالمُقَسِّمات في الآية القرآنية الكريمة: ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾[٤]، وهناك مجموعة الملائكة التي وصفت في سورة المرسلات: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا * عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾[٥]. وهناك أيضاً مجموعة الملائكة التي وصفت في سورة النازعات بقوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا *

---

١. السجدة: ٤ .

٢. الشورى: ٥١ .

٣. الصافات: ١ – ٣ .

٤. الذاريات: ٤ .

٥. المرسلات: ١ – ٦ .

فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾[١] [٢].

وفي نفس السياق هناك ملائكة البشارة والعذاب الدنيوي، والتي عبر عنها القرآن بضيوف إبراهيم، وقد تقدمت قصة دخولهم على نبي الله إبراهيم عليه السلام وتقديم الطعام لهم، إلى أن ظهرت له أمارات عرف من خلالها أنهم ملائكة الله الصالحون وجبرئيل ومَن كان معه.

نكتفي بهذا المقدار من مصاديق تجسّم ملائكة الله الصالحين في صور مختلفة: بعضها مثل صور الإنسان، وبعضها غير ذلك، مؤدّين المهمات التي أمرهم بها ربّ العزّة والكرامة في نصرة أنبيائه ورسله، مع العلم أنّ ما ذكرناه ليس على نحو الاستقراء التام، بل هو نماذج اقتطفناها من هنا وهناك؛ لنبين للقارئ المحترم وقوع التبدّل والتغيّر في ملائكة الله وظهورها في الصور المختلفة.

الثاني: تجسّم الجنّ

لا خلاف بين المسلمين كافّة في أنّ الجنّ أجسام لطيفة يُرَون في بعض الأحيان ولا يُرَون في بعضها، ولهم حركات سريعة وقدرة على أعمال قوية، وقد يشكّلهم الله بحسب المصالح بأشكال مختلفة وصور متنوعة، كما ذهب إلى ذلك السيد المرتضى رضي الله عنه، أو جعل الله لهم القدرة على ذلك، كما هو الأظهر من الأخبار والآثار.

قال صاحب (المقاصد): الجنّ أجسام لطيفة هوائية تتشكّل بأشكال مختلفة

---

١. النازعات: ١- ٦ .

٢. **الولاية التكوينية**: ١٤٥ .

ويظهر منها أفعال عجيبة، منهم المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي[١].

وقال العلامة المجلسي: والقائلون من الفلاسفة بالجنّ والشيطان زعموا أنّ الجنّ جواهر مجردة لها تصرّف وتأثير في الأجسام العنصرية من غير تعلّق بها كتعلّق النفوس البشرية بأبدانها، ومنهم مَن زعم أن النفوس البشرية بعد مفارقتها عن الأبدان وقطع العلاقة عنها، إن كانت خيّرةً مطيعة للدواعي العقلية فهم الجنّ، وإن كانت شرّيرةً باعثة على الشرور والقبائح مُعِينة على الضلال والانهماك في الغواية، فهم الشياطين.

وبالجملة فالقول بوجود الجنّ مما انعقد عليه إجماع الآراء، ونطق به كلام الله تعالى وكلام الأنبياء عليهم السلام، وحُكي مشاهدة الجنّ عن كثير من العقلاء وأرباب المكاشفات من الأولياء، فلا وجه لنفيها، كما لا سبيل إلى إثباتها بالأدلة العقلية. وفي كلام الشيخ المفيد أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان أنه يجوز أن يقدّر الله تعالى الجنّ ومن جرى مجراهم على أنّ يتجمّعوا ويعتمدوا ببعض جواهرهم على بعض حتّى يتمكن الناس من رؤيتهم، ويتشبّهوا بغيرهم من أنواع الحيوان، لأنّ أجسامهم من الرقة على ما يمكن ذلك فيها[٢].

وعلى أي حال، سيتبيّن لك الآن بعض نماذج تجسّم الجنّ وظهوره للإنسان بصور مختلفة، بعضها مخيف وبعضها غير مخيف.

ريحانة بنت السكن

ملكة اليمن (بلقيس) المذكورة قصّتها في القرآن الكريم مع نبي الله

---

١. شرح المقاصد في علم الكلام ٢: ٥٥ .

٢. بحار الأنوار ٦٠: ٢٣٨ .

سليمان، مولودة من أب من الإنس، وأُمٍّ من الجنّ اسمها ريحانة بنت السكن.

قال الثعلبي في ذيل قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾[1]: واسمها بلقيس بنت الشيرح، وهو الهدهاد، وقيل: شراحيل بن ذي حدن بن اليشرح ابن الحرث بن قيس بن صفى بن سبأ بن يشخب بن يعرب بن قحطان، وكان أبو بلقيس الذي يسمى اليشرح ويُلقّب بالهدهاد ملكاً عظيم الشأن، وكان يملك أرض اليمن كلها، وكان يقول لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفواً لي، فأبى أن يتزوج فيهم، فزوجوه امرأة من الجنّ يقال لها: ريحانة بنت السكن، فولدت له تلمقة، وهي بلقيس، ولم يكن له ولد غيرها.

ويصدّق هذا ما ورد عن أبي هريرة عن النبيﷺ أنه قال: «كان أحد أبوَي بلقيس جنياً»، قالوا: فلمّا مات أبو بلقيس ولم يخلف ولداً غيرها طمعت في الملك وطلبت من قومها أن يبايعوها، فأطاعها قوم وعصاها آخرون، فاختاروا عليها رجلاً فملّكوه عليهم، وافترقوا فرقتين، كلّ فرقة منها استولت بملكها على طرف من أرض اليمن.

ثمّ إنّ هذا الرجل الذي ملّكوه أساء السيرة في أهل مملكته، حتى كان يمدّ يده إلى حُرَم رعيته ويفجر بهنّ، وأراد أصحابه أن يخلعوه فلم يقدروا عليه، فلمّا رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة، فأرسلت إليه تعرض نفسها عليه، فأجابها الملك: واللهِ ما منعني أن أبتديكِ بالخِطبة إلاّ اليأس منك.

فقالت: لا أرغب عنك، فإنك كفءٌ كريم، فاجمع رجال قومي واخطبني إليهم. فجمعهم وخطبها إليهم، فقالوا: لا نراها تفعل هذا، فقال لهم: إنما هي ابتدأتني، فأنا أُحبّ أن تسمعوا قولها وتشهدوا عليها. فلمّا جاؤوها وذكروا لها

---

١. النمل: ٢٣ .

ذلك قالت: نعم، أحببتُ الولد ولم أزل، كنت أرغب عن هذا، فالساعةَ قد رضيتُ به. فزَوَّجوها منه.

فلما زُفّت إليه خرجت في ناس كثير من خدمها وحشمها حتى غصّت منازله ودوره بهم، فلمّا جاءته سقته الخمر حتى سكر، ثمّ حزّت رأسه وانصرفت من الليل إلى منزلها، فلمّا أصبح الناس رأوا الملك قتيلاً ورأسه منصوباً على باب دارها، فعلموا أنّ تلك المناكحة كانت مكراً وخديعة منها، فاجتمعوا إليها وقالوا لها: أنتِ بهذا المُلك أحقّ من غيرك.

فقالت: لولا العار والشّنار ما قتلتُه، ولكن عمّ فساده وأخذتني الحمية حتى فعلت ما فعلت. فملّكوها واستتب أمرها[١].

أقول: قضية تزوج رجل من الإنس بامرأة من الجنّ قضية غريبة غير مألوفة، ومن يقول في هذا الزمان: عندي زوجة من الجنّ فإنّه متَّهم بالجنون، نعم المذكور في التاريخ أمثال هذه القصة وما شابهها محمول على أن في الزمن الأول كانت للجنّ سياسة أُخرى في تعاملهم مع الإنس بخلاف هذه الأزمنة، فإنّ الجنّ الآن في بُعد عن عالم الإنس، ولم تكن رؤيتهم حاصلة إلا لبعض الجماعات فضلاً عن التزوّج بهم والاستيلاد منهم.

---

١. **تفسير الثعلبي** ٧: ٢٠٧ . وفي سند رواية أبو هريرة هكذا: ما أخبرني ابن فنجَوَيه قال: حدثنا محمّد بن الحسن بن بشر، قال: حدثنا محمّد بن حريم بن مروان، قال: حدثنا هشام بن عمار، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن سعيد بن بشير، عن قَتادة، عن النضر بن أنس، عن بشر بن نهيك .

سلّط على خاتمه جنياً

رُوي أنّ نبي الله سليمان عليه السلام قالت له حظية[1] من حظاياه: إنّ أخي له خصومة، فأرغب أن تقضي له بكذا وكذا بشيء غير الحق، فقال سليمان عليه السلام: أفعل. فعاقبه الله تعالى بأن سلّط على خاتمه جنياً، وذلك أن سليمان عليه السلام كان لا يدخل الخلاء بخاتم المُلك توقيراً لاسم الله تعالى، فكان يضعه عند امرأة من نسائه، ففعل ذلك يوماً، فألقى الله شبهه على جنّي اسمه (صخر) فيما روي عن ابن عباس.

وقيل: غير هذا مما اختصرناه لعدم الصحة، فجاء إلى المرأة فدفعت إليه الخاتم فاستولى على مُلك سليمان، وبقي فيه أربعين يوماً وطرح خاتم سليمان في البحر، وجعل يعبث في بني إسرائيل، وشبّه سليمان عليه، حتى أنكروا أفعاله، ومكّنه الله تعالى من جميع الملك. قال مجاهد: إلاّ من نساء سليمان، فإنّه لم يكشفهن، وكان سليمان خلال ذلك قد خرج فاراً على وجهه مُنكَراً لا ينتسب لقوم إلاّ ضربوه، وأدركه جوع وفاقة، فمرّ يوماً بامرأة تغسل حوتاً فسألها منه لجوعه.

وقيل: بل اشتراه فأعطته حوتين، فجعل يفتح أجوافها وإذا خاتمه في جوف أحدهما، فعاد إليه ملكه وتسخّرت له الجن والريح من ذلك اليوم بدعوته، وفرّ صخر الجني، فأمر سليمان به فسِيق وأُطبق عليه في حجارة، وسجنه في البحر إلى يوم القيامة، فهذه هي الفتنة التي فُتن سليمان عليه السلام وامتُحن بها[2].

---

١. وهي المرأة التي لها مكانة عند السلطان، ونحوه كما في (**لسان العرب** ١٤: ١٨٥).

٢. **المحرر الوجيز** لابن عطية ٤: ٥٠٤.

ويُرَدّ على ذلك أنّ نبي الله سليمان معصوم كسائر أنبياء الله تعالى، ولا يصدر منه ما يخالف إرادة الحق تعالى، وأنت ترى في أول الرواية أنه قد طُلب منه أن يقضي بغير الحق فاستجاب لذلك، فكيف تُفسَّر استجابته لذلك؟!

كما أنّه هل يمكّن الله الجني في أن يتشبّه بأنبياء الله تعالى، ويتسلّط على ملكهم، فإنّ مثل هذه الحكايات لا تناسب شأن الأنبياء والرسل الذين أعطاهم الله سبحانه وتعالى عصمةً عن الذنب.

رؤية سواد بن قاربٍ للجن

تقدم في بحث تمثّل الملائكة رواية دالة على رؤية سواد بن قارب للملائكة المبشِّرة بالبعثة النبوية، وهذه رواية تحكي ظهور الجن وبروزهم أمام الشخص نفسه، وهو سواد بن قارب وتبشّره برسالة محمد بن عبد الله ﷺ وبدينه الجديد، وأما هل هناك تنافٍ بين الرواية المتقدمة في رؤيته للملائكة وبين هذه الرواية الناطقة بظهور الجن وبروزهم أمامه؟ الظاهر لا، فإن الأُولى لو سلّمنا بصحتها فهي تحكي عن واقعة، والثانية تحكي عن واقعة أخرى.

وأما لقاء سواد بن قارب مع الجنّي وتجسّمه أمامه فمذكور فيما نقله أبو محمد، عن صبّاح المزني، عن الحارث بن حصيرة، عن الأصبغ بن نُباتة أنه قال: كنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الجمعة في المسجد بعد العصر، إذ أقبل رجل طوال كأنه بدوي فسلم عليه، فقال له علي عليه السلام: «ما فعل جنيُّك الذي كان يأتيك؟»، قال: إنه ليأتيني إلى أن وقفتُ بين يديك يا أمير المؤمنين، قال علي عليه السلام: «فحدّثِ القومَ بما كان منه».

فجلس وسمعنا له، فقال: إني لراقد باليمن قبل أن يبعث الله نبيهﷺ، فإذا جني أتاني نصف الليل فرفسني برجله[1] وقال: اجلس. فجلست ذعراً منه، فقال: اسمع. قلت: وما أسمع؟ قال:

عَجِبتُ للجنّ وأبلاسِها ... وركبِها العيسَ بأحلاسِها[2]
تَهوي إلى مكةَ تَبغي الهدى ... ما طاهرُ الجن كأنجاسِها
فارحلْ إلى الصفوةِ مِن هاشمٍ ... وارمِ بعينَيك إلى رأسِها

قال: فقلت: والله لقد حدث في وُلد هاشم شيءٌ أو يحدث، وما أفصح[3] لي، وإني لأرجو أن يفصح لي.

فأرقتُ[4] ليلتي وأصبحت كئيباً، فلما كان من القابلة أتاني نصف الليل وأنا راقد، فرفسني برجله وقال: اجلس فجلست ذعراً، فقال: إسمع، فقلت: وما أسمع؟ قال:

عجبتُ للجنّ وأخبارِها ... وركبِها العيسَ بأكوارِها[5]
تَهوي إلى مكةَ تبغي الهدى ... ما مؤمنُو الجنِّ ككفّارِها
فارحلْ إلى الصفوة من هاشمٍ ... بينَ رواسيها[6] وأحجارِها

فقلت: واللهِ لقد حدث في ولد هاشم شيءٌ أو يحدث، وما أفصح لي،

---

١. رفسه رفساً ورفاساً: ضربه في صدره .

٢. العيس: الإبل البيض، يخالط بياضها شيء من الشقرة، والأحلاس جمع حلس، وهو كساء يُطرَح على ظهر البعير .

٣. أي ما بيّن ولا وضّح .

٤. الأرق: ذهاب النوم .

٥. الأكوار جمع الكور بالضمّ وهو الرجل بأداته .

٦ . في البحار: روابيها، والرابية ما ارتفع من الأرض .

وإني لأرجو أن يفصح لي.

فأرقت ليلتي وأصبحت كئيباً، فلما كان من القابلة أتاني نصف الليل وأنا راقد، فرفسني برجله وقال: اجلس. فجلست وأنا ذعر، فقال: إسمع، قلت: وما أسمع؟ قال:

عجبتُ للجنِّ وألبابِها	وركبِها العيسَ بأقتابِها
تَهوي إلى مكّةَ تبغي الهدى	ما صادقو الجنّ ككُذّابِها
فارحلْ إلى الصفوة من هاشمٍ	أحمدَ إذ هُو خيرُ أربابِها

قلت: قد والله أفصحت، فأين هو؟ قال: ظهر بمكة، يدعو إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله. فأصبحتُ ورحلت ناقتي ووجّهتها قِبلَ مكة، فأول ما دخلتها لقيت أبا سفيان ـ وكان شيخاً ضالاً ـ فسلّمت عليه وسألته عن الحي، فقال: والله إنهم مخصبون(١)، إلاّ أنّ يتيم أبي طالب قد أفسد علينا ديننا، قلت: وما اسمه؟

قال: محمد، أحمد، قلت: وأين هو؟ قال: تزوّج بخديجة بنت خويلد، فهو عليها نازل. فأخذتُ بخطام ناقتي ثم انتهيت إلى بابها فعقلت ناقتي ثم ضربت الباب، فأجابتني: مَن هذا؟ فقلت: أنا أردت محمداً.

فقالت: إذهب إلى عملك، ما تَذَرون محمداً يأويه ظلّ بيت، قد طردتموه وهرّبتموه وحصّنتموه، اذهب إلى عملك.

قلت: رحمكِ الله، إني رجل أقبلت من اليمن، وعسى الله أن يكون قد منّ عليّ به، فلا تحرميني النظر إليه، وكان رحيماً ﷺ فسمعته يقول: يا خديجة افتحي الباب. ففتَحَت فدخلت، فرأيت النور في وجهه ساطعاً، نور في نور،

---

١ . في عيشٍ رغد .

ثم دُرتُ خلفه، فإذا أنا بخاتم النبوة، مختوم على كتفه الأيمن، فقبّلته، ثم قمت بين يديه وأنشأت أقول:

أتاني نجيٌّ بعد هَدْوٍ[١] ورَقدة ... ولم يكُ فيما قد تلوتُ بكاذبِ
ثلاثَ ليال قولُه كلَّ ليلة ... أتاك رسولٌ مِن لؤيٍّ بنِ غالبِ
فشمّرتُ من ذيلي الأزارَ ووسطت بي ... الذعلب الوجناء بين السباسبِ[٢]
فمُرْنا بما يأتيك يا خيرَ قادر ... وإن كان فيما جا تشيب الذوائبِ[٣]
وأشهَدُ أنّ الله لا شيءَ غيرُهُ ... وأنّك مأمور على كلِّ غائبِ
وأنك أدنى المرسلين وسيلةً ... إلى الله يا ابن الأكرمين الأطائبِ
وكن لي شفيعاً يومَ لا ذو شفاعةٍ ... إلى الله يُغني عن سوادِ بن قاربِ

وكان اسم الرجل سواد بن قارب، فرجعت والله مؤمناً بهﷺ، ثم خرج إلى صفّين فاستُشهِد مع أمير المؤمنين عليه السلام[٤].

أقول: يظهر من الخبر أعلاه أن العلاقة كانت وطيدة بين سواد بن قارب وبين الجني، فقد قال لأمير المؤمنين: إنه ليأتيني إلى أن وقفت بين يديك، ويظهر منه معرفة الجن بالشعر ويااليت الفرصة تسنح لنا أو لأيّ شخص آخر لأن يجمع أشعار الجن وأقوالهم وكذلك المنسوبة إليهم ويبوّبها، ومن خلال ذلك تنفتح آفاق في بيان الجهة الأدبية عند الجن والسرّ المنشأ في ذلك.

---

١. الهدو: السكون .

٢. الذعلب: الناقة القوية، والوجناء: الناقة الصلبة والسباسب: جمع سبسب وهو الأرض البعيدة المستوية .

٣. الذوائب: هي شعر في مقدّم الرأس، والمعنى إنّا صدقناك وآمنا بك وبالوحي النازل عليك وإن كان فيه شدائد تشيب منه الذوائب، و «جا» مخفف «جاء».

٤. **الاختصاص**: ١٨١، **بحار الأنوار** ٦: ٣٢٠ و ج ١٤ ص ٥٩٢ .

تصاغر الجني

أخبر أصحاب التواريخ أنّ النبيﷺ كان جالساً وعنده جني يسأله عن قضايا مشكلة، فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فتصاغر الجني حتى صار كالعصفور، ثمّ قال: أخبرني يا رسول الله، قال: عمّن؟ فقال: مَن هذا الشاب المقبل؟ قال: وما ذاك؟ قال الجني: أتيت سفينة نوح لأغرقها يوم الطوفان، فلمّا تناولتها ضربني هذا فقطع يدي، ثمّ أخرج يده مقطوعة، فقال له النبيﷺ: هو ذاك.

وإن جنياً كان جالساً عند النبيﷺ فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فاستغاث الجني وقال: أجِرْني يا رسول الله من هذا الشاب المقبل! قال: ما فعل بك؟ قال: تمرّدتُ على سليمان فأرسل إليّ نفراً من الجن، فطلت عليهم، فجاءني هذا الفارس فأسرني وجرحني، وهذا مكان الضربة إلى الآن لن تندمل(١).

وإن جنياً كان جالساً في مجلس رسول اللهﷺ فدخل علي عليه السلام فغاب الجني، فلمّا خرج عليّ، عاد الجني إلى مكانه، فقال له النبيﷺ: لمَ غبتَ عند حضور علي؟

فقال: يا رسول الله، إنّ علياً جرحني. قال: وكيف ولم تظهر إلاّ في زمن سليمان عليه السلام؟ ثمّ قالﷺ: إن الله تعالى خلق ملكاً على صورة علي يقاتل مع الأنبياء(٢).

والرواية الأخيرة أفضل شاهد لتأويل الروايتين السابقتين، وأنّ الله سبحانه وتعالى خلق ملائكة تشبه عليّ بن أبي طالب عليه السلام كانوا يقاتلون مع أنبيائه تعالى، وقد مرّ عليك أن الملائكة الذين أيّد الله تعالى بهم رسوله في غزوة بدر كانوا

---

١. مشارق أنوار اليقين: ١٢٦، مدينة المعاجز ١: ١٤٢ / ح ٨١، حلية الأولياء للحافظ أبي نُعيم الأصفهاني ٢: ١٥ / ح ١.

٢. مشارق أنوار اليقين: ١٢٦، مدينة المعاجز ١: ١٤٢ / ح ٨٢.

يشبهون علي بن أبي طالبعليه السلام ليكون ذلك أهيب في صدور الأعداء.

عفراء

روى الصدوق بسنده عن سهيل بن غزوان قال: سمعت أبا عبد اللهعليه السلام يقول: «إنّ امرأة من الجن كان يقال لها: عفراء، وكانت تأتي النبيصلى الله عليه وآله فتسمع من كلامه فتأتي صالحي الجن فيُسْلمون على يديها، وأنّه فقدها النبيصلى الله عليه وآله فسأل عنها جبرئيلعليه السلام فقال: إنها زارت أختاً لها تحبها في الله.

فقال النبيصلى الله عليه وآله: «طوبى للمتحابّين في الله، إن الله تبارك وتعالى خالق في الجنّة عموداً من ياقوتة حمراء، عليه سبعون ألف قصر، في كلّ قصر سبعون ألف غرفة، خلقها الله عزّ وجلّ للمتحابين والمتزاورين، يا عفراء أيّ شيءٍ رأيتِ؟»، قالت: رأيت عجائب كثيرة، قال: «فأعجب ما رأيت؟»، قالت: رأيت إبليس في البحر الأخضر على صخرة بيضاء مادّاً يديه إلى السماء وهو يقول: إلهي إذا بررتَ قسمَك وأدخلتني نار جهنّم، فأسألك بحق محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلاّ خلصتَني منها وحشرتني معهم.

فقلت: يا حارث[1]، ما هذه الأسماء التي تدعو بها؟ قال لي: رأيتها على ساق العرش من قَبل أن يخلق الله آدم بسبعة آلاف سنة، فعلمت أنها أكرم الخلق على الله عزّ وجلّ، فأنا أسأله بحقهم. فقال النبيصلى الله عليه وآله: «واللهِ لو أقسم أهل الأرض بهذه الأسماء لأجابهم»[2].

وهذه الرواية منقولة في كتاب (المحاسن) للبرقي مع تفاوت في بعض

---

١. الحارث من أسماء إبليس لعنه الله.

٢. **الخصال**: ٦٣٨ / ح ١٣ والسند هكذا: الصدوق عن أبيه أنّه قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن محمّد بن عبد الحميد العطّار، عن محمّد بن راشد البرمكي، عن عمر بن سهل الأسدي.

فقراتها بالإضافة إلى عدم ذكر اسم الجنية، فقد روي عن علي بن حسان الواسطي رفع الحديث قال: أتت امرأة من الجن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فآمنت به وحسن إسلامها، فجعلت تجيء كلّ أسبوع، فغابت عنه أربعين يوماً ثمّ أتته، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما الذي أبطأك يا جنية؟

فقالت: يا رسول الله أتيت البحر الذي هو محيط بالدنيا في أمرٍ أردتُه، فرأيت على شط ذلك البحر صخرة خضراء وعليها رجل جالس قد رفع يديه إلى السماء وهو يقول: اللهم إني أسألك بحق محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلاّ ما غفرت لي.

فقلت له: من أنت؟ قال: أنا إبليس، فقلت، ومن أين تعرف هؤلاء؟ قال: إني عبدت ربي في الأرض كذا وكذا سنة، وعبدت ربي في السماء كذا وكذا سنة، ما رأيت في السماء أسطوانة إلاّ وعليها مكتوب (لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين أيّدتُه به)[١].

عمرو بن عثمان

كما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نبي مبعوث إلى الإنس والجنّ وقد كانوا يأتونه ويأخذون عنه مسائلهم، كذلك كان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إمام الإنس والجنّ وقد كان لهم اتصال به لأخذ معالم دينهم، ففي المرويّ عن جابر الجعفي، عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «بينا أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر إذ أقبل ثعبان من ناحية باب من أبواب المسجد[٢]، فهمّ الناس أن

١. **المحاسن** ٢: ٣٣٢ / ح٩٨.

٢. قال في **مرآة العقول** ٤: ٢٩٥: باب الثعبان في مسجد الكوفة مشهور، ويذكر أنّ بني أُمية لعنهم الله ربطوا على هذا الباب فيلاً لمحو هذا الاسم عن الخواطر، فاشتهر بباب الفيل بعد ذلك.

يقتلوه، فأرسل أمير المؤمنين أن كفّوا، فكفّوا، وأقبل الثعبان ينساب حتى انتهى إلى المنبر، فتطاول فسلّم على أمير المؤمنين عليه‌السلام فأشار أمير المؤمنين إليه أن يقف حتى يفرغ من خطبته، ولما فرغ من خطبته أقبل عليه فقال: من أنت؟

فقال: أنا عمرو بن عثمان خليفتك على الجنّ، وإنّ أبي مات وأوصاني أن آتيك فأستطلع رأيك، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين فما تأمرني به وما ترى؟ فقال له أمير المؤمنين عليه‌السلام: أوصيك بتقوى الله، وأن تنصرف فتقوم مقام أبيك في الجن، فإنك خليفتي عليهم. قال: فودّع عمرُو أميرَ المؤمنين وانصرف فهو خليفته على الجن»، فقلت له: جُعلت فداك، فيأتيك عمرو وذاك الواجب عليه؟ قال: «نعم»[١].

ثعبان ينفخ في الناس

يظهر من بعض الأخبار ـ كما في الخبر المارّ ـ أنّ الجنّ متشكّل بشكل الحية، لها جسم مادي وهي تتأثر بفعل الإنسان من الجرح والقتل، وتطالب بحقوقها، ولن تترك مَن آذاها.

روى القاضي بن شاذان، عن أبان بن تغلب، عن الإمام جعفر بن محمّد عليهما‌السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه‌السلام على منبر الكوفة يخطب وحوله الناس، فجاء ثعبان ينفخ في الناس وهم يتحاودون عنه، فقال أمير المؤمنين عليه‌السلام: وسّعوا له، فأقبل حتى رقى المنبر والناس ينظرون إليه، ثمّ قبّل أقدام أمير المؤمنين عليه‌السلام وجعل يتمرغ عليها، ونفخ ثلاث نفخات، ثمّ نزل

١. **الكافي** ١: ٣٩٤ / ح ٦، والسند هكذا: محمّد بن يحيى وأحمد بن محمّد، عن محمّد بن الحسن، عن إبراهيم بن هشام، عن عمرو بن عثمان، عن إبراهيم بن أيوب، عن عمرو بن شمر.

وانساب، ولم يقطع أمير المؤمنين الخطبة، فسألوه عن ذلك.

فقال: هذا رجل من الجن ذكر أنّ ولده قتله رجل من الأنصار اسمه جابر ابن سميع بن خفّان من غير أن يتعرض له بسوء، وقد استوهبتُ دم ولده. فقام إليه رجل طويل بين الناس فقال: أنا الرجل الذي قتلتُ الحية في المكان المشار إليه، وإني منذ قتلتها لا أقدر أن أستقر في مكان من الصياح والصراخ، فهربت إلى الجامع، فأنا منذ سبعة أيام هاهنا.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: خذ جملك واعقره في موضع قتلتَ الحية، وامضِ لا بأس عليك»[1]. والمراد بالعقر النحر.

كأنّ ألوانهم الجراد الصُّفْر

ذكرنا سابقاً أنه يظهر من بعض الأخبار أنّ الجنّ يظهرون ويتصورون بصور وأشكال قريبة من صور الإنسان، وأنّ بسطاء الناس قد يراهم بصورتهم المتشكّلة جديداً، بالإضافة إلى رؤية المعصوم عليه السلام لهم، فقد ورد عن محمّد ابن علي، عن يحيى بن مساور، عن سعد الإسكاف قال: أتيت أبا جعفر عليه السلام في بعض ما أتيته فجعل يقول: «لا تعجل»، حتّى حميت الشمس علَيّ وجعلتُ أتتبّع الأفياء، فما لبث أن خرج علَيّ قوم كأنهم الجراد الصفر، عليهم البتوت[2] قد أنهكتهم العبادة، قال: فوالله لَأنساني ما كنت فيه من حسن هيئة القوم، فلمّا دخلت عليه قال لي: «أراني قد شققتُ عليك».

قلت: أجل والله، لقد أنساني ما كنت فيه قوم مرّوا بي، لم أر قوماً أحسن هيئةً منهم في زيّ رجلٍ واحدٍ، كأنّ ألوانهم الجراد الصفر، قد أنهكتهم العبادة،

---

١. **مشارق أنوار اليقين**: ١١٦، **مدينة المعاجز** ٢: ٤٠ / ح ٣٨٤، **بحار الأنوار** ٣٩: ١٧٢ / ح ١٤ .

٢. البتوت: جمع بتّ، وهو كساء كالطيلسان، كما في (**غريب الحديث** لابن قتيبة ١: ٣٨٩) .

فقال: «يا سعد رأيتَهم؟!»

قلت: نعم، قال: «أولئك إخوانك من الجن»، قال: فقلت: يأتونك؟ قال: «نعم يأتونا يسألونا عن معالم دينهم، وحلالهم وحرامهم»(١).

وعن علي بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن علي بن حسان، عن إبراهيم ابن إسماعيل عن ابن جبل، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال ابن جبل: كنّا ببابه فخرج علينا قوم أشباه الزِّطّ، عليهم أُزُر وأكسية، فسألنا أبا عبد الله عليه السلام عنهم، فقال: «هؤلاء إخوانكم من الجن»(٢).

وقد وُصف في الحديثين المتقدّمين الجنّ بالأخوة، فقال: «إخوانكم من الجن»، ويراد به الأخوّة الإيمانية الشاملة للإيمان بالله ورسوله والأئمة عليهم الصلاة والسلام، كما يظهر من أخذهم الحلال والحرام منه عليه السلام.

وعن أحمد بن إدريس ومحمد بن يحيى، عن الحسن بن علي الكوفي، عن ابن فضّال عن بعض أصحابنا، عن سعد الإسكاف قال: أتيت أبا جعفر عليه السلام أريد الإذن عليه، فإذا رحال إبل على الباب مصفوفة، وإذا الأصوات قد ارتفعت، ثمّ خرج قوم مُعْتَمّين بالعمائم يشبهون الزِّطّ، قال: فدخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت: جُعلت فداك، أبطأ إذنُك علَيّ اليوم ورأيت قوماً خرجوا علَيّ مُعْتمّين بالعمائم فأنكرتُهم. فقال: «أوَ تدري من أولئك يا سعد؟»، قال: قلت: لا، قال: فقال: «أولئك إخوانكم من الجن يأتونا فيسألونا عن حلالهم وحرامهم ومعالم دينهم»(٣).

وتدل هذه الأخبار بوضوح على أنّ الجن يمكن للناس رؤيتهم فضلاً عن

---

١. **الكافي** ١: ٣٩٤ / ح ١.
٢. **الكافي** ١: ٣٩٤ / ح ٢.
٣. **الكافي** ١: ٣٩٤ / ح ٣.

الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وأنّهم أجسام لطيفة تتشكّل بأشكال الإنس أو ما يقرب من أشكالهم، وغيرهم، إما بقدرة الله تعالى وإرادته أو أقدرهم الله تعالى على ذلك، والكلّ واحد.

خَدَمة من الجنّ

يضاف إلى ذلك أنّ بعض هؤلاء الجنّ كانوا خَدَمة للأئمة عليهم السلام، يسمعون كلامهم ويأتمرون بأمرهم، ويتشكّلون بأشكال الإنس، يدل على ذلك المروي عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن سدير الصيرفي، قال: أوصاني أبو جعفر عليه السلام بحوائج له بالمدينة فخرجت، فبينا أنا بين فجّ الرَّوحاء[1] على راحلتي إذا إنسان يلوي ثوبه.

قال: فملت إليه وظننت أنه عطشان فناولته الإداوة[2]، فقال لي: لا حاجة لي بها. وناولني كتاباً طينُه رطب.

قال: فلمّا نظرت إلى الخاتم إذا خاتم أبي جعفر عليه السلام، فقلت: متى عهدك بصاحب الكتاب؟ قال: الساعة. وإذا في الكتاب أشياء يأمرني بها، ثمّ التفتُّ فإذا ليس عندي أحد، قال: ثمّ قدم أبو جعفر عليه السلام فلقيته، فقلت: جُعلت فداك، رجل أتاني بكتابك وطينُه رطب، فقال: «يا سدير، إنّ لنا خَدَماً من الجنّ، فإذا أردنا السرعة بعثناهم». وفي رواية أُخرى قال: «إنّ لنا أتباعاً من الجن، كما أن لنا أتباعاً من الإنس، فإذا أردنا أمراً بعثناهم»[3].

---

١. الفجّ: الطريق بين الجبلين أو الطريق الواسع، والرَّوحاء موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة.

٢. الإداوة: الإناء الذي يُسقى منه.

٣. **الكافي** ١: ٣٩٤ / ح ٤.

هذا بالنسبة للإمام المعصومعليه السلام مع أننا نسمع من هنا وهناك أن فلاناً عنده قابلية تسخير الجن وأن عنده جماعة من الجنّ يساعدونه في أداء بعض المهمات الصعبة... ومثل هذه الأعمال لا تخلو من إشكال.

قضية جابر الجعفي

جابر بن يزيد الجعفي عربي قديم، لقي أبا جعفر وأبا عبد اللهعليهما السلام ومات في أيامه سنة ثمان وعشرين ومائة، ممدوح[١].

روي عن علي بن محمّد، عن صالح بن أبي حماد، عن محمّد بن أورمة، عن أحمد بن النضر، عن النعمان بن بشير قال: كنت مزاملاً لجابر بن يزيد الجعفي، فلمّا أن كنا بالمدينة دخل على أبي جعفرعليه السلام فودعه وخرج من عنده وهو مسرور حتى وردنا الأُخيرجة ـ أول منزل نعدل من فيد إلى المدينة[٢] ـ يوم جمعة فصلّينا الزوال، فلمّا نهض بنا البعير إذا أنا برجل طوال آدم معه كتب، فناوله جابراً، فتناوله فقبّله ووضعه على عينيه وإذا هو: من محمّد بن علي إلى جابر بن يزيد. وعليه طين أسود رطب.

فقال له: متى عهدك بسيدي؟ فقال: الساعة، فقال له: قبل الصلاة أو بعد الصلاة؟ فقال: بعد الصلاة. ففكّ الخاتم وأقبل يقرؤه ويقبض وجهه حتى أتى على آخره، ثمّ أمسك الكتاب فما رأيته ضاحكاً ولا مسروراً حتى وافى الكوفة، فلمّا وافينا الكوفة ليلاً بِتُّ ليلتي، فلمّا أصبحت أتيته إعظاماً له فوجدته قد خرج علَيّ وفي عنقه كعاب، قد علّقها وقد ركب قصبة وهو يقول:

---

١. **معجم رجال الحديث** ٤: ٣٣٧ / الترجمة ٢٠٣٣ .

٢. انظر: **مراصد الاطّلاع** ١: ٤١، **معجم البلدان** ١: ١٢٠ وج٤: ٢٨٢ .

أجد منصور بن جمهـور أميـــراً غيـــر مـأمورا![1]

وأبياتاً من نحو هذا، فنظر في وجهي ونظرت في وجهه فلم يقل لي شـيئاً ولم أقل له، وأقبلتُ أبكي لما رأيته، واجتمع علـيّ وعليـه الصـبيان والنـاس، وجاء حتى دخل الرحبة [2] وأقبل يدور مع الصـبيان والنـاس يقولـون: جُـنّ جابر بن يزيد جنّ! فوالله ما مضت الأيـام حتـى ورد كتـاب هشـام بـن عبـد الملك إلى واليه أن انظر رجلاً يقال له: جابر بن يزيد الجعفي فاضـرب عنقـه وابعث إليّ برأسه. فالتفت إلى جلسائه فقال لهم: مَن جابر بن يزيد الجعفي؟

قالوا: أصلحك الله، كان رجلاً له علم وفضل وحديث وحجّ، فجُنّ، وهو ذا في الرحبة مع الصبيان على القصب يلعب معهم. قال: فأشرف عليه فـإذا هـو مع الصبيان يلعب على القصب، فقال: الحمد لله الذي عافاني من قتلـه، قـال: ولم تمض الأيام حتى دخل منصور بن جمهور الكوفة وصنع مـا كـان يقـول جابر[3].

ومحل الشاهد هو في مقدمة القصة، حيث جاءه رجل طوال آدم حاملاً لـه رسالة من الإمامعليه السلام وهذا الرجل الطوال من الجن كان خادماً للإمـام يوصـل رسائله إلى أبعد المناطق في فرصة زمنية قليلة.

عامر الزهرائي

يظهر من بعض الأخبار أنّ رؤية الجن منحصرة بالإمام المعصـومعليه السلام وأنّ

---

١. منصور بن جمهور كان والياً من قِبل بني أُمية على الكوفة، ولأه يزيـد بـن الوليـد بعـد عـزل يوسف بن عمر سنة ١٢٦هجرية بعد شهادة الباقرعليه السلام (**مرآة العقول** ٤: ٢٩٧).

٢. فضاء واسع كان بالكوفة كالميدان، أو محلة بالكوفة .

٣. **الكافي** ١: ٣٩٦ / ح ٧ .

عامّة الناس لا يرونهم ولا يسمعونهم، وقد يكون ذلك لنوع خاص من الجنّ حين تشكّلهم بأشكال معينة، فقد روى محمد بن جحرش قال: حدّثتني حكيمة بنت موسى قالت: رأيت الرضا عليه السلام واقفاً على باب بيت الحطب، وهو يناجي ولست أرى أحداً، فقلت: يا سيدي لمن تناجي؟ فقال: هذا عامر الزهرائي أتاني يسألني ويشكو إليّ، فقلت: يا سيدي أحبّ أن أسمع كلامه، فقال لي: إنكِ إن سمعتِ به حُمِمتِ سنة، فقلت: يا سيدي أحبّ أن أسمعه، فقال لي: إسمعي. فاستمعت فسمعت شبه الصفير وركبتني الحمى، فحممت سنة[1].

أقول: قد مرّ عليك أن عامّة الناس من غير المعصومين قد كان يرى الجن ويسمعهم حاله حال الأنبياء والأوصياء المعصومين، لكنّ هذا الخبر يحكي أنّ ذلك ليس بمتيسَّر إلاّ بمشيئة المعصوم عليه السلام، ومع ذلك فإن رؤيته أو سماع صوته ليس بالشيء المفرح.

أطيرُ فآتيكم بخبر القوم

مرّ عليك في القصص المتقدمة أن الجنّ عندهم سرعة فائقة على الحركة ويتمكنون من طيّ المسافات الطويلة في زمنٍ قصير، وهذه قصة جديدة تبيّن ذلك، فضلاً عن ظهورهم وتجسّمهم أمام الناس.

نُقل عن الميثمي، قال: خمسة من أهل الكوفة أرادوا نصر الحسين بن علي عليهما السلام فمروا بقرية يقال لها: شاهي[2]، إذ أقبل عليهم رجلان شيخ وشابّ، فسلّما عليهم، قال: فقال الشيخ: أنا رجل من الجنّ وهذا ابن أخي، أردنا نصر

---

١. **الكافي** ١: ٣٩٥ / ح ٥ والسند هكذا: روى علي بن محمد ومحمد بن الحسن عن سهل بن زياد عمن ذكره عن محمد بن جحرش.

٢. شاهي: موضع قرب القادسية، كما في (**معجم البلدان** ٣: ٣١٦).

هذا الرجل المظلوم.

قال: فقال لهم الشيخ الجني: قد رأيتُ رأياً، فقال الفتية الإنسيّون: وما هذا الرأي الذي رأيت؟ قال: رأيت أن أطير فآتيكم بخبر القوم فتذهبون على بصيرة، فقالوا له: نِعمَ ما رأيت.

قال: فغاب يومه وليلته، فلمّا كان من الغد إذا هم بصوت يسمعونه ولا يرون الشخص، وهو يقول:

والله ما جئتُكم حتّى بَصُرتُ بهِ ... بالطفّ مُنعفِرَ الخدَّينِ منحورا
وحولَه فتيةٌ تُدمى نحورهُمُ ... مثلَ المصابيح يَغْشَون الدُّجى نورا
وقد حثثتُ قَلُوصي[1] كي أصادفهم ... مِن قَبلِ ما أن يلاقوا الخُرّدَ[2] الحُورا
كان الحسين سراجاً يُستضاء بهِ ... اَللهُ يعلم أنّي لم أقل زُورا
مجاوراً لرسول الله في غُرفٍ ... وللبتولِ وللطيّارِ مسرورا

فأجابه بعض الفتية من الإنسيّين يقول:

إذهبْ فلا زال قبرٌ أنت ساكنُهُ ... إلى القيامة يُسقى الغيثَ مَمطورا
وقد سلكتَ سبيلاً كنتَ سالكَهُ ... وقد شربتَ بكأسٍ كان مغزورا
وفتيةٍ فرّغوا للهِ أنفسَهُم ... وفارقوا المالَ والأحبابَ والدُّورا[3]

---

١. القَلُوص: الناقة الشابة.

٢. الخريد والخرود: جمع خرد، وهي البكر لم تُمَسّ.

٣. **كامل الزيارات**: ١٨٩ / ح ٢٦٩، **بحار الأنوار** ٤٥: ٢٤٠. والسند هكذا: قال جعفر بن محمّد بن قولويه: حدّثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن إبراهيم بن عقبة، عن أحمد بن عمرو بن مسلم. يراجع: **إحقاق الحقّ** ـ الملحقات ج ١١: ٥٧٠ ـ ٥٨٩ / باب نَوح الجنّ على الحسين عليه السلام.

ويظهر من الخبر أعلاه أنّ الجنّ ليس لهم علم فعلي بالمغيبات، بل لابدّ لهم من السعي والجهد كي يصلوا إلى ذلك المكان ويروا ماذا جرى، نعم لهم قدرة على الحركة أكثر من قدرة الإنس عليها، وقد يكون هذا لعدم ارتباطهم بمادة شبيهة بمادة الإنسان.

شيخ أعور من الجن

ورد عن الهيثم بن واقد، قال: كنت عند الرضاعليه السلام بخراسان، وكان العباس يحجبه، فدعاني وإذا عنده شيخ أعور يسأله، فخرج الشيخ، فقال لي: رُدَّ علَيّ الشيخ. فخرجت إلى الحاجب فسألته، فقال: لم يخرج علَيّ أحد. فقال الرضاعليه السلام: أتعرف الشيخ؟ فقلت: لا.

فقال: هذا رجل من الجن، سألني عن مسائل، وكان فيما سألني عنه مولودان وُلدا في بطنٍ ملتزقَين، مات أحدهما، كيف يُصنَع به؟ قلت: يُنشَر الميت عن الحي[1].

أسلمت على يد أبي القاسم

روي عن محمّد بن علي الباقرعليه السلام أنّ قوماً خرجوا في سفر فتوسّطوا مفازة في يوم قائظ، فهجر عليهم النهار، وقد نفد الماء والزاد فأشرفوا على الهلكة عطشاً، فتلقَّوا أصول الشجر، فإذا رجل عليه بياض الثياب وقف فقال: سلام، فقالوا: سلام قال: ما حالكم؟ قالوا: ما ترى، قال: أبشروا بالسلامة، فإني

---

١. **دلائل الإمامة** لمحمد بن جرير الطبري الإمامي: ٣٧٥ / ح ٣٣٨، وعنه في **مستدرك الوسائل** ١: ١٧٨ / ح ٢٩٤ . والسند هكذا: حدثني أبو المفضل محمّد بن عبد الله، قال: حدثنا محمّد بن همام، قال: حدثني أحمد بن الحسين، المعروف بابن أبي القاسم، قال: حدثني أبي، عن بعض رجاله ... .

رجل من الجنّ أسلمتُ على يد أبي القاسم محمّدﷺ فسمعته يقول: «المؤمن أخو المؤمن، عينُه ودليله»، فما كنتم لتهلكوا بحضرتي، أُتلوني. قال: فتلوناه فأورَدَنا على ماء وكلاء، فأخذنا حاجتنا ومضينا(١).

هل لك أن تصارعني؟

إذا حدثت مغالبة ومصارعة بين أحد من الجن وأحد من الإنس فالغلبة تكون لمن؟ قد يفهم أن الغلبة تكون للجنّ لأن نفس الاختفاء فيه مثار الريب والخوف للإنسان، بالإضافة إلى ذلك القدرة على التشكّل بأشكال مختلفة تساعده على الغلبة، لكنّ هذا ليس بصحيح دائماً، وإنما قد تكون الغلبة للإنسان.

ورد في الخبر عن ابن مسعود قال: خرج رجل من الإنس فلقيه رجل من الجن فقال: هل لك أن تصارعني؟ فإن صرعتني علّمتُك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان. فصارعه فصرعه الإنسي، فقال: تقرأ آية الكرسي، فإنّه لا يقرأها أحد إذا دخل بيته إلاّ خرج الشيطان له خَبَجٌ كخَبَج الحمار(٢).

والخَبَج بالتحريك الضراط(٣).

وورد في الخبر عن أُبيّ بن كعب أنه كان له جُرُن(٤) فيه تمر، فكان يتعاهده فوجده ينقص، فحرسه ذات ليلة فإذا هو بدابة شبه الغلام المحتلم، قال: فسلّمت فردّ السلام، فقلت: ما أنت جني أم إنسي؟ قال: جني. قلت:

---

١. الأمان من أخطار الأسفار: ١٢٣.

٢. الدرّ المنثور ١: ٣٢٣، بحار الأنوار ٦٠: ١١٢ / ح ٧٧.

٣. النهاية في غريب الحديث ٢: ٦، لسان العرب ٢: ٢٤٦.

٤. الجُرُن: جمع جَرين، وهو موضع تجفيف الثمر، وهو له كالبيدر للحنطة (لسان العرب ١٣: ٨٧).

ناولني يدك. فناولني فإذا يداه يد كلب، وشعره شعر كلب! فقلت: هكذا خُلق الجن! قال: لقد علمت الجن أنّ ما فيهم من هو أشد مني. قلت: ما حملك على ما صنعت؟ قال: بلغني أنك رجل تحب الصدقة، فأحببنا أن نصيب من طعامك. فقال له أبي: فما الذي يجيرنا منكم؟ قال: هذه الآية آية الكرسي التي في سورة البقرة، مَن قالها حين يمسي أُجير منّا حتى يُصبح، ومن قالها حين يُصبح أُجير منا حتى يمسي. فلمّا أصبح أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «صدق الخبيث»[١].

وفي حديث زيد بن ثابت أنه خرج إلى حائطه فسمع جلبة[٢]، فقال: ما هذا؟! قال رجل من الجن: أصابتنا السَّنَة[٣] فأردت أن أصيب من ثماركم، قال له: فما الذي يعيذنا منكم؟ قال: آية الكرسي[٤]. وفي (الدر المنثور) أنه أخرج ابن مردويه عن أبي أيوب الأنصاري أنه كان له مِربَد[٥] للتمر في بيته، فوجد المربد قد نقص، فلمّا كان الليل أبصره فإذا بحسّ رجل، فقال له: من أنت؟! قال: رجل من الجن أردنا هذا البيت، فأرملنا[٦] من الزاد فأصبنا من تمركم ولا يُنقصكم الله منه شيئاً.

فقال له أبو أيوب الأنصاري: إن كنت صادقاً فناولني يدك. فناوله يده فإذا بشعر كذراع الكلب، فقال له أبو أيوب: ما أصبتَ من تمرنا فأنت في حل،

---

١. **الدرّ المنثور** ١: ٣٢٢.

٢. الحائط: البستان. والجَلْبة: هي الأصوات كما في (**النهاية في غريب الحديث** ١: ٢٨١).

٣. السَّنَة: الجَدْب، جمعها سَنَهات وسِنون (**لسان العرب** ١٣: ٥٠١).

٤. **فتح الباري** ٤: ٣٩٨.

٥. مكان يُجمَع فيه التمر.

٦. أي قل زادنا أو انعدم.

أفلا تخبرني بأفضل ما تتعوّذ به الإنسُ من الجن، قال: هذه الآية، آخر سورة الحشر[١].

وأنت ترى أن قراءة آية الكرسي تدفع ضرر الشيطان وشرّه كما في بعض الأخبار، وأنها تدفع ضرر الجن وشرّه كما في أخبار أُخر، وفي الخبر الأخير أنّ قراءة آخر سورة الحشر تدفع شرّ الجن، ولا تنافي، فإن كلّ الآيات القرآنية تنفع لدفع الشرير من الجن ولدفع الشياطين، وقد فصّلنا الكلام في هذا المجال في كتاب (الرسول المصطفى ﷺ وفضائل القرآن الكريم)[٢].

أنا ظبيان بن عامر

دعبل بن علي بن رزين الخزاعي شاعر معروف وعالم متكلم، له ديوان شعر وله كتاب (الواحدة) وكتاب (طبقات الشعراء). كانت ولادته سنة ١٤٨ هجرية ووفاته سنة ٢٤٦ هجرية، وقد جاء في كتاب (أخبار الجن) للشيخ مسلم بن محمود من قدماء المخالفين بإسناده عن دعبل بن علي الخزاعي قال: هربت من المعتصم فبتّ ليلة بنيسابور وحدي، وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة، وإني لفي ذلك إذ سمعت والباب مردود علَيّ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أَلِجُ، يرحمُك الله؟ فاقشعرّ بدني من ذلك ونالني أمر عظيم.

فقال: لا تَرُعْ عافاك الله، فإني رجل من الجن إخوانك، ثمّ من ساكني اليمن، طرأ إلينا طارئ من أهل العراق وأنشدنا قصيدتك، وأحببت أن أسمعها

---

١. الدرّ المنثور ٦: ٢٠٢ .

٢. الكتاب متخصص في بيان الأسس والأصول التي يعتمد عليها في قبول ورد الأحاديث الواردة في بركات وفضائل القرآن الكريم وقد نشرته دار الأثر في بيروت .

منك. فأنشدته:

مدارسُ آيات خلَت من تلاوة ومنزلُ وحيٍ مُقفِرُ العَرَصاتِ
أناس عليٌّ الخير منهم وجعفرٌ وحمزةُ والسجادُ ذو الثَّفِناتِ
إذا فَخَروا يوماً أتَوا بمحمّدٍ وجبريلَ والفُرقانِ والسُّوَراتِ

فأنشدته إلى آخرها، فبكى حتى خر مغشياً عليه ثمّ قال: رحمك الله، ألا أحدّثك حديثاً يزيد في نيتك، ويعينك على التمسك بمذهبك؟ قلت: بلى. قال: مكثت حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمّدعليه السلام فصرت إلى المدينة فسمعته يقول: حدّثني أبي عن أبيه عن جده أن رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: «علي وأهل بيته الفائزون».

ثمّ ودّعني لينصرف فقلت: رحمك الله، إن رأيتَ أن تخبرني باسمك، قال: أنا ظبيان بن عامر[1].

خلاص الظبية

جاء في كتاب (الهواتف) لابن أبي الدنيا: حدّثنا محمّد بن صدران الأزدي، حدّثنا نوح بن قيس، حدّثنا قيس، حدّثنا نعمان بن سهل الحرّاني قال: بعث عمر بن الخطاب رجلاً إلى البادية فرأى ظَبْية مصرورة، فطاردها حتى أخذها، فإذا رجل من الجن يقول:

يا صاحبَ الكَنانةِ المكسورة خَلِّ سبيلَ الظَّبية المصرورة
فإنها لِصبيةٍ مضرورة غاب أبوهم غَيبةً مذكورة

---

١. **الأغاني** ١٨: ٣٩، ٩٠، **بحار الأنوار** ٦٠: ١٢٨ ح ١١٧، **شرح إحقاق الحق** ٧: ٣٠١.

في كورة لا بُوركت مذكورة(١)

طائر له حفيف

وفي كتاب الهواتف أيضاً: حدّثني عيسى بن عبد الله التميمي، حدّثنا ابن إدريس، حدّثني أبي، عن وهب بن منبّه قال: كان يلتقي هو والحسن البصري في الموسم في كلّ عام في مسجد الخِيف إذا هدأت الرِّجل ونامت العيون، ومعهما جلّاس لهم يتحدّثون إليهم، فبينا هما ذات ليلة يتحدّثان مع جلسائهما إذ أقبل طائر له حفيف حتى وقع إلى جانب وهب في الحلقة، فسلم فرد وهب عليه السلام، وعلم أنه من الجن، ثمّ أقبل عليه يحدّثه.

فقال وهب: من الرجل؟ قال: رجل من الجن، من مسلميهم. قال وهب: فما حاجتك؟

قال: أوَ تُنكر علينا أن نجالسكم، ونحمل عنكم العلم؟ إن لكم فينا رواة كثيرة، وإنا لنحضركم في أشياء كثيرة، من صلاة، وجهاد، وعيادة مريض، وشهادة جنازة، وحج، وعمرة، وغير ذلك، ونحمل عنكم العلم، ونسمع منكم القرآن.

فقال له وهب: فأي رواة الجن عندكم أفضل؟ قال: رواة هذا الشيخ. وأشار إلى الحسن، فلمّا رأى الحسن وهباً قد شُغل عنه قال: يا أبا عبد الله مَن تحدث؟ قال: بعض جلسائنا. فلمّا قاما من مجلسهما، سأل الحسن وهباً فأخبره وهب خبر الجني، وكيف فضّل رواة الحسن على غيرهم.

قال الحسن لوهب: أقسمت عليك أن لا تذكر هذا الحديث لأحد، فإني لا

---

١. كتاب **الهواتف**: ٦٠ / الرقم ٧٨ .

آمن أن ينزله الناس على غير ما جاء[١].

وأنت أعرف بوهب بن منبّه وبالحسن البصري، فإنّ وهب بن منبه من القصّاصين الذين لا يُعتمَد على كلامهم، ومِثلُه صاحبه.

تزوّجتُ امرأة من الجن!

المعروف أنّ الرجل من الإنس يقترن بامرأة من جنسه، والجانّ كذلك، لكنّ اقتران رجل من الإنس بامرأة من الجن لم يُسمع إلاّ في شواذّ القصص والأخبار، وعهدة ذلك على راويه، فقد نُقل في ترجمة نعيم بن سالم بن قنبر مولى الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام عن الطحاوي قال: حدّثنا يونس بن عبد الأعلى قال: قدم علينا نعيم بن سالم مصر فسمعته يقول: تزوجت امرأة من الجن ولم أعد إلى ذلك[٢].

وعن الشيخ فتح الدين اليعمري يقول: حدّثني عنه عثمان المقاتلي قال: سمعت أبا الفتح القشيري يقول: سمعت الشيخ عز الدين عبد السلام يقول وقد سُئل عن ابن عربي فقال: شيخُ سوءٍ كذّاب! فقال: وكذّاب أيضاً؟! قال: نعم، تذاكرنا يوماً نكاح الجن فقال: الجن روح لطيف والإنس جسم كثيف، فكيف يجتمعان؟ ثمّ غاب عنا مدة وجاء وفي رأسه شجّة، فقيل له في ذلك فقال: تزوجت امرأة من الجن فحصل بيني وبينها شيء فشجّتني هذه الشجة!

قال الذهبي بعد ذلك: وما أظن عن ابن عربي تعمّد هذه الكذبة، وإنما هي من خرافات الرياضة[٣].

---

١. كتاب **الهواتف**: ٦٠ / ٧٨.

٢. **بحار الأنوار** ٦٠: ٣١٢.

٣. **الوافي بالوفيات** ٤: ١٢٥، **بحار الأنوار** ٦٠: ٣١٢.

في بيتي امرأة من الجن

قد أكثر الشعراني في كتاب (العهود المحمدية) النقلَ عن عليّ الخـواص، ونسب له كرامات وفضائل فاقت أو عدلت كرامات وفضائل رسول الله وآلـه الأطهار، والمناسب هنا أن ننقل لك حكاية تناسب هذا المبحث حيث قال: قد كان في بيتي امرأة من الجن، فكانت إذا قربَت مني قامت كـلّ شـعرة فـي جسدي، فكنت أذكر الله فتبتعد من وقتها، ثمّ كانـت تقـف فـي طريقـي إلـى المسجد في الظلام فما فزعت منها قطّ، بل كنت أمرّ عليها في المجاز المظلم فأقول لها: السلام عليكم، وما نفر خاطري منها قطّ، مع أن طباع الإنـس تنفـر من الجن»[1].

يا أمَّ عنقود اعذرينا

جاء في (الكامل في التاريخ) أن الناس سنة ستمائة أصابهم وجع كثير فـي حلوقهم، ومات منه كثير من الناس، فظهر أنّ امرأة مـن الجـن يقـال لهـا: (أم عنقود) مات ابنها عنقود، وكل من لا يعمل له مأتماً أصابه هذا المرض، فكثر فعل ذلك، وكانوا يقولون:

يا أمَّ عُنقود اعـــذرينـــا   قـد مات عنقودُ ما درينا

وكان النساء يلطمن وكذلك الأوباش[2].

خرقاء امرأة من الجن

خرقاء امرأة من الجن ذكرت في خبر العباس بن عبد الله البرقعي في قصّة

---

١. العهود المحمدية: ٢٦٧ .

٢. الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٠: ٤٢ .

وقعت لبعض السلف، فقد نقل العباس بن أبي راشد، عن أبيه قال: نزل بنا عمر بن عبد العزيز، فلمّا رحل قال لي مولاي: اركب معه فشيِّعه. قال: فركبت، فمررنا بوادٍ فإذا نحن بحيّة ميتة مطروحة على الطريق، فنزل عمر فنحاها وواراها، ثمّ ركب، فبينا نحن نسير إذا هاتف يهتف وهو يقول: يا خرقاء! يا خرقاء فالتفتنا يميناً وشمالاً فلم نر أحداً، فقال له عمر: أنشدك الله أيها الهاتف إن كنت ممن يظهر إلاّ ظهرت لنا، وإن كنت ممن لم يظهر أخبِرْنا عن الخرقاء.

قال: هي الحية التي لقيتم بمكان كذا وكذا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لها يوماً: يا خرقاء تموتين بفلاة من الأرض، يدفنك خير مؤمن من أهل الأرض. فقال له عمر: أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ فتعجب عمر وانصرفنا.

وأوردها الخطيب في ترجمة عبّاد بن راشد من كتاب (المتَّفَق) عن عباد ابن راشد من أهل ذي المروة عن أبيه قال: زار عمر ابن عبد العزيز مولاي، فلمّا أراد الرجوع قال لي مولاي: شيِّعْه. فذكر نحوه، وفي آخره فقال: أنا من السبعة الذين بايعوا رسول الله ﷺ بهذا الوادي وفيه فقال لي: يا راشد لا تخبرن بهذا أحداً حتى أموت.

وأوردها أبو نعيم في (الحلية) في آخر ترجمة عمر بن عبد العزيز، وأنه وجد حية ميتة فلفّها في خرقة فدفنها، فسمع قائلاً يقول: هذه خرقاء... نحوه[١].

وفي مثل هذه القصّة تأمل، ولا يبعد أن تكون من مجعولات بني أمية في

---

١. **الإصابة في تمييز الصحابة** لابن حجر العسقلاني ٨: ١٠٥ / الرقم ١١٠٩٧.

توجيه أفعال حكّامهم وغاصبي خلافة رسولهم.

عظيم من الجن

كانت امرأة من الجن في الجاهلية تسكن ذا طُوى، وكان لها ابن ولم يكن لها ولد غيره، فكانت تحبه حباً شديداً، وكان شريفاً في قومه، فتزوج وأتى زوجته، فلمّا كان يوم سابعه قال لأمّه: يا أماه إني أحب أن أطوف بالكعبة سبعاً نهاراً، قالت له أمه: أي بني إني أخاف عليك سفهاء قريش. فقال: أرجو السلامة.

فأذنت له فولّى في صورة جان، فمضى نحو الطواف فطاف بالبيت سبعاً وصلى خلف المقام ركعتين، ثمّ أقبل منقلباً فعرض له شاب من بني سهم فقتل ذلك الجنّي، فثارت بمكة غبرة حتى لم يبصر لها الجبال.

قال أبو الطفيل: بلغنا أنّه إنما تثور تلك الغبرة عند موت عظيم من الجن، قال: فأصبح من بني سهم على فرشهم موتى كثير مِن قتل الجن، فكان فيهم سبعون شيخاً أصلع سوى الشاب[1].

الكلاب السود البهيم من الجن

الحِن بالكسر حيّ من الجن كانوا قبل آدمعليه السلام يقال: منهم الكلاب السود البهم ويقال: كلب حني، أو سَفَلة الجن وضعفاؤهم، كما عن ابن الأعرابي، أو كلابهم، كما عن الفراء، ومنه حديث ابن عباس: الكلاب من الحن وهي ضَعَفة الجن، فإن كان عندكم طعام فألقوا لهن؛ فإنّ لهن أنفساً أي تصيب بأعينها، أو خلق بين الجن والإنس.

---

١. الدرّ المنثور ١: ١٢٠ .

وأنشد ابن الاعرابي:

أبيتُ أهـوى في شياطينَ ترن　　　مختلفٌ نَجواهُم جنٌّ وحن[١]

وقد ورد في جملة من الروايـات أنّ الكـلاب السـود مـن الجـن، وهـذه الروايات بعضها صحيح السند وبعضها يقرب من الصحة، ففي (الكافي) عـن زرارة، عن أحدهماعليهما السلام قال: «الكلاب السـود البهـيم مـن الجـن»[٢]. وسـنده موثق كما في (مرآة العقول)[٣].

وعن مسمع، عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قـال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله: «الكلاب من ضَعَفة الجن، فإذا أكل أحـدكم الطعـام وشـيء منهـا بـين يديـه فليطعمه أو ليطرده، فإنّ لها أنفُسَ سُوء»[٤].

وعن سالم بن أبي سلمة، عـن أبـي عبـد الله عليه السلام قـال ـ وقـد سـئل عـن الكلاب ـ: «كلّ أسود بهيم، وكل أحمر بهيم، وكل أبيض بهيم، فـذلك خَلـق من الكلاب من الجن، وما كان أبلقَ فهو مَسخ من الجن والإنس»[٥].

وعن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لولا أنّ الكـلاب أُمّـة مـن الأمم لأمرت بقتل كلّ أسود بهيم، فاقتلوا المُعينة من الكلاب، فإنهـا الملعونـة من الجن»[٦]. وكون الكلب الأسود وغيره من الجن، يُحتَمل أن يكون المعنـيّ

---

١. **تاج العروس** ٩: ١٨٥.

٢. **الكافي** ٦: ٥٥٢ / ح ٧.

٣. **مرآة العقول** ٢٢: ٤٧٦، والسند هكذا: عدة من أصحابنا، عـن أحمـد بـن محمـد ومحمـد بـن يحيى، عن عبد الله بن محمد، عن علي بن الحكم، عن أبان.

٤. **الكافي** ٦: ٥٥٣ / ح ٩.

٥. **الكافي** ٦: ٥٥٣ / ح ١٠.

٦. **المعجم الأوسط** للطبراني ٣: ١٣٦، ومثله في: **المعجم الكبير** ١١: ٢٧٦.

أنه على صفتها أو أنه قد تتصور الجن بصورته، أو مسخ من الجن، أي كان في الأصل جنياً فمُسخ بتلك الصورة، وأما كون الأبلق مسخاً من الجن والإنس فهو أيضاً يحتمل نظير الوجوه المذكورة بأنه على صفة شرار الجن والإنس معاً، أو قد يكون ممسوخاً من الجن، وقد يكون ممسوخاً من الإنس أو متولداً من ممسوخ الجن وممسوخ الإنس.

غثيم بريد الجن

روى مالك بن عطية، عن أبي حمزة الثمالي قال: كنت مع الإمام أبي عبد الله عليه السلام فيما بين مكة والمدينة إذ التفت عن يساره فإذا كلب أسود بهيم، فقال: «ما لك قبّحك الله، ما أشدَّ مسارعتَك!»، وإذا هو شبيه بالطائر، فقلت: ما هذا جُعِلتُ فداك؟! فقال: «هذا غثيم ـ بريد الجن ـ مات هشام الساعة وهو يطير ينعاه في كلّ بلدة»[١]. وسنده صحيح كما في (مرآة العقول)[٢].

القُرْطُب

القرطب والقرطوب بالضم: الذكَر من السَّعالى[٣]، وقيل: هم صغار الجن، وقيل: القراطب صغار الكلاب واحدهم قرطب[٤]. قال ابن عربي: أخبرني بعض المكاشفين أنه رأى الجن يأتون إلى العَظْم فيشمونه كما تَشَمّ السباع، ثمّ يرجعون وقد أخذوا أرزاقهم وغذاءهم من ذلك الشمّ[٥].

---

١. **الكافي** ٦: ٥٥٣/ ح ٨.

٢. **مرآة العقول** ٢٢: ٤٧٦.

٣. السَّعالى: جمع السِّعلى، الغُول.

٤. **تاج العروس** ١: ٤٢٧.

٥. **فيض القدير شرح الجامع الصغير** ٦: ٤٠١.

لكنّ هذا ينافي ما ورد فيما سبق من أن جرين التمر كان ينقص بسبب أخذ الجن منه.

هذا ما أردنا ذكره من تجسّم وظهور مخلوق من مخلوقات الله تعالى إلى الإنسان بصورته الواقعية أو بصورة الإنسان، وقد اتّضح لك من خلال النماذج التي ذكرناها أن في الجن الصالحَ والطالح، وأن فيهم الموالي المخلص لدينه والمطيع لرسول الله ولذريته صلوات الله عليهم أجمعين، مع العلم أننا قد أشرنا إلى بعض الموارد التي يرد عليها إشكالات.

الثالث: تجسّم الشيطان

الشياطين أجسام نارية ترجع كلها إلى إبليس، وهذه من شأنها إلقاء النفس الإنسانية في الفساد والغواية بتذكير أسباب المعاصي واللذات وإنساء منافع الطاعات. قال تعالى حكايةً عن الشيطان: ﴿**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم**﴾[١].

إبليس في صورة رجل لحوّاء

المروي عن ابن عباس في قوله تبارك وتعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾[٢] هي نفس آدم، ﴿**وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾، أي حوّاء خلقها الله من ضلع آدم من غير أذى، فلمّا تغشاها آدم حملت حملاً خفيفاً، فلمّا أثقلت، أي ثقل الولد في بطنها أتاها إبليس في صورة رجل، قال: ما هذا يا حواء؟! إني أخاف أن يكون كلباً أو بهيمة! وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك فيقتلك أو ينشق

---

١. إبراهيم: ٢٢، **شرح المقاصد** ٢: ٥٥ .

٢. النساء: ١ .

بطنك! فخافت حواء وذكرت ذلك لآدم عليه السلام فلم يزالا في همّ من ذلك[١].

ويُردّ ذلك بما رُويَ عن زرارة أنه قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن خلق حواء وقيل له: إن أناساً عندنا يقولون: إن الله خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى. فقال: «سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، أيقول مَن يقول هذا أنّ الله تعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجة من غير ضلعه؟! ويجعل للمتكلم من أهل التشنيع سبيلاً إلى الكلام أن يقول: إن آدم كان ينكح بعضه بعضاً إذا كانت من ضلعه! ما لهؤلاء، حَكَمَ الله بيننا وبينهم؟!»[٢].

ومحل الشاهد مجيء إبليس في صورة رجل لحواء، وتكلمه معها وتخويفها من الحمل الموجود في بطنها.

إبليس يعلّم النُّمْرود

أُحضِر نبيُّ الله إبراهيم الخليل عليه السلام عند الملك بأمره، فوقع بينهما المناظرة في وحدانية الله ولزوم عبادته وطاعته، فبُهِت الذي كفر، ثمّ اجتمع رأيهم على قتله، فلم يجدوا له قَتْلةً أعظم من النار، فجُمع له الحطب واستجادوه، وأشار عليهم إبليس ـ وكان قد ظهر لهم بصورة رجل ـ بصنع المنجنيق.

نقل المازندراني عن (معارج النبوة) أنّ نُمرودَ أمر الصغير والكبير والوضيع والشريف والرجال والنساء بجمع الحطب يوماً، واجتمع الحطب أربعة فراسخ في أربعة فراسخ طولاً وعرضاً، وارتفاعه كارتفاع الجبل، وكان في نواحي كوفة، ورأى أهل الشام لسان النار، وسمع صوتها من كان على مسافة يوم وليلة، وهذا من حماقة نمرود، إذ لم يعلم أن إحراق رجل واحد لا يحتاج إلى هذا

---

١. الدرّ المنثور ٢: ١١٦ .

٢. من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٧٩ .

المقدار من النار، فوُضع إبراهيمعليه السلام في منجنيق. وهي التي تُرمى بها الحجارة ـ مُعَرّبة ـ، وأصلها بالفارسية «من جه نيك» أي ما أجودني، وهي مؤنثة.

وقد نُقل أنّهم لما أرادوا إلقاءهعليه السلام في النار لم يقدر أحد من الوصول إلى حواليها لشدة حرّها، فعجزوا فحضر إبليس في صورة رجل وعلّمهم صنعة المنجنيق، ووضع الحجر فيه بعد إتمامه وإلقائه في النار، فاستحسنه نمرود وقومه ثمّ وضعوا إبراهيمعليه السلام فيه، وكان في تلك الحالة مستغرقاً في بحر التوحيد، متوجهاً بكلّه إلى حضرة الحق، منقطعاً عن جميع من سواه حتى عن نفسه، فقالت الأرض: يا ربّ ليس على ظهري أحد يعبدك غيره، يُحرَق بالنار! إلى آخر القصة[1].

في ذبيح الله تعالى

قال عطاء بن يسار: سألت خَوّات بن جبير الأنصاري عن ذبيح الله ، أيهما كان؟ فقال: إسماعيل، لما بلغ إسماعيل سبع سنين رأى إبراهيم في النوم في منزله بالشام أن يذبح إسماعيل، فركب إليه على البراق[2] حتّى جاء فوجده عند أمّه، فأخذ بيده ومضى به لما أُمر به، وجاءه الشيطان في صورة رجل يعرفه فقال: يا إبراهيم، أين تريد؟ قال إبراهيم: في حاجتي. قال: تريد أن تذبح إسماعيل؟

قال إبراهيم: أرأيت والداً يذبح ولده؟! قال: نعم أنت.

قال إبراهيم: ولمَ؟ قال: تزعم أن الله أمرك بذلك، قال إبراهيم: فإن كان الله

---

١. **شرح أصول الكافي** ١٢:٥٣٢ .

٢. البُراق: وهي الدابة التي ركبها رسول اللهصلى الله عليه وآله ليلة الإسراء . سُمّي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه . وقيل: لسرعة حركته شبهه فيهما بالبرق كما في (**النهاية** ١: ١٢) .

أمرني أطعنا الله وأحسنت. فانصرف عنه.

وجاء إبليس إلى هاجر فقال: أين ذهب إبراهيم بابنك؟ قالت: ذهب في حاجته، قال: فإنّه يريد أن يذبحه؟ قالت: وهل رأيت والداً يذبح ولده؟! قال: هو يزعم أن الله أمره بذلك، قالت: فقد أحسن حيث أطاع الله.

ثم أدرك إسماعيلَ فقال: يا إسماعيل، أين يذهب بك أبوك؟ قال: لحاجته، قال: فإنّه يذهب بك ليذبحك، قال: وهل رأيت والداً قطُّ يذبح ولده؟! قال: نعم هو، قال: ولمَ؟! قال: يزعم أن الله أمره بذلك، قال إسماعيل: فقد أحسن حيث أطاع ربه.

قال: فخرج به حتى انتهى به إلى منى حيث أُمر، ثمّ انتهى إلى منحر البُدن اليوم فقال: يا بُنيَّ إنّ الله أمرني أن أذبحك، قال إسماعيل: فأطع، فإنّ في طاعة ربك كلَّ خير، ثمّ قال إسماعيل: هل أعلمتَ أُمّي بذلك؟ قال: لا، قال: أصبت، إني أخاف أن تحزن، ولكن إذا قرّبت السكّين من حلقي فأعرِضْ عني؛ فإنّه أجدر أن تصبر ولا تراني. ففعل إبراهيم فجعل يحزّ في حلقه، فإذا الحزّ في نحاس ما يحتكّ الشفرة، فشحذها مرتين أو ثلاثة بالحجر، كلّ ذلك لا يستطيع أن يحزّ.

قال إبراهيم: إن هذا الأمر من الله! فرفع رأسه، فإذا بوعل واقف بين يديه.

فقال: إبراهيم. قم، يا بُنيّ فقد نزل فداك. فذَبَحه هناك بمنى.

قال الواقدي: وحدّثني ربيعة بن عثمان عن هلال بن أسامة، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن سلام أنه قال: الذبيح هو إسماعيل[1]. وبين المحدّثين كلام في أنّ الذبيح إسماعيل أو إسحاق، وأنّ المختار عندنا وعند الأغلب من

---

١. المستدرك للحاكم النيسابوري ٢: ٥٥٥ .

غيرنا هو نبي الله إسماعيلعليه السلام.

إبليس مع زوجة أيوبعليه السلام

صرخ عدو الله إبليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض جزعاً من صبر أيوب، فلمّا اجتمعوا إليه قالوا: ما أحزنك؟

قال: أعياني هذا العبد الذي سألتُ الله أن يسلّطني على ماله وولده، فلم أدَع له مالاً ولا ولداً، فلم يزدَد بذلك إلاّ صبراً وثناءً على الله تعالى، ثمّ سلّطتُ على جسده وتركته قُرحةً ملقاة على كناسة بني إسرائيل لا يقربه إلاّ امرأته، فقد افتضحت بربي فاستغثت بكم لتعينوني عليه. فقالوا له: أين مكرك؟ أين علمك الذي أهلكتَ به من مضى؟ قال: بَطَلَ ذلك كلُّه في أمر أيوب فأشِيروا علَيّ، قالوا: نشير عليك، أرأيت آدم حين أخرجتَه من الجنّة، من أين أتيته؟ قال: مِن قِبل امرأته، قالوا: فأتِه من قِبَل امرأته، فإنّه لا يستطيع أن يعصيها، وليس أحد يقربه غيرها، قال: أصبتم.

فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدق، فتمثّل لها في صورة رجل فقال: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت: هو ذلك يحكّ قروحه، ويتردّد الدوابُّ في جسده. فلمّا سمعها طمع (إبليس) أن يكون كلمة جزع، فوسوس إليها فذكّرها ما كانت فيه من النعيم والمال، وذكّرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضُّرّ، وأنّ ذلك لا ينقطع عنهم أبداً. قال الحسن: فصرخت، فلمّا صرخت عَلِم أن قد جَزِعَت، فأتاها بسخلة فقال: ليذبح هذا لي أيوب، ولا يذكر عليه اسم الله عزّ وجلّ فإنّه يبرأ، قال: فجاءت تصرخ: يا أيوب، حتى متى يعذبك ربك؟! ألا يرحمك؟! أين المال؟ أين الماشية؟ أين الولد؟ أين الصديق؟ أين لونك الحسَن قد تغير وصار مثل الرماد؟ أين جسمك الحسن الذي قد بَلي وتردد فيه الدواب؟! اذبح هذه السخلة واسترح.

قال أيوب: أتاكِ عدوُّ الله فنفخ فيك وأجبتِه، ويلَكِ أرأيت ما كنا فيه من المال والولد والصحة؟ من أعطانيه؟ قالت: الله، قال: فكم متّعَنا به؟ قالت: ثمانين سنة. قال: فمُذْ كم ابتلاني الله تعالى بهذا البلاء؟ قالت: منذ سبع سنين وأشهر، قال: ويلك والله ما عدلتِ ولا أنصفتِ ربَّك إلاّ صبرت في البلاء الذي ابتلانا الله به ثمانين سنة، كما كنا في الرخاء ثمانين سنة؟ والله لئن شفاني الله عزّ وجلّ لأجلدنّك مائة جلدة حين أمرتِني أن أذبح لغير الله، طعامك وشرابك الذي أتيتني به علَيّ حرام أن أذوق مما تأتيني بعد إذ قلتِ لي هذا، فاعزبي عني فلا أراكِ.

فطردها فذهبت، فلمّا نظر أيوب إلى امرأته قد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجداً [1].

يظهر من الخبر أنّ نبي الله أيوبعليه السلام يعلم سرّ انفعال زوجته وصرختها واعتراضها على تقدير الله سبحانه وتعالى وأمرها إياه بذبح السخلة، لذلك تراه قابلها محتجّاً عليها بأدلة محكمة، مضافاً إلى وعدها بالجلد عقوبةً على ما صدر منها.

إبليس مع قوم موسىعليه السلام

إنّ نبي الله موسىعليه السلام لما وعده الله أن يُنزِل عليه التوراة والألواح إلى ثلاثين يوماً أخبر بني إسرائيل بذلك، وذهب إلى الميقات وخلّف هارون على قومه، فلمّا جاءت الثلاثون يوماً ولم يرجع موسى إليهم عصوا وأرادوا أن يقتلوا هارون، قالوا: إن موسى كذبنا وهرب منا! فجاءهم إبليس في صورة رجل فقال لهم: إن موسى قد هرب منكم ولا يرجع إليكم أبداً، فاجمعوا إليّ

---

١. تفسير الرازي ٢٢: ٢٠٦، الدرّ المنثور ٤: ٣٢٩، بحار الأنوار ١٢: ٣٦٨.

حِليِّكم حتى أتخذ لكم إلهاً تعبدونه. وكان السامري على مقدمة موسى يوم أغرق الله فرعون وأصحابه.

فنظر إلى جبرئيل وكان على حيوان في صورة رمكة[١]، وكانت كلّما وضعت حافرها على موضع من الأرض يتحرك ذلك الموضع، فنظر إليه السامري وكان من خيار أصحاب موسى، فأخذ التراب من حافر رمكة جبرئيل، وكان يتحرك فصرّه في صُرّة، وكان عنده يفتخر به على بني إسرائيل، فلمّا جاءهم إبليس واتخذوا العجل قال للسامري: هات التراب الذي معك. فجاء به السامري، فألقاه إبليس في جوف العجل.

فلما وقع التراب في جوفه تحرك وخار ونبت عليه الوبر والشعر، فسجد له بنو إسرائيل، فكان عدد الذين سجدوا سبعين ألفاً من بني إسرائيل، فقال لهم هارون كما حكى الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**﴾[٢]، فهمّوا بهارون حتى هرب من بينهم وبقَوا في ذلك حتى تمّ ميقات موسى أربعين ليلة، فلمّا كان يومُ عشرةٍ من ذي الحجة أنزل الله عليه الألواح فيه التوراة وما يحتاجون إليه من أحكام السِّيَر والقصص[٣].

ومحل الشاهد تصوّر إبليس في صورة رجل ومجيؤه إلى بني إسرائيل، وتحريضه القوم ضدّ موسى وهارون عليهما السلام إلى أن جرى ما جرى في تلك الواقعة المذكورة أعلاه.

---

١. الرَّمَكَة كرَقَبة: الأنثى من البراذين التي تُتَخذ للنسل، جمعه رماك .

٢. سورة طه ٩٠ ـ ٩١ .

٣. **تفسير القمي** ٢: ٦٢، **بحار الأنوار** ١٣: ٢١٠ / ح ٤ .

ظهور إبليس ليحيى عليه السلام

ربّما يظهر على لسان إبليس اللعين كلمات ملاك الإغواء والإضلال فيجتنب الحكيم عن المضلات، وفي ذلك يأس لإبليس، وقد تحدّث إبليس مع نبي الله يحيى بن زكريا مبيّناً أنّ واحدةً من أدواته في إغواء الناس وإنزالهم إلى الهاوية إملاء البطن، فقد ورد عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ظهر إبليس ليحيى بن زكريا وإذا عليه معاليقُ من كلّ شيء، فقال له يحيى: ما هذه المعاليق يا إبليس؟ فقال: هذه الشهوات التي أصبتُها من ابن آدم، قال: فهل لي منها شيء؟ قال: ربّما شبعتَ فثقّلْتُك عن الصلاة والذكر، قال يحيى: لله عليّ أنّ لا أملأ بطني من طعام أبداً. وقال إبليس: لله عليّ أن لا أنصح مسلماً أبداً».

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حفص، لله على جعفرٍ وآل جعفر أن لا يملؤوا بطونهم من طعام أبداً، ولله على جعفرٍ وآل جعفر أنْ لا يعملوا للدنيا أبداً»[1].

ظهور إبليس لعيسى عليه السلام

ورد عن ابن عيسى، عن ابن فضّال، عن علي بن عقبة، عن بُرَيد القصراني قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «صَعِد عيسى عليه السلام على جبل بالشام يقال له (أريحا)، فأتاه إبليس في صورة ملك فلسطين فقال له: يا روح الله، أحييتَ الموتى وأبرأتَ الأكمه والأبرص، فاطرحْ نفسك عن الجبل، فقال عيسى عليه السلام: إنّ ذلك أُذن لي فيه، وهذا لم يُؤذَن لي فيه»[2].

---

١. **المحاسن** ٢: ٤٣٩ / ح ٢٩٧، والسند: عنه، عن القاسم بن محمّد الأصفهاني، عن سليمان بن داود.

٢. **قصص الأنبياء** للراوندي: ٢٦٨، **بحار الأنوار** ١٤: ٢٧١ / ح ٢.

إبليس في صورة سراقة

ورد في الروايات ما يدل على تمثّل إبليس اللعين بصورة بعض الناس مشيراً على القوم بما يؤدي بهم إلى الضلال، فقد ورد عن ثعلبة بن زيد الأنصاري، قال: سمعت جابر بن عبد الله بن حزام الأنصاري رحمه الله يقول: تمثّل إبليس لعنه الله يوم بدر في صورة سُراقة بن جَعْشَم المُدْلجي فقال لقريش: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ﴾[1].

وتصوّر يوم العقبة في صورة منبّه بن الحجّاج فنادى: إنّ محمداً والصُّباة معه عند العقبة فأدركوهم، فقال رسول اللهﷺ للأنصار: «لا تخافوا، فإنّ صوته لن يعدوهم»[2].

قال الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[3]، في كيفية هذا التزيين وجهان: الأول: أنّ الشيطان زيّن بوسوسته من غير أن يتحوّل في صورة الإنسان، وهو قول الحسن والأصم.

والثاني: أنّه ظهر في صورة الإنسان. قالوا: إنّ المشركين حين أرادوا المسير إلى بدر خافوا من بني بكر بن كنانة، لأنّهم كانوا قتلوا منهم واحداً، فلم يأمنوا أن يأتوهم من ورائهم، فتصوّر لهم إبليس بصورة سُراقة بن مالك بن جَعْشَم، وهو من بني بكر بن كنانة وكان من أشرافهم في جند من الشياطين، ومعه

---

١. الأنفال: ٤٨ .

٢. **الأمالي** للطوسي: ١٧٦ / ح ٥٠، **بحار الأنوار** ١٣: ٢٠٩ / ح ٤ .

٣. الأنفال: ٤٨ .

راية، وقال: لا غالبَ لكُم اليومَ مِن الناس، وإني جار لكم مجيركم من بني كنانة. فلمّا رأى إبليس نزول الملائكة نكص على عقيبه. وقيل: كانت يده في يد الحرث بن هشام، فلمّا نكص قال له الحرث: أتخذلنا في هذه الحال؟ فقال: إني أرى ما لا ترون! ودفع في صدر الحرث وانهزموا.

وفي هذه القصّة سؤالان:

السؤال الأول: ما الفائدة في تغيير صورة إبليس إلى صورة سُراقة؟ والجواب: فيه معجزة عظيمة للرسولﷺ وذلك لأن كفار قريش لما رجعوا إلى مكة قالوا: هزم الناس سراقة، فبلغ ذلك سراقة فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم. فعند ذلك تبين للقوم أن ذلك الشخص ما كان سراقة بل كان شيطاناً!

فإن قيل: فإذا حضر إبليس لمحاربة المؤمنين. ومعلوم أنه في غاية القوة، فلِمَ لم يهزموا جيوش المسلمين؟ قلنا: لأنه رأى في جيش المسلمين جبرئيل مع ألف من الملائكة، فلهذا السبب خاف وفرّ.

فإن قيل: فعلى هذا الطريق وجب أن ينهزم جميع جيوش المسلمين، لأنه يتشبّه بصورة البشر ويحضر ويعين جمع الكفار ويهزم جموع المسلمين. والحاصل: أنه إن قدر على هذا المعنى فلِمَ لا يفعل ذلك في سائر وقائع المسلمين؟ وإن لم يقدر عليه فكيف أضفتم إليه هذا العمل في واقعة بدر؟

الجواب: لعلّه تعالى إنما غيّر صورته إلى صورة البشر في تلك الواقعة، أما في سائر الوقائع فلا يفعل ذلك التغيير.

السؤال الثاني: أنه تعالى لمّا غيّر صورته إلى صورة البشر فما بقي شيطاناً بل صار بشراً.

الجواب: إنّ الإنسان إنما كان إنساناً بجوهر نفسه الناطقة، ونفوس

الشياطين مخالفة لنفوس البشر، فلم يلزم من تغيير الصورة تغيير الحقيقة، وهذا الباب أحد الدلائل السمعية على أنّ الإنسان ليس إنساناً بحسب بنيته الظاهرة وصورته المخصوصة[١].

بل يظهر من كلام الرازي أنّ إنسانية الإنسان بجوهره وأصله، مهما تغيرت صورته.

ونعم ما قيل في المقام:

أقبِلْ على النفسِ واستكملْ فضائلَها فأنت بالروحِ لا بالجسمِ إنسانُ

الشيخ النجدي في دار الندوة

تصوّر إبليس اللعين يوم اجتماع قريش في دار الندوة في صورة شيخ من أهل نجد، وأشار عليهم في النبيﷺ بما أشار، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ﴾[٢].

وأما تفصيل ذلك فقد نقله الراوندي في قصص الأنبياء: أنّه اجتمعت قريش في دار الندوة، فجاءهم إبليس لمّا أخذوا مجلسهم، فقال أبو جهل: لم يكن أحد من العرب أعزَّ منّا حتى نشأ فينا محمّد، وكنا نسميه الأمين لصلاحه وأمانته، فزعم أنه رسول رب العالمين وسبّ آلهتنا، وقد رأيتُ فيه رأياً، وهو أن ندسّ إليه رجلاً فيقتله، وإن طلبت بنو هاشم بدمه أعطيناهم عشر دِيات.

فقال إبليس: هذا رأي خبيث، فإنّ بني هاشم لا يرضَون أن يمشي قاتل محمّد على الأرض أبداً، ويقع بينكم الحروب في الحرم.

---

١. تفسير الرازي ١٥: ١٧٤.

٢. الأنفال: ٣٠.

فقال آخر: الرأي أن نأخذه فنحبسه في بيت ونُثْبتَه فيه، ونلقي إليه قُوتَه حتى يموت، كما مات زهير والنابغة. قال إبليس: إن بني هاشم لا ترضى بذلك، فإذا جاء مواسم العرب اجتمعوا عليكم، فأخرجوه فيخدعهم بسحره. فقال آخر: الرأي أن نخرجه من بلادنا ونطرده ونتفرّغ لآلهتنا، فقال إبليس: هذا أخبث منهما، فإنّه إذا خرج يفجأكم وقد ملأها خيلاً ورَجِلاً. فبقَوا حيارى، قالوا: ما الرأي عندك؟

قال: ما فيه إلاّ رأي واحد، وهو أن يجتمع من كلّ بطن من بطون قريش رجل شريف، ويكون معكم من بني هاشم أحد، فيأخذون سيفاً ويدخلون عليه، فيضربه كلُّهم ضربةً واحدة، فيتفرّق دمه في قريش كلّهم، فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدمه وقد شاركوا فيه، فحماداهم[1] أن تعطوا الدية. فقالوا: الرأي رأى الشيخ النجدي.

فاختاروا خمسة عشر رجلاً فيهم أبو لهب على أن يدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنزل الله تعالى جلّ ذكره: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[2]. وأجمعوا أن يدخلوا عليه ليلاً وكتموا أمره، فقال أبو لهب: بل نحرسه، فإذا أصبحنا دخلنا عليه. فقاموا حول حجرة رسول الله، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يُفرَش له، وقال لعلي ابن أبي طالب عليه السلام: أفْدِني نفسك، فقال: نعم يا رسول الله، قال: نَمْ على فراشي والتحِفْ ببُردتي. فقام وجاء جبرئيل عليه السلام فقال: أُخرجْ. والقوم يشرفون على الحجرة فيرون فراشه وعلي عليه السلام نائم عليه، فيتوهمون أنه رسول الله.

---

١. أي غايتهم ومنتهى ما يُحمَدوا عليه ويَرضَوا به (**النهاية في غريب الحديث** ١: ٤٣٧).

٢. الأنفال: ٣٠.

فخرج رسول الله وهو يقرأ: ﴿يسٓ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1]، وأخذ تراباً بكفّه ونثره عليهم وهم نيام ومضى. فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمّد خذ ناحية ثور. وهو جبل على طريق منى له سنام كسنام الثور، فمرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وتلقاه أبو بكر في الطريق، فأخذ بيده ومرّ به، فلمّا انتهى إلى ثور دخل الغار. فلمّا أصبحت قريش وأضاء الصبح، وثبوا في الحجرة وقصدوا الفراش، فوثب عليّ عليه السلام إليهم وقام في وجوههم، فقال لهم: ما لكم؟! قالوا: أين ابن عمك؟ قال علي عليه السلام: جعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم له: اُخرج عنا؟ فقد خرج عنكم، فما تريدون؟ فأقبلوا عليه يضربونه، فمنعهم أبو لهب، وقالوا: أنت كنتَ تخدعنا منذ الليلة. فلمّا أصبحوا تفرقوا في الجبال[2].

في صورة المغيرة بن شعبة

تصوّرُ إبليس يوم قُبض النبي صلى الله عليه وآله في صورة المُغيرة بن شعبة فقال: أيها الناس، لا تجعلوها كِسروانية ولا قَيصرانية، وسّعوها تتّسع، فلا تردّوها في بني هاشم. فتنتظر بها الحُبالى[3].

شيخ كبير على عصاه

ورد عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن

---

١. يسٓ: ٩.
٢. **قصص الأنبياء** للراوندي: ٣٣٢ ـ الباب العشرون / الفصل ٩.
٣. **الأمالي** للشيخ الطوسي: ١٧٦ / ح ٢٩٨: أخبرنا محمّد بن محمّد، قال: أخبرني أبو عبد الله بن أبي رافع الكاتب، قال: حدثني جعفر بن محمّد بن جعفر الحسيني، قال: حدثنا عيسى بن مهران، قال: حدثنا يحيى بن الحسن بن فرات، قال: حدثنا أبو المقوم ثعلبة بن زيد.

عمر اليماني، عن سُلَيم بن قيس الهلالي قال: سمعت سلمان الفارسي يقول: لمّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وصنع الناس ما صنعوا، وخاصم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح الأنصار، فخصموهم بحُجّة عليّ عليه السلام قالوا: يا معشر الأنصار، قريشٌ أحقُّ بالأمر منكم؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله من قريش والمهاجرين منهم، إنّ الله تعالى بدأ بهم في كتابه وفضّلهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الأئمة من قريش».

قال سلمان رضي الله عنه: فأتيت علياً عليه السلام وهو يغسل رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بما صنع الناس وقلت: إن أبا بكر الساعة على منبر رسول الله، والله ما يرضى أن يبايعوه بيد واحدة، إنهم ليبايعونه بيديه جميعاً بيمينه وشماله، فقال لي: «يا سلمان، هل تدري مَن أوّل مَن بايعه على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله؟»، قلت: لا أدري، إلاّ أني رأيت في ظلّة بني ساعدة حين خصمت الأنصار، وكان أول مَن بايعه بشير بن سعد وأبو عبيدة بن الجراح ثمّ عمر ثمّ سالم، قال: «لستُ أسألك عن هذا، ولكن تدري أول مَن بايعه حين صَعِد منبر رسول الله؟!»، قلت: لا، ولكني رأيت شيخاً كبيراً متوكّئاً على عصاه بين عينيه سجّادة، شديد التشمير، صعد إليه أول من صعد، وهو يبكي ويقول: الحمد لله الذي لم يُمتني من الدنيا حتى رأيتك في هذا المكان، اُبسطْ يدك. فبسط يده فبايعه، ثمّ نزل فخرج من المسجد. فقال علي عليه السلام: «هل تدري من هو؟»، قلت: لا، ولقد ساءتني مقالته كأنه شامت بموت النبي صلى الله عليه وآله.

فقال: ذاك إبليس لعنه الله!.. إلى آخر الخبر[1].

---

١. الكافي ٨: ٣٤٣ / ح ٥٤١.

إبليس في صورة راعٍ

قال ابن عباس، ووهب وغيره من أهل الكتب: كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل، وكان له عجل، فأتى بالعجل إلى غيضة[١] وقال: اللهم إني استودعتك هذه العِجْلة لابني حتى يكبر. ومات الرجل، فشبّت العجلة في الغيضة وصارت عواناً، وكانت تهرب من كلّ من رامها، فلمّا كبر الصبي كان باراً بوالدته، وكان يقسّم الليلة ثلاثة أثلاث: يصلي ثلثاً، وينام ثلثاً، ويجلس عند رأس أمه ثلثاً، فإذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره، ويأتي به السوق، فيبيعه بما شاء الله، ثمّ يتصدق بثلثه، ويأكل ثلثه، ويعطي والدته ثلثاً.

فقالت له أمه يوماً: إن أباك وَرِثك عجلة وذهب بها إلى غيضة كذا واستودعها، فانطلق إليها وادْعُ إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردّها عليك، وإنّ من علامتها أنك إذا نظرت إليها يُخيَّل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها.

وكانت تسمى المذهَّبة لحسنها وصفوتها وصفاء لونها، فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى، فصاح بها وقال: أعزمُ عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب. فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه، فقبض على عنقها وقادها، فتكلّمت البقرة بإذن الله وقالت: أيها الفتى البارّ بوالدته، إركبني فإن ذلك أهون عليك. فقال الفتى: إن أُمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت: خذ بعنقها، قالت البقرة: بإله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي أبداً، فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبِرّك بوالدتك.

فصار الفتى بها فاستقبله عدو الله إبليس في صورة راعٍ. فقال: أيها الفتى

---

١. قال في **المصباح المنير**: ٤٥٩: ـ الغيضة: الأجمة، وهي الشجر الملتفّ، وجمعه: غياض .

إني رجل من رعاة البقر، اشتقت إلى أهلي فأخذت ثوراً من ثيراني فحملت عليه زادي ومتاعي، حتى إذا بلغتُ شطر الطريق ذهبت لأقضي حاجتي فعدا وسط الجبل وما قدرت عليه، وإني أخشى على نفسي الهلكة، فإن رأيت أن تحملني على بقرتك وتنجيني من الموت وأعطيك أجرها بقرتين مثل بقرتك. فلم يفعل الفتى وقال: اذهب فتوكّل على الله، ولو علم الله تعالى منك اليقين لبلغك بلا زاد ولا راحلة، فقال إبليس: إن شئت فبِعْنِيها بحكمك، وإن شئت فاحملني عليها وأعطيك عشرة مثلها، فقال الفتى: إن أُمي لم تأمرني بهذا.

فبين الفتى كذلك إذ طار طائر من بين يدي البقرة ونفرت البقرة هاربة في الفلاة، وغاب الراعي، فدعاها الفتى باسم إله إبراهيم فرجعت البقرة إليه. فقالت: أيها الفتى البار بوالدته، ألم تر إلى الطائر الذي طار، فإنّه إبليس عدو الله اختَلَسَني، أما إنه لو ركبني لما قدرتَ عليَّ أبداً، فلمّا دعوت إله إبراهيم جاء ملك فانتزعني من يد إبليس وردّني إليك لبِرِّك بأمك وطاعتك لها.

فجاء بها الفتى إلى أمه فقالت له: إنك فقير لا مال لك، ويشقّ عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل، فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها. قال لأمّه: بكم أبيعها؟ قالت: بثلاثة دنانير ولا تَبِعْها بغير رضاي ومشورتي. وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير، فانطلق بها الفتى إلى السوق فعقّبه الله سبحانه ملكاً ليُري خَلْقَه قُدرتَه، وليختبر الفتى كيف بِرّه بوالدته، وكان الله به خبيراً، فقال له المَلَك: بكم تبيع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير، وأشترط عليك رضى أمي، فقال له الملك: ستة دنانير ولا تستأمر أمك، فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلاّ برضى أمي. فردها إلى أمه وأخبرها بالثمن، فقالت: ارجع فبعها بستة دنانير على رضى مني. فانطلق الفتى بالبقرة إلى السوق فأتى الملك فقال: استأمرتَ والدتك؟ فقال الفتى: نعم، إنّها أمرتني أن لا أُنقصها من ستة دنانير على أن

أستأمرها، قال الملك: فإني أعطيك اثني عشر (ديناراً) على أن لا تستأمرها.

فأبى الفتى ورجع إلى أمه وأخبرها بذلك. فقالت: إنّ ذاك الرجل الذي يأتيك هو ملك من الملائكة، يأتيك في صورة آدمي ليجرّبك، فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ ففعل ذلك فقال له الملك: اذهب إلى أمك وقل لها: أمسكي هذه البقرة، فإنّ موسى يشتريها منكم لقتيل يُقتَل في بني إسرائيل، فلا تبيعوها إلاّ بملء مسكها دنانير. فأمسكا البقرة وقدّر الله تعالى على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافاةً على برّه بوالدته، فضلاً منه ورحمة، فطلبوها فوجدوها عند الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهباً[1]. وهناك قصة أُخرى ذكرها المفسرون تشير إلى برّه بوالده إذ لم يوقظه من النوم، فوهبه البقرة.

ظهور الشيطان لِبُنان والسَّرِيّ

ورد في الخبر عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عُمَير، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن بُناناً والسري وبزيعاً لعنهم الله تراءى لهم الشيطان في أحسن ما يكون في صورة آدمي من قرنه إلى سرته.

قال: فقلت: إن بناناً يتأوّل هذه الآية ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾[2] أنّ الذي في الأرض غير إله السماء، وإله السماء غير إله الأرض، وأنّ إله السماء أعظم من إله الأرض، وأنّ أهل الأرض يعرفون فضل إله السماء ويعظّمونه، فقال عليه السلام: «والله ما هو إلاّ الله وحده لا شريك له، إلهٌ في السماوات وإله في الأرضين. كذب بُنان عليه لعنة الله، لقد صغّر اللهَ جلّ جلاله وصغّر

---

١. **تفسير الثعلبي** ١: ٢١٤، **بحار الأنوار** ١٣: ٢٧٥، **قصص الأنبياء** للسيد نعمة الله الجزائري: ٣٢٦ .

٢. الزخرف: ٨٤ .

عظمته»[١].

لاستراق السمع

ورد في الخبر عن بكر بن محمّد الأزدي عن عمه عبد السلام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يا عبد السلام، إحذر الناس ونفسك»، فقلت: بأبي أنت وأمّي، أما الناس فقد أقدر على أنّ أحذرهم، فأما نفسي فكيف؟! قال: «إنّ الخبيث يسترق السمع يجيؤك فيسترق ثمّ يخرج في صورة آدمي فيقول: قال عبد السلام»، فقلت: بأبي أنت وأمي، هذا ما لا حيلة له، قال: «هو ذلك»[٢].

والظاهر أنّ المراد به ما تلفّظ به من معايب الناس وغيرها من الأمور التي يريد إخفاءها فيكون مبالغاً في التقية، ويُحتمَل شموله لما يخطر بالبال فيكون الغرض رفع الاستبعاد عما يخفيه الإنسان عن غيره ثمّ يسمعه من الناس، وهذا كثير، والمراد بالخبيث الشيطان[٣].

خلاصة الفصل الثاني:

المعلوم عند المسلمين قاطبة أنّ الملائكة والجن والشياطين من مخلوقات الله سبحانه وتعالى، وأنها في الغالب غير مرئية في زماننا هذا، لكن ظهر لك من خلال الأدلة القرآنية والروائية أن هذه المخلوقات كان لها في الأزمنة المتقدمة حضور أمام الأنبياء والأولياء، بل حتى أمام عوامّ الناس، وأنها كانت تؤدي مهماتها المأمورة بها كما في الملائكة والجن الصالحين، وأن الشياطين تتجسّم بشكل إنساني من أجل مخادعة الإنسان وإيقاعه في المهالك!

---

١. **اختيار معرفة الرجال** ٢: ٥٩٢ / ح ٥٤٧، **بحار الأنوار** ٦٩: ٢١٣ / ح ٣.

٢. **تفسير العياشي** ٢: ٢٣٩.

٣. **بحار الأنوار** ٦٠: ٢٢٠ / ح ٦٢.

الفصل الثالث

تجسّم القرآن والعترة

١ـ تجسّم القرآن الكريم في القبر والمحشر.

٢ـ تجسّم المعصومين وحضورهم عند المحتضر ساعةَ مفارقته الدنيا.

٣ـ تجسّم في اليقظة والنوم وبينهما.

١ـ تجسّم القرآن الكريم

المتتبع للروايات الواردة عن مصدر الشريعة الإسلامية الخاصة في شفاعة القرآن الكريم ووقوفه، أو سورة معينة منه، للقارئ والحافظ والكاتب في القبر ويوم القيامة، حيث يرى في جملة منها ظهورها في تجسّم القرآن، بل بعضها صريح في ذلك.

ففي بعضها « يمثل القرآن يوم القيامة برجُلٍ»[١].

وفي بعضها أنه بلغنا «أنّ القرآن يأتي يوم القيامة في صورة الشاحب

---

١. **غوالي اللآلي** ١: ٦٥/ ح ١٠٨ .

المنافر»، وفي نسخة يمكن أن تُقرأ «المسافر»[١].

وفي بعضها: «أنّ هذا القرآن يلقى صاحبَه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟

فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن أظمأتُك في الهواجر»[٢].

وفي بعضها «يجيء القرآن يوم القيامة في أحسن منظور إليه صورةً، فيمرّ بالمسلمين، فيقولون: هذا الرجل منّا»[٣].

وفي بعضها أنّهﷺ أخبر عن سورة معينة بأنها «تجيء لها جناحان يوم القيامة، تُظلّ صاحبها وتقول: لا سبيل عليه، لا سبيل عليه»[٤].

وفي بعضها أنّ السائل يسأل الإمام أبا جعفرعليه السلام: وهل يتكلّم القرآن؟ فيقول: «نعم، والصلاة تتكلّم، ولها صورة وخلق تأمر وتنهى»[٥].

وفي بعضها «أن لآية الكرسي لساناً وشفتين يقدِّس الملك عند ساق العرش»[٦].

وفي بعضها «أن القرآن يتكلّم طالباً من رب العالمين بأنّي كنت أرغب لهذا العبد فيما هو أفضل من هذا»[٧].

وفي بعضها «مَن نسي سورة مُثّلت له في صورة حسنة ودرجة رفيعة في

---

١. مصنّف عبد الرزاق ٣: ٣٧٤.

٢. مسند أحمد ٥: ٣٤٨، كنز العمال ١: ٥٥٢ / ح ٢٤٧.

٣. الكافي ٢: ٦٠١ / ح ١١، وسائل الشيعة ٤: ٨٢٤ / ح ٢.

٤. الدرّ المنثور ٥: ١٧٠، بحار الأنوار ٩٢: ٣٠٥ / ح ٢.

٥. الكافي ٢: ٥٩٨ / ح ١، بحار الأنوار ٧: ١٣١ / ح ٦.

٦. مجمع البيان ٢: ٣٦٠، تفسير أبي الفتوح الرازي ٢: ٣١٨.

٧. الكافي ٢: ٦٠٣ / ح ٤، بحار الأنوار ٧: ٣٠٥ / ح ٧٨.

الجنة»[١].

وفي بعضها «أنّ الله سبحانه وتعالى يأتي بسورة الرحمن في صورة آدمي في أحسن صورة وأطيب ريح، حتى تقف من الله موقفاً لا يكون أحد أقرب إلى الله تعالى منها»[٢].

وفي بعضها «فثارت السورة في وجهه» كما أنّ في بعضها «فتنطلق إلى الربّ فنقول: يا ربّ، إنّ فلاناً عمد إليّ مِن بين كتابك فتعلَّمَني وتلاني»[٣].

وبعد هذا الموجز لا بأس بتقسيم الروايات إلى طوائف، وذكر رواية أو أكثر من كلّ طائفة.

الطائفة الأُولى: القرآن شافع لقارئه

القرآن يشفع لقارئه في القبر والقيامة، حيث تحدّثنا الأخبار بمخاصمته للمضيّع فرائضه والمتعدّي حدوده، بتمثله بصورة رجل لمن ضيّع الحدود ولم يقم الفرائض، والقرآن يُلقي حججه عليه.

فقد روى عمر بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُمثَّل القرآن يوم القيامة برجل، ويؤتى بالرجل قد كان يضيّع فرائضه ويتعدّى حدوده، ويخالف طاعته ويرتكب معصيته.

قال: فيستنيل له خصماً، فيقول: أي ربّ، حملتَ إيّاي شرّ حامل، تعدّى حدودي، وضيّع فرائضي، وترك طاعتي وركب معصيتي! فما زال يقذف بالحجج حتى يقال: فشأنك وإيّاه. فيأخذ بيده، ولا يفارقه حتى يُكبّه على

---

١. مرآة العقول ١٢: ٤٩١ / ح ٢.

٢. ثواب الأعمال: ١٤٣ / ح ١، وسائل الشيعة ٤: ٨٠٩ / ح ١.

٣. الدرّ المنثور ٦: ٦٤٦، بحار الأنوار ٩٢ : ٣١٤ / ح ٤.

منخره في النار.

ويؤتى بالرجل قد كان يحفظ حدوده، ويعمل بفرائضه، ويأخذ بطاعته ويجتنب معاصيه، فيستنيل حبّاً له.

فيقول: أي ربّ حملتَ إيّاي خير حامل، اتّقى حدودي، وعمل بفرائضي، واتّبع طاعتي وترك معصيتي. فما زال يقذف له بالحجج حتى يقال: فشأنك وإيّاه. فيأخذ بيده فما يرسله حتى يكسوه حلّة الاستبرق ويعقد على رأسه تاج الملك ويسقيه بكأس الخُلْد»[1].

ويتّضح من الخبر تجسّم القرآن الكريم يوم القيامة وتصوره بصورة رجل مخاصِم ومدافِع، مخاصم لمن ضيع الحدود وترك الفرائض إلى أن يُكبّه الله في النار، ومدافع عمّن حَفِظ الحدود والتزم بها.

كما يتّضح تخويل الله سبحانه وتعالى القرآن لمجازاة ذلك العبد العاصي لحدود الله أو العامل بها، وهذا يكشف عن أن للقرآن صلاحيةً في إجراء العقوبات الأُخروية، كما أنه ظهر من أخبار أُخر أنّ المعصوم من أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم أجمعين له تخويلٌ إلهيّ في ذلك.

بل إنّ في بعض الأخبار ما ينطق بدفاع سورة من القرآن الكريم عن قارئها وحافظها وحاملها، كما ورد في (الدرّ المنثور) عن الزهريّ، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ رجلاً ممّن كان قبلكم مات، وليس معه شيء من كتاب الله إلاّ «تبارك»، فلمّا وُضِع في حفرته أتاه الملك، فثارت السورة في وجهه.

فقال لها: إنّك من كتاب الله وأنا أكره شقاوتك، وإنّي لا أملك لك ولا له ولا

---

١. **غوالي اللآلي** ١: ٦٥ / ح ١٠٨، **مستدرك الوسائل** ٤: ٢٣٥ / ح ١٤.

لنفسي نفعاً ولا ضراً، فإن أردت هذا به فانطلقي إلى الربّ فاشفعي له. فتنطلق إلى الربّ فتقول: يا ربّ، إنّ فلاناً عمد إلي من بين كتابك فتعلّمني وتلاني، أفمُحرقه أنت بالنار ومعذّبه وأنا في جوفه؟! فإن كنت فاعلاً ذلك به فامحني من كتابك (إلى أن قال...).

فيقول: اذهبي فقد وهبته لك، وشفّعتك فيه. فتجيء سورة «المُلك»[١]، فيخرج كاسف البال لم يحل منه بشيء، فتجيء فتضع فاهاً على فيه، فتقول: مرحباً بهذا الفم، فربّما تلاني. وتقول: مرحباً بهذا الصدر، فربّما وعاني، ومرحباً بهاتين القدمين فربّما قامتا بي. وتؤنسه في قبره مخافة الوحشة عليه»[٢].

وهذه الرواية ظاهرة في دفاع سورة الملك في القبر عن قارئها وعن الحافظ لها، بل الظاهر منها أن هذا الشخص قد أُوكل أمره إلى هذه السورة، وأما التجسّم، فالسورة وإن لم تكن صريحة فيه إلاّ أنه يظهر ذلك من أول الرواية إلى آخرها، فدقّق، ولك أن تتأمل في قول السورة: أفمُحرِقُه أنت بالنار ومعذّبه وأنا في جوفه؟! وفي قولها: مرحباً بهذا الصدر فربّما وعاني. فإن هاتين العبارتين يظهر منهما عمق الارتباط بين الشخص وبين السورة، أو أنها كانت في جوفه واقعاً وكان وعاءً لها بنحو من أنحاء وجودها.

وفي رواية أُخرى وردت في (درر اللآلي) ورد حديث طويل عن ابن مسعود: قال: تُوفّي رجل فأُتي من قِبل رجلَيه، فقالت رجله: إنّه ليس لكم سبيل علَيّ، إنّه كان يقرأ سورة الملك. فأُتي من قِبل بطنه، فقالت بطنه: لا سبيل لكم عليّ، إنّه كان وعاءً لسورة المُلك. فأُتي من قِبل رأسه، فقال لسانه:

---

١. هي نفسها سورة تبارك .

٢. الدرّ المنثور ٦: ٢٤٦، بحار الأنوار ٩٢ : ٣١٤ / ح ٤ .

لا سبيل لكم عليّ، إنه كان يقرأ سورة الملك. فمنعته بإذن الله من عذاب القبر[١].

كما ورد في كتاب (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سورة الملك هي المانعة تمنع من عذاب القبر، وهي مكتوبة في التوراة (سورة الملك)، ومن قرأها في ليلته فقد أكثر وأطاب، ولم يُكتَب بها من الغافلين، وإني لأركع بها بعد عِشاء الآخرة وأنا جالس، وإنّ والدي عليه السلام كان يقرؤها في يومه وليلته، ومن قرأها إذا دخل عليه في قبره ناكر ونكير مِن قِبل رجلَيه قالت رجلاه لهما: ليس لكما إلى ما قِبلي سبيل، قد كان هذا العبد يقوم علَيّ فيقرأ «سورة الملك » في كلّ يوم وليلة.

وإذا أتياه من قِبل جوفه قال لهما: ليس لكما إلى ما قِبلي سبيل، قد كان هذا العبد أوعاني سورة الملك، وإذا أتياه من قبل لسانه قال لهما: ليس لكما إلى ما قبلي سبيل، قد كان هذا العبد يقرأ بي في كلّ يوم وليلة سورة الملك»[٢].

وهذه الرواية كسابقتها يستفاد منها منع وقوع العذاب والعقاب على قارئها في القبر، والتعبير يمكن أن نجعله من مؤيدات تجسّم القرآن الكريم بقرينة الرواية المتقدمة التي جاء فيها: فثارت السورة في وجهه.

وهذه رواية أُخرى تبين تصوّر سورة الرحمن وتجسّمها في صورة آدمي في أحسن صورة وأطيب ريح:

---

١. **درر اللآلي** ١: ٣٤، **مستدرك الوسائل** ٤: ٣٠٤ / ح ٤ .

٢. **الكافي** ٢: ٦٣٣ / ح ٢٦، **وسائل الشيعة** ٤: ٨٧٦ / ح١، والسند هكذا: عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى جميعاً، عن ابن محبوب، عن جميل، عن سَدير .

فقد ورد في (ثواب الأعمال) بسند ذكره عن الحسن، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تَدَعوا قراءة سورة الرحمن والقيامَ بها، فإنّها لا تقرّ في قلوب المنافقين، ويأتي بها ربّها يوم القيامة في صورة آدمي في أحسن صورة وأطيب ريح، حتى يقف من الله موقفاً لا يكون أحد أقرب إلى الله منها. فيقول لها: من الذي كان يقوم بك في الحياة الدنيا ويُدمن قراءتك؟ فتقول: يا ربِّ فلانٌ وفلان.

فتبيضّ وجوههم، فيقول لهم: اشفعوا فيمن أحببتم. فيشفعون، حتى لا يبقى لهم غاية ولا أحد يشفعون له. فيقول لهم: ادخلوا الجنّة واسكنوا فيها حيث شئتم»[١].

وأنت تلاحظ أنّ وجه الإنسان يبيضّ يوم القيامة بمجرد أن تُقِرًّ سورة الرحمن بقراءته وإدمانه عليها في الحياة الدنيا، كما أن ذلك الإنسان يُعطى شفاعة فيمن يحب ببركة ذلك.

وقد ورد في (الكافي) عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «مَن نَسِي سورة من القرآن مُثّلت له في صورة حسنة ودرجة رفيعه في الجنّة، فإذا رآها قال: ما أنتِ ما أحسنَكِ ليتَكِ لي؟ فتقول: أما تعرفني؟! أنا سورة كذا وكذا، ولو لم تَنسَني رفعتك إلى هذا»[٢]. وسند الرواية حسن كما بيّن ذلك المجلسي في (مرآة العقول)[٣].

---

١. **ثواب الأعمال**: ١٤٣ / ح ١، **وسائل الشيعة** ٤: ٨٠٤ / ح ٢، **البرهان** ٤: ٢٦٢ / ح ٢ .

٢. **الكافي** ٢: ٦٠٧ / ح ٢ .

٣. **مرآة العقول** ٤٩١١٢ / ح ٢ باب مَن حفظ القرآن ثمّ نسيه .

الطائفة الثانية: للسورة لسان وتتكلم

تقدم في ثنايا الطائفة الأُولى ذكر دفاع السورة القرآنية عن صاحبها في يوم الحساب، وهذه مجموعة من الأخبار تبيّن ما يماثل أعضاء جسد الإنسان لبعض السور والآيات القرآنية فيقال: لها لسان ولها أجنحة و... فقد ورد في (مجمع البيان) عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا المنذر، أيُّ آية في كتاب الله أعظم؟»، قلت: الله لا إله إلاّ هو الحيّ القيوم. قال: فضرب في صدري ثمّ قال: «لِيهنِئْك العلم، والذي نفس محمّد بيده إنّ لهذه الآية لساناً وشفتين، يقدّس الملك عند ساق العرش»[١].

وأخرج ابن الضريس، عن المسبب بن رافع أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «الّـمَ تنزيل، تجيء لها جناحان يوم القيامة تُظلّ صاحبها وتقول: لا سبيل عليه، لا سبيل عليه»[٢].

وروى في (الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قرأ القرآن وهو شابّ مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله عزّ وجلّ مع السَّفَرة الكرام البررة، وكان القرآن حجيزاً عنه يوم القيامة، يقول: يا ربّ، إنّ كلّ عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملي، فبلّغْ به أكرم عطاياك. قال: فيكسوه الله العزيز الجبّار حُلّتَين من حلل الجنّة، ويوضع على رأسه تاج الكرامة.

ثمّ قال له: هل أرضيناك فيه؟ فيقول القرآن: يا ربّ قد كنتُ أرغب له فيما هو أفضل من هذا. فيُعطى الأمن بيمينه، والخلد بيساره، ثمّ يدخل الجنّة،

---

١. مجمع البيان ٢: ٣٦٠، تفسير أبي الفتوح الرازي ٢: ٣١٨، مستدرك الوسائل ٤: ٣٣٧ / ح ٢٨، مسند أحمد ٥: ١٤٢، الدرّ المنثور ١: ٤٢٣، المصباح للكفعمي: ٤٤١، و ﴿الٓمٓ * تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ أوّل سورة السجدة المباركة .

٢. الدرّ المنثور ٥: ١٧٠، بحار الأنوار ٩٢ : ٣٠٥ / ح ٢.

فيقال له: إقرأ واصعد درجة. ثم يقال له: هل بلَغْنا به وأرضيناك؟ فيقول: نعم. قال: ومَن قرأه كثيراً وتعاهده بمشقّة من شدّة حفظه، أعطاه الله عزّ وجلّ أجر هذا مرّتين»[١].

أقول: قد مرّ عليك في بعض رواياتنا المتقدمة أنّ الإنسان وعاء للقرآن، وتفسير الوعائية يمكننا أن نفهمه من خلال الخبر المتقدم بأنها اختلاط القرآن بدم قارئه ولحمه.

الطائفة الثالثة: تمثّل القرآن في أحسن صورة

نذكر هنا الروايات الواردة في تمثّل القرآن وتجسّمه وظهوره يوم القيامة في أحسن منظور إليه صورةً:

روى الكليني في (الكافي) بسند ذكره عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يجيء القرآن يوم القيامة في أحسن منظور إليه صورة، فيمرّ بالمسلمين فيقولون: هذا الرجل منّا. فيجاوزهم إلى النبيّين، فيقولون: هو منّا. فيجاوزهم إلى الملائكة المقرّبين، فيقولون: هو منّا. حتّى ينتهي إلى ربّ العزّة عزّ وجلّ فيقول: يا ربّ، فلان ابن فلان أظمأتَ هواجره وأسهرت ليله في دار الدنيا، وفلان ابن فلان لم أُظمئ هواجره ولم أُسهر ليله. فيقول تبارك وتعالى: أدخلهم الجنّة على منازلهم.

فيقوم، فيتّبعونه، فيقول للمؤمن: إقرأ وارقَه. قال: فيقرأ ويرقى حتى يبلغ

---

١. **الكافي** ٢: ٦٠٣ / ح ٤، والسند هكذا: عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد وسهل بن زياد جميعاً عن ابن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن منهال القصّاب . **بحار الأنوار** ٧: ٣٠٥ / ح ٧٨، **وسائل الشيعة** ٤: ٨٣٣ / ح١، **ثواب الأعمال**: ١٢٦ / ح ١.

كلُّ رجل منهم منزلته التي هي له، فينزلها»[١].

وروى (الكليني) بسند ذكره عن يونس بن عمّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان فيه النِّعم، وديوان فيه الحسنات، وديوان فيه السيئات، فيقابل بين ديوان النعم وديوان الحسنات، فتستغرق النعم عامة الحسنات ويبقى ديوان السيئات.

فيدعى بابن آدم المؤمن للحساب، فيتقدم القرآن أمامه في أحسن صورة فيقول: يا ربّ أنا القرآن، وهذا عبدك المؤمن، قد كان يُتعب نفسه بتلاوتي، ويطيل ليله بترتيلي، وتفيض عيناه إذا تهجّد، فأرضِه كما أرضاني.

قال: فيقول العزيز الجبار: عبدي أبسطْ يمينك. فيملأها من رضوان الله العزيز الجبّار، ويملأ شماله من رحمة الله.

ثم يقال: هذه الجنّة مباحة لك، فاقرأ واصعد. فإذا قرأ آية صعد درجة»[٢].

وروى في (الكافي) أيضاً عن علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن الحسين بن عبد الرحمن، عن سفيان، عن أبيه، عن سعد الخفّاف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا سعد، تعلّموا القرآن، فإنّ القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نَظَر إليها الخلق، والناس صفوف عشرون ومائة ألف صف، ثمانون ألف صفّ أُمّة محمّد وأربعون ألف صفّ من سائر الأمم.

فيأتي على صفّ المسلمين في صورة رجل فيسلّم، فينظرون إليه. ثمّ

---

١. **الكافي** ٢: ٦٠١ / ح ١١، **وسائل الشيعة** ٤: ٨٢٤/ ح ٢ والسند هكذا: عن أبي عليّ الأشعري، عن محمّد بن سالم، عن أحمد بن النضر عن عمرو بن شمر، عن جابر .

٢. **الكافي** ٢: ٦٠٢ / ح ١٢، **بحار الأنوار** ٧: ٢٦٧ / ح ٣٤، **وسائل الشيعة** ٤: ٨٢٤ / ح ٣، **نور الثقلين** ٣: ١٧١ / ح ٢٣٩، والسند هكذا: علي بن إبراهيم، عن أبيه وعدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد وسهل بن زياد، جميعاً، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطيّة .

يقولون: لا إله إلاّ الله الحليم الكريم، إنّ هذا من المسلمين، نعرفه بنعته وصفته، غير أنّه كان أشدّ اجتهاداً منّا في القرآن، فمن هناك أُعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نُعطَه.

ثمّ يجاوز حتّى يأتي على صفّ الشهداء فينظرون إليه [الشهداء]، ثمّ يقولون: لا إله إلاّ اللهُ الربُّ الرحيم، إنّ هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسَمْتِه وصفته، غير أنّه من شهداء البحر، فمن هناك أُعطي من البهاء والفضل ما لم نعطه.

قال: فيتجاوز حتى يأتي صفّ شهداء البحر في صورة شهيد، فينظر إليه شهداء البحر فيكثر تعجّبهم ويقولون: إنّ هذا من شهداء البحر نعرفه بسَمْته وصفته، غير أنّ الجزيرة التي أُصيب فيها كانت أعظم هولاً من الجزيرة التي أُصبنا فيها، فمن هناك أُعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه.

ثم يجاوز حتى يأتي صفّ النبيين والمرسلين في صورة نبي مرسل، فينظر النبيّون والمرسلون إليه، فيشتدّ لذلك تعجّبهم، ويقولون: لا إله إلاّ الله الحليم الكريم، إنّ هذا النبي مرسل نعرفه بسَمْته وصفته، غير أنّه أُعطي فضلاً كثيراً؟

قال: فيجتمعون، فيأتون رسول الله ﷺ فيسألونه، ويقولون: يا محمّد، مَن هذا؟ فيقول لهم: أوَ ما تعرفونه؟ فيقولون: ما نعرفه، هذا ممّن لم يغضب الله عليه! فيقول رسول الله ﷺ: هذا حجّة الله على خلقه.

فيسلّم ثمّ يجاوز، حتى يأتي على صفّ الملائكة في صورة ملك مقرّب، فتنظر إليه الملائكة فيشتدّ تعجّبهم، ويكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله، ويقولون: تعالى ربّنا وتقدّس، إنّ هذا العبد من الملائكة نعرفه بسَمْته وصفته، غير أنّه كان أقرب الملائكة إلى الله عزّ وجلّ مقاماً، فمن هناك أُلبس من النور والجمال ما لم نُلبَس.

ثمّ يجاوز حتّى ينتهي إلى ربّ العزّة تبارك وتعالى، فيخرّ تحت العرش، فيناديه تبارك وتعالى: يا حجّتي في الأرض، وكلاميَ الصادقَ الناطق، إرفع رأسك وسَل تُعطَ، واشفع تُشَفَّع.

فيرفع رأسه، فيقول الله تبارك وتعالى: كيف رأيت عبادي؟

فيقول: يا ربّ، منهم من صانني وحافظ علَيّ ولم يضيّع شيئاً، ومنهم مَن ضيّعني واستخف بحقّي وكذّب بي، وأنا حجّتك على جميع خلقك. فيقول الله تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي، وارتفاعِ مكاني، لَأُثيبنّ عليك اليوم أحسن الثواب، ولَأُعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب.

قال: فيُرجع [خ ل: فيرفع] القرآن رأسه في صورة أُخرى. قال: فقلت له: يا أبا جعفر، في أيّ صورة يرجع؟ قال: في صورة رجل شاحب متغيّر، يبصره أهل الجمع، فيأتي الرجل من شيعتنا الذي كان يعرفه، ويجادل به أهل الخلاف، فيقوم بين يديه. فيقول: ما تعرفني؟ فينظر إليه الرجل فيقول: ما أعرفك يا عبد الله. قال: فيرجع في صورته التي كانت في الخلق الأوّل، ويقول: ما تعرفني؟ فيقول: نعم. فيقول القرآن: أنا الذي أسهرتُ ليلك، وأنصبتُ عيشك، وفيّ سمعتَ الأذى ورُجِمتَ بالقول فيّ، ألا وإنّ كلّ تاجر قد استوفى تجارته، وأنا وراءك اليوم.

قال: فينطلق به إلى ربّ العزّة تبارك وتعالى فيقول: يا ربّ، عبدك وأنت أعلم به، قد كان نصباً بي [خ ل: فيّ]، مواظباً علَيّ، يعادي بسببي، ويحبّ فيّ ويبغض. فيقول الله عزّ وجلّ: أدخِلوا عبدي جنّتي، واكسوه حلّة من حلل الجنّة وتوّجوه بتاج. فإذا فُعل به ذلك عُرِض على القرآن، فيقال له: هل رضيتَ بما صُنع بوليّك؟ فيقول: يا ربّ، إنّي أستقلّ هذا له، فزِدْه مزيد الخير كلّه. فيقول: وعزتي وجلالي، وعلوّي وارتفاع مكاني، لأنحَلَنّ له اليوم خمسة

أشياء مع المزيد له ولمن كان بمنزلته، ألا إنّهم شباب لا يهرمون، وأصحّاء لا يسقمون، وأغنياء لا يفتقرون، وفَرِحون لا يحزنون، وأحياء لا يموتون.

ثمّ تلا هذه الآية: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾[١].

قال: قلت: يا أبا جعفر، وهل يتكلّم القرآن؟ فتبسّم ثمّ قال: رحم الله الضعفاء من شيعتنا، إنّهم أهل تسليم.

ثم قال: نعم يا سعد، والصلاةُ تتكلّم، ولها صورة وخلق، تأمر وتنهى.

قال سعد: فتغيّر لذلك لوني وقلت: هذا شيء لا أستطيع أن أتكلّم به في الناس. فقال أبو جعفرعليه السلام: وهل الناس إلاّ شيعتنا؟ فمن لم يعرف الصلاة فقد أنكر حقّنا.

ثمّ قال: يا سعد، أُسمِعك كلام القرآن؟ قال سعد: فقلت: بلى، صلّى الله عليك. فقال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٢]، فالنهي كلام، والفحشاء والمنكر رجال، ونحن ذِكرُ الله، ونحن أكبر»[٣].

أقول: قد يُستفاد من قولهعليه السلام في مقدمة الرواية: «والناس صفوف، عشرون ومائة ألف صفٍّ، ثمانون ألف صفٍّ أمة محمد، وأربعون ألف صفٍّ من سائر الأمم» أنّ القيامة تقوم على حال يكون فيه ثلثا الخليقة الإنسانية من المسلمين وثلث من سائر الأمم، أو أننا إذاً أردنا أن نحسب الأمم من أول الخليقة إلى يوم القيامة، فإن المسلمين من أول الزمان إلى يوم القيامة ثلثا الأمم، وباقي الأمم ثلث الناس.

---

١. الدخان: ٥٦ .

٢. العنكبوت: ٤٥ .

٣. **الكافي** ٢: ٥٩٦/ ح ١، **بحار الأنوار** ٧: ١٣١/ ح ٦ (قطعة) وص ٣١٩/ ح ١٦ و ج ٨٢: ١٩٨ (قطعة)، **وسائل الشيعة** ٤: ٨٢٣ / ح ١ (قطعة) ج١٢: ٢٤٤/ ح١(قطعة) .

والصفوف التي مرّ عليها القرآن الكريم في ذلك اليوم حسبما ذكرته الرواية عديدة: صف المسلمين، ثم الشهداء، ثم شهداء البحر، ثم النبيون والمرسلون، ثم الملائكة. وفي كل صف يمرّ عليه تتغير صورته إلى الصورة المناسبة لهم، فمع المسلمين صورة في صورة رجل مسلم ومع النبيين في صورة نبي، وهكذا. وكل واحد من هؤلاء الجماعة يعرفه بصفته ونعته لكن لا يعرفه باسمه، ثم يرجع إلى صورة رجل شاحب، مع ذلك لا يعرفونه لكنه يؤدي مهمته، هذا في تجسّم القرآن وكلامه والصلاة كذلك.

الطائفة الرابعة: القرآن رجل شاحب

جاء في الرواية المتقدمة إشارة إلى رجوع القرآن الكريم يوم القيامة إلى صورة رجل شاحب، والشاحب: المتغيّر اللون لعارضٍ أو مرض أو سَفرٍ أو سهرٍ أو خوف أو قلّة المأكل وقلة التنعم[1].

وقد ورد في (الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تعلّموا القرآن، فإنّه يأتي يوم القيامة صاحبُه في صورة شابّ جميل شاحب اللّون، فيقول له القرآن: أنا الذي كنت أسهرتُ ليلك، وأظمأت هواجرك، وأجففت ريقك وأسلت دمعتك، أؤُول معك حيثما ألت، وكلّ تاجر من وراء تجارته، وأنا اليوم لك من وراء تجارة كلّ تاجر، وسيأتيك كرامة من الله عزّ وجلّ، فأبشِرْ. فيؤتى بتاجٍ فيوضع على رأسه، ويُعطى الأمان بيمينه، والخلد في الجنان بيساره، ويكسى حلّتين. ثمّ يقال له: إقرأ، وارقَه. فكلّما قرأ آية صعد درجة. ويُكسى أبواه حلّتين إن كانا مؤمنين، ثمّ يقال لهما: هذا لما

---

١. مجمع البحرين ٢: ٨٦.

علّمتُماه القرآن[١].

وهذا الحديث صحيح السند، وقد التزم بصحة سنده العلّامة محمد باقر المجلسي في (مرآة العقول)[٢].

ولعلّ المراد من «**أنا لك مِن وراء تجارةِ كلِّ تاجر**» أنّي أحصّل لك تجارة كلّ تاجر، أو أنا لك بعوض تجارة كلّ تاجر.

وأمّا قوله «**والخلد في الجنان بيساره**» فيجعلان في ملكيّته، فاستعار اليمين والشمال لأنّ القبض والأخذ بهما.

وورد في التفسير المنسوب للعسكري عليه السلام أنّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قال تعالى: ﴿**هُدًى**﴾ يعني هذا القرآن هدى ﴿**وبشرى للمؤمنين**﴾[٣] يعني بشارة لهم في الآخرة، وذلك أنّ القرآن يأتي يوم القيامة بالرجل الشاحب يقول لربّه عزّ وجلّ: يا ربّ، هذا أظمأتُ نهاره، وأسهرتُ ليله، وقوّيت في رحمتك طمعه، وفسحت في مغفرتك أمله، فكن عند ظنّي فيك وظنّه. يقول الله تعالى: أعطوه الملك بيمينه، والخلد بشماله، وأقرنوه بأزواجه من الحور العين، واكسوا والديه حُلّةً لا تقوم لها الدنيا بما فيها.

فينظر إليهما الخلائق فيعظّمونهما، وينظران إلى أنفسهما فَيَعجبان منها ويقولان: يا ربّنا، أنّى لنا هذه ولم تبلغها أعمالنا؟!

فيقول الله تعالى: ومع هذا تاج الكرامة، لم يَرَ مثلَه الراؤون، ولا يسمع بمثله السامعون، ولا يتفكّر في مثله المتفكّرون.

---

١. **الكافي** ٢: ٦٠٣ / ح ٣، **وسائل الشيعة** ٤: ٨٣٤ / ح ١، والسند هكذا: عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، وسهل بن زياد جميعاً، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن الفُضَيل.

٢. **مرآة العقول** ١٢: ٤٨٦ .

٣. النمل: ٢ .

فيقال: هذا بتعليمكما ولـدَكما القـرآن، وتبصـيركما إيّـاه بـدين الإسـلام، ورياضتكما إيّاه على حبّ محمّد رسول الله وعليّ وليّ الله، وتفقيهكمـا إيّـاه، لأنّهما اللذان لا يقبل الله لأحد إلاّ بولايتِهما ومعاداةِ أعدائهما عملاً، وإن كـان ملء ما بين الثرى إلى العرش ذهباً تصدّق به في سبيل الله.

فتلك البشارات التي يُبشَّرون بها، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿**وبُشرى لِلمؤمنين**﴾ شيعةِ محمّدٍ وعليّ، ومَن تَبِعهم من أخلافهم وذراريهم»[١].

وهذه رواية من طرق العامة عن عبد الله بن بُرَيدة، عـن أبيـه، قـال: كنـت جالساً عند النبيﷺ فسمعته يقول: «تعلّموا سورة البقـرة، فـإنّ أخـذها بركـة وتركها حسرة ولا يستطيعه البطلة». ثمّ سكت ساعة، ثمّ قال: «تعلّمـوا سـورة البقرة وآل عمران، فإنّهما الزهراوان، وإنّهمـا تُظـلاّن صـاحبَهما يـوم القيامـة كأنّهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف، وإنّ القرآن يَلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه القبر كالرجل الشاحب، فيقول لـه: هـل تعرفنـي؟ فيقول: ما أعرفك. فيقول: أنا صـاحبك القـرآن الـذي أظمأتـك فـي الهـواجر، وأسهرت ليلك، وإن كلّ تاجر مـن وراء تجارتـه وإنّـك اليـوم مـن وراء كـلّ تجارة.

فيُعطى المُلكَ بيمينه والخلـد بشـماله، ويوضـع علـى رأسـه تـاج الوقـار، ويكسى والداه حلّتين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كُسِينا هذا؟!ويقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن. ثمّ يقال له: إقرأ واصعد في دَرَج الجنّة وغرفها. فهو فـي صعود ما دام يقرأ هذّاً كان أو ترتيلاً»[٢].

---

١. **التفسير المنسوب للإمام العسكري**عليه السلام: ٤٥٠ / ح ٢٩٧، **بحار الأنوار** ٩٢ : ٣٢ / ح ٣٤، **مستدرك الوسائل** ٤: ٢٤٦ / ح١، **البرهان** ١: ١٣٣ / ح ١ .

٢. **سنن الدارمي** ٢: ٤٥٠، **تفسير ابن كثير** ١: ٣٥ .

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) بعد إيراد هذا الحديث: قلت: روى ابن ماجة منه طرفاً، ورواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

وورد عن أبي أمامة، قال أمرنا رسول الله ﷺ بتعليم القرآن وحثّنا عليه وقال: إنّ القرآن يأتي يوم القيامة أحوج ما كانوا إليه، فيقول للمسلم: تعرفني؟ فيقول من أنت؟ فيقول: أنا الذي كنتَ تحب وتكره أن يفارقك، الذي كان يسحبك ويدنيك. فيقول: لعلّك القرآن.

فيَقْدم به على ربّه عزّ وجلّ فيُعطى المُلكَ بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه السكينة، ويُنشَر على أبويه حلّتان لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: لأي شيء هذا ولم تبلغه أعمالنا؟! فيقول: هذا بأخذ ولدكما القرآن[1].

النظريات المُحتمَلة

بعد هذا العرض لمتون الروايات الواردة في مسألة تجسّم القرآن الكريم وتصوّره في القبر وفي الآخرة، نتعرض للنظريات المحتملة في هذه المسألة، فنقول وبه الاستعانة:

النظرية الأُولى:

إنّ المتصوَّر يوم القيامة والآتي إلى الإنسان هو صورة القرآن الحقيقية، وهي عين صورته في الدنيا، غاية الأمر أنّ الإنسان لم يكن يراها في دار الدنيا، وكان يُمنَع عن ذلك، وبعد الموت وارتفاع الحواجز والحجب ينكشف له واقع الأمر وحقيقته. ومن جملة تلك الحقائق المنكشفة حقيقة القرآن الكريم وواقعه، والدليل المُقام على إمكان تصوير القرآن بهذه الصورة هو

---

١. مجمع الزوائد ٧: ١٦٠.

قياسه بالأعمال وتجسّمها في عالم الآخرة، بمعنى أنّ الأدلّة كما قامت على إمكان تصوير الأعمال التي يقوم بها الإنسان كالصلاة والصوم والزكاة في الآخرة بصورة رجل يدافع عن الإنسان في القبر ويشفع له يوم القيامة، كذلك يمكن تصوير القرآن الكريم ومجيئه بصورة رجل يشفع للقارئ والحافظ والحامل، وهذا الرجل كان موجوداً في الدنيا بهذه الصورة، لكنّ النفس الإنسانية لم تكن تراه في الحياة الدنيا للحجب، ثم ترتفع الحجب بعد الموت فيراه.

النظرية الثانية:

وهي ما التزم بها بعض كالمازندراني في (شرح أُصول الكافي) حيث قال: تصوير القرآن أمر ممكن، كتصوير الأعمال والأعراض بالأجسام، كما نطقت به رواياتنا وروايات العامة[١].

ومقصوده من تصوير القرآن هو تحويل القرآن الكريم إلى صورة متجسمة يوم القيامة كتحويل الأعمال إليها.

ثم حكى ذهاب علماء المسلمين إلى إمكان ذلك، وأنّ القدرة الإلهية قادرة على مثل هذا الأمر، حيث قال: وذهب إليه المحققون من الطرفين، فوجب أن لا يُستبعَد، ولا يُنكَر تعلّق القدرة القاهرة به[٢].

ولا بد من الإشارة هنا إلى مسألة ظريفة تستفاد من كلام المازندراني، مفادها أنّ تجسّم الأعمال كالصلاة والصوم والصدقة غير تجسّم القرآن، فهما شيئان متغايران، فكما أنّ الأول ممكن لأدلة بُيِّنت في محلها، كذلك يكون

---

١. **شرح أصول الكافي** للمازندراني ١١: ٥ .

٢. نفسه.

تجسّم نفس القرآن الكريم أمر ممكن. وبعبارة أدقّ وأوضح: كما أنّ القدرة الإلهية تُحوِّل أفعال الإنسان كالصلاة والصوم والزكاة إلى صورة متجسّمة تدافع عن صاحبها وتشفع له في القبر والقيامة، كذلك تتعلق القدرة الإلهية بتجسّم القرآن فيظهر في صورة مجسَّمة تدافع عن قارئه وحافظه وتشفع له. وبالتنظير المتقدّم ثبت إمكان ظهور القرآن الكريم وبروزه بصورة جسم، أو بصورة رجل يدافع عن صاحبه في عالم البرزخ والقيامة.

واختلاف النظرية الأُولى عن النظرية الثانية واضح، حيث إنّ النظرية الأُولى قائلة بأن ما يراه الإنسان يوم القيامة هو القرآن حقيقة، غاية ما في المسألة أنّ الإنسان لم تكن عنده قدرة على الرؤية، وبعد الوفاة تكون له القدرة عليها، أما النظرية الثانية فإنها صريحة في تبدّل القرآن إلى شكل وجسم يوم القيامة، ولا علاقة للتبديل والتجسم بدار الدنيا.

النظرية الثالثة:

المتصوّر بصورة في الآخرة ليس هو القرآن الحقيقي، ولا هو مِثل القرآن، بل هو العمل القرآني: كالقراءة، والحفظ، والحمل، والكتابة، فالعمل القرآني هو الذي يظهر بصورة مُدافِعة عن الإنسان. وعلى هذا فيكون المقصود من قوله: أنا القرآن، أو أنا السورة التي حَفِظتَني، هو أنا عملك القرآني، أي قراءتك القرآنية وحفظك القرآني، فكما أنّ العمل الصلاتي والصومي يتجسّم، كذلك العمل القرآني يتجسّم؛ فإن الشافع يوم المحشر هو القرآن إذا قُرئ، وبهذا أمكن إرجاع القرآن المتجسّم في القبر والآخرة إلى العمل القرآني، فيدخل في بحث تجسّم الأعمال، وكل دليل أُقيم على تجسّم الأعمال يشمل ما نحن فيه.

لكنّ الظاهر من كثير من الأخبار ـ وبالخصوص الروايات المبيّنة لشكوى القرآن الكريم من بعض أفراد الإنسان ـ أنّ المتصوّر والمتجسم يوم القيامة

نفس القرآن لا العمل القرآني.

النظرية الرابعة:

التدبّر في الروايات الواردة في هذا المجال يُلجئنا إلى القول بأن المراد من مجيء القرآن بصورة شاب جميل هو مجيء ذلك الرجل القارئ للقرآن الكريم في الحياة الدنيا، وقد أُضيف إليه هالة نورانية، وصفة كمالية عالية ظهر فيها، فيستغرب من هذه الهيئة ويسأل: من أين أتت لي هذه الهالة؟ فيقال له: أنا القرآن.

فقراءة القرآن تكسب الإنسان صفة البياض والجمال للقارئ وللحافظ، فقارئ القرآن وصفة النورانية واحد، وهي عبارة عن عارض ومعروض عليه، وفي الآن نفسه الغيرية والمغايرة موجودة بين القارئ وبين العمل، وصريح الروايات يؤيد ذلك، وآية ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾[1] تدعم ذلك.

وعلى هذا فيكون العمل القرآني أو القرآن نفسه قد أضاف هالة نورانية لذلك الشخص العامل به في الدنيا، وبهذه الإضافة تتحقق الاثنَينيّة، والاستغراب من نفس العامل، وهذه الهالة النورانية هي الحاجز والحاجب عن عذاب القبر، وهي الشافعة للأبوين في يوم القيامة.

النظرية الخامسة:

أنّ الإنسان في القبر يعيش في خيالات وتصوّرات، وهذه الأمور المتخيَّلة قد تكون صوراً مفرحة، وقد تكون صوراً كريهة. فالمسألة كلّها صور في صور، وخيالات في خيالات، غاية الأمر أنّ هذه الخيالات هي التي تعذّب

---

١. التحريم: ٨.

الروح، وهي التي تسعد الروح بسبب ملازمتها للروح.

وهذه أضعف النظريات المحتملة، إذ إنّ الإنسان يعيش في القبر بحقائق وليس بخيالات وتصورات، وإلاّ فإنّه بناءً على هذه النظرية يكون الإنسان في تخيلاته في القبر حالُه حال شارب المخدرات.

قال الإمام علي عليه السلام: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»، ولا يكون الانتباه إلاّ إلى الحقائق.

هذه جملة النظريات المتصوّرة في مسألة تجسّم القرآن.

وهنا إشارات

الإشارة الأُولى: إنّ الأخبار المبيِّنة لصورة القرآن الكريم في الآخرة على أنحاء: بعضها في صورة رجل، وبعضها في صورة رجل جميل، وبعضها في صورة رجل شاحب اللون.. فكيف يُوفَّق بين هذه الأخبار؟ وكيف تُعطى صفة الشاحب للقرآن الكريم وهو كلام الله تعالى؟ مع العلم أنّ الظاهر من كلمة الشاحب حسب ما فسرها اللغويون أنّه المتغيّر اللّون من مرضٍ أو خوفٍ أو قلّة المأكل وقلّة التنعم[١]. قال ابن الأثير: والشاحب المتغير اللون والجسم لعارض من مرض أو سفر ونحوهما[٢].

وقد ذكر العلماء احتمالين لظهور القرآن بصورة الرجل الشاحب:

الأول: ما ذهب إليه المازندراني في شرحه على أُصول الكافي حيث قال: وكأنّ هذه الصورة هي التي حدثت بملامسة العُصاة، وهي موجودة أيضاً في

---

١. **مجمع البحرين** ٢: ٨٦.

٢. **النهاية في غريب الحديث** ٢: ٤٤٨.

هذه الدار إلاّ أنها لا تراها الأبصار[١]. ومقصوده: أنّ صورة القرآن جميلة جداً تتناسب مع كونه كلام الله تعالى، ولكن هذه الصورة أصابها الشحب بسبب فعل العُصاة من المسلمين.

ولا يخفى عليك أنّ المازندراني التزم بالنظرية الثانية القائلة بتصوير القرآن كتصوير الصلاة والصوم وغير ذلك من الأعمال، والحال أنه هنا قال بأن حقيقة القرآن واحدة، لكن لا تراها الأبصار، وهو مفاد النظرية الأُولى.

الثاني: إنّ سبب ظهور القرآن بصورة الشاحب سَماعُه للوعيد الشديد، باعتبار أنّ القرآن مخلوق من المخلوقات يصيبه ما يصيب العباد حين قيام الساعة، وإن كان الوعيد والوعد لا يخصه ولا يشمله، حيث إنّ الوعد والوعيد مؤثر في كلّ شيء من مخلوقات الله.

وقد نقل هذا الاحتمالَ المازندرانيُّ في (شرح أُصول الكافي) حيث قال: وقيل: سبب رجوعه إلى هذه الصورة سماعه الوعد والوعيد الشديد، وهو وإن كان على غيره، لكنّه لا يخلو من التأثير فيمن اطّلع عليه[٢].

وأمّا الأحاديث الحاكية عن بروز وظهور القرآن بصورة جميلة، فهي ناظرة إلى صورة القرآن الحقيقية، المعبرة عن ذاته الحقيقية باعتباره كلام ربّ العزّة الحاوي لكلّ كمال وجمال، والله سبحانه وتعالى يُلبِس كلامه أحسن الصور وأجملها وأكملها.

الإشارة الثانية: هل الآتي في الآخرة القرآن الموجود بين الدفَّتين، أو القرآن الموجود في اللوح المحفوظ، أو القرآن الموجود في الصدور، أو...؟

---

١. **شرح أُصول الكافي** للمازندراني ١١: ٧.

٢. نفسه.

الظاهر من بعض جمل تلك الأحاديث أنّ الآتي يوم القيامة هو المحفوظ من القرآن في صدره، أو المداوِم على قراءته، بدليل قوله: «إقرأ وارقأ، وكلّما قرأ صعد درجة»، فالقرآن الباقي في ذاكرة الإنسان بعد موته هو الشفيع حسبما نفهم مما تقدم، لا ذلك الموجود بين الدفتين.

قال ابن عربي: ظهر لبعض أهل المكاشفة صور سور القرآن فساطيط مائة وثلاث عشرة سورة، وكان أمياً فقال: كنت أسمع أن القرآن مائة وأربعة عشر سورة! فقيل له: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[١] لا تسعها السماوات والأرض[٢].

ورؤيا أهل المكاشفة لا اعتماد عليها إن لم تكن مؤيَّدةً بدليل قرآني أو روائي يثبت إمكان ذلك، وأما مسألة الوقوع وعدمه فتبقى موكولة إلى صدق الراوي وعدمه.

هذا غاية ما نقوله في مسألة تجسّم القرآن الكريم، والظاهر من مجموع الأدلة الروائية أنّ الآتي يوم القيامة هو القرآن الكريم نفسه، وإن كان لبروز العمل القرآني وظهوره من قراءةٍ أو حفظ وغير ذلك وجهٌ وجيه أيضاً، وعليه فلا مانع من أن يكون التجسّم للقرآن وللعمل القرآني كلاهما. أسأله سبحانه أن يرزقنا شفاعة القرآن يوم الورود، وأن يجعله مدافعاً عنّا يوم لا ينفع مال ولا بنون.

٢ـ تجسّم النبي أو حضوره عند المحتضَر

المحتضِر: هو المشرف على الموت، قال الفيّومي في (المصباح المنير): حضره الموت واحتضره: أشرف عليه، فهو في النَّزْع، وهو محضور ومُحتضَر

---

١. الاخلاص: ١ .

٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤: ٦٨٠ .

بالفتح[١].

وقال الطريحي في (مجمع البحرين): وفي الحديث ذِكرُ الاحتضار، وهو السَّوق، سُمِّي به: لحضور الموت والملائكة الموكَّلين به وإخوانه وأهله عنده، وفلان مُحتضَر: قريب من الموت، ومنه: إذا احتضر الإنسان وُجِّه، يعني جهةَ القبلة، والاحتضار: الموت، يقال: احتُضِر القوم إذا ماتوا[٢].

وقد ورد في روايات عديدة ما يدل على حضور النبي الكريمﷺ عند المحتضر حين نزع روحه، وظاهر هذه الأخبار حسبما نفهم منها أنّ هذا الحضور بعينه وشخصه، ومعاينة المحتضر للنبيﷺ عياناً، وكذلك حضور أهل بيته الكرام المعصومين.

ثمّ إنّ رؤية نبي الرحمةﷺ وأمير المؤمنينعليه السلام لم يكن خاصاً بالمحتضر من المؤمنين، بل يراهما الكفّار أيضاً، لِما سيأتي من أخبار صريحة برؤية المؤمن والكافر والمنافق لهما ولذريتهما أوائل الرحيل إلى عالم الآخرة. بل يظهر من بعض الأخبار أن الرؤية لهما صلوات الله عليهما وعلى آلهما شاملة لجميع من انتسب إلى الأديان، ففي المروي عن جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقرعليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾[٣]. قالعليه السلام: «ليس أحد من جميع الأديان يموت إلاّ رأى رسول اللهﷺ وأمير المؤمنينعليه السلام حقاً من الأولين والآخرين»[٤].

وقد صُرِّح في كثير من الروايات أنّ المحتضر يرى الخمسة من أهل

---

١. المصباح المنير: ١٤٠.

٢. مجمع البحرين ٢: ٥٣٠.

٣. النساء: ١٥٩.

٤. تفسير العياشي ١: ٢٨٤/ح ٣٠٣، بحار الأنوار ٦: ١٨٨، الفصول المهمة في أُصول الأئمة ١: ٣١٣.

الكساء الذين طهرهم الله تطهيراً، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي ملك الموت بالرفق به إن كان من المحبين لهم، ويوصيه بالتشديد عليه إن كان من المبغضين لهم، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «والذي نفسي بيده، لا تفارق روحٌ جسدَ صاحبها حتى يأكل من ثمار الجنة، أو من شجرة الزقوم، وحين يرى ملك الموت يراني ويرى علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً صلوات الله عليهم أجمعين.

فإن كان يحبنا قلت: يا ملك الموت، إرفق به إنه كان يحبني ويحب أهل بيتي. وإن كان يبغضنا قلت: يا ملك الموت، شدّد عليه إنه كان يبغضني ويبغض أهل بيتي»[1].

وهذه الرواية صريحة في رؤية المحتضر للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وللذرية الطاهرة حين احتضاره، ومن إطلاق قوله صلى الله عليه وآله: «لا تفارق روح جسد صاحبها» نفهم العموم والشمول لكل إنسان، سواءً كان هذا المحتضر مؤمناً أو كافراً.

وهذه رواية عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر وعن جعفر عليهما السلام أنهما قالا: «حرام على روح أن تفارق جسدها حتى ترى الخمسة: محمداً وعلياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، بحيث تقرّ عينها أو تسخن عينها».

إن قلت: كيف تتعامل مع الروايات الذاكرة لحضور أمير المؤمنين عليه السلام وحده عند المحتضر مثل ما ورد عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «يا علي إنّ محبّيك يفرحون في ثلاثة مواطن: عند خروج أنفسهم وأنت هناك تشهدهم، وعند المساءلة في

---

١. **بشارة المصطفى**: ٢٥ ح ٧، كتاب **المحتضِر** لحسن بن سليمان الحلّي: ٥، **بحار الأنوار** ٦: ٢٠٠.

القبور وأنت هناك تُلقّنهم، وعند العرض على الله وأنت هناك تعرّفهم»[١].

فإنها دالة على تجسّم أمير المؤمنين عليه السلام وحضوره عند المحتضر ساعة خروج روحه.

قلت: لا ينافي ظاهر هذه الرواية الرواياتِ القائلةَ بحضور النبي صلى الله عليه وآله عند المحتضر، أو الروايات القائلة بحضور الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله عليهم أجمعين، وذلك لأن هذه الروايات مثبتات، وفي كلّ مورد تكون الروايات مثبتات يحكم بعدم التنافي بينها.

ولا بأس بتوضيح أكثر للمسألة بأن نقول: إن قول القائل: زارني زيد يوم الجمعة، لا ينافي قوله: زارني عمرو يوم الجمعة، وذلك لأن كلاً من الجملتين تثبت شيئاً معيناً، وإثبات الشيء لا ينفي ما عداه، وما نحن فيه من هذا القبيل، فإنّ بعض الأحاديث يُصرّح بحضور الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله كما إنّ البعض الآخر يصرّح بحضور الإمام علي عليه السلام، وإنّ بعضها يصرّح بحضور الخمسة من أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم، ولا منافاة بينها.

عن ابن أبي يعفور، قال: كان خطّاب الجهني خليطاً لنا، وكان شديد النصب لآل محمّد، وكان يصحب نجدة الحرورية. قال: فدخلت عليه أعوده للخلطة والتقية، فإذا هو مغمى عليه في حدّ الموت، فسمعته يقول: ما لي ولك يا علي؟! فأخبرت بذلك أبا عبد الله عليه السلام، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «رآه وربٍّ الكعبة، رآه وربٍّ الكعبة»[٢]. وسند هذا الحديث معتبر بنظرنا.

وهذه صريحة في رؤية المحتضر لأمير المؤمنين عليه السلام، فقد رُوي عن أبان

---

١. أنظر: **الأمالي** للصدوق ٦٥٦/ ح ٢، **بحار الأنوار** ٦: ٢٠٠.

٢. **الكافي** ٣: ١٣٣ / ح٩، **بحار الأنوار** ٦: ١٩٩ / ح ٥٣، **الفصول المهمة** ١: ٣٠٦.

ابن تغلب، عن أبي داود الأنصاري، عن الحارث الهَمْداني[١]، قال: دخلت على أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «ما جاء بك؟».

فقلت: حبي لك، يا أمير المؤمنين!

فقال عليه السلام: «يا حارث أتحبّني؟» قلت: نعم واللهِ يا أمير المؤمنين.

قال عليه السلام: «أما لو بلَغَت نفسك الحلقوم رأيتني حيث تحب، ولو رأيتني وأنا أذود عن الحوض ذَودَ غريبة الأبل لرأيتني حيث تحب. ولو رأيتني وأنا مارّ على الصراط بلواء الحمد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله لرأيتني حيث تحب»[٢].

وهذه الرواية ـ بالإضافة إلى صراحتها في رؤية أمير المؤمنين حين نزع الروح ـ فإنّها صريحة في رؤيته عليه السلام عند حوض النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهو يدفع المنافقين والمناوئين، وصريحة في رؤيته عليه السلام وهو يعبر الصراط حاملاً لواء الحمد. وفي هذه الرواية فوائد جمة تخلّص الإنسان من نار جهنّم بقرينة قوله عليه السلام: «حيث تُحبّ» الكاشفة عن وقوفه الموقف المنقذ والشافع أمام ربّ العزة.

وهذه رواية أُخرى تتحدث عن الموقف نفسه، مرويّةٌ عن الحارث أيضاً يقول: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة، فقال عليه السلام: «يا أعور، ما جاء بك؟

---

١. الحارث الأعور الهمداني بسكون الميم عدّه البرقي في الأولياء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وعن ابن داود: أنه كان أفقه الناس، مات سنة خمس وستين. وعن شيخنا البهائي كان يقول: هو جدّنا، وهو من خواص أمير المؤمنين عليه السلام، وعنه قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم نصف النهار، فقال: ما جاء بك؟ قلت، حبك والله، قال: إن كنت صادقاً لَتراني في ثلاثة مواطن: حيث تبلغ نفسك هذه ـ وأومأ بيده إلى حنجرته ـ، وعند الصراط، وعند الحوض (**دعوات الراوندي**: ٢٤٩ / ح ٦٩٩).

٢. **أمالي الطوسي**: ٤٨ / ح ١، **بحار الأنوار** ٦: ٨١.

قال: فقلت يا أمير المؤمنين، جاء بي والله حبُّك».

قال: فقال عليه السلام: «أما إني سأحدّثك لتشكرها، أما إنه لا يموت عبد يحبّني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يحب، ولا يموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يكره»[١]. والرؤية حيث يحب وحيث يكره فيها معانٍ جسيمة لا تكون إلاّ جزاءً لحب أمير المؤمنين أو جزاءً لبغضه عليه السلام. جعلنا الله من المحبين له ولذريته، ومن الرائين له حيث نحب.

والآن نعرض إليك رواية تبين حضور أمير المؤمنين عليه السلام في نفس المواطن الثلاثة: (عند الممات وعند الصراط وعند الحوض)، ويضاف إليها موطن المقاسمة أي مقاسمة الجنّة والنار، فقد رُوي عن الأصبغ بن نُباتة[٢]، قال: دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نفر من الشيعة وكنت فيهم، فجعل الحارث يتأوّد[٣] في مِشيته، ويخبط الأرض بمِحْجَنه[٤]، وكان مريضاً.

فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام وكانت له منه منزلة، فقال عليه السلام: كيف تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدهر يا أمير المؤمنين مني، وزادني أُواراً[٥] وغليلاً اختصامُ أصحابك ببابك. قال عليه السلام: وفيم خصومتهم؟

---

١. رجال الكشي: ٨٩ .

٢. الأصبغ بفتح الهمزة والباء بن نباتة بضم النون: كان رضي الله عنه من خواصّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. شهد معه صفين، وكان على شرطة الخميس . وكان شاعراً، وقد عده البرقي في رجاله في أصحاب علي عليه السلام (أعيان الشيعة، ٤: ٤٦٤).

٣. أي ينعطف في مشيه، يستقيم مرة ويعوّج أُخرى .

٤. الخبط: الضرب الشديد، والمحجن، على وزن منبر: العصا المعوجّ رأسها .

٥. الأوار، بالضم: حرارة الشمس وحرارة العطش، ويوم ذو أوار: ذو سموم وحرّ شديد، والغليل: الحقد والظغن.

قال: فيك وفي الثلاثة مِن قَبلك، فمِن مُفرطٍ منهم غال، ومقتصد.

فقال عليه السلام: حَسْبُك يا أخا هَمْدان، ألَا إنّ خير شيعتي النمط الأوسط، إليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي.

فقال له الحارث: لو كشفتَ ـ فداك أبي وأمي ـ الرينَ عن قلوبنا، وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا.

قال عليه السلام: قَدْكَ[1]؛ فإنّك امرؤ ملبوس عليك، إنّ دِين الله لايُعرَف بالرجال، بل بآية الحق، فاعرف الحق تعرف أهله. يا حارث، إنّ الحق أحسن الحديث، والصادع به مجاهد، وبالحق أُخبرك فأعِرْني سمعك، ثمّ خبِّرْ به مَن كان له حصافة من أصحابك.

ألَا إنّي عبد الله وأخو رسوله، وصدّيقه الأول، صدّقتُه وآدم بين الروح والجسد، ثمّ إنّي صدّيقه الأول في أمتكم حقاً، فنحن الأولون، ونحن الآخِرون، ونحن خاصته، يا حارث، وخالصته، وأنا صِنوه ووصيّه ووليّه، وصاحب نجواه وسرِّه، أوتيتُ فهم الكتاب، وفصل الخطاب، وعلم القرون والأسباب، واستُودِعتُ ألف مفتاح، يفتح كلُّ مفتاح ألف باب، يُفضي كلّ باب إلى ألف ألف عهد، وأُيّدتُ واتُّخِذت وأُمدِدت بليلة القدر نفلاً.

وإنّ ذلك يجرى لي ولمن استُحفِظ من ذريّتي ما جرى الليلُ والنهار، حتّى يرث الله الأرض ومن عليها.

وأُبشرّك يا حارث، لتَعرفُني عند الممات، وعند الصراط، وعند الحوض، وعند المقاسمة. قال الحارث: وما المقاسمة، يا مولاي؟

---

١. قد مخففة حرفية واسمية، والاسمية على وجهين: اسم فعل مرادفة ليكفي، نحو قولهم: قدني درهم، وقد زيداً درهم، واسم مرادف لحسب.

قال عليه السلام: مقاسمة النار، أُقاسمها قسمةً صحيحة، أقول: هذا وليّي فاتركيه، وهذا عدوّي فَخُذيه[١].

وهنا نقول: إن حضور الإمام علي عليه السلام عند الجنّة والنار وتقسيمهما يكون بنفسه الشريفة حسبما يظهر من الخبر، لا أن التقسيم بحبه وبغضه دون حضور شخصه كما يُتَوَهَّم. ويتأيد كون تقسيم الناس وتوزيعهم إلى الجنّة والنار بنفسه الشريفة بسياق نفس الخبر، حيث إنّه صريح في أنه يحضر بشخصه عند الحوض وأنه يسقي أولياءه ويطرد أعداء الله عنه، كما أنه صريح في أنه عليه السلام يحضر عند الصراط بنفسه المقدّسة.

تجسّم النبي والوصي عليهما السلام أو حضورهما

ورد عن ابن أبي يعفور أنّه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «قد استَحْيَيتُ مما أردّد هذا الكلام عليكم: ما بين أحدكم وبين أن يغتبط إلاّ أن تبلغ نفسُه هذه ـ وأهوى بيده إلى حنجرته ـ يأتيه رسول الله وعلي صلوات الله عليهما يقولان له: أمّا ما كنتَ تخاف فقد آمنك الله منه، وما كنت ترجو فأمامك»[٢].

وهذه الرواية أيضاً صريحة في الإتيان للمحتضر، وأنّ الآتي محمّد وعلي صلوات الله عليهما وآلهما.

وورد عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما يموت مُوالٍ لنا ومبغض لأعدائنا، إلاّ ويحضره رسول الله وأمير المؤمنين والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين، فيراهم ويبشّرونه»، الحديث[٣].

---

١. أمالي المفيد: ٣ / ح ٣، بحار الأنوار ٦: ١٨٧.

٢. تأويل الآيات ٢: ٥٣٩، بحار الأنوار ٦: ١٨٤ / ح ١٩.

٣. تفسير القمّي ٢: ٢٥٦، تفسير نور الثقلين ٤: ٥٤٨، الفصول المهمة ١: ٣١٥، بحار الأنوار ٦٦: ٢٦٤ .

وهذه الرواية صريحة في حضور ورؤية أربعة من أهل بيت النبوة.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «تمسّكوا بما أمركم الله به، فما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى ما يحب إلاّ أن يحضره رسول الله صلى الله عليه وآله، و ما عند الله خير وأبقى»[1]، الحديث.

وعن أبي حمزة الثُّمالي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما يُصنَع بأحدنا عند الموت؟ قال عليه السلام: «أما والله يا أبا حمزة، ما بين أحدكم وبين أن يرى مكانه من الله منا إلاّ أن يبلغ نفسه هاهنا ـ ثمّ أهوى بيده إلى نحره ـ ألا اُبشّرك يا أبا حمزة؟»، فقلت: بلى جُعِلتُ فداك.

فقال عليه السلام: «إذا كان ذاك أتاه رسول الله وعليٌّ عليهما السلام معه يقعد عند رأسه، فقال له ـ إذا كان ذلك ـ رسول الله صلى الله عليه وآله: أما تعرفني؟ أنا رسول الله، هَلُمّ إلينا، فما أمامك خير لك مما خلفت، أمّا ما كنت تخاف فقد أمِنتَه، وأمّا ما كنتَ ترجو فقد هجمت عليه. أيتها الروح اُخرجي إلى رَوح الله ورضوانه. ويقول له علي عليه السلام مثل قول رسول الله صلى الله عليه وآله».

ثم قال: «يا أبا حمزة، ألا اُخبرك بذلك من كتاب الله، قول الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يـَتَّقُون﴾»[2] الآية[3].

وهذه صريحة في إتيان رسول الله والإمام علي عليهما السلام للميت والقعود عند

---

١. **الخصال**: ٦١٤، **تحف العقول**: ١٠٥، **المحتضر**: ٦، **الفصول المهمة** ١: ٣١٦، **بحار الأنوار** ٦: ١٥٣.

٢. يونس: ٦٣، ولا بأس بذكر الآية الشريفة المحيطة بالآية المذكورة في متن الحديث ليتّضح للقارئ العزيز كيفية الاستدلال، قال سبحانه وتعالى: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾.

٣. **تفسير العياشي** ٢: ١٢٦، **تفسير نور الثقلين** ٢: ٣١٣، **بحار الأنوار** ٦: ١٧٨.

رأسه والحديث معه.

وقد علمتَ من الأخبار السابقة أنّ الحاضر عند المحتضر؛ إمّا رسولنا محمّد المصطفى وأمير المؤمنين عليعليهما السلام كما في طائفة من الأخبار، أو أصحاب الكساء الخمسة كما في طائفة أُخرى منها، لكن الخبر الآتي يضيف إلى المرئيين الإمامَ الباقرعليه السلام، وإليك نص الخبر:

فقد ورد عن مسمع بن عبد الملك كردين البصري قال: قال لي أبو عبد اللهعليه السلام: يا مسمع، أنت من أهل العراق، أما تأتي قبر الحسينعليه السلام؟

قلت: لا، أنا رجل مشهور عند أهل البصرة وعندنا مَن يتّبع هوى هذا الخليفة، وعدوُّنا كثير من أهل القبائل من النُّصّاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند وُلد سليمان فيمثلون بي.

قال لي: أفما تذكر ما صُنِع به؟ قلت: نعم. قال: فتجزع؟

قلت: إي والله، وأستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك علَيّ، فامتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي.

قال: رحم الله دمعتك، أما إنك من الذين يُعَدُّون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمنّا.

أما إنك سترى عند موتك حضور آبائي لك ووصيتهم مَلَك الموت بك، وما يَلقَونك به من البشارة أفضل، ولَملكُ الموت أرقُّ عليك وأشد رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها. قال: ثمّ استعبر واستعبرت معه[1].

وهذه العبارة لا تدل على حضور الإمام الصادقعليه السلام، بل إن عبارة: «حضور آبائي» تدل على حضور الأجداد أي أصحاب الكساء بقرينة

---

١. **كامل الزيارات**: ١٠١ ـ الباب ٣٢، **بحار الأنوار** ٦: ١٩٣.

الروايات الأخرى، ولكن بتتميم الخبر ترى الشاهد على مُدّعانا، وهو حضور الإمام الصادق مع الحاضرين عند المحتضر، وهو قولهعليه السلام الآتي: «وإنّ المُوجِعَ لنا قلبَه لَيفرح يوم يرانا عند موته فرحة».

حضور أصحاب الكساء والملائكة

الظاهر من بعض الأخبار أنّ مرحلة الانتقال من العالم الدنيوي إلى العالم الأخروي، مرحلة تزدحم فيها الأمور على ابن آدم، حيث يتجسّم ويحضر فيها ـ بالإضافة إلى أهل الكساء محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم وسلامه ـ ملائكةُ الله المقرّبون، وإن رسول الله يُعين المحتضر إن اعتُقل لسانه ولم يتمكن من النطق بالشهادة، فقد ورد عن أبي الظبيان، قال: كنت عند أبي عبد اللهعليه السلام، فقال: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين بعد موتهم؟

قلت: يقولون: في حواصل طيور خُضْر في قناديل تحت العرش.

فقال: سبحان الله! المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحَه في حوصلة طير. يا يونس، إذا كان ذلك أتاه رسول اللهصلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام ومعهم ملائكة الله المقربون، فإن أنطق الله لسانه بالشهادة له بالتوحيد، وللنبيصلى الله عليه وآله بالنبوة، والولاية لأهل البيت، شهد على ذلك رسول اللهصلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام والملائكة المقربون معهم.

وإن اعتقل لسانه خص الله نبيهصلى الله عليه وآله بعلم ما في قلبه من ذلك، فشهد به، وشهد على شهادة النبي علي وفاطمة والحسن والحسين ـ على جماعتهم من الله أفضل السلام ـ ومن حضر معهم من الملائكة، فإذا قبضه الله إليه صيّر

تلك الروح إلى الجنّة في صورة كصورته، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصورة التي كانت في الدنيا[١].

وهذا الخبر صريح في تجسّم أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم أجمعين، ومجيئهم وحضورهم عند المؤمن الميت بزعامة نبي الرحمة المصطفى ﷺ، وهذا يختلف عن مفاد الخبر السابق الصريح في الرؤية، ورؤيتهم غير مجيئهم كما هو واضح لمن دقق وتأمل في مفاد الأخبار.

ثم إننا قد ذكرنا سابقاً أن الأخبار في هذا المجال كثيرة، وكل طائفة من الأخبار تتحدث عن أمور قد تغاير ما تتحدث عنه الطائفة الأخرى، وقد يبدو حصول التعارض الظاهري بينها. لكننا رفعنا التعارض الظاهري بينها بالقول:

إن كلّاً منها يكشف عن جانب من جوانب احتضار الإنسان ورحلته إلى عالم الآخرة: فإن الطائفة المتحدثة عن حضور رسول الله ﷺ لا تعارض الطائفة من الأخبار المتحدثة عن حضور أمير المؤمنين عليه السلام، كما أنها لا تعارض طائفة الأخبار المتحدثة عن حضور أصحاب الكساء، وهكذا.. وذلك لأن كلّ طائفة من الأخبار تُثْبت جانباً من جوانب ارتحال الإنسان إلى عالم الآخرة، وهذا الكشف لا ينفي ولا يعارض ما تكشفه الطائفة الأُخرى من الأخبار، وباجتماع هذه الأخبار والتدقيق فيها قد يحصل للمطالع العزيز نوع من الكاشفية عن ذلك العالم.

والآن نذكر لك خبراً يبين بعض المسائل بصورة أكثر وضوحاً، حيث إنّ حضور الرسول المصطفى ﷺ لم يكن مجرد حضور عند المحتضر، بل يُبلغ

---

١. **أمالي الطوسي**: ٤١٨، **الفصول المهمة** ١: ٣٢٨، **بحار الأنوار** ٦: ٢٢٩. وانظر: **الكافي**: ٣: ٢٤٥، **تهذيب الأحكام** ١: ٤٦٦ / ح ١٥٢٦.

شيئاً تجاه مَن آمن به وصدّق بدعوته، فإنّهﷺ يجلس عند رأس الميت ويجلس أمير المؤمنين عند جانب آخر.. إلى آخر الرواية، وإليك نصها:

فقد ورد عن الإمام العسكريعليه السلام قوله: «إنّ المؤمن الموالي لمحمد وآله الطيبين، المتّخِذَ لعلي بعد محمّد إمامَه الذي يحتذي مثاله، وسيدَه الذي يصدّق أقواله ويصوّب أفعاله، ويطيعه بطاعة من يندبه من أطائب ذريته لأمور الدين وسياسته، إذا حضره من أمر الله تعالى ما لا يُـردّ، ونـزل بـه من قضائه ما لا يُصَدّ، وحضره ملك الموت وأعوانه، وَجَـدَ عند رأسه محمداً رسول اللهﷺ ومن جانب آخر علياً سيد الوصيين، وعند رجليه من جانب الحسن سبط سيد النبيين، ومن جانب آخر الحسين سيد الشهداء أجمعين، وحواليه بعدهم خيار خواصهم ومحبيهم الذين هم سادة هذه الأُمة بعد ساداتهم من آل محمّد.

ينظر العليل المؤمن إليهم فيخاطبهم، بحيث يحجب الله صوته عن آذان حاضريه كما يحجب رؤيتنا أهل البيت ورؤية خواصنا عن أعينهم، ليكون إيمانهم بذلك أعظم ثواباً لشدة المحنة عليهم.

فيقول المؤمن: بأبي أنت وأمي يا رسول رب العزة، بأبي أنت وأُمي يا وصي رسول رب الرحمة، بأبي أنتما وأمي يا شبلَي محمّد وضرغامَيه، يا ولديه وسبطَيه، يا سيّدَي شباب أهل الجنّة المقربَين من الرحمة والرضوان، مرحباً بكم معاشر خيار أصحاب محمّد وعلي وولَدَيهما، ما كان أعظم شوقي إليكم، وما أشدَّ سروري الآن بلقائكم، يا رسول الله هذا ملك الموت قد حضرني، ولا أشك في جلالتي في صدره لمكانك ومكان أخيك. فيقول رسول اللهﷺ: كذلك هو.

فيُقبل رسول اللهﷺ على ملك الموت، فيقولﷺ: يا ملك الموت،

استوصِ بوصية الله في الإحسان إلى مولانا وخادمنا ومحبنا ومُؤثرنا. فيقول له ملك الموت: يا رسول الله، مُرْه أن ينظر إلى ما أعدّ الله له في الجنان، فيقول له رسول الله ﷺ: لينظر إلى العلو. فينظر إلى ما لا تحيط به الألباب، ولا يأتي عليه العدد والحساب. فيقول ملك الموت: كيف لا أرفق بمن ذلك ثوابه، وهذا محمّد ﷺ وأعزته زوّاره؟ يا رسول الله، لولا أنّ الله جعل الموت عقبة لا يصل إلى تلك الجنان إلاّ من قطعها، لَما تناولتُ روحه. ولكنّ لخادمك ومُحبّك هذا أُسوةً بك وبسائر أنبياء الله ورسله وأوليائه الذين أُذيقوا الموت لحكم الله تعالى.

ثم يقول محمّد ﷺ: يا ملك الموت، هاك أخانا قد سلّمناه إليك، فاستوصِ به خيراً. ثم يرتفع هو ومن معه إلى روض الجنان، وقد كشف من الغطاء والحجاب لعين ذلك المؤمن العليل، فيراهم المؤمن هناك بعد ما كانوا حول فراشه، فيقول: يا ملك الموت، الوَحى، الوَحى[١]، تناولْ روحي ولا تُلبِثْني هاهنا؛ فلا صبر لي عن محمّد ﷺ وأعزته، وألحقني بهم. فعند ذلك يتناول ملك الموت روحه فيسلّها كما تُسَلّ الشعرة من الدقيق، وإن كنتم ترون أنه في شدة فليس هو في شدة، بل هو في رخاء ولذّة، فإذا أُدخل قبره وجد جماعتنا هناك»[٢].

وهذا خبر آخر يكشف عن جانب آخر من جوانب احتضار الإنسان، وحضور رسول الرحمة ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام وذريتهما:

فقد ورد عن سَدير الصَّيرفي أنّه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك

---

١. كلمة تقال في الاستعجال، والمعنى: البِدارَ البِدار.

٢. **التفسير المنسوب للإمام العسكري** عليه السلام: ٢١١، **بحار الأنوار** ٦: ١٧٣، **الفصول المهمة** ١: ٣٠٩.

يا ابن رسول الله، هل يُكرَه المؤمن على قبض روحه؟ قال عليه السلام: لا والله، إنه إذا أتاه ملك الموت بقبض روحه جزع لذلك، فيقول ملك الموت: يا ولي الله لا تجزع، فوالذي بعث محمداً لأنا أبرُّ بك وأشفق عليك من الوالد الرحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر.

قال: ويمثل له رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم. فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة رفقاؤك.

قال: فيفتح عينه فينظر فينادي روحَه منادٍ مِن قِبل رب العزة، فيقول: يا أيتها النفس المطمئنة إلى محمّد وأهل بيته ارجعي إلى ربك راضيةً بالولاية، مرضيةً بالثواب، فادخلي في عبادي، يعني محمداً وأهل بيته، وادخلي جنتي.

فما شيء أحب إليه من استلال روحه واللحوق بالمنادي[1].

والمراد بالروح هنا ما يشير إليه الإنسان بقوله: أنا، أعني النفس الناطقة، وقد تحيّر العقلاء في حقيقتها، والمستفاد من الأخبار عن الأئمة: أنها شبح مثالي على صورة البدن. وكذلك عرّفها المتألهون بمجاهدتهم وحققها المحققون بمشاهدتهم، فهي ليست بجسماني محض ولا بعقلاني صرف، بل برزخ بين الأمرين، ومتوسط بين النشأتين من عالم الملكوت، وللأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم روح أخرى فوق ذلك، وهي عقلانية صرفة وجبروتية محضة[2].

---

١. **الكافي** ٣: ١٢٧ / ح ٢، **فضائل الشيعة** للصدوق: ٢٩، **شجرة طوبى** ٢: ٣٦٥، **تفسير نور الثقلين** ٥: ٥٧٧، **البرهان** ٤: ٤٦١، **بحار الأنوار** ٦: ١٩٦ / ح ٤٩، **مدينة المعاجز** ٣: ١١٤.

٢. انظر: **الكافي** ٣: ١٢٨ / الهامش ١ عن: **الوافي** للفيض الكاشاني .

التجسّم والحضور ليلة الدفن

قد بيّنَت الأخبار المتقدمة المواقف المحمدية والعلوية صلوات الله عليهما وعلى آلهما عند المحتضر، أي ساعة مفارقة الروح للبدن الإنساني، وعرفنا رأفة الرحمة النبوية للمحتضر وإيصاء رسول الله ملكَ الموت به، ولم تقف المسألة عند هذا الحد، بل تُحدّثنا الأخبار بأنهﷺ لم يترك أفراد أمته في أول ليلة في القبر، وأن منكراً ونكيراً يخشعان إذا رأيا أهل البيت بزعامة رسول الرحمة صلوات الله عليه زائراً لذلك الراحل إلى عالم الآخرة.

وفي هذا الخشوع معانٍ كثيرة، أهمها شمول الرحمة لذلك الراحل، فقد ورد في الخبر أنه: إذا جاءه منكر ونكير قال أحدهما للآخر: هذا محمّد وعلي والحسن والحسين وخيار صحابتهم بحضرة صاحبنا، فلنتّضع لهما[1].

فيأتيان فيسلمان على محمّدﷺ سلاماً مفرداً، ثمّ يسلمان على عليعليه السلام سلاماً مفرداً، ثمّ يسلمان على الحسنين سلاماً يجمعانهما فيه، ثمّ يسلمان على سائر من معنا من أصحابنا.

ثم يقولان: قد علمنا يا رسول الله زيارتك في خاصتك لخادمك ومولاك[2].

وهذه الرواية ظاهرة في النصرة والوقوف للمؤمن في قبره عند المساءلة، وقد تقدم في بعض الروايات السابقة ما يدلّ على الحضور والوقوف والنصرة عند المُساءلة أيضاً.

---

١. فَلْنَتّضِعْ: أي فَلْنَتذلَّل ولنَتَخَشَّع لهما .

٢. **التفسير المنسوب للإمام العسكري**عليه السلام: ٢١٣، **المحتضر** لحسن بن سليمان الحلي:٢١، **بحار الأنوار** ٦: ١٧٣، **مدينة المعاجز** ٣: ١٢٥، **تأويل الآيات** ٢: ٦٤٧.

تمثّل جبرائيل عليه السلام وحضوره

وهذه طائفة أُخرى من الأخبار تبيّن أنّ الحاضر عند المحتضر والمتمثّل أمامه جبرائيل عليه السلام بالإضافة إلى محمّد وعلي وأهل البيت عليهم السلام، بل ترى في الخبر محاورة بين أمير المؤمنين ورسول الله عليهما السلام وبين رسول الله وجبرائيل عليه السلام، وبين جبرائيل وملك الموت. وهذه المحاورات لها أثر في تحديد مصير ذلك الراحل إلى ذلك العالم، بل إنّ ذلك المصير قد حدده نفس ذلك الشخص في العالم الدنيوي، فإن أعماله الدنيوية تنكشف هويتها في تلك المحاورات، وإليك نص الخبر:

فقد ورد عن محمّد بن سنان، عن عمار بن مروان قال: حدّثني مَن سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: «منكم واللهِ يَقبَل، ولكم واللهِ يغفر، إنه ليس بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى السرور وقرة العين إلاّ أن تبلغ نفسه هاهنا». وأومأ بيده إلى حلقه.

ثم قال: «إنه إذا كان ذلك واحتضر، حضره رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وجبرائيل وملك الموت، فيدنو منه علي عليه السلام فيقول: يا رسول الله، إنّ هذا كان يحبنا أهل البيت فأحبَّه. ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل، إنّ هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله، فأحبّه. ويقول جبرئيل لملك الموت: إنّ هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله، فأحبَّه وارفق به.

فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله، أخذتَ فَكاكَ رقبتك، أخذت أمان براءتك، تمسَّكْ بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا.

قال: فيوفقه الله، فيقول: نعم. فيقول: وما ذاك؟ فيقول: ولاية علي بن أبي طالب، فيقول: صدقت، أمّا الذي كنت تحذره فقد آمنك الله عنه، وأمّا الذي كنت ترجوه فقد أدركتَه، أبشِرْ بالسلف الصالح مرافقة رسول الله وعلي

وفاطمة عليهم السلام، ثمّ يسل نفسَه سلًّا رفيقاً»[١].

إشارة: نكتفي بهذا العرض للروايات المباركة الواردة في هذا المجال، وأنت رأيت بعد ملاحظتك لهذه الأخبار أنّ تجسّم النبي صلى الله عليه وآله وحضوره وأمير المؤمنين والأئمة من ولده صلوات الله عليهم أجمعين عند المحتضر ظاهر منها من غير تكلف، بل هو صريحها.

كما أنه قد ثبتت مسألة تجسّم النبي صلى الله عليه وآله وحضوره وأهل بيته عليهم السلام عند المحتضر بإجماع الأكابر من علماء المسلمين، فأرسلوه إرسال المسلّمات، بحيث لا يختلجه ريب ولا يعتريه وهم عندهم، حتى صارت هذه المسألة عند علماء الإمامية واحدةً من الضروريات، وهم أخذوا هذا الاعتقاد من أهل البيت عليهم السلام، بل اعترف وأقر به بعض كبار المذهب الأخرى، كابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة[٢]. ففي قول الإمام علي عليه السلام: «فإنّكم لو قد عاينتم ما قد عاين مَن مات منكم لجزعتم ووهلتم، وسمعتم وأطعتم، ولكنْ محجوبٌ عنكم ما قد عاينوا»، قال ابن أبي الحديد في شرحه: ويمكن أن يعني علي عليه السلام به ما يعاينه المحتضر من ملك الموت وهول قدومه، ويمكن أن يعني به ما كان عليه السلام يقوله عن نفسه أنّه لا يموت ميّت حتى يشاهده عليه السلام حاضراً عنده.

والشيعة تذهب إلى هذا القول وتعتقده، وتروي عنه عليه السلام شعراً قاله للحارث الأعور الهَمْداني: يا حارَ هَمْدانَ من يمت يرني ـ إلى آخر الأشعار.

ثم قال ابن أبي الحديد: وليس هذا بمنكر إن صحّ أنه عليه السلام قاله عن نفسه،

---

١. **الكافي** ٣: ١٣٤، **بحار الأنوار** ٦: ١٩٧، **الفصول المهمة في أُصول الأئمة** ١: ٣٠٥.

٢. **شرح نهج البلاغة** ١: ٢٩٩.

ففي الكتاب العزيز ما يدل على أنّ أهل الكتاب لا يموت منهم ميّت حتى يصدّق بعيسى بن مريم عليه السلام، وذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[1].

تعامل العلماء مع أحاديث الحضور

والآن نذكر لك بعض أقوال علماء المسلمين، لترى كيفية تعاملهم مع الروايات الواردة في هذا المجال.

القول الأول: ثمرة الولاية

قال الشيخ المفيد رحمه الله: القول في رؤية المحتضرين رسولَ الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام عند الوفاة: هذا باب قد أجمع عليه أهل الإمامة، وتواتر به الخبر عن الصادقين من الأئمة.

ثم نقل رواية الحارث الهَمْداني، وقال بعدها: غير أني أقول فيه: إنّ معنى رؤية المحتضر لهما عليهما السلام، هو العلم بثمرة ولايتهما، أو الشك فيهما والعداوة لهما، أو التقصير في حقوقهما على اليقين، بعلامات يجدها في نفسه وأمارات ومشاهدة أحوال ومعاينة مدركات لا يرتاب معها بما ذكرناه، دون رؤية البصر لأعيانهما ومشاهدة النواظر لأجسادهما باتصال الشعاع.

واستدل الشيخ المفيد على أنّ المراد بالرؤية هو العلم بثمرة الولاية بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[2].

ثم قال: وإنّما أراد جلّ شأنه بالرؤية هاهنا معرفة ثمرة الأعمال على اليقين

---

١. **شرح نهج البلاغة** ١: ٢٩٨، والآية في سورة النساء: ١٥٩.

٢. الزلزلة: ٧ و ٨ .

الذي لا يشوبه ارتياب.

وقد قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاء اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾[١]، ولقاء الله تعالى هو لقاء جزائه على الأعمال التي عملها، وعلى هذا القول محقّقو النظر من الإمامية. وقد خالفهم فيه جماعة من حشويّتهم، وزعموا أنّ المحتضر يرى نبيه ووليه ببصره كما يشاهد المرئيات، وأنهماعليهما السلام يحضران مكانه ويجاورانه بأجسامهما في المكان[٢].

فتَلخّص مِن هذا كله أنّ الشيخ المفيد ذهب إلى أنّ رؤية المحتضر للنبي الأكرمصلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة معناه رؤية ثمرة الولاية.

وقد ذهب إلى هذا القول السيد المرتضى علم الهدى حيث قال: إنّه يعلم في ذلك الحال ثمرة ولايتهعليه السلام وانحرافه عنه. ثم قال السيد المرتضى مبيناً سر اختياره لهذه النظرية: وإنما اخترنا هذا التأويل؛ لأن رسول الله وأمير المؤمنينعليهما السلام جسم، فكيف يشاهده كلّ محتضر؟ والجسم لا يجوز أن يكون في الحالة الواحدة في جهات مختلفة، ولهذا قال المحصِّلون: إنّ ملك الأموات الذي يقبض الأرواح جنس، ولا يجوز أن يكون واحداً، لأنه جسم والجسم لا يجوز أن يكون في حالة واحدة في أماكن متعددة، فقوله عزّ وجلّ: ﴿يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾[٣] أراد به الجنس، كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾[٤][٥].

---

١. العنكبوت: ٥.

٢. **أوائل المقالات**: ٧٤ .

٣. السجدة: ١١.

٤. الحاقة: ١٧.

٥. حكاه عنه في (**الأنوار النعمانية** ٤: ٢١٠).

ونحن نقول: يرد على هذا الكلام إشكالان:

الإشكال الأول:

إنّ كلام الشيخ المفيد والسيد المرتضى يخالف ظاهر الأخبار المتقدمة، بل الصريحة الناطقة بحضور النبي وأمير المؤمنين والأئمة المعصومين عليهم السلام أجمعين عند المحتضر، وبالنتيجة فإن ظاهر الأخبار لا يتوافق مع قولهما.

وقد صرح علماء الأصول أن الأصل في حمل الكلام يكون على معناه الحقيقي، إلاّ إذا وُجِدت قرينة فنحمله على المعنى المجازي، وحيث لا توجد قرينة على المجاز ـ لا من العقل ولا من النقل ـ فلا يحق الحمل على المجاز.

إن قلت: إن القرينة العقلية للحمل على المجاز موجودة، وهي ما ذكرها السيد المرتضى من عدم جواز حضور الجسم الواحد في أماكن متعددة.

قلنا: ما ذكره السيد المرتضى لا يصلح أن يكون قرينة عقلية، فإنّ المراد من القرينة العقلية ليس ما لا تتحمله العقول، وليس ما لا قدرة للعقول على تصوره، بل المراد منها ما يرجع إلى الاستحالة العقلية الراجعة إلى استحالة جمع النقيضين وما نحن فيه لا استحالة عقلية فيه.

كما أننا لا نصر على كون حضور المعصومين بنفس الأبدان التي كانوا يعيشون بها في الحياة الدنيا، بل نقر بأنهم يحضرون، أما كيفية الحضور فموكولة إلى المعنى الذي يتناسب مع شأن ذلك العالم، فتأمل.

وإليك ذكر قطع من الروايات المتقدمة تبين لك أنّ المحتضر يراهم ويعرفهم، كقول أمير المؤمنين عليه السلام: «يا حار، لَتعرفني عند الممات، وعند الصراط، وعند الحوض، وعند المقاسمة». وكذا قول الصادق والباقر عليهما السلام: «حرام على روح أن تفارق جسدها حتى ترى الخمسة محمداً وعلياً وفاطمة

وحسناً وحسيناًعليهم السلام»، وكذا قول الصادق: «رآه وربِّ الكعبة» قاله ثلاثاً، أي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولا بأس بالإشارة إلى أنّ الرؤية غير الحضور.

ويظهر من أكثرها بل جُلّها أنهم: يحضرون عند الميت بأنفسهم الشريفة وأشخاصهم العينية، ويبشرونه ويلقونه، ويجلسون عند رأسه وعند رجليه، ويُعَرِّفونه لجبرئيلعليه السلام كقول النبيصلى الله عليه وآله: «يا علي، إن محبيك يفرحون في ثلاثة مواطن: عند خروج أنفسهم وأنت هناك تشهدهم، وهي ساعة الاحتضار، وانفصال الروح عن البدن».

وقول الصادقعليه السلام: «ما يموت موالٍ لنا إلاّ ويحضره رسول الله وأمير المؤمنين والحسن والحسينعليهم السلام».

وأيضاً: «ما من ميّت يموت إلاّ حضر عنده محمّد وعليعليهما السلام».

وأيضاً: «حضره رسول الله وعليعليهما السلام».

وأيضاً: «فيدنو منه علي فيقول: يا رسول الله، إنّ هذا كان يحبنا أهل البيت، فيقول رسول اللهصلى الله عليه وآله: يا جبرئيل، إنّ هذا يحبنا».

وأيضاً: «يأتيه رسول الله وعليعليهما السلام يقولان له:...».

وكقول الإمام أبي عبد اللهعليه السلام: «إذا حِيل بينه وبين الكلام أتاه رسول اللهصلى الله عليه وآله ومَن شاء الله، فجلس رسول اللهصلى الله عليه وآله عن يمينه، والآخر عن يساره، فيقول له رسول اللهصلى الله عليه وآله: أمّا ما كنتَ ترجو فهو ذا أمامك».

وبالنتيجة فإن هذه الأخبار صريحة ودالة على حضورهم عند المحتضر، وعليه فلا موجب للحمل على المجاز، وإن كانت كيفية حضورهم مجهولة لنا، فلا يلزم الفحص عنها.

الإشكال الثاني:

ما ذكره الشيخ حسن بن سليمان الحلي، ومفاده: لو قَبِلنا أنّ الرؤية في هذا العالم تكون باتصال الشعاع من الرائي إلى المرئي، فمِن أين لك أن هذا الحكم يجري بعد الموت في عالم البقاء؟ والله سبحانه يقول: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**﴾(١)، ويقول: ﴿**وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾(٢). وقد جاء في الحديث عنهم: لا تُقدِّرْ عظمة الله تعالى على عقلك فتهلك، فقدرته سبحانه بلا كيف ولا يحيط بها العلم(٣).

ولو سُئل المُنكِر لرؤية المحتضر لهما صلى الله عليهما عند موته عياناً: هل يقدر الله سبحانه أن يري المحتضرين الحجج صلوات الله عليهم أجمعين عند الممات وبعده، كما أقدر النائم أن يرى من يراه في أبعد البلاد في حياة المرئي وبعد موته على صورته وقالبه الذي كان يعرفه به، وربما أكل معه وشرب أو لا يقدر حاشا جل وعلاه؟

لا سبيل إلى إنكار القدرة، فإذا جاز وقوعها فلا يجوز تأويله والعدول عن الظاهر من غير ضرورة ولا امتناع. وقد رُوي عن النبي الكريمﷺ: «من رآني فقد رآني، فإني لا يتمثّل بيَ الشيطان، ومن رأى أحداً من أوصيائي فقد رآه، فإنّه لا يتمثّل بهم الشيطان»(٤)، وهذا الحديث يعم في الحياة وبعد الممات، وهو نص في الباب(٥).

---

١. الكهف: ٤٥.

٢. النحل: ٨ .

٣. **المحتضر**: ١٧ / ح ٥ .

٤. **الفقيه** ٢: ٥٨٥، **رسائل المرتضى** ٢: ١٢، **الأمالي** للصدوق: ١٢١، **كنز الفوائد**: ٢١٢، **بحار الأنوار** ٣٠: ١٣٢ و ج ٤٩: ٢٨٣.

٥. **المحتضر**: ٦.

قال العلامة المجلسي: إعلم أنّ حضور النبي والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين عند الموت مما قد ورد به الأخبار المستفيضة، وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار، وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الأخيار. وأما نحويّة حضورهم وكيفيته فلا يلزم الفحص عنه، بل يكفي فيه وفي أمثاله الإيمان به مجملاً على ما صدر عنهم[١]. وكذلك قال الفيض الكاشاني: إنّ ذلك حقيقة لا تجوّز فيه[٢].

إلى هنا تمكنا أن نبين القول الأول في المسألة مع ذكر الإيرادات عليه.

فصارت النتيجة لحد الآن أنّ القول الأول مفاده أنه يجب التسليم والقبول للأحاديث الواردة في مسألة حضور المصطفى ووصيه وذريتهما، وأن الله قادر على ذلك ولا محذور عقلي في البين. كما أنه لا يجب علينا الفحص والكشف عن كيفية حضور النبي المصطفى وأهل بيته في ذلك العالم، بل أمره موكول إلى ما يتناسب وشأنَ ذلك العالم.

القول الثاني: الجسم المثالي

يمكن أن يكون لهم أجساد مثالية كثيرة لما جعل الله لهم من القدرة الكاملة التي بها امتازوا عن سائر البشر، والأولى في أمثال تلك المتشابهات الإيمانُ بها وعدم التعرض لخصوصياتها وتفاصيلها، وإحالةُ علمها إلى العالم. قال العلامة المجلسي في (بحار الأنوار): إنه يمكن أن يكون للرسول المصطفى وأهل بيته: أجسام مثالية كثيرة؛ لِما جعل الله لهم

---

١. بحار الأنوار ٦: ٢٠٠.

٢. علم اليقين للفيض الكاشاني ٢: ٨٥٦ .

من القدرة الكاملة التي بها امتازوا عن سائر البشر[١].

وقال المحدث الجزائري: إنّ شيخنا المعاصر ـ أدام الله أيامه ـ بنى هذا على تعدد البدن المثالي، فيكون للرسول الأكرم ولعلي عليهما السلام أبدان متعددة، كلّ بدن منها في مكان من الأمكنة المختلفة.

وقال: إنّ الذي رجّحناه نحن أخذاً من مفاهيم الأخبار هو القول بالتمثل، بأنّ الله سبحانه يمثل للميت رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام، كما مثّله لأهل السماوات حين رآه النبي صلى الله عليه وآله في جميع السماوات واقفاً يصلي والملائكة تصلي خلفه، فقال: هذا علي بن أبي طالب عليه السلام تركته في الأرض وها هو قد سبقني إلى السماء.

فقال الله: هذا شخص مثل علي بن أبي طالب، خلقتُه في جميع السماوات حتى تنظر إليه الملائكة، فتطمئن إليه نفوسهم من شدة حبهم لعلي ابن أبي طالب عليه السلام[٢].

ويؤيده ما رواه الكليني في رواية سدير الصيرفي، عن مولانا عليه السلام في قول ملك الموت للمحتضر: «افتح عينيك فانظر، قال: ويُمثَّل له رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام»[٣].

فيكون عليه السلام يأتي إلى بعض المحتضرين بنفسه الشريفة وصورته الأصلية، ويأتي إلى بعض آخر بصورته الممثَّلة المشابهة لتلك الصورة الأصلية. وهذا التمثّل من باب ما رواه الشيخ الكليني، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ ابن آدم

---

١. **بحار الأنوار ٦: ٢٠٢**.

٢. حكاه في (**الأنوار النعمانية ٤: ٢١٠**).

٣. **الكافي ٣: ١٢٧ / ح ٢، مدينة المعاجز ٣: ١١٤، بحار الأنوار ٦: ١٩٦ / ح ٤٩، شجرة طوبى ٢: ٣٦٥**.

إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، مُثّل له ماله وولده وعمله»[١].

إلى هنا وصلنا إلى هذه النتيجة، وهي أنّ أصحاب القول الثاني يلتزمون بالمثال والصور، وأن الله سبحانه وتعالىٰ يخلق صوراً ومثالاً يشبه الأبدان النبوية والعلوية و...، وهذه الصور هي التي تحضر عند المحتضر حين تفارق الروح البدن.

القول الثالث: الرؤية في النشأة البرزخية

قال الفيض الكاشاني: إنّ هذه الرؤية إنّما تكون في النشأة البرزخية لا الحسيّة، وإنّ ذلك حقيقة لا تجوز فيه، ويشبه أن تكون رؤية المعصومين صلوات الله عليهم مختصة بمن غلب عليه ذكرهم في الحياة الدنيا: إما لمحبة شديدة منه لهم، أو لبغض شديد، وتصديق ذلك قول الله: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾[٢]، يعني المسيح على نبينا وآله وعليه السلام[٣].

القول الرابع:

ما ذكره الميرزا النوري رحمه الله بصورة احتمال، حيث قال: من الاحتمالات أن يكون المراد من الحضور كشف الحجاب عن بصر المحتضر، فيراهم وهم في مستقرهم ومقامهم من ذلك العالم من دون حركة وسير منهم لذلك، كرؤية

---

١. **الأنوار النعمانية** ٤: ٢١٠ . وانظر: **مصابيح الأنوار** للسيد شبر ٢: ١٧٢.

٢. النساء: ١٥٩.

٣. **علم اليقين** ٢: ٨٥٦ .

الناس جميعاً كوكباً معيناً في آن واحد في أمكنة متباعدة[1].

لكن يرد عليه أنّ هذا التأويل خلاف ظاهر الأحاديث، حيث إنّ بعض الروايات ظاهرها الحضور لا الرؤية فقط، فالأخبار والأحاديث صريحة بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يجلس عند رأس المحتضر، وعلي عليه السلام عند رجليه أو يدنو منه، أو يأتيه رسول الله صلى الله عليه وآله أو أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله. ويرد عليه أيضاً أنّ نسبة الكوكب الواحد إلى الناظرين إليه نسبة متساوية، فوجه الكوكب واحد بالنسبة للناس.

لكنّ الذي نفهمه من ظاهر الأحاديث أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ومن حضر معه من أهل بيته تختلف مواقفهم عند من يحضرون عنده، فتراهم يلاقون المحب بوجه بشر فرح، ويلاقون المبغض والكافر بوجه عبوس، وهذا يستدعي التفاتاً خاصاً منهم عليهم السلام لكل واحد من الطائفتين، أي المحبين والمبغضين.

فتَلَخّص من هذا كله أنّ القول الأول في المسألة راجع إلى الحمل على المجاز، وباقي الأقوال كلها ترجع إلى المعنى الحقيقي حسب ادعاء أصحابها، والظاهر أنها أقوال في كيفية حضور النبي المصطفى والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين عند المحتضر أو في كيفية تصوير الحضور بعد تسليم وقوع الحضور منهم صلوات الله عليهم أجمعين عند المحتضر. وقد سبق أن قلنا: إنّ ذلك لا يهمنا، فيبقى القول المختار وهو الحمل على المعنى الحقيقي، وهو أنّ المحتضر يرى الرسول الأحمد وأوصياءه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، وأنّهم يأتونه وأنه يكلمهم ويكلمونه.

---

١. دار السلام ٤: ٣٠٦.

وأما كيفية ذلك فمتروك إلى قوانين عالم الآخرة كما بيّنا ذلك سابقاً.. قال السيد عبد الله شبر في (مصابيح الأنوار): إن إنكار مثل ذلك بمحض استبعاد العقول القاصرة، والأفهام الحاسرة مما لا ينبغي لأهل الدين، فيجب الإيمان بذلك إجمالاً على ما صدر عنهم عليهم السلام، ولا يجب الفحص عن نحو الحضور والكيفية[١].

تبدّلات أُخرى

الأول: تبدّل صور المجرمين في المحشر

يتبدّل في عالم المحشر بعض المذنبين من صورتهم البشرية إلى صورة بعض الحيوانات جزاء لما كانوا يعملون في دنياه، ففي الحديث الوارد عن البَراء بن عازب قال: كان مُعاذ بن جبل جالساً قريباً من رسول صلى الله عليه وآله في منزل أبي أيوب الأنصاري، فقال معاذ: يا رسول الله، أرأيت قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[٢]، الآيات.

فقال: «يا معاذ، سألت عن عظيم من الأمر». ثمّ أرسل عينيه، ثمّ قال: «يُحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً، قد ميّزهم الله من المسلمين وبدّل صورهم: بعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكّسون أرجلهم من فوق ووجوههم من تحت، ثمّ يُسحَبون عليها، وبعضهم عُمْيٌ يترددون، وبعضهم صمّ بكم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم فيسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقذّرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطّعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مُصلّبون على جذوع من نار، وبعضهم أشدّ نتناً من

---

١. **مصابيح الأنوار** ٢: ١٧٢.

٢. النبأ: ١٨.

الجِيف، وبعضهم يلبسون جِباباً سابغة من قَطِران لازقة بجلودهم.

فأما الذين على صورة القردة فالقتّات من الناس، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السُّحت، وأما المنكّسون على رؤوسهم فأكَلَة الربا، والعُمْي الجائرون في الحكم، والصمّ والبكم المعجَبون بأعمالهم، والذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالف أعمالُهم أقوالَهم، والمقطّعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران، والمصلّبون على جذوع من نار فالسُّعاة بالناس إلى السلطان، والذين هم أشدّ نتناً من الجيف فالذين يتمتّعون بالشهوات واللذات ويمنعون حقّ الله في أموالهم، والذين يلبسون الجباب فأهل الفخر والخُيلاء»[١].

ومحل الشاهد هنا الذين يحشرون على صورة القردة وهم القتّات من الناس، أي الذي يستمع لأحاديث الناس فيخبر أعداءهم، وقيل: هو الذي يكون مع القوم يتحدّثون فينمّ عليهم[٢]، والطائفة الأخرى الذين يحشرون على صورة الخنازير، وهم أكّالو السُّحت والباطل.

لكن يبقى السؤال: إذا كان ارتكاب الذنب على أنواع، فلماذا صار التبدل لبعض المذنبين دون بعض آخر، وما هي المناسبة في المسخ إلى القردة والخنازير من الحيوانات دون غيرهم؟

الثاني: الموت في صورة كبش أملح

المعروف أن الأملح الذي فيه بياض كثير وسواد، وقد نقلت الخاصة والعامة أن الموت يُؤتى به يوم القيامة في صورة كبش أملح فيُذبَح وبذبحه

---

١. مجمع البيان ١٠: ٢٤٢.

٢. لسان العرب ٢: ٧٠.

يستقر بال أهل الجنّة بأنهم خالدون فيها، ويُرفَع الأمل عن أهل النار وأنهم باقون فيها، فقد ورد في الخبر عن محمّد بن علي بن إبراهيم رفعه، قال: سألته عن الموت مما هو ومن أي شيءٍ هو؟

فقال: هو من الطبائع الأربع التي هي مركّبة في الإنسان، وهي: المُرّتان، والدم، والريح. فإذا كان يومُ القيامة نُزِعن هذه الطبائع من الإنسان فيُخلَق منها الموت فيؤتى به في صورة كبش أملح ـ أي أغبر ـ فيُذبح بين الجنّة والنار، فلا يكون في الإنسان هذه الطبائع الأربع فلا يموت أبداً [1].

وعن ابن محبوب، عن أبي ولّاد الحنّاط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سُئل عن قوله سبحانه: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ [2] الآية، فقال: ينادي منادٍ مِن عند الله، وذلك بعدما صار أهل الجنّة في الجنة وأهل النار في النار: يا أهل الجنّة ويا أهل النار، هل تعرفون الموت في صورة من الصور؟ فيقولون: لا. فيُؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنّة والنار ثمّ يُنادَون جميعاً: أشرفوا وانظروا إلى الموت فيشرفون، ثمّ يأمر الله به فيُذبَح، ثمّ يقال: يا أهل الجنّة خلودٌ فلا موت أبداً، ويا أهل النار خلود فلا موت أبداً، وهو قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [3] أي قضي على أهل الجنّة بالخلود فيها، وقضي على أهل النار بالخلود فيها [4].

وعن النضر بن سويد عن درست عن أبي المغرا عن أبي بصير قال: لا أعلمُه ذَكَره إلاّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا أدخل الله أهلَ الجنّة الجنّة وأهل

---

١. **بحار الأنوار** ٥٨: ٣٠٧ / ح ١٦ .

٢. مريم: ٣٩ .

٣. مريم: ٣٩ .

٤. **الفصول المهمة في أُصول الأئمة** ١: ٣٧٢ / ح ٤٨٩ .

النار النار، جيء بالموت في صورة كبش حتى يُوقَف بين الجنّة والنـار. قـال: ثمّ ينادي منادٍ يسمع أهل الدارين جميعاً: يا أهل الجنّـة، يـا أهـل النـار. فـإذا سمعوا الصوت أقبَلوا، قال: فيقال لهم: أتدرون ما هذا؟ هذا هو الموت الـذي كنتم تخافون منه في الدنيا. قال: فيقول أهل الجنـة: اللهـم لا تُـدخِلِ المـوت علينا، قال: ويقول أهل النار: اللهم أدخل الموت علينـا. قـال: ثـمّ يُـذبَح كمـا تذبح الشاة. قال: ثمّ ينادي مناد: لا موت أبداً أيقنوا بالخلود. قال: فيفرح أهـل الجنّة فرحاً لو كان أحد يومئذ يموت من فرح لماتوا». قال: ثمّ قرأ هذه الآيـة: **﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِـيمُ * لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾**[1]، قال: «ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتاً يموت من شهيق لماتوا، وهو: قول الله تعالى: **﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْـرَةِ إِذْ قُضِـيَ الْأَمْرُ﴾**»[2].

هذه بعض الروايات المنقولة من طرق الإمامية.

والحكمة في كون الموت على هيئة كبش أملح؛ هي لأنّ ملك الموت أتـى آدم عليه الصلاة والسلام في صورة كبش أملح قد نشـر مـن أجنحتـه أربعـة آلاف جناح، والحكمة في كون الكبش أملح أبـيض وأسـود أنّ البيـاض مـن جهة الجنّة والسواد من جهة النار.

وقيل: يذبح على الصراط على ما روي عن أبي هريرة بلفظ: يُجاء بالموت فيُوقَف على الصراط، فيقال: يا أهل الجنّة فيطلعون خائفين أن يخرجـوا مـن مكانهم، ثمّ يقال: يا أهل النار. فيطلعون مستبشرين فـرحين أن يخرجـوا مـن

---

١. الصافّات: ٥٨ ـ ٦١ .

٢. كتاب **الزهد** للحسين بن سعيد الكوفي ١٠٠ / ح ٢٧٣ .

النار: هذا الموت! فيُؤمَر به فيُذبح على الصراط، وقيل: يذبح على السور الذي بين الجنّة والنار. ما أخرج الترمذي هو: فيقولون: نعم هـذا المـوت! ثـمّ قـال: حسن صحيح[١].

وقال المازري: الموت عندنا عرض مـن الأعـراض وعنـد المعتزلـة لـيس بمعنى، وعلى المذهبين لا يصحّ أن يكون كبشاً ولا جسماً، وأنّ المـراد بهـذا هو التمثيل والتشبيه. ثمّ قال وقد يخلق الله تعالى هذا الجسـم ثـمّ يُـذبح، ثـمّ يُجعل مثالاً؛ لأن الموت لا يطرأ على أهل الجنّة.

وقال القرطبي في (التذكرة): المـوت معنـى والمعـاني لا تنقلـب جـوهراً، وإنما يخلق الله أشخاصاً من ثواب الأعمـال، وكـذا المـوت يخلـق الله كبشـاً يُسمّيه الموت، ويُلقي في قلوب الفريقين أنّ هذا الموت يكـون ذبحـه دلـيلاً على الخلود في الدارين. وقـال غيـره: لا مـانع أن يُنشـئ الله مـن الأعـراض أجساداً يجعلها مادة لها، كما ثبت في صـحيح مسـلم فـي حـديث أن البقـرة وآلعمران يجيئان كأنهما غمامتان، ونحو ذلك من الأحاديث.

قال القرطبي: وفي هذه الأحاديث التصريح بأنّ خلود أهل النار فيها لا إلى غاية أمد، وإقامتهم فيها على الدوام بلا موت ولا حياة نافعـة ولا راحـة، كمـا قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾[٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾[٣]، قـال: فمـن زعـم أنهم يخرجون منها وأنّها تبقى خالية أو أنها تفنـى وتـزول فهـو خـارج عـن

---

١. عمدة القاري ١٩: ٥٢ .

٢. فاطر: ٣٦ .

٣. الحج: ٢٢ .

مقتضى ما جاء به الرسول وأجمع عليه أهلُ السنّة[١].

وفي (الفتوحات المكية): الموت وإن كان نسبة، فإنّ الله يظهره يوم القيامة في صورة كبش أملح وينادي: يا أهل الجنّة. فيشرئبّون، وينادي: يا أهل النـار. فيشرئبّون، وليس في النار في ذلك الوقت إلاّ أهلها الذين هـم أهلهـا، فيقـال للفريقين: أتعرفون هذا؟ وهو بين الجنّة والنار فيقولـون: هـو المـوت. ويـأتي يحيى عليه السلام وبيده الشفرة فيُضجعه ويذبحه. وينادي منادٍ: يا أهل الجنّـة خلـود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. وذلك هو يـوم الحسـرة، فأمـا أهـل الجنّة إذا رأوا الموت سُرّوا برؤيته سروراً عظيمـاً ويقولـون لـه: بـارك الله لنـا فيك، لقد خلّصتَنا من نكد الدنيا وكنت خير وارد علينا وخيـر تحفـة أهـداها الحق إلينا، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله يقول: «الموت تحفة المـؤمن». وأمـا أهـل النـار إذا أبصروه يَفرَقون منه ويقولون له: لقد كنت شرّ وارد علينا، حُلتَ بيننا وبين مـا كنا فيه من الخير والدعة. ثمّ يقولون له: عسى تُميتنا فنستريح مما نحن فيه.

وإنّما سُمي يوم الحسرة لأنه حسر للجميـع، أي ظهـر عـن صـفة الخلـود الدائم للطائفتين، ثمّ تُغلَق أبواب النار غلقاً لا فـتح بعـده وتنطبـق النـار علـى أهلها ويدخل بعضها في بعض ليعظم انضـغاط أهلهـا فيهـا ويرجـع أسـفلها أعلاها وأعلاها أسفلها، وترى الناس والشياطين فيها كقطع اللحم فـي القِـدْر، إذ كان تحتها النار العظيمة تغلي كغلي الحميم، فتدور بمن فيها علـواً وسـفلاً ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾[٢] بتبديل الجلود[٣].

---

١. **فتح الباري** لابن حجر ١١: ٣٦٢.

٢. الإسراء: ٩٧.

٣. **الفتوحات المكية** ١: ٣١٦.

الثالث: تجسّم الأرواح

روح الإنسان في الحياة الدنيا متلبّسة بالبدن، وبالموت تنفصل الروح عن البدن، لكن بعد انفصالها والبدن في عالم البرزخ أين تذهب؟

المنقول عن بعض العامة أنها تكون في حوصلة طير، والمروي عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أنها ليست كذلك بل هي في أبدان كأبدانهم، فقد ورد عن أبي ولّاد الحنّاط عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جُعلت فداك، يَرْوُون أنّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش! فقال: «لا، المؤمن أكرم على الله من أن يَجعَل روحه في حوصلة طير، ولكن في أبدان كأبدانهم»[١].

وعن يونس بن ظبيان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: «ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟»، فقلت: يقولون: تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «سبحان الله! المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير. يا يونس، إذا كان ذلك أتاه محمّد صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والملائكة المقربون عليهم السلام، فإذا قبضه الله عزّ وجلّ صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا»[٢].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنّة تعارف وتسائل، فإذا قدمت الروح على الأرواح يقول: دعوها فإنها قد أُفلِتت من هول عظيم. ثمّ يسألونها: ما فعل فلان، وما فعل

---

١. **الكافي** ٣: ٢٤٤ / ح ١، وسنده حسن كما في (**مرآة العقول** ١٤: ٢٢١).
٢. **الكافي** ٣: ٢٤٥ / ح ٦.

فلان؟ فإن قالت لهم: تركته حيّاً ارتجوه، وإن قالت لهم: قد هلك قالوا: قد هوى هوى»[١].

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا نتحدث عن أرواح المؤمنين أنها في حواصل طيور خضر ترعى في الجنّة وتأوي إلى قناديل تحت العرش؟ فقال: «لا، إذاً ما هي في حواصل طير»، قلت: فأين هي؟ قال: «في روضة كهيئة الأجساد في الجنّة»[٢].

شبهة مدفوعة

قال الشيخ البهائي قدس الله روحه: قد يُتوَهَّم أن القول بتعلق الأرواح بعد مفارقة أبدانها العنصرية بأشباح أُخر ـ كما دلّت عليه الأحاديث ـ قولٌ بالتناسخ، وهذا توهم سخيف؛ لأن التناسخ الذي أطبق المسلمون على بطلانه هو تعلق الأرواح بعد خراب أجسادها بأجسام أُخر في هذا العالم: إمّا عنصرية كما يزعم بعضهم ويقسمه إلى النسخ والمسخ والفسخ والرسخ[٣]، أو فلكية ابتداءً أو بعد ترددها في الأبدان العنصرية، على اختلاف آرائهم الواهية المفصّلة في محلها.

وأما القول بتعلقها في عالم آخر بأبدان مثالية مدة البرزخ إلى أن تقوم قيامتها الكبرى فتعود إلى أبدانها الأولية بإذن مبدعها، إما بجمع إجزائها المتشتتة أو بإيجادها من كتم العدم، كما أنشأها أول مرة، فليس من التناسخ

---

١. **الكافي** ٣: ٢٤٤ / ح٣.

٢. نفسه ٣: ٢٤٥ / ح ٧.

٣. إنّ الجسم المنتقل إليه: إمّا بدن إنساني، أو بدن آخر من البهائم والسباع وغيرها، أو نبات، أو جماد . فالأول هو المسخ والثاني هو المسخ والثالث هو الفسخ والرابع هو الرسخ.

في شيء، وإن سمّيتَه تناسخاً فلا مشاحة في التسمية إذا اختلف المسمّى.

وليس إنكارنا على التناسخية وحكمنا بتكفيرهم بمجرد قولهم بانتقال الروح من بدن إلى آخر، فإن المعاد الجسماني كذلك عند كثير من أهل الإسلام، بل بقولهم بقِدَم النفوس وترددها في أجسام هذا العالم وإنكارهم المعاد الجسماني في النشأة الأخروية[١].

هذا ما ورد في كلمات أهل البيت عليهم السلام، وخلاصة كلامهم نفي كون روح المؤمن في حوصلة طير، وما يرويه العامة ليس بصحيح، وإنّما الصحيح أنّ روح المؤمن في جسد كجسده أو في بدن كبدنه أو في روضة كهيئة الأجساد. ومع ذلك فلا بأس عليك أن تطّلع على ما يقوله علماء العامة في هذه المسألة.

فقد جاء في (فيض القدير شرح الجامع الصغير) للمناوي: إن أرواح الشهداء في طير خضر، أي يكون الطائر ظرفاً لها، لقوله في خبر أبي داود في أجواف طير، وليس هذا بحصر، ولا بحبس، لأنها إما أن توسع عليها كالفضاء أو يجعل في تلك الحواصل من النعيم ما لا يوجد في فضاء واسع، والمراد أنها نفسها تكون طيراً، بأن تمثّل بصورته كتمثّل الملك بشراً سويّاً.

وتحقيقه أنّ الأرواح بعد مفارقة البدن مجردة، فهي في غاية اللطافة، وما كان كذلك فظهوره وتعيّنه في حقيقة كلّ متعين ومرتبة وعالَمٍ إنما يكون بحسب قابلية الأمر المعين والمرتبة المقتضية تعينه وظهوره فيها، ويُعرَف بهذا سر تجسد الأرواح الملكية وكون جبرئيل يسعه أدنى جزء من الأرض، كحجرة عائشة عنها، مع أن له ستمائة جناح كلّ جناح يسد الأفق، وعلى

---

١. **الأربعون حديثاً** للبهائي: ٥٠٥، عنه: **بحار الأنوار** ٦: ٢٧٧ .

الأول فالأرواح تنتقل إلى جسم آخر وعليه اتفق العقلاء، لكن هل تكون مدبّرة لذلك الجسم؟

قال كثير من أهل السنة: نعم، وقال الحكماء: لا يصح ذلك وإلاّ لكان تناسخاً، وإنما تُستعمل تلك الأجرام لإمكان التخيّل، فيتخيل الصور التي كانت معتقدة عنده، فإن كان اعتقاده في نفسه وأفعاله خيراً شاهدت الخيرات الأخروية على حسب ما تخيلتها، وإلاّ شاهدت العقاب كذلك، وجعلوا فائدة التعلق الإفضاء بهم إلى الاستعداد للاتصال المسعد الذي للعارفين الفائزين.

وأحالوا كون الجسم من جنس ما كانت فيه لئلاّ يلزم التناسخ، ووافق محققو الصوفية على جواز كونها مدبرة لذلك الجسم، ومنعوا التناسخ، لأنّ لزومه على عدم تقدير عودها إلى جسم نفسها الذي كانت فيه والعود الحاصل في النشأة الجنانية، وإنما هذا التعلق في النشأة البرزخية (تعلُّق) بضم اللام أي تأكل تلك الطير بأفواهها (من ثمرة الجنّة) فتجد بواسطة ريح الجنّة ولذتها وبهجتها وسؤددها ما لم تحط به العقول.

قال الطيبي: الظاهر أن يقال: تعلّق بشجر الجنّة، وتعديتُه بالباء تفيد الاتصال والإلحاق، ولعله كنّى عن الأول لأنها إذا اتّصلت بشجر الجنّة وتشبثت بها أكلت من ثمارها، ووصف الطير بالخضرة يحتمل أن يراد به كون لونها كذلك، فيحتمل أن يراد أنها غضة ناعمة. قال ابن القيم: وذا صريح في دخول الأرواح الجنّة قبل القيامة، وبه يمنع قول المعتزلة وغيرهم أنّ الجنّة والنار غير مخلوقتين الآن[1].

هذا ما عليه بعض العامة، وإنما نقلناه لك كي تطّلع على ما يقولونه في

---

١. **فيض القدير شرح الجامع الصغير** للمناوي ٢: ٥٣٤ / ح ٢١٦٧ .

هذا المجال، وقد عرفت أن المروي عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أن الأرواح بعد مفارقتها الأجسام تكون في أبدان كأبدانها.

عجيبة

نُقل عن السهيلي أن رجلاً من أشياخ البلد جاءه فقال: أخبرك يا أستاذ بعجيبة؛ مات لي جار فرأيته البارحة في النوم، فقلت له: ما لقيت؟ قال: خيراً، فأُعلمك أنّ زوجتي يُكتَب صداقها غداً، وتحضره أنت وأنا، قلت: كيف تحضر وأنت ميّت؟! قال: إذا مشيتَ لحضور الصداق تجد في وسط الدار شجرة ريحان، فإذا رأيت على غصن منها طيراً أخضر فهو أنا.

فلما أصبحتُ جاءني رجلان فقالا: جارك فلان يزوّج ابنته. فدخلت الدار، فرأيت الشجرة وجلست حذاءها وكتبت الصداق، ووقع خلاف في بعض الشروط، وإذا طائر صغير أخضر نزل على أغصانها ثمّ ذهب، فقال أهل المجلس: ما لك لا تصلح بين الجماعة؟! فقلت: شغلني أمر عجيب! فأخبرتهم، فحلفت المرأة أن لا تزوّجَت أبداً. ورواه عنه أيضاً الطبراني. قال الهيثمي: وفيه محمّد بن إسحاق، وهو مدلّس، وبقية رجاله رجال الصحيح[1].

وفيه: أنّ هذه قصّة رجل من أشياخ البلد نقلها السهيلي، وهذا لا حجّة في كلامه.

٣ـ تجسّم في اليقظة وفي النوم وفيما بينهما

الإنسان مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى معقّد، مؤلف من روح وبدن، وارتباط الروح بالبدن يكون مانعاً عن حركتها مقيداً إياها في عالم

---

١. فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٢: ٥٣٤ / ح ٢١٦٧ .

المادة، لكن أحياناً تصيبها حالات التجرّد عن عالم المادة، فترى بعض الأُمور على حقيقتها وسرعان ما ترجع إلى الحالة المادية، فترى ظاهر الأمور كما هو ظاهر، ويمنع عنها رؤية الحقائق، وهذا المبحث معقود لتجسم الأمور ورؤيتها في عوالم ثلاثة: في اليقظة، وفي المنام، وبين اليقظة والمنام.

ألف ـ التجسّم والرؤية في اليقظة

ما أكثر الحجيج!

يظهر من بعض الأخبار أنّ مَن عصمه الله تعالى من أوليائه عنده علم بواقع الحال فيرى حقائق الأشياء، ويرى ما تكمنه النفوس، ويرى باطن الناس، بل يمكن أن يري لغيره تلك الصور الباطنية، فقد ورد في الخبر أنّ أبا بصير للإمام الباقر عليه السلام: ما أكثر الحجيج وأعظم الضجيج! فقال عليه السلام: «بل ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج! أتحب أن تعلم صدق ما أقوله وتراه عياناً؟». فمسح على عينيه ودعا بدعوات فعاد بصيراً فقال: «أُنظر يا أبا بصير إلى الحجيج»، قال: فنظرت فإذا أكثر الناس قردة وخنازير، والمؤمن بينهم كالكوكب اللامع في الظلماء.

فقال أبو بصير: صدقت يا مولاي، ما أقلّ الحجيج وأكثر الضجيج! ثمّ دعا بدعوات فعاد ضريراً، فقال أبو بصير في ذلك، فقال عليه السلام: «ما بَخِلنا عليك يا أبا بصير وإن كان الله تعالى ما ظلمك، وإنما خارَ لك وخَشِينا فتنة الناس بنا، وأن يجهلوا فضل الله علينا ويجعلونا أرباباً من دون الله، ونحن له عبيد لا نستكبر عن عبادته ولا نسأم من طاعته، ونحن له مسلمون»[1].

فالإمام المعصوم البصير بحقائق الأشياء يرى واقع الأمور، ويرى ما لا يراه

---

١. **عيون المعجزات** لحسين بن عبد الوهاب: ٦٧، **مناقب آل أبي طالب** ٣: ٣١٨.

الناس، ومع ذلك فقد أعطاه الله سبحانه وتعالى قدرة أن يبصّر أبا بصير ويريه ما كان يرى.

وورد الخبر بنحو آخر عن أبي بصير، قال: حججت مع أبي عبد الله عليه السلام فلمّا كنا في الطواف قلت: يا ابن رسول الله، يغفر الله لهذا الخلق؟ قال: «إنّ أكثر مَن ترى قردةٌ وخنازير!»، قلت: أرِنيهم. فتكلّم بكلمات، ثمّ أمرّ يده على بصري، فرأيتهم قردة وخنازير كما قال، قلت: فرُدَّ بصري. فدعا، فرأيتهم كما رأيتهم في المرة الأولى خَلْقاً سوياً، ثمّ قال: «أنتم في الجنّة تُحبَرون، وبين أطباق النار تُطلَبون فلا تُوجَدون، واللهِ لا يجتمع في النار منكم اثنان، لا ـ والله ـ ولا واحد»[١].

وأنت ترى الفرق واضحاً بين الروايتين، فإنّ الرواية الأولى منقولة عن الإمام الباقر عليه السلام والثانية عن الإمام الصادق عليه السلام، الرواية الأولى تقول: فعاد ضريراً، والحال أنّ الرواية الثانية لا يظهر منها ذلك، فمن المحتمل أن تكون الروايتان حاكيتين عن موطنين مختلفين فيكون أبو بصير الأول غير الثاني، والله أعلم[٢].

ونظير المضمون المتقدم في الروايتين السابقتين منقول عن الإمام زين العابدين، ففي الخبر أنّه قال علي بن الحسين عليه السلام ـ وهو واقف بعرفات ـ للزهري: «كم تُقدّر هاهنا من الناس؟»، قال: أقدّر أربعمائة ألف وخمسمائة ألف كلُّهم حُجّاج، فقال له: يا زهري، ما أكثرَ الضجيج وأقلَّ الحجيج!، فقال

---

١. **بصائر الدرجات**: ٢٩٠، **الخرائج والجرائح** ٢: ٨٢٧ / ح ٤٠، وسنده عن الصفار، عن محمّد بن الحسين، عن عبد الله بن جبلة، عن علي بن أبي حمزة .

٢. قال المحدّث الشيخ عبّاس القمّي: وأبو بصير يُطلَق غالباً على: يحيى بن القاسم (الأسدي)، أو ليث بن البَخْتري. (**سفينة البحار** ١: ٢١٨ ـ باب بصر).

الزهري: كلّهم حجاج.

فقال: «يا زهري أمِل إليّ وجهَك»، فأدناه فمسح بيده وجهه ثمّ قال: «أُنظر»، فنظر إلى الناس، قال الزهري: فرأيت أولئك الخلق كلّهم قردة... ثمّ قال السجادعليه السلام:... «مَن حجّ ووالى مُوالينا وهجر مُعادينا ووطّن نفسه على طاعتنا، ثمّ حضر هذا الموقف مسلّماً إلى الحجر الأسود ما قلده الله من أمانتنا، ووفى بما ألزمه من عهودنا، فذلك هو الحاجّ»...[1].

ويؤيد هذه المضامين المنقولُ عن أمير المؤمنين عليعليه السلام: «لو تكاشفتم ما تدافنتم»[2]. وفي (الصحاح): أي لو انكشف عيب بعضكم لبعض[3]. وفي (نهاية) ابن الأثير في غريب الحديث: أي لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييع جنازته ودفنه[4].

وقد يكون التكاشف في أحد معانيه ظهورَ صورة الشخص على نحو باطني يغاير ما نراه في الظاهر، فيكون معنى التكاشف متوافقاً مع ظهور الصور الباطنية على شكل قرد أو خنزير.

أراه الخلق الممسوخ

رؤية المخلوقات على صورتها الحقيقية وبشكل حيوانات قردة وخنازير وكلاب ميسّر للإمام المعصومعليه السلام كما ذكرنا ذلك، بل النبي والإمام المعصومعليه السلام يعطي هذه القدرة لأشخاص قريبين منهم، ففي المروي عن أبي

---

١. **التفسير المنسوب للإمام العسكري** عليه السلام: ٢٨١، **بحار الأنوار** ٩٦ : ٢٥٨ .

٢. **الأمالي** للصدوق: ٥٣١ .

٣. **الصحاح في اللغة** ٤: ١٤٢١ .

٤. **النهاية في غريب الحديث** ٤: ١٧٦ .

بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أنا مولاك ومن شيعتك، ضعيف ضرير، فاضمن لي الجنّة، فقال عليه السلام: أضمن لك الجنّة، أو لَأُعطيك علامة الأئمة؟ أو غيرهم؟، قلت: وما عليك أن تجمعهما لي؟

قال: وما تحب ذلك؟ قلت: وكيف لا أحب؟! فما زاد أن مسح على بصري، فأبصرت جميع الأئمة عنده، ثمّ قال: يا أبا محمّد، مُدَّ بصرَك، فانظر ماذا ترى بعينك؟ قال: فوالله ما أبصرت إلاّ كلباً وخنزيراً وقرداً! قلت: من هذا الخلق الممسوخ؟ قال: هذا الذي ترى هو السواد الأعظم، ولو كُشف الغطاء للناس ما نظر الشيعة إلى مَن خالفهم إلاّ في هذه الصور.

ثمّ قال: يا أبا محمّد، إن أحببتَ تَركتُك على حالك هكذا فحسابك على الله، وإن أحببتَ ضَمِنتُ لك على الله الجنة، ورددتك إلى حالك الأول. قلت: لا حاجة لي في النظر إلى هذا الخلق المنكوس، رُدَّني رُدَّني، فما للجنة عوض. فمسح يده على عيني، فرجعت كما كنت[1].

أقول: بعض الروايات المنقولة في المبحث السابق عن أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام والرواية المذكورة في هذا الباب عن أبي بصير عن الإمام أبي جعفر عليه السلام، وفي كلا الروايتين عاد ضريراً كما كان عليه في الحالة الأولى، فهذا الاتحاد قد يكشف عن الوحدة في الرجل.

رؤية الأماكن الأُخرى

النبي الكريم ـ ومثله الإمام المعصوم ـ كما أعطاه الله بصيرة رؤية الأشياء على حقيقتها كذلك أعطاه الله رؤية الأماكن البعيدة، فقد ورد عن خالد بن نجيح قال: قلت لأبي عبد الله: جعلت فداك، سمّى رسولُ الله صلى الله عليه وآله أبا بكر؟

---

١. مختصر بصائر الدرجات: ١١٢، الخرائج والجرائح ٢: ٨٢٢ / ح ٣٥، مدينة المعاجز ٥: ١٨٧.

قال: نعم، قال: فكيف؟ قال: حين كان معه في الغار قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي لَأرى سفينة جعفر بن أبي طالب تضطرب في البحر ضالّة.

قال: يا رسول الله وإنك لتراها؟! قال: نعم، قال: فتقدر أن ترينها؟ قال: أُدنُ مني. قال: فدنا منه فمسح على عينيه ثمّ قال: أُنظر. فنظر أبو بكر فرأى السفينة وهي تضطرب في البحر، ثمّ نظر إلى قصور أهل المدينة فقال في نفسه: الآن صدّقت أنك ساحر!! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصدّيق أنت[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار قال لأبي بكر: كأني أنظر إلى سفينة جعفر وأصحابه تعوم في البحر، وأنظر إلى الأنصار محتبين في أفنيتهم، فقال أبو بكر: وتراهم يا رسول الله؟! قال: نعم، قال: فأرنيهم. فمسح على عينه فرآهم، فقال في نفسه: الآن صدّقتُ أنّك ساحر!!

فقال له رسول الله: أنت الصدّيق، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا**﴾[٢].

فهذا المرافق لرسول الله صلى الله عليه وآله لم تكن عنده أرضية لأن يرى المكان البعيد، لكن الولاية التي كانت عند رسول الله صلى الله عليه وآله والقدرة التي أودعها الله إياه جَعَلته يريه ما كان يرى.

رؤية العالم الأُخروي

يظهر من أدلة الإسراء والمعراج النبوي أنّ الجنة والنار قائمتان، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رأى ذلك العالم العلوي عن قرب ورأى في الجنة أنواع التنعّمات ورأى في النار أنواع العقوبات، وقد أخبرنا بذلك. ويضاف إلى تلك

---

١. **بصائر الدرجات** ٤٤٢ / ح ١٤: حدثّنا موسى بن عمر عن عثمان بن عيسى.

٢. التوبة: ٤٠.

الإخبارات إخبار أمير المؤمنين وذريته الطاهرين عما كان يَرَونه بين المدة والأخرى، فقد ورد في الخبر عن سواد أبي يعلى، عن بعض رجاله قال: قال أمير المؤمنين للحارث الأعور وهو عنده: هل ترى ما أرى؟ فقال: كيف أرى ما ترى وقد نوّر الله لك وأعطاك ما لم يعط أحداً؟! قال: هذا فلان الأول على ترعة من ترع النار يقول: يا أبا الحسن استغفر لي، لا غفر الله له. قال: فمكث هُنَيئةً ثمّ قال: يا حارث، هل ترى ما أرى؟ فقال: وكيف أرى ما ترى وقد نوّر الله لك وأعطاك ما لم يعط أحداً؟! قال: هذا فلان الثاني على ترعة من ترع النار يقول: يا أبا الحسن استغفر لي، لا غفر الله له[١].

تمثُّل الدنيا في زي امرأة

الدنيا تزيّنت لعلي بن أبي طالب في زيّ امرأة ولم يقبلها، فقد ورد في رسالة الأهواز للصادقعليه السلام أنه قال، قال أبي: قال علي بن الحسين: سمعت أبا عبد الله الحسينعليه السلام يقول: حدّثني أمير المؤمنينعليه السلام قال: إني كنت بفدك في بعض حيطانها[٢]، وقد صارت لفاطمةعليها السلام، قال: فإذا أنا بامرأة قد قُحِمَت[٣] علَيّ، وفي يدي مسحاة وأنا أعمل بها، فلمّا نظرتُ إليها طار قلبي مما تداخلني من جمالها، فشبهتها ببثُينة بنت عامر الجمحي، وكانت من أجمل نساء قريش.

فقالت: يا ابن أبي طالب، هل لك أن تتزوج بي فأغنيك عن هذه المسحاة،

---

١. **بصائر الدرجات:** ٤٤١ / ح ١١: حدّثنا محمّد بن عبد الجبار عن عبد الله بن الحجّال عن أبي عبد الله المكّي الحذّاء .

٢. أي بساتينها .

٣. أي دخلت .

وأدلّك على خزائن الأرض، فيكون لك المال ما بقيت ولعقبك من بعدك؟

فقلت لها: مَن أنتِ حتى أخطبك من أهلك؟ قالت: أنا الدنيا، قلت لها: فارجعي واطلبي زوجاً غيري فلستِ مِن شأني. وأقبلت على مسحاتي، وأنشأت أقول:

لقد خاب مَن غرّته دنيا دنيّةٌ ... وما هيَ إن غرّت قروناً بباطلِ
أتَتْنا على زيِّ الغرير بُثَينةٍ ... وزينتُها في مثل تلك الشمائلِ
فقلت لها: غُرّي سوايَ فإنّني ... عَزوفٌ عن الدنيا ولستُ بجاهلِ
وما أنا والدنيا فإنّ محمداً ... أجلُّ صريعاً بين تلك الجنادلِ
وهَبْها أتتنا بالكنوزِ ودُرِّها ... وأموالِ قارون ومُلكِ القبائلِ
أليس جميعاً بالفَناء مصيرُها ... ويُطلَب مِن خُزّانها بالطوائلِ
فغرّي سِوائي إنّني غيرُ راغبٍ ... بما فيكِ من مُلكٍ وعزٍّ ونائلِ
فقد قنَعَت نفسي بما قد رُزِقتُهُ ... فشأنُكِ يا دنيا وأهلَ الغوائلِ
فإني أخاف اللهَ يومَ لقائِهِ ... وأخشى عذاباً دائماً غيرَ زائلِ

فخرج من الدنيا وليس في عنقه تبعة لأحد، حتى لقيَ الله محموداً غير ملوم ولا مذموم، ثمّ اقتدت به الأئمة عليهم السلام: من بعده بما قد بلغكم، لم يتلطّخوا بشيءٍ من بوائقها صلوات الله عليهم أجمعين، وأحسن مثواهم[1].

تمثّل الدنيا لعيسى عليه السلام

جاء عن عبد الله بن المغيرة، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تمثّلت الدنيا لعيسى عليه السلام في صورة امرأة زرقاء فقال لها: كم تزوّجتِ؟ قالت:

---

١. حلية الأبرار ٢: ١٩٧، بحار الأنوار ٧٢: ٣٦٢.

كثيراً، قال: فكلٌّ طلّقَكِ؟ قالت: بل كلّاً قتلتُ، قال: فويحَ أزواجِكِ الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين!»[١].

وقد تلخّص من مجموع ما قدمناه أنه يحصل في عالم اليقظة رؤيا للأنبياء والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، بل إنهم يُعطُون شيئاً من تلك الملكة والقابلية في بعض الأحيان لغيرهم موقّتاً لكي يعلموا ما عندهم من مكنون العلم، وأما رؤية حقائق الأشياء في عالم المنام فنذكره في المبحث الآتي.

ب ـ التجسّم والرؤيا في المنام

قال صدر الدين الشيرازي: دلّت الأخبار على حصول التمثّلات المنامية، كتمثّل العدو في صورة الكلب أو الحية أو العقرب، وتمثّل الزوج في صورة النعل، وتمثّل العلاء في صورة الفرَس، والفخر في صورة التاج، إلى غير ذلك. فالمتمثّل في أغلب هذه الموارد ـ كما ترى ـ من المعاني التي لا صورة لها في نفسها ولا شكل، ولا يتحقق فيها تغيّر من صورة إلى صورة ولا من شكل إلى شكل.

وأما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سرّ النفس فلا يكون إلاّ محاكياً للصفة ومطابقاً للمعنى وصورة حقيقية للأمر العقلي، لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للمعنى والصفة، فلا جرَم لا يُرى المعنى القبيح إلاّ بصورة قبيحة، ولا جرَم يُرى الملك مثلاً في صورة جميلة، ولا يرى الشيطان إلاّ بصورة قبيحة.

ولذلك رأى بعض المكاشفين الشيطان على صورة كلب جاثم على جيفة

---

١. **كتاب الزهد** للحسين بن سعيد الكوفي ٤٨ / ح ١٢٩ .

يدعو الناس إليها، وكانت الجيفة مثال الدنيا، وكذا أيضاً تدل القردة والخنازير في النوم على إنسان خبيث، وتدل الشاة على إنسان سليم الجانب[١].

وجاء في (منتخب الكلام في تفسير الأحلام) لمحمد بن سيرين أنّ العجوز القبيحة أو الناقصة، وذات العيب المجهولة هي الدنيا، وهي رأس كلّ فتنة، لأنّ المرأة فتنة، وقد تمثّلت الدنيا لرسول الله ﷺ ليلة الإسراء في صورة امرأة وتخايلت لكثير من الناس في صورة امرأة عجوز ذات عيب، وقد تدل ـ إذا كانت حسنة جميلة نظيفة كأنها عابدة زاهدة ـ على الآخرة وما يقرب منها ويُعمَل لها من عمل ومال حلال، لأنّ الدنيا والآخرة ضرّتان إحداهما أعظم وأحسن من الأخرى.

وربما دلّت على الدنيا الذاهبة والأرض الميتة والدار الخربة والمعروفة هي نفسها أو سَمِيَّتُها أو شبيهتها أو نظيرتها، فمن رأى عجوزاً هرمة شابت في المنام نظرت في حاله إن كانت الرؤيا له في خاصته، فإن كان فقيراً استغنى، وإن كان ممن أدبرت دنياه عاد إليه إقبالها، وإن كان حراثاً أو كان عنده مكان يدل على النساء قد تعطل كالبستان أو الفدان والحمام[٢]. ولا بأس أن نذكر لك بعض النماذج الروائية التي تدل على حصول التجسّم وتحققه في الرؤيا عند المنام.

رؤيا قبل نبوة النبي ﷺ

الروايات الشريفة تحدّثنا عن رؤيا عبد المطلب فيما يخصّ النبي محمداً المصطفى ﷺ حيث رأى أنّ شجرة قد نبتت على ظهره قد نال رأسها السماء

---

١. **المبدأ والمعاد** لصدر الدين محمّد الشيرازي: ٥٩٤ .

٢. **منتخب الكلام في تفسير الأحلام** لمحمد بن سيرين ٢: ٣٠٠ .

وضربت بأغصانها الشرق والغرب، وأن نوراً يزهر منها أعظم من نور الشمس، وأن العرب والعجم ساجدة لها، وهي كلّ يوم تزداد عظماً ونوراً، وأن رهطاً من قريش يريدون قطعها، فإذا دنوا منها يأخذهم شاب من أحسن الناس وجهاً ويكسر ظهورهم ويقلع أعينهم، فقالت الكاهنة: لئن صدقتَ ليَخرجن من صلبك ولد يملك الشرق والغرب، وينبأ في الناس.

ورأى عمُّ النبي العباس في المنام أنه خرج من منخر عبد الله بن عبد المطلب طائر أبيض فطار وبلغ المشرق والمغرب، ثمّ رجع حتى سقط على بيت الكعبة فسجدت له قريش كلها، فصار نوراً بين السماء والأرض وامتد حتى بلغ المشرق والمغرب، فقالت كاهنة بني مخزوم: يا عباس، لئن صدَقَت رؤياك ليخرجن من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب تبعاً له[١].

رؤيا قبل غزوة بدر

رأت عاتكة بنت عبد المطّلب أنّ راكباً قد دخل مكّة ينادي ثلاث مرات: يا آل عَدِي! يا آل فِهر! أُغدوا إلى مصارعكم. فأخذ حجراً فدهدهه من الجبل، فما ترك داراً من دور قريش إلاّ أصابته منه فلذّة، وكأنّ وادي مكّة قد صار من أسفله دماً، فوافى زمزم بعد ثلاث ونادى فيهم: أدركوا العِير! فكانت غزوة بدر[٢].

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله

ورد في الخبر أنّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «بينا أنا نائم إذ أُتيت بقدح من لبن، فشربتُ منه حتى أني لأرى الريَّ يخرج من بين أظافيري». قالوا: بما أوّلتَ

١. **الأمالي** للصدوق: ٣٣٥ ـ وعنه: **بحار الأنوار** ٥٨: ١٧١.
٢. أُنظر: **مجمع البيان** ٤: ٤٣١.

ذلك يا رسول الله؟ قال: «العلم»[١].

وقال في حديث أبي هريرة: اللبن في المنام فطرة. وفي رواية أبي بكرة: من رأى أنه يشرب لبناً فهو الفطرة. وفي حديث الإسراء حين أُتي بقدح خمر وقدح لبن، فأخذ اللبن فقال له جبرئيل: أخذت الفطرة. وقال: إنّ من الرؤيا ما يدل على الماضي والحال والمستقبل، وهذه أُوّلت على الماضي، فإنّ رؤياه هذه تمثيل بأمر قد وقع، لأنّ الذي أُعطيه من العلم كان قد حصل له.

قال: وذكر الدينوري أن اللبن المذكور فيها يختص بالإبل وإنه لشاربه مالٌ حلال وعلم وحكمة. قال: ولبن البقر خصب السنة ومال حلال وفطرة، ولبن السباع غير محمود، إلاّ أن لبن اللبوة مال مع عداوة لذي أمر[٢].

رؤيا في ولادة الحسين عليه السلام

حدّثت الأخبار أنّ أمّ أيمن قالت: يا رسول الله، رأيت في ليلتي هذه كأن بعض أعضائك مُلقىً في بيتي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تلدُ فاطمةُ الحسينَ فتربّينه وتلفّينه، فيكون بعض أعضائي في بيتك»[٣].

يصعدون على منبره

إنّ رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحيٌ من الله تعالى لهم لا تختلف منزلته عن بقية أنواع الوحي، فهي واحدة من مفردات الوحي، فقد نُقل عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه بني أمية يصعدون على منبره من بعده

---

١. **مسند أحمد** ٢: ١٥٤، **بحار الأنوار** ٥٨: ١٧٥ / ح ٣٥.

٢. **فتح الباري** ١٢: ٣٤٨، **بحار الأنوار** ٥٨: ١٧٦.

٣. **الأمالي** للصدوق: ١٤٢ / ح ١٤٤، **بحار الأنوار** ٥٨: ١٧١.

ويُضلّون الناس عن الصراط القهقرى[١]، فأصبح كئيباً حزيناً. قال: فهبط عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله، ما لي أراك كئيباً حزيناً؟!

قال: «يا جبرئيل، إني رأيت بني أمية في ليلتي هذه يصعدون مِنبري من بعدي، ويُضلّون الناس عن الصراط القهقرى».

فقال: والذي بعثك بالحق نبياً، إنّ هذا شيءٌ ما اطّلعتُ عليه. فعرج إلى السماء فلم يلبث أن نزل عليه بآي من القرآن الكريم يؤنسه بها، قال: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾[٢]، وأنزل عليه ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٣]، جعل الله عزّ وجلّ ليلة القدر لنبيه صلى الله عليه وآله خيراً من ألف شهر مُلكِ بني أمية»[٤].

وأنت تعرف أنّ الرؤيا التي يراها النبي صلى الله عليه وآله نوع من أنواع الوحي.

رؤيا عليّ في الحسين عليهما السلام

قتلُ الإمام الحسين بن علي عليهما السلام فاجعة عظيمة، تبقى حرارتها في قلوب الأنبياء والأوصياء والمحبين له، وقد جاء في قتله عليه السلام أخبار عديدة عن رسول الله وأمير المؤمنين علي صلوات الله عليهما، وفي الخبر أنه مرّ الإمام علي عليه السلام

---

١. ورد القهقرى وهو ضرب من الرجوع، وهو أن يمشي إلى خلف من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه، وفيه تنبيه على أن ارتدادهم عن الإسلام بنحو خاص، وهو خروجهم منه مع ادعائهم له وعدم صرف وجههم عنه بالمرة.

٢. الشعراء: ٢٠٥.

٣. القدر: ١ ـ ٣.

٤. **الكافي** ٤: ١٥٩ / ح ١٠، والسند هكذا: أحمد بن محمد، عن علي بن الحسين، عن محمد بن الوليد ومحمد بن أحمد، عن يونس بن يعقوب، عن علي بن عيسى، عن عمه.

على أرض كربلاء فرآها وأخبر بذلك ابنَ عباس.

قال ابن عباس: كنت مع أمير المؤمنينعليه السلام في خروجه إلى صفّين، فلمّا نزل بنينوى وهو شط الفرات، قال بأعلى صوته: «يا ابن عباس، أتعرف هذا الموضع؟»، فقلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين.

فقال عليعليه السلام: «لو عرفتَه كمعرفتي لم تكن تجوزه حتّى تبكيَ كبكائي».

قال: فبكى طويلاً حتى اخضلّت لحيته، وسالت الدموع على صدره، وبكينا معاً، وهو يقول: «أوه أوه، ما لي ولآل أبي سفيان، ما لي ولآل حربٍ، حزبِ الشيطان وأولياء الكفر! صبراً يا أبا عبد الله، فقد لقي أبوك مِثلَ الذي تلقى منهم». ثم دعا بماء فتوضّأ وضوءه للصلاة، وصلّى ما شاء الله أن يصلي، ثم ذكر نحو كلامه الأول، إلاّ أنه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة، ثم انتبه فقال: «يا ابن عباس»، فقلت: ها أنا ذا.

فقال: «ألا أحدثك بما رأيت في منامي آنفاً عند رقدتي؟»، فقلت: نامت عيناك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين.

قال: «رأيت كأني برجال قد نزلوا من السماء معهم أعلام بِيض، قد تقلّدوا سيوفهم، وهي بيض تلمع، وقد خطّوا حول هذه الأرض خطّة، ثم رأيت كأنّ هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط، وكأني بالحسين سخلي وفرخي ومضغتي ومخي قد غرق فيه، يستغيث فلا يغاث، وكأنّ الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون: صبراً آلَ الرسول، فإنكم تُقتَلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنة يا أبا عبد الله إليك مشتاقة. ثم يعزّونني ويقولون: يا أبا الحسن، أبشِرْ فقد أقرّ الله به عينك يومَ القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين، ثم انتبهت هكذا.

والذي نفس علي بيده، لقد حدّثني الصادق المصدَّق أبو القاسمصلى الله عليه وآله أني

سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرضُ كربٍ وبلاء، يُدفَن فيها الحسين وسبعة عشر رجلاً من ولدي وولد فاطمة، وأنها لفي السماوات معروفة، تُذكر أرض كرب وبلاء كما تُذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس».

ثم قال: «يا ابن عباس، اطلب لي حولها بعر الظِّباء، فوالله ما كَذِبتُ ولا كُذِّبت، وهي مصفرّة، لونها لون الزعفران». قال ابن عباس: فطلبتها فوجدتها مجتمعة، فناديته: يا أمير المؤمنين، قد أصبتها على الصفة التي وصفتها لي. فقال علي عليه السلام: «صدق الله ورسوله».

ثم قام عليه السلام يهرول إليها، فحملها وشمها وقال: «هي هي بعينها، أتعلم يا ابن عباس ما هذه الأبعار؟ هذه قد شمها عيسى بن مريم عليه السلام، وذلك أنه مرّ بها ومعه الحواريون فرأى هاهنا الضباء مجتمعة، وهي تبكي، فجلس عيسى عليه السلام وجلس الحواريون معه، فبكى وبكى الحواريون وهم لا يدرون لِمَ جلس ولم بكى.

فقالوا: يا روح الله وكلمته، ما يبكيك؟ قال: أتعلمون أي أرض هذه؟

قالوا: لا، قال: هذه أرض يُقتَل فيها فرخ الرسول أحمد وفرخ الحرّة الطاهرة البتول شبيهة أمي، ويُلحَد فيها، طينته أطيب من المسك، لأنها طينة الفرخ المستشهَد، وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء، فهذه الظباء تكلّمني وتقول: إنها ترعى في هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفرخ المبارك، وزَعِمَت أنها آمنة في هذه الأرض. ثم ضرب بيده إلى هذه الصيران[1] فشمّها

---

١. يراد بالصيران هنا جمع الصوار ككتاب، وهو المُجتمِع من أبعار الظباء . أنظر: **القاموس المحيط** ٢: ٧٣ .

وقال: هذه بعر الظباء على هذا الطيب لمكان حشيشها، اللهمّ فأبقها أبداً حتى يشمها أبوه فتكون له عزاء وسلوة.

قال: فبقيت إلى يوم الناس هذا، وقد اصفرّت لطول زمنها، وهذه أرض كرب وبلاء. ثم قال بأعلى صوته: يا ربَّ عيسى بن مريم، لا تبارك في قَتَلَته، والمعينِ عليه والخاذل له». ثم بكى بكاءً طويلاً وبكينا معه حتى سقط لوجهه وغُشي عليه طويلاً، ثم أفاق فأخذ البعر فصرّه في ردائه، وأمرني أن أصرّها كذلك، ثم قال: «يا ابن عباس، إذا رأيتها تنفجر دماً عبيطاً ويسيل منها دم عبيط، فاعلم أن أبا عبد الله قد قُتل بها ودُفن!».

قال ابن عباس: فوالله لقد كنت أحفظها أشد من حفظي لبعض ما افترض الله عزّ وجلّ علَيّ، وأنا لا أحلها من طرف كُمّي، فبينما أنا نائم في البيت إذ انتبهت، فإذا هي تسيل دماً عبيطاً، وكان كُمّي قد امتلأ دماً عبيطاً، فجلست وأنا باكٍ، وقلت: قد قُتل والله الحسين! والله ما كذبني عليعليه السلام قطّ في حديث حدثني، ولا أخبرني بشيءٍ قط أنه يكون إلاّ كان كذلك، لأنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله كان يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره. ففزعت وخرجت، وذلك عند الفجر، فرأيت والله المدينة كأنها ضباب لا يستبين منها أثر عين، ثم طلعت الشمس فرأيت كأنها منكسفة، ورأيت كأنّ حيطان المدينة عليها دم عبيط، فجلست وأنا باكٍ، فقلت: قد قُتل واللهِ الحسين! وسمعت صوتاً من ناحية البيت، وهو يقول:

إصبروا آلَ الرسولْ　　قُتل الفرخُ النَّحُولْ
نزلَ الرُّوحُ الأمين　　ببكاءٍ وعويلْ

ثم بكى بأعلى صوته وبكيت، فأثبتّ عندي تلك الساعة وكان شهر المحرم يوم عاشوراء لعشر مضين منه، فوجدته قُتل يوم ورد علينا خبره وتاريخه

كذلك، فحدّثت هذا الحديث أولئك الذين كانوا معه، فقالوا: والله لقد سمعنا ما سمعت ونحن في المعركة، ولا ندري ما هو، فكنّا نرى أنه الخضر عليه السلام[١].

ورؤية التبدل إلى دم عبيط من قبل ابن عباس تشابه رؤية أم سلمة القارورةَ التي تبدّلت دماً في ذلك اليوم، وسيأتي عليك في بحث الانفعالات الكونية مصاديق أُخرى لتبدل بعض الأشياء إلى دم عبيط في ذلك اليوم.

ثمّ إنه قد أخبر التاريخ عن وقوع حوادث يتوافق فيها حصول الحادث في اليقظة مع الخبر في النوم، وسيأتيك في هذا الكتاب بعض الأمثلة على ذلك.

رؤيا الحسين عليه السلام

ذكرت الأخبار أنه لما كان وقتُ السحر في الليلة التي حوصر فيها الإمام الحسين عليه السلام خفق برأسه خفقة ثمّ استيقظ فقال: «رأيت في منامي الساعة كأنّ كلاباً قد شدّت عليّ لتنهشني، وفيها كلب أبقع رأيته أشدَّها عليّ، وأظنّ أنّ الذي يتولّى قتلي رجلٌ أبرص من بين هؤلاء القوم». الخبر[٢].

وأنت تعرف أنّ ما يُخبِر به النبي والوصي واقع لا محالة؛ لأنه إخبار عن علم ويقين، وعليه فقوله عليه السلام وإخباره بالظنّ يراد به الحصول عن يقين لا محالة.

---

١. **الأمالي** للصدوق: ٦٩٤ / ح٩٥١، والسند هكذا: حدثنا محمد بن أحمد السناني رضي الله عنه، قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا القطان، قال: حدثنا بكر بن عبد الله بن حبيب، قال: حدثنا تميم بن بهلول، قال: حدثنا علي بن عاصم، عن الحسين بن عبد الرحمن، عن مجاهد، عن ابن عباس .

٢. **الفتوح** لابن أعثم ٥: ٩٩، **بحار الأنوار** ٥٨: ١٨٣ / ح ٥٠ .

رؤيا الطيّان

روي أن أبا عمارة المعروف بالطيان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رأيت في النوم كأنّ معي قناة، قال: «كان فيها زجّ؟»، قلت: لا، قال: «لو رأيتَ فيها زجّاً لَوُلد لك غلام، لكنه تُولَد جارية»، ثمّ سكت ساعة، ثمّ قال: «كم في القناة من كعب؟»، قلت: اثنا عشر كعباً، قال: «تلد الجارية اثني عشر بنتاً». قال محمّد بن يحيى: فحدّثت بهذا الحديث العباس بن الوليد، فقال: أنا من واحدة منهن، ولي إحدى عشرة خالة، وأبو عمارة جدّي[١].

رؤيا ياسر الخادم

روي عن ياسر الخادم قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: رأيت في النوم كأنّ قفصاً فيه سبع عشرة قارورة، إذ وقع القفص فتكسّرت القوارير، فقال: «إن صدَقَت رؤياك يخرج رجل من أهل بيتي يملك سبعة عشر يوماً ثمّ يموت». فخرج محمّد بن إبراهيم بالكوفة مع أبي السرايا، فمكث سبعة عشر يوماً ثمّ مات[٢].

قال العلامة المجلسي رحمه الله: «إن صدَقَت رؤياك» أي لم تكن من أضغاث الأحلام التي لا تعبير لها أو لم تكذب في نقلها، والأول أظهر. ومحمّد بن إبراهيم هو طباطبا، بايعه أولاً أبو السرايا وخرج، ولما مات بايع محمّد بن محمّد بن زيد، وكان اسم أبي السرايا سري بن منصور، وكان من أولاد هاني بن قبيصة الذي عصى على كسرى ابرويز، وكان أبو السرايا من أُمراء المأمون، ثمّ عصى في الكوفة على أمير العراق وبايع محمّد بن محمّد

---

١. **الخرائج والجرائح** ٢: ٦٣٨ / ح ٤٣، **بحار الأنوار** ٤٧: ٢٢ / ح ٢١ .

٢. **الكافي** ٨: ٢٥٧ / ح ٣٧٠، **بحار الأنوار** ٥٨: ١٦١ / ح ٧ .

ابن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ثمّ أرسل إليه حسنُ بن سهل أمير العراق جنداً فقاتلوه وأُسر وقُتل[١].

الشمس طالعة على رأسي

ورد في الخبر عن ابن أذينة، أنّ رجلاً دخل على أبي عبد الله عليه السلام فقال: رأيت كأنّ الشمس طالعة على رأسي دون جسدي، فقال: «تنال أمراً جسيماً، ونوراً ساطعاً، ودِيناً شاملاً، فلو غطّتْك لانغمستَ فيه، ولكنها غطت رأسك. أما قرأت: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّى﴾[٢] فلمّا أفلت تبرأ منها إبراهيم عليه السلام».

قال: قلت: جُعلت فداك، إنهم يقولون: إنّ الشمس خلافة أو ملك، فقال: «ما أراك تنال الخلافة، ولم يكن في آبائك وأجدادك مَلِك، وأي خلافة وملوكية أكثر من الدِّين والنور ترجو به دخول الجنة، إنهم يغلطون»، فقلت: صدقتَ جعلت فداك[٣].

قال المجلسي في (بحار الأنوار): لعلّ استشهاده عليه السلام كان بأن إبراهيم عليه السلام بعد رؤية الشمس واختلاف أحوالها اهتدى، أو أظهر الاهتداء وهدى قومه إلى التوحيد، فطلوع الشمس على رأسك علامة لاهتدائك إلى الدين القويم، أو بأن الشمس لما كانت في عالم المحسوسات أضوءُ الأنوار، حتّى أنّ إبراهيم عليه السلام قال لموافقة قومه وإتمام الحجة عليهم: ﴿هَـذَا رَبِّى﴾ لغلبة نورها وظهورها، ووصفها بالكِبَر، ثمّ تبرأ منها لتغيّر أحوالها الدالة على إمكانها

---

١. **بحار الأنوار** ٥٨: ١٦١.

٢. الأنعام: ٧٨.

٣. **الكافي** ٨: ٢٩٢ / ح ٤٤٥، **بحار الأنوار** ٥٨: ١٦١ / ح ١٠.

وحدوثها.

وفي الرؤيا تتمثّل الأمور المعنوية بالأمور المحسوسة المناسبة لها، فينبغي أن يكون هذا النور أضوءَ الأنوار المعنوية، فليس إلاّ الدين الحق، والأول أظهر لفظاً، والثاني معنىً[1].

رؤية سكينة في المنام

بعد شهادة الإمام الحسين بن عليعليه السلام وأسر عياله ونقلهم إلى الشام، أمر يزيد لعنة الله عليه بنساء الحسينعليه السلام أن يُحبَسن مع علي بن الحسينعليه السلام، وهناك رأت سكينة في منامها وهي بدمشق كأنّ خمسة نُجُب من نور قد أقبلت، وعلى كلّ نجيب شيخ، والملائكة محدقة بهم ومعهم وصيف يمشي، فمضى النجب وأقبل الوصيف إليّ وقرب مني وقال: يا سكينة إنّ جدّكِ يسلّم عليك.

فقلت: وعلى رسول الله السلام يا رسول، مَن أنت؟ قال: وصيف مَن وصائف الجنة، فقلت: من هؤلاء المشيخة الذين جاؤوا على النجب؟ قال: الأول آدم صفوة الله، والثاني إبراهيم خليل الله، والثالث موسى كليم الله، والرابع عيسى روح الله، فقلت: من هذا القابض على لحيته يسقط مرة ويقوم أُخرى؟ فقال: جَدُّكِ رسول اللهصلى الله عليه وآله، فقلت: وأين هم قاصدون؟ قال: إلى أبيك الحسين.

فأقبلت أسعى في طلبه لأعرّفه ما صنع بنا الظالمون بعده، فبينما أنا كذلك إذ أقبلت خمسة هوادج من نور، في كلّ هودج امرأة، فقلت: مَن هذه النسوة المقبلات؟ قال: الأولى حوّاء أمّ البشر، والثانية آسية بنت مزاحم، والثالثة مريم ابنة عمران، والرابعة خديجة بنت خويلد، فقلت: من الخامسة الواضعة يَدها

---

١. **بحار الأنوار** ٥٨: ١٦١ .

على رأسها تسقط مرة وتقوم أُخرى؟ فقال: جدّتُكِ فاطمة بنت محمّد أم أبيك، فقلت: والله لأخبرنّها ما صُنع بنا. فلحقتها ووقفت بين يديها أبكي[١].

فإن قيل: قد يُرى رسول الله صلى الله عليه وآله ويُلهَم الرائي أنه هو وهو شبيه بزيد مثلاً، ويراه الآخر في صورة رجل آخر وشبيهاً بعمرو، ويُلهَم أيضاً أنه هو، فلابد أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وآله صور مختلفة، أو لا يكون لهذه الروايات مصداق في الخارج.

قلنا: تمثّل أرواح الأنبياء في صور مختلفة غير مستبعد، لكن لابدّ أن يكون صورة مناسبة، بحيث إذا اُلهم الرائي أنه رسول الله صلى الله عليه وآله أي تمثّل روحه في هذه الصورة لا يستبشعه، وبالجملة الإلهام من عالم الغيب يُلقى إلى قلب الرائي، ويعرف هو صحته بعلم ضروري لا يشك فيه، وهذه الصورة بهذه الكيفية لا تكون من الشيطان على ما أخبر به الإمام عليه السلام[٢].

فكسَرتَ جوزاً كثيراً

تعبير الإمام المعصوم عليه السلام للرؤيا كاشف عن الواقع ويطابقه، بخلاف تعبير غيره، فإنّ احتمال المطابقة وعدمه سيّان لعدم إحاطة غير المعصوم بواقع الأمور، وكثيراً ما يقع الاختلاف وعدم المطابقة، وعلى أي حال فنحن مأمورون بأن نؤوّل الرؤيا تأويلاً يتناسب مع الخير لا مع الشر، فقد روى علي، عن أبيه، عن الحسن بن علي، عن أبي جعفر الصائغ، عن محمد بن مسلم، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو حنيفة فقلت له: جُعلتُ فداك، رأيتُ رؤيا عجيبة! فقال لي: «يا ابن مسلم هاتها، فإن العالِمَ بها جالس»،

---

١. مثير الأحزان: ١٠٤، بحار الأنوار ٤٥: ١٤٠.

٢. شرح أُصول الكافي للمازندراني ٧: ٣٧٧.

وأومأ بيده إلى أبي حنيفة، قال: قلت: رأيت كأني دخلت داري، وإذا أهلي قد خرجت عليّ فكسرَت جوزاً كثيراً ونثرته عليّ، فتعجبت من هذه الرؤيا.

فقال أبو حنيفة: أنت رجل تُخاصِم وتجادل لئاماً في مواريث أهلك، فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «أصبتَ والله يا أبا حنيفة». قال: ثم خرج أبو حنيفة من عنده، فقلت: جعلت فداك إني كرهتُ تعبير هذا الناصب. فقال: «يا ابن مسلم لا يسوؤك الله، فما يواطئ تعبيرُهم تعبيرَنا، ولا تعبيرنا تعبيرهم، وليس التعبير كما عبّره». قال: فقلت له: جعلت فداك فقولك: أصبتَ، وتحلف عليه وهو مخطئ؟!

قال: «نعم، حلفتُ عليه أنه أصاب الخطأ»، قال: فقلت له: فما تأويلها؟

قال: يا ابن مسلم، إنّك تتمتع بامرأة فتعلم بها أهلك، فتمزق عليك ثياباً جدداً، فإن القشر كسوة اللب».

قال ابن مسلم: فو الله ما كان بين تعبيره وتصحيح الرؤيا إلاّ صبيحة الجمعة، فلما كان غداةُ الجمعة أنا جالس بالباب إذ مرّت بي جارية فأعجبتني، فأمرت غلامي فردّها ثم أدخلها داري فتمتّعت بها، فأحسّت بي وبها أهلي، فدخلت علينا البيت فبادرت الجارية نحو الباب وبقيت أنا، فمزقت علَي ثياباً جدداً كنت ألبسها في الأعياد[١].

وجاء موسى الزوّار العطّار إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال له: يا ابن رسول الله، رأيت رؤيا هالتني، رأيت صهراً لي ميتاً وقد عانقني، وقد خفت أن يكون الأجل قد اقترب.

---

١. **الكافي** ٨: ٢٩٢ / ح ٤٤٧.

فقال: «يا موسى، توقّع الموت صباحاً ومساءً، فإنه ملاقينا، ومعانقة الأموات للأحياء أطول لأعمارهم فما كان اسم صهرك؟»، قال: حسين، فقال: «أما إنّ رؤياك تدل على بقائك وزيارتك أبا عبد الله عليه السلام، فإنّ كلّ من عانق سَمِيَّ الحسين عليه السلام يزوره إن شاء الله»[١].

وفي هذا الخبر دلالة على أن الرؤيا ليست على ما يُعبَّر بها أولاً؛ لأنه لم يقع تعبير أبي حنيفة ووقع تعبيره عليه السلام بعده؛ ولأنه لو كانت لأول عابر لما خطّأه عليه السلام، وهذا ينافي ظاهر ما عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الرؤيا على ما يعبَّر»[٢].

وقال عليه السلام: امرأة رأت أنّ جذع بيتها انكسر فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وآله فقصّت عليه الرؤيا، فقال عليه السلام: «زوجُكِ يقدم وهو صالح»، وقد كان غائباً فقدم كما قال.

ثم رأت هذه الرؤيا ثانية فقصّت على النبي صلى الله عليه وآله فعبّرها بما مرّ.

ثم رأتها ثالثة فقصّت على رجل أعسر فقال: يموت زوجك، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فقال: «ألا كان عبّر لها خيراً!»[٣]، فإنّ فيها أيضاً دلالة على أن الرؤيا على وُفق ما يُعبَّر. والجواب: المراد أن الرؤيا تجيء على وفق ما يُعبَّر في بعض الأحيان لأن التعبير قد يؤثّر في النفس من باب التطير والتفؤل لا دائماً، فلا منافاة[٤].

---

١. **الكافي** ٨: ٢٩٣ / ح ٤٤٧.

٢. **المصنف** لعبد الرزاق ١١: ٢١٢ / ح ٢٠٣٥٤.

٣. **الكافي** ٨: ٣٣٥/ ح ٥٢٨. **شرح اصول الكافي** ١٢: ٤٠٧ / ح ٤٤٧.

٤. **شرح أصول الكافي** ١٢: ٤٠٨ / ح ٤٤٧ ـ باب حديث نوح عليه السلام يوم القيامة.

المرأة العلوية

قال سبط ابن الجوزي: قرأت في (الملتقط)، وهو كتاب لجدّي أبي الفرج ابن الجوزي، قال: كان ببلخ رجل من العلويين نازلاً بها، وكان له زوجة وبنات فتُوفّي. قالت المرأة: فخرجت بالبنات إلى سمرقند خوفاً من شماتة الأعداء، واتفق وصولي في شدّة البرد، فأدخلت البنات مسجداً ومضيت لاحتال لهنّ في القوت، فرأيت الناس مجتمعين على شيخ، فسألت عنه. فقالوا: هذا شيخ البلد. فتقدّمت إليه وشرحت حالي له، فقال: أقيمي عندي البيّنة أنّكِ علوية! ولم يلتفت إلي، فيئست منه وعدْتُ إلى المسجد فرأيت في طريقي شيخاً جالساً على دكّة وحوله جماعه، فقلت: من هذا؟

فقالوا: ضامن البلد، وهو مجوسي.

فقلت: عسى يكون عنده فرج. فتقدمت إليه وحدّثته حديثي وما جرى لي مع شيخ البلد، وأن بناتي في المسجد ما لهم شيء يقوتون به، فصاح بخادم له فخرج فقال: قل لسيدتك تلبس ثيابها. فدخل فخرجت امرأة ومعها جوارٍ، فقال لها: اذهبي مع هذه المرأة إلى المسجد الفلاني واحملي بناتها إلى الدار.

فجاءت معي وحملت البنات، وقد أفرد لنا داراً في داره، وأدخلنا الحمّام، وكسانا ثياباً فاخرة، وجاءنا بألوان الأطعمة، وبتنا بأطيب ليلة، فلمّا كان نصف الليل رأى شيخ البلد المسلم في منامه كأنّ القيامة قد قامت، واللواء على رأس محمّدﷺ، وإذا قصر من الزمرد الأخضر. فقال: لمن هذا القصر؟ فقيل: لرجل مسلم موحِّد. فتقدم إلى رسول اللهﷺ فسلّم عليه فأعرض عنه، فقال: يا رسول الله لم تُعرض عنّي وأنا رجل مسلم؟ فقال له: أقمِ البينةَ عندي أنك مسلم. فتحيّر الرجل! فقال له رسول اللهﷺ: نسيتَ ما قلتَ للعلوية، وهذا القصر للشيخ الذي هي في داره.

فانتبه الرجل وهو يلطم ويبكي، وبثّ غلمانه في البلد وخرج بنفسه يدوّر على العلوية، فأُخبر أنها في دار المجوسي، فجاء إليه فقال: أين العلوية؟ قال: عندي، قال: أُريدها، قال: ما لك إليها سبيل، قال: هذه ألف دينار وسلّمْهنّ إليّ.

فقال: لا والله ولا مائة ألف دينار. فلمّا ألحّ عليه قال له: المنام الذي رأيتُه أنت رأيتُه أنا أيضاً، والقصر الذي رأيته لي خُلق، وأنت تدل عليّ بإسلامك[1]، والله ما نمتُ ولا أحد في داري إلاّ وقد أسلمنا كلّنا على يد العلوية، وعاد من بركاتها علينا، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي: القصر لك ولأهلك بما فعلت مع العلوية، وأنتم من أهلِ خلَقَكم الله مؤمنين في القِدم[2].

وهذه القصة تبين الأهمية الكبرى التي أولاها ربّ العزة للسادة الأيتام، وتبين الموازين الإلهية لدخول الجنة، وأن الإنسان عليه ألاّ يستصغر عملاً ما، فلعلّ مرضاة الله تعالى فيه وهو لا يدري، وأن المجوسي رُئيَ على تلك الحالة وأن القصر له لأجل إسلامه وقبوله دين الإسلام، ولا يخفى عليك أنّ مضمون هذه القصة معتضد بما ورد في الأخبار عن رسول الله وآله الأطهار صلوات الله عليهم.

قد أُجيبت الدعوة

دعاء الإنسان المسلم، خصوصاً إذا كان ذا نيّة صالحة وقلب سليم، له أثره، والإجابة على الله تعالى حسب حكمته ومشيئته، وهذه قصة تبين إجابة دعاء المُحسَن إليهم في حقّ المُحسِن بسبب إغاثته لهم ورفع ما يسدّ حاجتهم.

نُقل عن ابن أبي الدنيا: أن رجلاً رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه وهو يقول:

---

١. من الدلال بمعنى الغنج، أي تفتخر عليّ بإسلامك.

٢. **كشف اليقين**: ٤٨٧ ـ نقلاً عن: **تذكرة الخواص** لسبط ابن الجوزي: ٣٣٣.

إمضِ إلى فلان المجوسي وقل له: قد أُجيبت الدعوة، فامتنع الرجل من أداء الرسالة لئلّا يظنّ المجوسي أنه يتعرّض له، وكان الرجل في دنيا واسعة فرأى الرجل رسول اللهﷺ ثانياً وثالثاً.

فأصبح فأتى المجوسيَّ وقال له في خلوة من الناس: أنا رسولُ رسولِ اللهﷺ إليك، وهو يقول لك: قد أُجيبت الدعوة، فقال له: أتعرفني؟ قال: نعم، قال: فإني أنكر دين الإسلام ونبوة محمّد، فقال: أنا أعرف هذا، وهو الذي أرسلني إليك مرّةً ومرّةً ومرّة.

فقال: أنا اشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله. ودعا أهله وأصحابه فقال لهم: كنتُ على ضلال وقد رجعت إلى الحقّ فأسلموا، فمن أسلم فما في يده فهو له، ومن أبى فلينزع ما لي عنده. فأسلم القوم وأهله، وكانت له ابنة مزوَّجة من ابنه ففرّق بينهما.

ثمّ قال: أتدري ما الدعوة؟ فقلت: لا والله، وأنا أُريد أن أسألك الساعة، فقال: لما زوّجتُ ابنتي صنعت طعاماً ودعوت الناس فأجابوا، وكان إلى جانبنا قوم أشراف فقراء لا مال لهم، فأمرت غلماني أن يبسطوا لي حصيراً في وسط الدار، فسمعت صبيّةً تقول لأمّها: يا أُمّاه قد آذانا هذا المجوسيّ برائحة طعامه. فأرسلتُ إليهن بطعام كثير وكسوة ودنانير للجميع.

فلما نظروا إلى ذلك قالت الصبيّة للباقيات: والله ما نأكل حتى ندعوَ له. فرفعن أيديهن وقلن: حشرك الله مع جدنا رسول اللهﷺ. وأمّن بعضهن، فتلك الدعوة أُجيبت[1].

---

١. كشف اليقين: ٤٨٨ .

عمران بن شاهين

عمران بن شاهين من أهل العراق، عصى على عضد الدولة فطلبه طلباً شديداً فهرب منه إلى المشهد متخفّياً، فرأى أمير المؤمنين عليه السلام ليلة في منامه وهو يقول: يا عمران، إنّ في غد يأتي فناخسرو إلى هاهنا فيُخرِجون كل من كان في هذا المكان، فتقف أنت هاهنا ـ وأشار إلى زاوية من زوايا القبة ـ فإنهم لا يرونك، فسيدخل ويزور ويصلي ويبتهل في الدعاء والقَسَم بمحمد صلى الله عليه وآله أن يُظفِر بك، فادنُ منه وقل له: أيها الملك، مَن هذا الذي قد ألححتَ بالقسم بمحمد وآله أن يُظفِرك به؟ فسيقول: رجل عصاني ونازعني في سلطاني.

فقل له: ما لمن يظفرك به؟ فيقول: إن حَتَم علَيّ بالعفو عنه لعفوت عنه، فأعلِمْه بنفسك فإنك تجد منه ما تريد.

فكان كما قال: فقال له: أنا عمران. قال: من أوقفك هنا؟ قال: هذا مولانا قال لي في منامي: غداً يحضر فناخسرو إلى هاهنا. وأعاد عليه القول، فقال له: بحقّه قال لك فناخسرو؟ فقلت: إي وحقّه.

فقال عضد الدولة: ما عَرَف أحدٌ أن اسمي فناخسرو إلاّ أمي والقابلة وأنا.

ثم خلع عليه الوزارة وطلع بين يديه إلى الكوفة، وكان عمران قد نذر عليه أنه متى عفا عنه عضد الدولة أتى إلى زيارة أمير المؤمنين حافياً حاسراً، فلما جنّه الليل خرج من الكوفة وحده فرأى جدي علي بن طحال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في منامه يقول له: افتح لوليّي عمران بن شاهين. فقعد وفتح الباب وإذا بالشيخ قد أقبل، فلمّا وصل قال له: بسم الله يا مولانا، فقال: ومن أنا؟ قال: عمران بن شاهين، قال: لستُ بعمران بن شاهين، فقال: بلى، إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أتاني في منامي وقال لي: أقعد افتح لوليّي عمران بن شاهين

الباب، قال له: بحقِّه هو قال لك؟ قال: إي وحقِّه هو قال لي. فوقع على العتبة يقبّلها وأحاله على ضامن السمك بستين ديناراً، وكانت له زوارق تعمل في الماء في صيد السمك.

أقول: وبنى الرواق المعروف برواق عمران في المشهدين الشريفين الغروي والحائري على مشرِّفهما السلام[١].

أم المتوكل

الله سبحانه وتعالى رازق البرايا وكافل المحتاجين ومُهيّئ الأسباب، ويرزق الناس من حيث لم يحتسبوا، فقد جاء ذلك في الذكر الحكيم: **﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾**[٢] رحمةً ورأفة بهم.

نقل سبط ابن الجوزي في كتابه عن جده أبي الفرج بإسناده إلى ابن الخصيب قال: كنت كاتباً للسيدة أُم المتوكل، فبينا أنا في الديوان إذا بخادم صغير قد خرج من عندها ومعه كيس فيه ألف دينار، فقال: السيدة تقول لك: فرّقْ هذا في أهل الاستحقاق، فهو من أطيب مالي، واكتُب لي أسامي الذين تفرّقه فيهم، حتى إذا جاءني من هذا الوجه شيء صرفته إليهم.

قال: فمضيت إلى منزلي وجمعت أصحابي وسألتهم عن المستحقين، فسمَّوا لي أشخاصاً ففرّقت فيهم ثلاثمائة دينار، وبقي الباقي بين يدي إلى نصف الليل، وإذا بطارق يطرق علَيّ باب داري، فقلت: من هو؟ فقال: فلان العلوي. وكان جاري، فقلت: هذا جاري من مدة ولم يقصدني، فأذنتُ له فدخل فرحّبت به وقلت: ما شأنك؟ فقال: إني جائع. فأعطيته من ذلك ديناراً

---

١. **الغارات ٢:** ٨٧٤.

٢. الطلاق: ٢و٣.

فدخَلَت إليّ زوجتي فقالت: ما الذي عناك في هذه الساعة؟ فقلت: طرقني الساعة طارق من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يكن عندي ما أطعمه فأعطيته ديناراً، فأخذه وشكرني وانصرف.

فلما وصل إلى الباب خرجت زوجتي وهي تبكي وتقول: أما تستَحْيي؟! يقصدك مثل هذا الرجل وتعطيه ديناراً، وقد عرفت استحقاقه، أعطِه الجميع. فوقع كلامها في قلبي وقمت خلفه فناولته الكيس، فأخذه وانصرف، فلمّا عدت إلى الدار ندمت وقلت: الساعة يصل الخبر إلى المتوكّل، وهو يمقت العلويين فيقتلني! فقالت لي زوجتي: لا تخف واتّكل على الله وعلى جَدّهم.

فبينا نحن كذلك إذا بالباب يُطرَق والمشاعل بأيدي الخدم وهم يقولون: أجب السيدة. فقمت مرعوباً، وكلّما مشيتُ قليلاً تواترت الرسل، فوقفت عند ستر السيدة وقال لي الخادم: السيدة وراء هذا الستر، قال: فسمعت بكاءها، وهي تنتحب وتقول: يا أحمد جزاك الله خيراً، وجزى زوجتك خيراً، كنتُ الساعة نائمة فجاءني رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لي: جزاك الله خيراً وجزى زوجة ابن الخصيب خيراً. فما معنى هذا؟ فحدّثتها الحديث وهي تبكي، فأعطتني دنانير وكسوة وقالت: هذا للعلوي، وهذا لزوجتك، وهذا لك.

قال: وكان ذلك يساوي مائة ألف درهم، فأخذت المال وجعلت طريقي على بيت العلوي، فطرقت الباب فصاح من داخل المنزل: هاتِ ما معك يا أحمد. وخرج وهو يبكي، فسألته عن بكائه، فقال: لما دخلتُ منزلي قالت لي زوجتي: ما هذا الذي معك؟ فعرّفتها، فقالت: قم بنا نصلي وندعو للسيدة ولأحمد وزوجته. فصلينا ودعونا، ثمّ نمت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وهو يقول: قد شكرتُهم على ما فعلوا معك، فالساعةَ يأتونك بشيءٍ فاقبَلْه

منهم[1].

رؤيا الملائكة في النوم

الرؤيا حاكية عن شيء تحقق في الماضي أو يتحقق في المستقبل، أو أنها كاشفة عن حقيقة كامنة، وهذا لا يفرَّق فيه بين أن يكون المرئي من الإنس أو من الجن أو من الملائكة، وقد ذكر المعبّرون تفسيرات لرؤية الملائكة في أنحائها المتعددة، نأتي لك بما ذكره ابن سيرين.

قال الأستاذ أبو سعيد: رؤية الملائكة في النوم إذا كانوا معروفين مستبشرين تدلّ على ظهور شيء لصاحب الرؤيا وعزٍّ وقوة وبشارة ونصرة بعد ظلم، أو شفاء بعد مرض، أو أمن بعد خوف، أو يسر بعد عسر، أو غنى بعد فقر، أو فرج بعد شدة، وتقتضي أن يحجّ صاحبها أو يغزو فيُستشهَد، فإن رأى كأنه يعادي جبرئيل وميكائيل أو يجادلهما فإنّه في أمر تحلّ به نقمة الله تعالى من ساعة إلى ساعة، وكان رأيه موافقاً لرأي اليهود نعوذ بالله.

وإن رأى أنه أخذ من جبرئيل طعاماً فإنّه يكون من أهل الجنّة إن شاء الله، وإن رآه حزيناً مهموماً أصابته شدّة وعقوبة لأنه مَلَك العقوبة.

ومن رأى ميكائيل عليه السلام فإنّه ينال مناه في الدارين إن كان تقياً، وإن لم يكن تقياً فليحذر، فإن رآه في بلدة أو قرية مُطِر أهلها مطراً عاماً ورخصت الأسعار فيها، فإن كلّم صاحب الرؤيا أو أعطاه شيئاً فإنّه ينال نعمة وسروراً؛ لأنه مَلَكُ الرحمة. ومن رأى إسرافيل عليه السلام محزوناً ينفخ في الصور وظنّ أنه سمعه وحده دون غيره فإنّ صاحب الرؤيا يموت، فإن كان يظنّ أنّ أهل ذلك الموضع سمعوه ظهر في ذلك الموضع موت ذريع، وقيل: إنّ هذه الرؤيا تدلّ

---

١. كشف اليقين: ٤٩٠، بحار الأنوار ٤٢: ١٤ .

على انتشار العدل بعد انتشار الظلم، وعلى هلاك الظَّلَمة في تلك الناحية.

ومن رأى ملك الموت عليه السلام مسروراً مات شهيداً، فإن رآه باسراً ساخطاً مات على غير توبة، ومن رأى كأنه يصارعه فصرعه مات، فإن لم يكن صرعه أشرف على الموت ثمّ نجاه الله.

وقيل: من رأى ملك الموت طال عمره. وحُكي عن حمزة الزيات قال: رأيت ملك الموت في النوم فقلت: يا ملك الموت، نشدتك بالله هل لي عند الله من خير؟ قال: نعم، وآية ذلك أنك تموت بحلوان، فمات بحلوان. فإن رأى كأن ملكاً من الملائكة يبشّره بابنٍ رُزِق ابناً عالماً رضياً وجيهاً؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾[1] الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾[2].

وإن رأى ملائكة بأيديهم أطباق الفواكه خرج من الدنيا شهيداً، وإن رأى أنّ ملكاً من الملائكة دخل عليه داره فليحذر دخول اللص داره، وإن رأى كأنّ ملكاً أخذ منه سلاحه فإنّه تذهب قوته ونعمته، وربما فارق امرأته.

وإن رأى كأنّ الملائكة في موضع وهو يخافهم وقع في ذلك الموضع فتنة وحرب، وإن رأى كأنّ الملائكة في موضع حرب ظفر بالأعداء، وإن رآهم راكعين بين يديه أو ساجدين له نال أمانيَّه وعلا ذِكرُه وأمره، فإن رأى أنه يصارع ملكاً نال هماً وذلاً بعد العز.

وإن رأى مريضٌ كأن ملكاً يواقع ملكاً قَرُب موتُه، وإن رأى كأن الملائكة هبطت من السماء إلى الأرض على هيأتها فذلك دليل على عز أهل الحق

---

١. آل عمران: ٤٥ .

٢. مريم: ١٩ .

وذل أهل الباطل ونصرة المجاهدين، فإن رآهم على صورة النساء فإنّه يكذب على الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا﴾[١].

وإن رأى أنه يطير مع الملائكة أو يصعد معهم إلى السماء ولا يرجع نال شرفاً في الدنيا ثمّ يُستشهَد، وإن رأى كأنه ينظر إلى الملائكة أصابته مصيبة؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[٢]. وإن رأى كأنّ الملائكة يلعنونه فذلك دليل على وهن دينه، وإن رأى كأنّ الملائكة يضجّون خَرِب بيته ومسكنه، وإن رأى رهطاً من الملائكة في بلد أو محلة أو قرية فإنّه يموت هناك عالم أو زاهد، أو يُقتَل رجل مظلوم، أو تُهدَم دار على قوم.

وإن رأى كأن ملائكة يصنعون مثل صناعته دلّ ذلك على ارتفاقه بصناعته، وإن رأى ملكاً يقول له: اقرأ كتاب الله تعالى، فإنْ كان رجلاً من أهل الخير أصاب شرفاً، وإن لم يكن من أهل الخير فَلْيحذر؛ لقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٣].

وإن رأى الملائكة في موضع على خيل هلك هناك جبار، وإن رأى طيوراً تطير ولا يعرف أعيانها فهي ملائكة، رؤيتهم في المنام في مكان دليل على الانتقام من الظالمين ونصر المظلومين. ومن رأى الكرام الكاتبين نال السرور والفرح في الدنيا والآخرة، ورُزق حسن الخاتمة إذا كان من أهل الصلاح، وإلاّ خيف عليه لقوله تعالى: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٤]، وقد قال

---

١. الإسراء: ٤٠ .

٢. الفرقان: ٢٢ .

٣. الإسراء: ١٤ .

٤. الانفطار: ١١ و ١٢ .

بعض أهل العلم بهذه الصناعة: إنّ رؤية الملك في صورة شيخ دليلٌ على الزمان الماضي، ورؤيته في صورة الشبان دليل على الزمن الحاضر، ورؤيته في صورة صبي دليل على الزمان المستقبل.

ومن رأى كأنه صار في صورة ملك، فإن كان في شدّة نال الفرج، وإن كان في رق عتق، وإن كان شريفاً نال رياسة، وإن كان مريضاً دلّت هذه الرؤيا على موته. ومن رأى كأن الملائكة يسلّمون عليه آتاه الله بصيرة في حياته وختم له بالخير. وحُكي أن شمويل اليهودي التاجر رأى في منامه ـ وكان في سفر ـ كأن الملائكة يصلّون عليه، فسأل معبِّراً، فقال: إنك تدخل في دين الله وشريعة رسوله؛ لقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾. فأسلم وهداه الله، وكان سبب إسلامه أنه وارى رجلاً مديوناً فقيراً عن غريم له كان يطلبه[1].

تفسير فلسفي

قال الملا صدر الدين: إذا انحَبَست الروح إلى الباطن وركدت الحواس بسبب من الأسباب بقيت النفس فارغة عن شغل الحواس، لأنها لا تزال مشغولة بالتفكّر فيما يورده الحواس عليها، فإذا وجَدَت فرصة الفراغ وارتفعت عنها الموانع استعدّت للاتصال بالجواهر الروحانية الشريفة العقلية التي فيها نقوش جميع الموجودات كلّها، المعبَّر عنها في الشرع باللوح المحفوظ، أو الجواهر النفسية والقوى الانطباعية من البرازخ العلوية التي فيها صور الشخصيات المادية والجزئيات الجسمانية، فإذا اتّصلت بتلك الجواهر قبلت ما فيها، أعني نقش ما في تلك الجواهر من صورة الأشياء لا سيما ما

---

١. **منتخب الكلام في تفسير الأحلام** لمحمد بن سيرين ١: ٦٢، والآية في سورة الأحزاب: ٤٣.

ناسب أغراض النفس ويكون مهماً لها.

وانطباع الصور في النفس عن الجواهر العالية كانطباع الصورة في مرآة من مرآة أُخرى يقابلها عند حصول الأسباب وارتفاع الحجاب بينهما، والحجاب هاهنا اشتغال النفس بما يورده الحواس. ولارتفاع هذا الحجاب أسباب كثيرة مثل صفاء النفس بحسب أصل فطرتها، ومثل انزعاج النفس وانزجارها عن هذا العالم بسبب ما يكدّرها وينغّص عيشها الدنياوي من الموالمات والمنفّرات، فيتوجه إلى عالمها هرباً من هذه الأمور الموحشة، فيرتفع الحجاب بينها وبين عالمها، ومثل الرياضات العلمية والعملية التي توجب المكاشفات الصورية والمعنوية، ومثل الموت الإرادي الذي يكون للأولياء، ومثل الموت الطبيعي الذي يوجب كشف الغطاء للجميع، سواء كانوا سعداء أو أشقياء، ومثل النوم الذي هو أخو الموت في كونها عبارة عن ترك النفس استعمال الحواس في الجملة.

فحينئذ إذا ارتفع الحجاب بالنوم قليلاً يظهر في مرآة النفس شيء من النقوش والصور التي في تلك المرائي مما يناسبها ويحاذيها، فإن كانت تلك الصورة جزئية وبقيت في النفس بحفظ الحافظة إياها على وجهها، ولم تتصرف فيه القوة المتخيلة الحاكية للأشياء بتمثلها، فيصدق هذه الرؤيا، ولا يحتاج إلى تعبير. وإن كانت المتخيلة غالبة أو إدراك النفس للصور ضعيفاً صارت المتخيلة بطبعها إلى تبديل ما رأته النفس بمثال كتبديل العِلم باللبن وتبديل العدوّ بالحية وتبديل الملك بالبحر أو الجبل.

وتحقيقه أنّ لكلّ معنى عقلي من عالم الإبداع صورةً طبيعية في عالم الكون، إذ العوالم متطابقة، فالعلم لما كان مما يتقوّى به النفس، وهو جوهر روحاني، والصور العلمية للإنسان إنما تحصل بعد حذف الزوائد والاختلاف

عما يدركه الحس من أشخاص النوع، وبعد ذلك يكـون البـاقي صـورة غيـر مختلفة، بل لباً خالصاً صافياً سائغاً نيله للعقل الإنساني.

ولما كان البدن مثالاً للنفس واللبن غذاءً لطيفاً سائغاً شرابه للبـدن، فيكـون نسبته للبدن نسبة العلم إلى النفس، ففي التعبير يُعبَّر به عن العلـم. ومـن هـذا القبيل ما نقل أن رجلاً جاء إلى ابن سيرين فقال: رأيت كأنّ في يـدي خاتمـاً أختم به أفواه الرجال وفروج النساء، فقال: إنك مؤذّن تؤذن في شهر رمضـان قبل الفجر، فقال: صدقت.

وجاء آخر فقال: كأني أصب الزيت في زيتون، فقال: إن كان تحتك جارية اشتريتها، ففتش عن حالها، فإنها أمُّك؛ لأنّ الزيتون أصل الزيت، فهـو رد إلـى الأصل، فنظر فإذا جاريته كانت أمَّه وقد سُبِيت في صغره.

وقال آخر له: كأني أعلق الدرّ في أعناق الخنازير، فقال: إنك تعلّم الحكمة غير أهلها، وكان كما قال.

فالتعبير من أوله إلى آخـره مثـال يعرّفـك طريـق ضـرب الأمثـال، ولـيس للأنبياء عليهم السلام أن يتكلّموا مع الخلق إلاّ بضرب الأمثال، لأنهم كُلِّفوا أن يتكلّموا مع الناس على قدر عقولهم، وكما أن عقول الخلق مثال للعقـول العاليـة فـي الحقيقة، فكذا ما يُخاطِب به ينبغي أن يكون أمثلة للمعارف الحقيقية.

وقَدْر عقولهم أنّهم في النوم، والنائم لا يُكشَـف لـه شـيء إلاّ بمثَـل، فـإذا ماتوا انتبهوا وعرفوا أن المثل صادق. وإنما يعني بالمثل أداء المعنى في صورة إن نظر إلى معناه وُجِد صادقاً، وإن نظر إلى صورته وُجِد كاذباً. وربمـا تُبـدّل المتخيلةُ الأشياء المرئية في النـوم بمـا يشـابهها ويناسـبها مناسـبة مـا أو مـا يضادها، كما من رأى أنه وُلِد له ابن فتُولَد له بنت، وبـالعكس. وهـذه الرؤيـا تحتاج إلى مزيد تصرّف في تعبيره، وربّما لم يكن انتقالات المتخيلة مضبوطة

بنوع مخصوص فانشعبت وجوه التعبير فصار مختلفاً بالأشخاص والأحوال والصناعات وفصول السنة وصحّة النائم ومرضه(١).

ج ـ التجسّم والرؤية بين النوم واليقظة:

قصة السيدة حليمة

ورد في الأخبار ما يبيّن بعض أحوال السيدة حليمة السعدية قبل أن تلتزم رضاعة رسول الله ﷺ، حيث إنّها قالت: كنا نبقى اليوم واليومين لا نقتات بشيء، وكنا قد شاركنا المواشي في مراعيها، فكنت ذات ليلة بين النوم واليقظة، وإذا قد أتاني آت ورماني في نهر ماءٍ أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وقال لي: اشربي. فشربت، ثمّ ردّني إلى مكاني وقال لي: يا حليمة، عليكِ ببطحاء مكة، فإنّ لك بها رزقاً واسعاً، وسوف تُسعَدين ببركة مولود وُلد بها. وضرب بيده على صدري، وقال: أدرّ الله لك اللبن، وجنّبك المحق والمحن.

قالت حليمة: فانتبهت وأنا لا أطيق حمل ثديي من كثرة اللبن، واكتسيت حسناً وجمالاً، وأصبحت بحالة غير الحالة الأولى، ففَزِعَت إليّ نساء قومي وقلن: يا حليمة قد عجبنا من حالك، فما الذي حلّ بكِ؟! ومن أين لك هذا الحسن والجمال الذي ظهر فيك؟

قالت: فكتمت أمري عليهنّ فترَكْنَني، وهنّ أحسد الناس لي، ثمّ بعد يومين هتف بي هاتف فسمعه بنو سعد عن آخرهم وهو يقول: يا نساء بني سعد، نزلت عليكم البركات، وزالت عنكم الترحات(٢)، برضاعة مولود وُلد

---

١. **المبدأ والمعاد** لصدر الدين الشيرازي: ٥٩١ .

٢. الترح: الحزن والهم والفقر .

بمكة، فضّله الواحد الأحد، فهنيئاً لمن له قصد. فلمّا سمعوا ما قاله الهاتف قالوا: إنّ لهذا المولود شأناً عظيماً! فرحل بنو سعد عن آخرهم إلى مكة.

قالت حليمة: ولم يبق أحد إلاّ وقد خرج إلى مكة، قالت: وكنا أهلَ بيتِ فقر، ولم يكن عندنا شيء نحمل عليه، وقد ماتت مواشينا من القحط. وكانت حليمة من أطهر نساء قومها وأعفّهن"[1].

قصة والد المجلسي

كان العلامة محمد تقي المجلسي من أعلام الإمامية صاحب كتاب (روضة المتقين) في شرح من لا يحضره الفقيه، وله قصّة طويلة مع أهل بيت النبوةعليهم السلام حصلت له بين اليقظة والنوم، نوردها للقارئ الكريم كما حكاها هو قدس الله روحه.

قال رحمه الله: إني كنت في أوائل البلوغ طالباً لمرضاة الله، ساعياً في طلب رضاه، ولم يكن لي قرار بذكره إلى أن رأيت بين النوم واليقظة أن صاحب الزمان صلوات الله عليه كان واقفاً في الجامع القديم بأصبهان قريباً من باب الطنبي الذي الآن مدرسي، فسلّمتُ عليه وأردت أن أُقَبِّلَ رجله، فلم يَدَعْني وأخذني، فقبّلت يده، وسألته مسائل قد أشكلت علَيّ، منها أني كنت أوسوس في صلاتي، وكنت أقول: إنها ليست كما طُلِبَت مني، وأنا مشتغل بالقضاء، ولا يمكنني صلاة الليل. وسألت عنه شيخنا البهائي فقال: صل صلاة الظهر والعصر والمغرب بقصد صلاة الليل، وكنت أفعل هكذا، فسألت الحجةعليه السلام: أصلّي صلاة الليل؟ فقال: صَلِّها، ولا تفعل كالمصنوع الذي كنت تفعل. إلى غير ذلك من المسائل التي لم يبق في بالي.

---

١. بحار الأنوار ١٥: ٧١ .

ثم قلت: يا مولاي لا يتيسّر لي أن أصل إلى خدمتك كلّ وقت، فأعطني كتاباً أعمل عليه دائماً. فقالعليه السلام: أعطيت لأجلك كتاباً إلى مولانا محمّد التاج. وكنت أعرفه في النوم، فقالعليه السلام: رُحْ وخذه منه. فخرجت من باب المسجد الذي كان مقابلاً لوجهه إلى جانب دار البِطّيخ، محلة من إصبهان، فلمّا وصلت إلى ذلك الشخص فلمّا رآني قال لي: بعثك الصاحبعليه السلام إليّ؟ قلت: نعم. فأخرج من جيبه كتاباً قديماً، فلمّا فتحتُه ظهر لي أنه كتاب الدعاء، فقبّلته ووضعته على عيني، وانصرفت عنه متوجهاً إلى الصاحبعليه السلام، فانتبهت ولم يكن معي ذلك الكتاب. فشرعت في التضرّع والبكاء والجؤار[1] لفوت ذلك الكتاب إلى أن طلع الفجر، فلمّا فرغت من الصلاة والتعقيب، وكان في بالي أنّ مولانا محمّد هو الشيخ، وتسميته بالتاج لاشتهاره من بين العلماء.

فلمّا جئت إلى مدرسته، وكان في جوار المسجد الجامع رأيته مشتغلاً بمقابلة الصحيفة، وكان القاري السيد صالح أمير ذو الفقار الجرفادقاني، فجلست ساعة حتى فرغ منه، والظاهر أنه كان في سند الصحيفة، لكن للغمّ الذي كان لي لم أعرف كلامه ولا كلامهم، وكنت أبكي، فذهبت إلى الشيخ وقلت له رؤياي، وكنت أبكي لفوات الكتاب.

فقال الشيخ: أبشر بالعلوم الإلهية، والمعارف اليقينية، وجميع ما كنت تطلب دائماً. وكان أكثر صحبتي مع الشيخ في التصوف، وكان مائلاً إليه، فلم يسكن قلبي وخرجت باكياً متفكراً إلى أن أُلقي في روعي أن أذهب إلى الجانب الذي ذهبت إليه في النوم، فلمّا وصلت إلى دار البطيخ رأيت رجلاً صالحاً اسمه آغا حسن، وكان يلقّب بتاجا، فلمّا وصلت إليه وسلّمت عليه

---

١. الجؤار: الصراخ الشديد، وفُسِّر بالاعتكاف.

قال: يا فلان، الكتب الوقفية التي عندي كلّ من يأخذه من الطلبة لا يعمل بشروط الوقف وأنت تعمل به.

وقال: وانظر إلى هذه الكتب وكلٌّ ما تحتاج إليه خذه. فذهبت معه إلى بيت كتبه، فأعطاني أول ما أعطاني الكتاب الذي رأيته في النوم، فشرعت في البكاء والنحيب. وقلت: يكفيني. وليس في بالي أني ذكرت له النوم أم لا، وجئت عند الشيخ وشرعت في المقابلة مع نسخته التي كتبها جدّ أبيه مع نسخة الشهيد، وكتب الشهيد نسخته مع نسخة عميد الرؤساء وابن السّكون[1]، وقابلها مع نسخة ابن إدريس بوساطة أو بدونها، وكانت النسخة التي أعطانيها الصاحب مكتوبة من خط الشهيد، وكانت موافقة غاية الموافقة حتى في النسخ التي كانت مكتوبة على هامشها.

وبعد أن فرغت من المقابلة شرع الناس في المقابلة عندي، وببركة إعطاء الحجة عليه السلام صارت الصحيفة الكاملة في جميع البلاد كالشمس طالعة في كلّ بيت، وسيما في أصبهان، فإن أكثر الناس لهم الصحيفة المتعددة، وصار أكثرهم صلحاء وأهل دعاء، وكثير منهم مستجابي الدعوة، وهذه الآثار معجزة لصاحب الأمر عليه السلام والذي أعطاني الله من العلوم بسبب الصحيفة لا أحصيها. وقد ذكرها العلامة المجلسي رضوان الله عليه في إجازات (البحار)

---

١. ابن السّكون بفتح السين: علي بن محمد بن علي الحلي العالم الفاضل العابد الورع النحوي اللغوي الشاعر الفقيه من ثقات علمائنا الإمامية، ذكره السيوطي في الطبقات ومدحه مدحاً بليغاً، وكان رحمه الله حسن الفهم، جيد الضبط، حريصاً على تصحيح الكتب، كان معاصراً لعميد الرؤساء راوي الصحيفة الكاملة . وحُكي عن شيخنا البهائي أنه قال: إن قائلاً حدّثنا في أول الصحيفة السجّادية على منشئها آلاف السلام والتحية هو ابن السكون، توفي في حدود سنة ٦٠٦ هجرية (**الكنى والألقاب** ١: ٣١٤).

مختصراً[١].

زيارة المعصومين عليهم السلام

قال العلامة محمد باقر المجلسي في (بحار الأنوار) ما لفظه: زيارة جامعة لجميع الأئمة عند مشهد كلّ واحد ويزور الجميع، قاصداً بها الإمام الحاضر والنائي والبعيد يلاحظ الجميع، ولو قصد في كلّ مرة واحداً بالترتيب والباقي بالتبع لكان أحسن كما كنت أفعل، ورأيت في الرؤيا الحقة تقرير الإمام علي ابن موسى الرضا عليه السلام وتحسينه عليه.

ولما وفقني الله لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام وشرعت في حوالي الروضة المقدسة في المجاهدات، وفتح الله علَيّ ببركة مولانا صلوات الله عليه أبواب المكاشفات التي لا تحتملها العقول الضعيفة، رأيت في ذلك العالم ـ وإن شئت قلت: بين النوم واليقظة عندما كنت في رواق عمران[٢] جالساً ـ أني بسُرّ مَن رأى، ورأيت مشهدها في نهاية الارتفاع والزينة، ورأيت على قبريهما لباساً أخضر من لباس الجنّة لأني لم أر مثله في الدنيا، ورأيت مولانا ومولى الأنام صاحب العصر والزمان عليه السلام جالساً ظَهرُه على القبر ووجهُه إلى الباب، فلمّا رأيته شرعت في الزيارة بالصوت المرتفع كالمدّاحين، فلمّا أتممتها قال عليه السلام: نعمت الزيارة. قلت: مولاي روحي فداك زيارة جدك؟ وأشرت إلى نحو القبر؟ فقال: نعم ادخل. فلمّا دخلت وقفت قريباً من الباب، فقال: تقدم، قلت: مولاي أخاف أن أصير كافراً بترك الأدب. فقال عليه السلام: لا بأس إذا كان بإذننا. فتقدمت قليلاً وكنت خائفاً مرتعشاً، فقال: تقدّم تقدّم. حتى صرت

---

١. **روضة المتقين** ١٤: ٤١٩، **بحار الأنوار** ٥٣: ٢٧٦ و ج ١٠٧: ٤٣.

٢. هو رواق عمران بن شاهين من أُمراء العراق.

قريباً منه قالعليه السلام: اجلس، قلت: مولاي أخاف، قال: لا تخف. فلمّا جلست جلسة العبد بين يدي المولى الجليل، قال: استرح واجلس متربّعاً، فإنك تعبتَ جئت ماشياً حافياً.

والحاصل أنه وقع منه بالنسبة إلى عبده ألطاف عظيمة، ومكالمات لطيفة، لا يمكن عدها ونسيت أكثرها، ثمّ انتبهت من تلك الرؤيا، وحصل في ذلك اليوم أسباب الزيارة بعد كون الطريق مسدودة في مدة طويلة، وبعدما حصل الموانع العظيمة ارتفعت بفضل الله وتيسّر الزيارة بالمشي والحفا كما قاله الصاحبعليه السلام. وكنت ليلة في الروضة المقدسة وزرت مكرراً بهذه الزيارة، وظهر في الطريق وفي الروضة كرامات عجيبة بل معجزات غريبة يطول ذكرها[١].

تأثيرات من النوم إلى اليَقَظة

تُنقل في التاريخ حكايات وقصص عجيبة، بعضها يرتبط بالأنبياء والمرسلين والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وبعضها يرتبط بغيرهم، وهذه القصص تحكي لنا الارتباط الوثيق ما بين عالم الرؤيا في المنام وعالم اليقظة، كما تحكي عن تأثير ذلك العالم على عالم الصحوة واليقظة، فيرى الرائي شيئاً في المنام وعندما يتيقّظ يرى ويحسّ ذلك الأثر.

وهذا الأمر لا مانع منه ولا استحالة فيه في مقام الثبوت، فإنّه ممكن والعقل يضعُه في دائرة الإمكان، لكن يبقى الكلام من ناحية الوقوع الخارجي وأنّه هل حصل مثل هذا التطابق بين ما كان في عالم الرؤيا وبين ما وقع في عالم الواقع لهذا الشخص في الخارج أم لا؟

---

١. **بحار الأنوار** ١٠٢: ١١٣.

أمر الجواب عن هذا السؤال مرتبط بالتحقيق السَّنَدي، من غير حاجة إلى وثاقة الراوي، ويكفينا الاطمئنان بوثاقة الصدور ووثاقة التحقق في الخارج وفهم جوانب القضية. والآن نذكر لك بعض تلك الموارد التي أثّر فيها ما حصل في المنام على الحالة في اليقظة.

غُيِّر وجهه خنزيراً

نقل التاريخ قصة عن محمّد بن كثير، ومندل بن علي العنزي، وجرير بن عبد الحميد ـ وقد زاد بعضهم على الآخرين في اللفظ، وقال بعضهم ما لم يقل البعض، وسياق الحديث لمندل ـ: عن الأعمش قال: بعث إليّ أبو جعفر الدوانيقي (المنصور) في جوف الليل أن أجب، فبقيت متفكراً فيما بيني وبين نفسي، فقلت: ما بعث إليّ أمير المؤمنين في هذه الساعة إلاّ ليسألني عن فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام ولعلّني إن أخبرتُه قتلني! قال: فكتبت وصيّتي، ولبست كفني، ودخلت عليه، فقال: أُدن مني. فدنوت منه، وعنده عمرو بن عبيد[1]، فلمّا رأيته طابت نفسي شيئاً.

ثم قال: أدنُ. فدنوت حتى كادت تمس ركبتي ركبته، قال: فوجد رائحة الحَنُوط مني، فقال: والله لَتَصدقني وإلاّ صلبتك! قلت: ما حاجتك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما شأنك متحنطاً؟

قلت: أتاني رسولك في جوف الليل أن أجب، فقلت في نفسي: عسى أن يكون أمير المؤمنين بعث إليّ في هذه الساعة ليسألني عن فضائل أمير المؤمنين، ولعلّي إن أخبرته قتلني، فكتبت وصيتي، ولبست كفني. قال: فكان متّكئاً فاستوى جالساً وقال: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، أسألك الله

---

١. قد يكون هو البصري من أصحاب أبي الحسن البصري المتوفى سنة ١٤٤ هجرية.

يا سليمان، كم حديثاً تروي في فضائل علي أمير المؤمنين؟

فقلت: يسيراً يا أمير المؤمنين، فقال: كم؟

قلت: عشرة آلاف حديث فما زاد، فقال لي: يا سليمان، والله لأحدّثك بحديث في فضائل علي بن أبي طالب تنسى كلّ حديث سمعتَه، فقلت: حدّثني يا أمير المؤمنين، قال: نعم، كنت هارباً من بني أمية، وكنت أتردّد في البلدان، فأتقرب إلى الناس بفضائل علي بن أبي طالب ـ في حديث طويل ـ حتى وردتُ بعض البلاد، فدخلت مسجداً، وحدّثت بين يدي إمام المسجد بفضائل علي، فقال: ممن أنت يا فتى؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: عربي أم مولى؟ قلت: بل عربي. فكساني وحملني وأرشدني إلى أخوين له، أحدهما إمام والآخر مؤذّن، وأخذ بيدي حتى أتى الإمام، ورجع، فإذا أنا برجل قد خرج إليّ فقال: أما البغلة والكسوة فأعرفهما، والله ما كان فلان يحملك ويكسوك إلاّ أنك تحب الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ، فحدّثني بحديث في فضائل علي صلوات الله عليه. فحدثته، وذكرت الحديث، فلمّا قلت ذلك قال لي: يا بُنيّ، مِن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: عربي أم مولى؟ قلت: بل عربي. فكساني ثلاثين ثوباً وأعطاني عشرة آلاف دينار ـ أو درهم ـ ثمّ قال: يا شاب، وقد أقررتَ عيني لي إليك حاجة، قلت: قُضِيَت إن شاء الله، قال: إذا كان غدٌ فأتِ مسجد آل فلان، كي ترى أخي المبغض لعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه.

قال: فطالت علَيّ تلك الليلة، فلمّا أصبحت أتيت المسجد الذي وصف لي، فقمت للصلاة فإذا إلى جنبي شاب متعمّم، فذهب ليركع فإذا قد سقطت عمامته من رأسه، فنظرت في وجهه فإذا رأسه رأس خنزير، ووجهه وجه خنزير، فوالله ما علمت ما تكلمت به في صلاتي حتى سلّم الإمام.

فقلت: يا ويحك، ما الذي أرى بك؟! فبكى، وقال لي: اُنظر إلى هذه الدار. فنظرت، فقال لي: ادخل. فدخلت.

فقال: كنتُ مؤذناً لآل فلان، كلّما أصبحت لعنتُ علياً بين الأذان والإقامة ألف مرة، وكلّما كان يوم الجمعة لعنته أربعة آلاف مرة، فخرجت من منزلي، فأتيت داري فاتكأت على هذا الدكان الذي ترى، فنمت، فرأيت في المنام كأني بالجنّة وفيها رسول الله صلّى الله عليه وآله وعلي فرحَين، ورأيت كأن النبي عن يمينه الحسن، وعن يساره الحسين، ومعه كأس وقال: يا حسين اسقني. فسقاه فقال: اسقِ الجماعة. فشربوا، ثمّ رأيت كأنه قال: اسقِ المتّكئ على هذا الدكان.

فقال له الحسين: يا جداه، أتأمرني أن أسقي هذا وهو يلعن والدي في كلّ يوم ألف مرة بين الأذان والإقامة، وقد لعنه في هذا اليوم أربعة آلاف مرة؟!

فأتاني النبي وقال لي: ما لك ـ عليك لعنة الله ـ تلعن عليّاً وعليٌّ مني، وتشتم علياً وعلي مني؟! فرأيته كأنه قد تفل في وجهي، وضربني برجله، وقال: قم غَيّر الله ما بك من نعمة. فانتبهت من نومي فإذا رأسي رأس خنزير، ووجهي وجه خنزير.

ثمّ قال لي أبو جعفر الدوانيقي: أهذان الحديثان في يدك؟ قلت: لا.

فقال: يا سليمان، حبُّ علي إيمان، وبغضه كفر، والله لا يحبه إلاّ مؤمن، ولا يبغضه إلاّ منافق[1].

هذه رواية أبي جعفر المنصور الدوانيقي في فضيلة حبّ علي بن أبي طالب عليه السلام وهذا أثر فعل رسول الله صلّى الله عليه وآله بمن يبغض عليّاً عليه السلام وهذا الجزاء في

---

١. **الأمالي** للصدوق: ٥٢١، **الثاقب في المناقب** لابن حمزة الطوسي: ٢٣٣ / ح ٢٠١ . ورواية المنصور لا تُبرّئه من إيثاره حبَّ المُلك على حبّ آل محمّد، وحرصِه على الحكم وخشيته من ذهابه إلى حدّ الوسوسة التي دفعته إلى قتل الإمام جعفر الصادق عليه السلام بدسّ السمّ إليه !

الدنيا فكيف بجزاء الآخرة!!

مسخ في المنام

جاء في كتاب (الثاقب في المناقب): عن محمّد بن عمر الواقدي، قال: كان هارون الرشيد يقعد للعلماء يوم عرفة، فقعد ذات يوم وحضره الشافعي، وكان هاشمي يقعد إلى جنبه، وحضر محمّد بن الحسن وأبو يوسف فقعدا بين يديه، وغصّ المجلس بأهله، فيهم سبعون رجلاً من أهل العلم، كلّ منهم يصلح أن يكون إمامَ صُقعٍ من الأصقاع.

قال الواقدي: فدخلت في آخر الناس، فقال الرشيد: لمَ تأخّرت؟ فقلت: ما كان لإضاعة حق، ولكني شُغلتُ بشغل عاقني عما أحببت. قال: فقربني حتى أجلسني بين يديه، وقد خاض الناس في كلّ فنّ من العلم، فقال الرشيد للشافعي: يا ابن عمي، كم تروي في فضائل علي بن أبي طالب؟ فقال: أربعمائة حديث وأكثر. فقال له: قل ولا تخف.

قال: يبلغ خمسَمائةٍ أو يزيد. ثمّ قال لمحمد بن الحسن: كم تروي يا كوفي من فضائله؟ قال: نحوَ ألف حديث أو أكثر. فأقبل على أبي يوسف فقال: كم تروي أنت يا كوفي من فضائله؟ أخبرني ولا تخش.

قال: يا أمير المؤمنين، لولا الخوف لكانت روايتنا في فضائله أكثر من أن تُحصى! قال: مم تخاف؟

قال: منك ومن عُمّالك وأصحابك. قال: أنت آمن، فتكلّم وأخبرني كم فضيلة تروي فيه؟ قال: خمسة عشر ألف خبرٍ مسند، وخمسة عشر ألف حديثٍ مرسل. قال الواقدي: فأقبل علَيّ فقال: ما تعرف في ذلك أنت؟

فقلت مثل مقالة أبي يوسف. قال الرشيد: لكني أعرف له فضيلة رأيتها بعيني، وسمعتها بأذني، أجلُّ من كلّ فضيلة تَرْوونها أنتم، وإني لتائب إلى الله

تعالى مما كان مني من أمر الطالبية ونسلهم. فقلنا بأجمعنا: وفّق الله أمير المؤمنين وأصلحه، إن رأيت أن تخبرنا بما عندك.

قال: نعم، ولّيتُ عاملي يوسف بن الحجاج بدمشق، وأمرته بالعدل في الرعية، والإنصاف في القضية، فاستعمل ما أمرته، فرُفع إليه أنّ الخطيب الذي يخطب بدمشق يشتم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في كلّ يوم وينتقصه، قال: فأحضره وسأله عن ذلك، فأقرّ له بذلك، فقال له: وما حملك على ما أنت عليه؟ قال: لأنه قتل آبائي، وسبى الذراري، فلذلك الحقدُ له في قلبي، ولست أُفارق ما أنا عليه.

فقيّده وغلغله وحبسه وكتب إليّ بخبره، فأمرته أن يحمله إليّ على حالته من القيود، فلمّا مَثُل بين يديّ زبرتُه وصحت به، وقلت: أنت الشاتم لعلي بن أبي طالب؟! فقال: نعم. قلت: ويلك! قتل من قتل وسبى من سبى بأمر الله تعالى وأمرِ النبيصلى الله عليه وآله.

قال: ما أُفارق ما أنا عليه، ولا تطيب نفسي إلاّ به.

فدعوت بالسياط والعقابين(١)، فأقمته بحضرتي هاهنا، وظهره إليّ، فأمرت الجلاد فجلده مائة سوط، فأكثر الصياح والغياث، فبال في مكانه، فأمرتُ به فنُحّي عن العقابين، وأُدخل ذلك البيت ـ وأومأ الرشيد بيده إلى بيت في الإيوان ـ وأمرت أن يُغلَق الباب عليه وإقفاله، ففُعل ذلك. ومضى النهار وأقبل الليل، ولم أبرح من موضعي هذا حتى صليت العتمة، ثمّ بقيت ساهراً أُفكر في قتله وفي عذابه، وبأي شيءٍ أُعذبه، مرة أقول: أُعذبه على عداوته، ومرة

---

١. العقابان أحد أدوات التعذيب، وهما خشبتان يُمَدّ الرجل بينهما ويُعصَر ! وقيل: لِيُجلَد (**لسان العرب** ١: ٦٢١، **تاج العروس** ٢: ٢٥٣) .

أقول: أقطع أمعاءه، ومرة أُفكّر في تغريقه، أو قتله بالسوط.

واستمرّ الفكر في أمره حتى غلبتني عيني فنمت في آخر الليل، فإذا أنا بباب السماء وقد انفتح، وإذا النبيّ صلى الله عليه وآله قد هبط وعليه خمس حلل، ثمّ هبط علي وعليه أربع حلل، ثمّ هبط الحسن، وعليه ثلاث حلل، ثمّ هبط الحسين وعليه حلّتان. ثمّ نزل جبرئيل عليه السلام وعليه حلّة واحدة، فإذا هو من أحسن الخلق في نهاية الوصف، ومعه كأس فيه ماء كأصفى ما يكون من الماء وأحسنه، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أعطني الكأس. فأعطاه، فنادى بأعلى صوته: يا شيعة محمّد وآله. فأجابوه من حاشيتي وغلماني وأهل الدار أربعون نفساً أعرفهم كلّهم، وكان في داري أكثر من خمسة آلاف إنسان، فسقاهم من الماء وصرفهم.

ثم قال: أين الدمشقي؟ فكأنّ الباب قد انفتح، فأُخرج إليه، فلمّا رآه علي أخذه بتلابيبه وقال: يا رسول الله، هذا يظلمني ويشتمني من غير سبب أوجَبَ ذلك، فقال: خله يا أبا الحسن. ثمّ قبض النبي صلى الله عليه وآله على زنده بيده وقال: أنت الشاتم علي بن أبي طالب؟! فقال: نعم. قال: اللهم امسخه، وامحقه، وانتقم منه. قال: فتحول ـ وأنا أراه ـ كلباً، ورُدّ إلى البيت كما كان، وصعد النبي صلى الله عليه وآله، وجبرئيل عليه السلام وعلي عليه السلام ومن كان معهم.

فانتبهتُ فزعاً مرعوباً مذعوراً، فدعوت الغلام وأمرت بإخراجه إلي، فأخرج وهو كلب. فقلت له: كيف رأيت عقوبة ربّك؟ فأومأ برأسه كالمعتذر، وأمرت بردّه وها هو ذا في البيت.

ثمّ نادى الرشيد وأمر بإخراجه، فأُخرج وقد أخذ الغلام بأُذنه، فإذا أُذناه كأُذنَي الإنسان، وهو في صورة الكلب، فوقف بين أيدينا يلوك بلسانه، ويحرك بشفتيه كالمعتذر.

فقال الشافعي للرشيد: هذا مسخ، ولست آمن من أن يحلّ العذاب به! فأمر بإخراجه عنا، فأمر به فرُدّ إلى البيت، فما كان بأسرع من أن سمعنا وجبة وصيحة، فإذا صاعقة قد سقطت على سطح البيت فأحرقته وأحرقت البيت، فصار رماداً، وعجل الله بروحه إلى نار جهنّم.

قال الواقدي: فقلت للرشيد: يا أمير المؤمنين، هذه معجزة وعِظة وعظتَ بها فاتّقِ الله في ذرية هذا الرجل.

فقال: الرشيد: أنا تائب إلى الله تعالى مما كان مني وأحسنت توبتي[1].

أقول: لو قبلنا صدقه في ادّعاء التوبة فإنها توبة مؤقتة يدفعها قوله لولده المأمون: إن المُلك عقيم!

عليعليه السلام أعماني

أبو عبد الله المحدث من رواة الحديث، كان دأبه الطعن والتجريح في كل حديث يرد عليه فيه منقبة أو فضيلة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل بيتهعليهم السلام، ولم ينفع معه النصح والإرشاد إلى أن أُصيبت عينه بضربة من عليعليه السلام في المنام وجد أثرها في اليقظة، والقصة كما يلي:

حيث ورد في الخبر عن جعفر بن محمّد الدوريستي، قال: حضرت بغداد في سنة إحدى وأربعمائة في مجلس المفيد أبي عبد الله رضي الله عنه، فجاءه علوي وسأله عن تأويل رؤيا رآها، فأجاب فقال: أطال الله بقاء سيدنا،

---

١. **الثاقب في المناقب**: ٢٢٩، **مدينة المعاجز**٢: ١٣٤، و٢٩٠ . وهنا ملاحظتان: الأولى ـ لا ندري هل كانت التوبة المدّعاة للرشيد بعد قتله الإمام موسى الكاظم عليه السلام في السجن والحبس الطويل أم قبله؟! والثانية ـ أنّ ما شهده هذا ومَن قَبلَه (المنصور) ورَوَياه هو حجّةٌ عليهم تُوقفهم غداً للحساب على ما كان منهما من الظلم والإفساد !

أقرأت علم التأويل؟ قال: إني قد بقيت في هذا العلم مدة، ولي فيه كتب جمة. ثمّ قال: خذ القرطاس واكتب ما أُملي عليك.

قال: كان ببغداد رجل عالم من أصحاب الشافعي، وكان له كتب كثيرة، ولم يكن له ولد، فلمّا حضرته الوفاة دعا رجلاً يقال له: جعفر الدقّاق، وأوصى إليه، وقال: إذا فرغتَ من دفني فاذهب بكتبي إلى سوق البيع وبِعْها، واصرف ما حصل من ثمنها في وجوه المصالح التي فصّلتُها. وسلم إليه التفصيل.

ثمّ نودي في البلد: من أراد أن يشتري الكتب فليحضر السوق الفلاني، فإنّه يباع فيه الكتب من تَرِكة فلان. فذهبتُ إليه لأبتاع كتباً، وقد اجتمع هناك خلق كثير، ومن اشترى شيئاً من كتبه كتب عليه جعفرُ الدقاق الوصي ثمنَه، وأنا قد اشتريت أربعة كتب في علم التعبير، وكتبت ثمنها على نفسي، وهو يشترط علَيّ وعلى من ابتاع توفية الثمن في الأسبوع، فلمّا هممت بالقيام قال لي جعفر: مكانك يا شيخ، فإنّه جرى على يدي أمر لأذكره لك، فإنّه نصرة لمذهبك.

ثم قال لي: إنه كان لي رفيق يتعلم معي، وكان في محلة باب البصرة رجل يروي الأحاديث والناس يسمعون منه، يقال له: أبو عبد الله المحدّث، وكنت ورفيقي نذهب إليه برهة من الزمان، ونكتب عنه الأحاديث، وكلّما أملى حديثاً في فضائل أهل البيت عليهم السلام طعن فيه وفي روايته، حتى كان يومٌ من الأيام فأملى في فضائل البتول الزهراء وعليّ صلوات الله عليهما، ثمّ قال: وما تنفع هذه الفضائل علياً وفاطمة، فإن علياً يقتل المسلمين! وطعن في فاطمة، وقال فيها كلمات منكرة!!

قال جعفر: فقلت لرفيقي: لا ينبغي لنا أن نأخذ من هذا الرجل، فإنّه رجل

لا دين له ولا ديانة، فإنّه لا يزال يطول لسانه في علي وفاطمةعليهما السلام، وهذا ليس بمذهب المسلمين. قال رفيقي: إنك لصادق، فمِن حقنا أن نذهب إلى غيره، فإنّه رجل ضال. فعزمنا أن نذهب إلى غيره ولا نعود إليه.

فرأيت من الليلة كأني أمشي إلى المسجد الجامع، فالتفتُّ فرأيت أبا عبد الله المحدّث، ورأيت أمير المؤمنينعليه السلام راكباً حماراً مصرياً، يمشي إلى المسجد الجامع، فقلت في نفسي: واويلاه! وأخاف أن يضرب عنقه بسيفه، فلمّا قرب منه ضرب بقضيبه عينه اليمنى وقال له: يا ملعون، لمَ تسبّني وفاطمة؟! فوضع المحدث يده على عينه اليمنى وقال: أوه أعميتَني! قال جعفر: فانتبهت وهممت أن أذهب إلى رفيقي وأحكي له ما رأيت، فإذا هو قد جاءني متغير اللون فقال: أتدري ما وقع؟! قلت له: قل. قال: رأيت البارحة رؤيا في أبي عبد الله المحدّث. فذكر، فكان كما ذكرتُه من غير زيادة ولا نقصان. فقلت له: أنا رأيت مثل ذلك، وكنت هممت بإتيانك لأذكره لك، فاذهب بنا الآن مع المصحف لنحلف له أنا رأينا ذلك ولم نتواطأ عليه، ولننصح له ذلك ليرجع عن هذا الاعتقاد.

فقمنا ومشينا إلى باب داره، فإذا الباب مغلق، فقرعناه، فجاءت جارية وقالت: لا يمكن أن يُرى الآن. ورجعت، ثمّ قرعنا الباب ثانية، فجاءت وقالت: لا يمكن ذلك. فقلنا: ما وقع له؟ فقالت: إنه قد وضع يده على عينه، ويصيح من نصف الليل، ويقول: إنّ علي بن أبي طالب قد أعماني! ويستغيث من وجع العين. فقلنا لها: افتحي الباب، فإنا قد جئناه لهذا الأمر. ففتحت، فدخلنا، فرأيناه على أقبح هيئة، يستغيث ويقول: ما لي ولعلي بن أبي طالب، ما فعلت به، فإنّه قد ضرب بقضيب على عيني البارحة وأعماني.

قال جعفر: وذكرنا له ما رأيناه في المنام، وقلنا له: ارجع عن اعتقادك الذي

أنت عليه، ولا تطوّل لسانك فيه. فأجاب وقال: لا جزاكم الله خيراً، لو كان علي بن أبي طالب أعمى عيني الأخرى لما قدّمتُه على أبي بكر وعمر! فقمنا من عنده، وقلنا: ليس في هذا الرجل خير.

ثمّ رجعنا إليه بعد ثلاثة أيام لنعلم ما حاله، فلمّا دخلنا عليه وجدناه أعمى بالعين الأخرى، فقلنا له: ما تتغير؟! فقال: لا والله، لا أرجع عن هذا الاعتقاد، فليفعل علي بن أبي طالب ما أراد. فقمنا ورجعنا. ثمّ رجعنا إليه بعد أسبوع لنعلم إلى ما وصل حاله، فقيل: إنه قد دفن وارتدّ ابنه، ولحق بالروم غضباً على علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فرجعنا وقرأنا: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

وقد نقلت ذلك من النسخة التي انتسخها جعفر الدوريستي بخطّه، وكان نقلها إلى الفارسية في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، ونحن نقلناها إلى العربية من الفارسية ثانياً ببلدة قاشان، والله الموفق في مثل هذه السنة سنة ستين وخمسمائة[2]. أقول: انفرد بنقل هذه الحكاية صاحب (الثاقب في المناقب) وهو عماد الدين أبو جعفر محمّد بن علي بن حمزة الطوسي المشهدي الذي كان معاصراً لمنتجب الدين[3].

غريمك الكبير

الغريم هو المديون اللازم عليه أن يدفع الدَّينَ إلى الدائن، وقد ورد في الخبر عن إبراهيم بن مهران، قال: كان بالكوفة في جيراننا رجل وكان يُكنّى

---

١. الأنعام: ٤٥.

٢. **الثاقب في المناقب**: ٢٣٦، **مدينة المعاجز** ٢: ٢٩٣ / ح ٥٥٩.

٣. تجد ترجمته مفصّلة في مقدمة كتابه (الثاقب في المناقب).

أبا جعفر، وكان حسن المعاملة، وكان إذا أتاه إنسان من العلوية يطلب ما عنده لا يمنعه، فإن كان معه ثمنه أخذه وإلاّ قال لغلامه: أُكتب ما أخذه على علي بن أبي طالب عليه السلام. فعاش على ذلك زماناً، ثمّ افتقر، وجلس في بيته، فكان ينظر في دفاتر له، فإن وجد من غرمائه من هو حي يبعث إليه من يقبض منه، وإن وجد من قد مات وليس له شيء ضرب على اسمه.

فبينا هو ذات يوم جالس على باب داره ينظر في ذلك الدفتر، إذ مرّ به رجل من الناصبة، فقال له كالمستهزئ: ما فعل غريمك الكبير؟ يعني علي بن أبي طالب عليه السلام، فاغتمّ الرجل بذلك وقام، ودخل منزله. فلما كان من الليل رأى النبي صلى الله عليه وآله في المنام، وكأنّ الحسن والحسين عليهما السلام يمشيان بين يديه، فقال لهما: أين أبوكما؟ فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من ورائه فقال: ها أنا ذا يا رسول الله. فقال: ما لك لا تدفع إلى هذا الرجل حقّه؟ فقال: يا رسول الله، هذا حقّه في الدنيا قد جئت به. قال: فأعطه. فناولني كيساً من صوف، وقال: هذا حقّك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: خذه، ولا تمنع من جاءك من وُلده يطلب ما عندك، وامضِ لا فقر عليك بعد هذا اليوم.

فانتبهت والكيس بيدي، فناديت امرأتي: يا امرأة، أنائمة أنت أم يقظى؟ قالت: بل يقظى، قلت: أسرجي. فأسرجت، فناولتها الكيس، فنظرت فإذا فيه ألف دينار. فقالت: يا رجل، أشفق لا يكون حَملَك الفقر على أن خدعتَ بعض هؤلاء التجار فأخذت ماله! فقلت: لا والله، ولكنّ القصّة هذه. فدعا بالدفتر الذي فيه حسابه، فإذا ليس فيه مما كتب على علي بن أبي طالب قليل ولا كثير[1].

---

١. **الأربعون حديثاً** لمنتجب الدين بن بابويه: ٩٥ ـ الحكاية الثانية عشر: أنا أبو بكر محمّد بن عبد

ذُبح في المنام!

كان ببلد الموصل شخص يقال له: حمدان بن حمدون بن الحرث العدوي، كان شديد العناد كثير البغض لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فأراد بعض أهل الموصل الحجّ فجاء إليه يودّعه ويقول له: إنني قد عزمت على الخروج إلى الحج، فإن كان هناك حاجة تعرّفني حتى أقضيها لك.

فقال له: إنّ لي حاجة مهمة، وهي سهلة عليك، فقال له: مرني بها حتى أفعلها. فقال: إذا قضيتَ الحج ووردت المدينة وزرت النبي صلى الله عليه وآله فخاطبه عني وقل له: يا رسول الله، ما أعجبك من علي بن أبي طالب حتى تُزوّجه بابنتك؟! عِظم بطنه، أو دقة ساقيه، أو صلعة رأسه؟! وحلّفه وعزم عليه أن يبلّغ هذا الكلام.

فلما ورد المدينة وقضى حوائجه نسي تلك الوصية، فرأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه فقال له: ألا تبلّغ وصيّة فلان إليك؟ فانتبه ومشى لوقته إلى القبر المقدّس وخاطب النبي صلى الله عليه وآله بما أمره الرجل به. ثم نام فرأى أمير المؤمنين عليه السلام فأخذه ومشى هو وإياه إلى منزل ذلك الرجل، وفتح الأبواب وأخذ مُدْيةً[1] فذبحه أمير المؤمنين عليه السلام بها، ثمّ مسح المديه بملحفة كانت

الكريم بن محمّد القلانسي العدل، أجازة، أنا الإمام أبو سعيد عبد الواحد بن عبد الكريم القشيري، أنا جهد بن المأمون، أنا محمّد أبو علي أحمد بن عبد الله الإصبهاني بالري، أخبرنا محمّد بن أحمد بن صدّيق الأصبهاني، ببغداد، أخبرنا عبد الله بن عمر بن منصور، أخبرنا محمّد بن عثمان الكاتب، عن أبي عيسى الناقد . وروى الحكايةَ أيضاً: المجلسي في (**بحار الأنوار** ٤٢: ٧ / ح ٨) ـ عن: **الفضائل** لابن شاذان: ٩٩ ـ ١٠٠، **وروضة الواعظين** للفتّال النيسابوري: ٢ .

١. أي سكّينة .

عليه، ثمّ جاء إلى سقف باب الدار فرفعه بيده ووضع المدية تحته وخرج.

فانتبه الحاج منزعجاً من ذلك، وكتب صورة المنام هو وأصحابه، وانتبه سلطان الموصل في تلك الليلة، وأخذ الجيران والمشتَبهين ورماهم في السجن، وتعجّب أهل الموصل من قتله، حيث لم يجدوا نقباً ولا تسليقاً على حائط، ولا باباً مفتوحاً ولا قفلاً. وبقي السلطان متحيراً في أمره ما يدري ما يصنع في قضيته، فإن ورود أحد من الخارج متعذّر مع عدم هذه العلامات ولم يُسرَق مِن الدار شيء البتة.

ولم يزل الجيران وغيرهم في السجن إلى أن ورد الحاجّ من مكة فلقي الجيران في السجن، فسأل عن سبب ذلك، فقيل له: إن في الليلة الفلانية وُجِد فلان مذبوحاً في داره ولم يُعرَف قاتله. فكبّر وقال لأصحابه: أخرجوا صورة المنام المكتوبة عندكم. فأخرجوها وقرأوها، فوجدوا ليلة المنام هي ليلة القتل. ثمّ مشى هو والناس بأجمعهم إلى دار المقتول، فأمر بإخراج الملحفة وأخبرهم بالدم الذي فيها، فوجدوها كما قال، ثمّ أمر برفع الردم فرُفع، فوُجد السكين تحته، فعرفوا صدق منامه، فأُفرِج عن المحبوسين ورجع أهله إلى الإيمان، وكان ذلك من ألطاف الله تعالى في حقّ ذريته [1].

أعماه رسول الله

سئل عبد الله بن الرياح القاضي الأعمى عن عمائه فقال: كنتُ حضرت كربلاء وما قاتلت، فنمتُ فرأيت شخصاً هائلاً قال: أجِبْ رسول الله ﷺ فقلت: لا أُطيق. فجرني إلى رسول الله، فوجدته حزيناً وفي يده حربة وبُسط قدّامه نَطْع، ومَلَك قِبلَه قائم في يده سيف من النار يضرب أعناق القوم، وتقع

١. كشف اليقين: ٤٨٠، بحار الأنوار ٤٢: ١٠ / ح ١٢ .

النار فيهم فتحرقهم ثمّ يُحيَون ويقتلهم أيضاً هكذا. فقلت: السلام عليك يا رسول الله، والله ما ضربتُ بسيف ولا طعنت برمح، ولا رميت سهماً، فقال النبيﷺ: ألستَ كثّرت السواد؟! فسلّمني وأخذ من طست فيه دم فكحّلني من ذلك الدم، فاحترقت عيناي، فلمّا انتبهت كنت أعمى[١].

ونقل الخوارزمي الحنفي في (مقتل الحسينعليه السلام) أنّ ابن رباح القاضي قال: لقيتُ رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسينعليه السلام، فسألته عن ذهاب بصره فقال: كنت شهدت قتلة الحسين عاشر عاشوراء، غير أني لم أضرب ولم أطعن ولم أرمِ، فلمّا قُتل رجعت إلى منزلي فصلّيت العشاء الآخرة ونمت، فأتاني آت في منامي وقال لي: أجب رسول اللهﷺ. فقلت: ما لي وله؟

فأخذ بتلابيبي وجرّني إليه، فإذا النبي جالس في صحراء حاسرٌ عن ذراعيه آخذ بحربة، ومَلَكٌ قائم لديه في يده سيف من نار يقتل أصحابي، فكلّما ضرب رجلاً منهم ضربة التهبت أنفسه ناراً! فدنوتُ منه وجثوت بين يديه وقلت: السلام عليك يا رسول الله. فلم يردَّ علَي، ومكث طويلاً مطرقاً ثمّ رفع رأسه وقال لي: يا عبد الله، انتهكتَ حرمتي وقتلت عترتي، ولم تَرْعَ حقي، وفعلت وفعلت؟! فقلت له: يا رسول الله، والله ما ضربت سيفاً ولا طعنت رمحاً ولا رميت سهماً، فقال: صدقت، ولكنك كَثّرت السواد، أُدنُ مني. فدنوت منه، فإذا طست مملوء دماً. فقال: هذا دم ولدي الحسين. فكحَّلَني منه، فانتبهتُ ولا أبصر شيئاً حتى الساعة!

ثمّ قال: وأورد هذا الحديث مجد الأئمة السرخسي، ورواه عن أبي عبد الله الحداد عن الفقيه أبي جعفر الهندواني، أنّه قال: يحكى عن عبد الله بن رماح

---

١. مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ٢١٦ .

القاضي، وساق الحديث إلى أن قال: وكلّما قَتَلَهم عادوا أحياءً فيقتلهم مرّة أُخرى، وقال: صدقت، ولكن يا عدو الله لم تَرْعَ حقَّ نبوتي. وباقي الحديث يقرب بعضه من بعض في اللفظ والمعنى، ولقد لقي بنو الحسن والحسين من عتاة بني العباس ما لقي آباؤهم من طغاة بني أمية [١].

يبول القَطِران!

قال السدي لرجل: أنت تبيع القطران [٢]؟ قال: والله ما رأيت القطران، إلاّ أنني كنت أبيع المسمار في عسكر عمر بن سعد في كربلا، فرأيت في منامي رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب عليه السلام يسقيان الشهداء، فاستسقيت علياً فأبى، فأتيت النبي فاستسقيت فنظر إلي وقال: ألستَ ممن أعان علينا؟! فقلت: يا رسول الله، إنني محترق ووالله ما حاربتهم، فقال: اِسقِه قطراناً. فسقاني شربة قطران، فلمّا انتبهت كنت أبول ثلاثة أيام القطران، ثمّ انقطع وبقيت رائحته [٣].

قطع الله يديك ورجليك

فاطمة الزهراء أم الحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين، قد أجرم رجلٌ بحقها وبحق ولدها جرائم لا ينساها التاريخ، وقد رآها الرائي في المنام تدعو عليه فاستجاب الله دعاءها، فأصبح الرجل وقد أثّر الدعاء ووصل إلى درجة الفعلية في اليقظة، كلّ ذلك بإرادة الله تعالى.

قال الخوارزمي: ورئي رجل بلا يدَين ولا رجلَين، وهو أعمى يقول: ربّي

---

١. **مقتل الحسين** ٢: ١١٧ / ح ٥٢، **مدينة المعاجز** ٤: ١٠١، **بحار الأنوار** ٤٥: ٣٠٦ .

٢. نوع من الزيت .

٣. **الثاقب في المناقب**: ٣٣٥، **مناقب آل أبي طالب** لابن شهر آشوب ٢: ٢١٦، **مدينة المعاجز** ٤: ١١١.

نجِّني من النار! فقيل له: لم تبق عليك عقوبة وأنت تسأل النجاة من النار، قال: إني كنت في مَن قاتَلَ الحسين بن علي في كربلاء، فلمّا قُتل رأيت عليه سراويل وتكة حسنة، وذلك بعد ما سلبه الناس، فأردت أن أنتزع التكة، فرفع يده اليمنى ووضعها على التكة، فلم أقدر على دفعها، فقطعتُ يمينه، ثم أردت انتزاع التكة فرفع شماله ووضعها على التكة، فلم أقدر على دفعها، فقطعت شماله.

ثم هممت بنزع السراويل، فسمعت زلزلة فخفت وتركته، فألقى الله علَيّ النوم فنمت بين القتلى، فرأيت كأنّ النبي محمداً أقبل ومعه علي وفاطمة والحسن فأخذوا رأس الحسين، فقبّلَتْه فاطمة وقالت: يا بُنَيّ، قتلوك قتلهم الله، وكأنّه يقول: ذبحني شمر، وقطع يدَيّ هذا النائم. وأشار إليّ، فقالت لي فاطمة: قطع الله يديك ورجليك، وأعمى بصرك وأدخلك النار! فانتبهت وأنا لا أُبصر شيئاً، ثم سقطت يداي ورجلاي مني، فلم يبق من دعائها إلاّ النار [1].

ملك على صورته يحجّ عنه

نقل سبط ابن الجوزي ـ وكان حنبليَّ المذهب ـ في كتابه (تذكرة خواصّ الأمّة): كان عبد الله بن المبارك يحجّ سنة، ويغزو سنة، وداوم على ذلك خمسين سنة. فخرج في بعض سنيّ الحج وأخذ معه خمسمائة دينار إلى موقف الجِمال بالكوفة ليشتري جمالاً للحج، فرأى امرأة علوية على بعض المزابل تنتف ريش بطّة ميتة. قال: فتقدمتُ إليها وقلت: لمَ تفعلين هذا؟

فقالت: يا عبد الله، لا تسأل عما لا يعنيك. قال: فوقع في خاطري من كلامها شيء، فألححت عليها، فقالت: يا عبد الله، قد ألجأتَني إلى كشف

---

١. مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ١٠٢، بحار الأنوار ٤٥: ٣٠٠.

سري إليك، أنا امرأة علوية، ولي أربع بنات يتامى، مات أبوهن من قريب، وهذا اليوم الرابع ما أكلنا شيئاً وقد حلّت لنا المِيتة، فأخذت هذه البطة أُصلحها وأحملها إلى بناتي فنأكلها.

فقلت في نفسي: ويحك يا ابن المبارك! أين أنت عن هذه؟! فقلت: افتحي حِجْرَكِ. ففتحت، فصببتُ الدنانير في طرف إزارها، وهي مطرقة لا تلتفت إليّ. قال: ومضيت إلى المنزل ونزع الله من قلبي شهوة الحجّ في ذلك العام، ثمّ تجهّزت إلى بلادي وأقمت حتى حج الناس وعادوا.

فخرجت أتلقّى جيراني وأصحابي، فجعل كلُّ مَن أقول له: قَبِل الله حجّك وشكر سعيك، يقول لي: وأنت كذلك، أما قد اجتمعنا بك في مكان كذا وكذا. وأكثَرَ علَي الناسُ في القول، فبتّ متفكراً في ذلك، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وهو يقول لي: يا عبد الله، لا تعجب، فإنك أغثتَ ملهوفةً مِن وُلدي، فسألت الله أن يخلق ملكاً على صورتك يحجّ عنك كلّ عام إلى يوم القيامة، فإن شئت أن تحج وإن شئت أن لا تحج (١).

صار نصف وجه الرجل أسوَد

روى عبد الله بن محمّد بن الذرّ، قال: حدّثني عيسى بن عبد الله مولى تميم، عن شيخ من قريش من بني هاشم، قال: رأيت رجلاً بالشام قد اسودّ وجهه وهو يغطّيه، فسألته عن سبب ذلك، فقال: نعم، قد جعلتُ لله علَيّ أن لا يسألني أحد عن ذلك إلاّ أجبته وأخبرته. قال: كنت شديد الوقيعة في علي بن أبي طالب، كثير الذكر له، بينما أنا ذات ليلة نائم إذ أتاني آت في منامي فقال: أنت صاحب الوقيعة في علي عليه السلام؟ فقلت: بلى. فضرب وجهي وقد اسودّ، فبقي

---

١. نقله في: **كشف اليقين**: ٤٨٥ .

كما ترى [١].

ومن المحتّم أن يكون الآتي في قوله: أتاني آت ولياً من أولياء الله تعالى وله الفعل المؤثر، هذا في المنام فكيف يكون لو أتاه في اليقظة، وهذا جزاء الوقيعة في الإمام علي بن أبي طالب وفي أبنائه الأئمة الميامين عليهم السلام.

الشاعر الببّغاء

هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي المعروف بالبَبّغاء، شاعر أديب، له ديوان ومدائح في سيف الدولة، تنقّل في البلاد ومدح الكبار، تُوفّي في شعبان سنة ٣٩٨ هجرية. والشاعر البَبّغاء وفد على بعض الملوك، وكان يفد عليه في كلّ سنة، فوجده (سنةً من السنين) في الصيد، فكتب وزير الملك يخبره بقدومه، فأمره بأن يُسكنه في بعض دوره.

وكان على باب تلك الدار غرفة كان الببّغاء يبيت كلّ ليلة فيها، ولها مطلع إلى الدرب، وكان كلّ ليلة يخرج الحارس بعد نصف الليل فيصيح بأعلى صوته: يا غافلين اذكروا الله [على باغضي معاوية لعنةُ الله]. وكان الشاعر الببغاء ينزعج لصوته، فاتّفق في بعض الليالي أنّ الشاعر رأى في منامه أن النبي صلى الله عليه وآله قد جاء هو وعلي عليه السلام إلى ذلك الدرب ووجد الحارس.

فقال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي، اصفَعْه بيدك، فله اليوم أربعون سنة يسبك. فضربه أمير المؤمنين عليه السلام بين كتفيه، فانتبه الشاعر منزعجاً من المنام، ثمّ انتظر الصوت الذي كان من الحارس كلّ وقت، فلم يسمعه، فتعجب من ذلك، ثمّ رأى صياحاً ورجالاً قد أقبلوا إلى دار الحارس، فسألهم الخبر، فقالوا له: إن الحارس حصل له بين كتفيه ضربة بقدر الكفّ، وهي تتشقق وتمنعه القرار.

---

١. بحار الأنوار ٣٩: ٣١٩، مدينة المعاجز ١: ٣١٤.

فلم يكن وقتُ الصباح إلاّ وقد مات، وشاهده بهذه الحال أربعون نفساً[١].

القلم

الشيخ خضر بن شلاّل بن حطاب الباهلي آل خدام العفكاوي النجفي، تُوفّي سنة ١٢٥٥ هجرية في النجف الأشرف، ودفن بها وقد تجاوز السبعين، وقبره في محلة العمارة مشهور مزور يُتبَّرك به. وفي (دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام) للفاضل الميرزا النوري وصفه بالشيخ المحقق الجليل، والعالم المدقق النبيل، صاحب الكرامات الباهرة المعروفة، كان من أعيان هذه الطائفة وعلمائها الربانيين الذين يُضرَب بهم المثل في الزهد والتقوى واستجابة الدعاء.

ونسب إليه صاحب (الذريعة) أنه ذكر في (التحفة الغروية) أنه كتب كتاب (أبواب الجنان) بالقلم الذي كتب به جملة من مجلّدات التحفة، وهو القلم الذي أعطاه إياه أمير المؤمنين عليه السلام في المنام فوجده بيده بعد الانتباه. انتهى.

ولكنّ الذي حكاه صاحب (الذريعة) نفسه عن المترجم أنّه قال في أواخر كتاب الميراث من (التحفة): وقد عرض على أمير المؤمنين عليه السلام بعض إخواني في العالم الذي من رآهم فيه فقد رآهم، جملةً من طهارة هذا الشرح، فأعطاني بعد أن نظر فيه بعين الرضى أشياء نفيسة، منها قلم لم يَرَ الراؤون مثله، انتهى[٢].

---

١. قال العلامة الحلي في (**كشف اليقين**: ٤٧٩): روى الشيخ العالم ابن بابويه، وهو رجل فاضل من أعقاب الشيخ المصنّف الكبير المعظّم الصدوق أبي جعفر محمّد بن بابويه في كتاب صنّفه في فضائل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، والتزم أن يروي أربعين حديثاً، كلّ حديث يرويه أربعون رجلاً، وذكر فيه قصّة عجيبة، قال .

٢. **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** لآغا بزرگ الطهراني ٣: ٤٥٨ .

خلاصة الفصل الثالث:

١ـ الأدلة النقلية قرآناً وسنّةً بنقل فرق المسلمين دالةٌ على أن القرآن الكريم أو العمل القرآني أو كليهما له حضور وظهور وتجسّم يوم القيامة، يقف مدافعاً أو مخاصماً.

٢ـ وأن رسول الله ﷺ والذرية الطاهرة تحضر وتتجسّم وتظهر للمحتضر حين انتقاله من العالم الدنيوي إلى العالم الأخروي، مؤدين في ذلك الحين دور الشفاعة إن كان العبد من الصالحين، ومتولّين الأمر بعقابه إن كان من العاصين. كما أن صور المجرمين لها تحوّلٌ في ذلك العالم يظهرون بصور تتناسب مع الأعمال التي كانوا عملوها في دار الدنيا، وأن الموت يظهر بصورة كبش أملح فيُذبَح بين الجنة والنار.

٣ـ أنّ انكشاف الحقائق وظهورها متجسمة في عالم اليقظة أمر ليس بالبعيد، بل دلالة الأخبار عليه صريحة وظاهرة، مضافاً إلى أن حصولها لبعض الناس إثر عمل معين أو رحمة ربانية أمر ليس بالغريب.

وأما الظهور في عالم الرؤيا وفي عالم بين اليقظة والرؤيا فأمر طارئ وحادث لكل الناس بالإضافة إلى ما دلّ عليه من آيات كريمة وروايات شريفة.

٤ـ دلّت الروايات الشريفة على حصول رؤيا في المنام يتعقبها أثر مادي في عالم اليقظة، مثل قصة مَن أعماه رسول الله ﷺ، أو المذبوح على فراشه، أو غير ذلك.

الفصل الرابع

المسخ وتبدّل الجمادات

تمهيد

مرّ على القارئ الكريم في الفصل الأول تجسّمُ أعمال الإنسان في القبر والمحشر وتبدّلها إلى صور وأشكال، من غير إصرار منّا على كون ذلك التجسّم والتبدل مادياً.

كما قد مرّ عليك في الفصل الثاني تمثّلُ الملائكة وبروزهم وظهور الجن والشياطين في عالم الدنيا، من غير إصرار على كون ذلك التجسم والتبدل مادياً، بل يمكننا أن نقول: هو صرف ظهور وتجسم وتمثّل.

كما أنه مرّ عليك في الفصل الثالث تجسم القرآن والعمل القرآني ورؤية المحتضر لأهل بيت العصمة رسول الله والأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين حال نزع الروح، وهذا أيضاً ليس فيه إصرار على كون التجسم مادياً.وأما هذا الفصل فقد عقدناه لتبدل الأجسام وتغيرها إلى أجسام مادية أُخرى تغايرها بالفصل وتتّحد معها بالجنس، أو تغايرها بالجنس والفصل معاً.

فصار هذا الفصل معقوداً لبيان مسألتين:

١ـ تبدّل الإنسان إلى حيوان بالمسخ، ومعلوم لدى المَناطقة أن الإنسان متّحد مع بقية الحيوانات بالجنس ومغاير لها بالفصل، فالجنس واحد وهو

الحيوانية والفصل للإنسان الناطق، وللحمار الناهق، وللكلب النابح، وللفرس الصاهل، وهكذا.

٢ـ تبدّل الجماد إلى جماد أو إلى حيوان، كما في تبدّل عصا نبي الله موسى عليه السلام إلى ثعبان مُبين، وتبدّل مصورة الأسد إلى أسد يفترس المستخفّ والمستهزئ بالإمام، وغير ذلك.

هذا مع أننا قد أغمضنا النظر عن التبدلات السريعة الحاصلة بالمعاجز والكرامات مثل تبدّل الماء المالح إلى ماء حلو ببركة مرور نبي أو معصوم على تلك العين، ومثل تبدّل ثمار البستان من رديء إلى جيد، فإن هذا كلّه من قبيل تبدّل في نفس الجنس لم نتطرق له هنا.

١ـ التبدّل بالمسخ

المسخ: تحويل خَلْق عن صورته، وكذلك المشوَّه الخلق. قال الجوهري في (الصحاح): المسخ تحويل صورة إلى ما هو أقبح منها. يقال: مسخه الله قرداً. وفي (التهذيب): تحويل خلق إلى صورة أخرى، مسَخَه اللهُ قرداً يَمسَخُه، وهو مَسْخٌ ومَسيخ، وكذلك المشوَّه الخَلْق. وفي حديث ابن عباس: الجانّ مسيخ الجنّ، كما مسخت القردة من بني إسرائيل. والجانّ: الحيّات الدقاق. ومسيخ: فعيل بمعنى مفعول من المسخ، وهو قلب الخلقة من شيءٍ إلى شيء، ومنه حديث الضباب: إن أمّة من الأمم مُسخت وأخشى أن تكون منها[١].

والمتحصَّل من كلمات اللغويين أن كلمة المسخ تُطلق ويُراد بها معنيان:

الأول: المعنى المصدري، وهو عملية تحويل المخلوق الإلهي وتبديله من

---

١. الصحاح في اللغة ١: ٤٣١، لسان العرب ٣: ٥٥ .

صورة إلى صورة أُخرى تُباينه في الفصل وقد تتحد معه في الجنس، كما في مسخ الإنسان إلى قرد أو خنزير.

الثاني: المعنى الاسم المصدري الحاصل من عملية المسخ، وهو المَمْسوخ، فيقال: القرد مسخ، ويراد بذلك ممسوخ جرت عليه عملية المسخ.

أنواع المسخ

الروايات الشريفة الواردة عن الرسول والعترة الطاهرة صلوات الله عليهم أجمعين تخبرنا عن تكرر حصول حالات المسخ بسبب غضبه سبحانه وتعالى على المخالفين والعاصين أوامَره، وقد أوصلت بعض الروايات الشريفة عدد المسوخات إلى ثلاثة عشر نوعاً، فقد ورد عن مغيرة، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن جده عليهم السلام أجمعين قال: المسوخ من بني آدم ثلاثة عشر صنفاً، منها: القردة والخنازير والخفّاش والضَّبّ [1] و الدبّ والفيل والدُّعْموص [2] والجرِّيث [3] والعقرب وسُهَيل والقنفذ والزُّهرة و العنكبوت.

فأما القردة فكانوا قوماً من بني إسرائيل كانوا ينزلون على شاطئ البحر، اعتدَوا في السبت فصادوا الحيتان فمسخهم الله قردة. وأما الخنازير فكانوا قوماً من بني إسرائيل دعا عليهم عيسى بن مريم عليه السلام فمسخهم الله خنازير.

وأما الخفاش فكانت امرأة مع ظئر لها فسخرتها، فمسخها الله خفاشاً.

وأما الضبّ فكان أعرابياً بدوياً لا يدع عن قتل مَن مرّ به من الناس، فمسخه الله ضباً.

---

١. يكنى أبا حسل، يقال: إنه لا يشرب ماءً أبداً، كما في **ترتيب إصلاح المنطق**: ٢٣١ .

٢. دويبة تكون في الماء، كما في **كتاب العين** ٢: ٣٢٨، **والصحاح** ٣: ١٠٤ .

٣. ضرب من السمك يشبه الحيات، كما في **النهاية** ١: ٢٥٤ .

وأما الدبّ فكان رجلاً يسرق الحاجَّ فمسخه الله دبّاً.

وأما الفيل فكان رجلاً ينكح البهائم، فمسخه الله فيلاً.

وأما الدُّعموص فكان رجلاً زانيَ الفرج لا يدع من شيء، فمسخه الله دعموصاً.

وأما الجِرِّيث فكان رجلاً نمّاماً فمسخه الله جرّيثاً. وأما العقرب فكان رجلاً همّازاً لمّازاً فمسخه الله عقرباً.

وأما سهيل فكان رجلاً عشّاراً صاحب مكاس، فمسخه الله كوكباً.

وأما الزهرة فكانت امرأة فتنت هاروت وماروت فمسخها الله.

وأما العنكبوت فكانت امرأة سيئة الخُلق عاصية لزوجها مولّية عنه، فمسخها الله عنكبوتاً.

وأما القنفذ فكان رجلاً سيّئ الخلق، فمسخه الله قنفذاً [١].

وقد ذُكر في هذا الحديث سهيل والزهرة، وسيأتيك كلام الشيخ الصدوق في شأنهما.

وبالنتيجة فالمسخ حالة تنزيل من الخلقة الإنسانية إلى نوع من الخلقة الحيوانية، بسبب مخالفة أو ارتكاب ذنب يوجب غضب الرحمن على ذلك المخالف.

والخبر واضح في أن المسوخات بعضها يرتبط بالامم السابقة كالقردة والخنازير، وبعضها لا يرتبط بأمّة ولا بالامم، بل كان مرتبطاً بأشخاص جاوزوا حدودهم فمُسخوا وتنزّلوا من الحالة الإنسانية إلى الحالة الحيوانية.

---

١. **الخصال**: ٤٩٣ / ح ١: حدّثنا محمّد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطار، عن محمّد بن أحمد بن يحيى، قال: حدّثنا محمّد بن الحسين، عن علي بن أسباط، عن علي بن جعفر .

وعن الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام قال: «سُئل رسول اللهصلى الله عليه وآله عن المسوخ، قال: هم ثلاثة عشر: الفيل والدب والخنزير والقرد والجرّي والضبّ والوطواط[١] والدُّعموص والعقرب والعنكبوت والأرنب والزهرة وسهيل، فقيل: يا رسول الله، ما كان سبب مسخهم؟

قال: أما الفيل فكان رجلاً لُوطيّاً لا يدع رطباً ولا يابساً.

وأما الدبّ فكان رجلاً مخنّثاً يدعو الرجال إلى نفسه.

وأما الخنزير فقوم نصارى سألوا ربهم تعالى أن ينزل المائدة عليهم، فلمّا نزلت عليهم كانوا أشدّ كفراً وأشدّ تكذيباً. وأما القردة فقوم اعتدَوا في السبت.

وأما الجرّي فكان دَيُّوثاً يدعو الرجال إلى أهله.

وأما الضبّ فكان أعرابياً يسرق الحاج بمحجنه[٢]. وأما الوطواط فكان يسرق الثمار من رؤوس النخل.

وأما الدعموص فكان نمّاماً يفرّق بين الأحبة.

وأما العقرب فكان رجلاً لذّاعاً لا يَسلَم من لسانه أحد.

وأما العنكبوت فكانت امرأة سحرت زوجها.

وأما الأرنب فكانت امرأة لا تطهر من حيض ولا غيره.

وأما سهيل فكان عشاراً باليمن. وأما الزهرة فكانت امرأة نصرانية وكانت لبعض ملوك بني إسرائيل، وهي التي فتن بها هاروت وماروت، وكان اسمها ناهيل والناس يقولون: ناهيد».

قال محمّد بن علي بن الحسين (الصدوق) مصنف هذا الكتاب: إنّ الناس

---

١. يقال: هو الخفاش كما في (**الصحاح** ٣: ١١٦٨).

٢. المحجن: عصا في رأسها اعوجاج، كما في (**تاج العروس** ٩: ١٧١) وفي (**النهاية في غريب الحديث** ١: ٣٤٧) المحجن كالصولجان آلة يُجذَب بها الشيء.

يغلطون في الزهرة وسهيل، ويقولون: إنهما كوكبان، وليسا كما يقولون، ولكنّهما دابّتان من دوابّ البحر سُمِّيتا بكوكبين، كما سُمّي الحمل والثور والسرطان والأسد والعقرب والحوت والجدي، وهذه حيوانات سميت على أسماء الكواكب، وكذلك الزهرة وسهيل، وإنما غلط الناس فيهما دون غيرهما لتعذّر مشاهدتهما والنظر إليهما، لأنهما من البحر المطيف بالدنيا بحيث لا تبلغه سفينة ولا تعمل فيه حيلة، وما كان الله تعالى ليمسخ العُصاة أنواراً مضيئة فيبقيهما ما بقيت الأرض والسماء.

والمسوخ لم تبق أكثر من ثلاثة أيام حتى ماتت، وهذه الحيوانات التي تسمى المسوخ فالمسوخية لها اسم مستعار مجازي، بل هي المسوخ التي حرم الله تعالى ذِكرُه أكلَ لحومها لما فيه من المضار. وقال أبو جعفر الباقرعليه السلام: «نهى الله تعالى عن أكل المُثلة لكيلا يُنتَفَع بها ولا يُستخفَّ بعقوبته»[1].

وأنك ترى اختلاف هذا الخبر عن سابقه في بيان أسماء الممسوخات وبيان علة المسخ، وسيتبيّن لك سبب ذلك وقد ورد ذكر بعض الممسوخات في رواية عن محمّد بن سليمان الديلمي عن الرضاعليه السلام أنه قال: «كانت الخفّاش امرأة سحرت ضرّةً لها فمسخها الله تعالى خفاشاً.

وإن الفأر كان سبطاً من اليهود غضب الله عليهم فمسخهم فأراً.

وإنّ البعوض كان رجلاً يستهزئ بالأنبياءعليهم السلام ويشتمهم ويكلح في

---

١. **علل الشرائع** ٢: ٤٨٨ / ح ٥: حدّثنا أبو الحسن علي بن عبد الله الأسواري، قال: حدّثنا مكي بن أحمد بن سعدويه البرذعي، قال: حدّثنا أبو زكريا بن يحيى بن عبيد العطار بدمياط، قال: حدّثنا القلانسي، قال: حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي، قال: حدّثنا علي بن جعفر، عن معتب مولى جعفر عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه .

وجوههم ويصفّق بيديه، فمسخه الله تعالى بعوضاً. وإنّ القملة هي من الجسد، وإنّ نبياً من أنبياء بني إسرائيل كان قائماً يصلي إذ أقبل إليه سفيه من سفهاء بني إسرائيل فجعل يهزأ به ويكلح في وجهه، فما برح من مكانه حتى مسخه الله سبحانه وتعالى قملة.

وإن الوزغ كان سبطاً من أسباط بني إسرائيل يسبّون أولاد الأنبياء ويبغضونهم، فمسخهم الله أوزاغاً.

وأما العنقاء[١] فمن غضب الله تعالى عليه، فمسخه وجعله مثله، فنعوذ بالله من غضب الله ونقمته»[٢].

وكأن هذا الخبر مخصوص لبيان أسباب المسخ الفردي لا الجماعي.

وفي تفسير الإمامعليه السلام: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «يا عباد الله، إنّ قوم عيسى لما سألوه أن يُنزل عليهم مائدة من السماء ﴿**قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ**﴾[٣]، فأنزلها عليهم، فمن كفر منهم بَعدُ مَسَخه الله إما خنزيراً وإما قرداً وإما دبّاً وإمّا هرّاً، وإما على صورة بعض الطيور والدوابّ التي في البر والبحر، حتى مُسِخوا على أربعمائة نوع من المسخ»[٤].

وهذه الرواية الشريفة المصرحة بحصول أربعمائة نوع من المسخ في واقعة واحدة تسهّل لنا أمر الجمع بين الروايات المتقدمة، حيث إنّ كلّ

---

١. العنقاء: طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم لم يره أحد، كما في (**النهاية** ٣: ٣١٢).

٢. **علل الشرائع** ٢: ٤٨٦ / ح ٣: حدّثنا علي بن عبد الله الورّاق رضي الله عنه قال: حدّثنا سعد بن عبد الله قال: حدّثنا عبّاد بن سليمان.

٣. المائدة: ١١٥.

٤. **التفسير المنسوب للإمام العسكري** عليه السلام: ٥٦٥، **مستدرك الوسائل** ١٦: ١٧٠ / ح ١٩٤٨٢.

واحدة منها صريحة في حصول أنواع من المسخ تغاير الأنواع التي ذكرتها الرواية الأخرى، فما دام أنواع المسخ قد بلغت هذا الحد فلا بدّ من أن تكون كلّ رواية مبينةً لحالات، وحاكيةً عن حادثة غير التي ذكرتها الرواية الأخرى.

نعم هنا سؤال مفاده: إذا كان هؤلاء قد مسخوا لهذه الأسباب، فلماذا لم يحدث ولم يتكرر المسخ في هذه الأزمنة خصوصاً وإنّ البعض من الناس قد ارتكب الفظيع من المحرمات وتجاوز حدود الله تعالى في إصراره على ارتكاب الموبقات؟ وقد يكون حصول مثل هذه الآيات مشروطاً بحضور المعصوم عليه السلام من نبي أو وصي، أو بإرادته ودعائه على ذلك الشخص أو تلك الامة لا بدعاء أي شخص كان.

المسخ في بني إسرائيل

أخبر القرآن الكريم أنّ الله تعالى غضب على جماعة من بني إسرائيل وتَحقّق المسخ في تلك الأمة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[١].

قال في (مجمع البيان) مبيّناً جرم أُولئك: هم الذين جاوزوا ما أُمروا به من ترك الصيد يوم السبت، وكان الحيتان تجتمع في يوم السبت لأمنها، فحبسوها في السبت، وأخذوها في الأحد، فاعتدوا في السبت، أي: ظلموا وتجاوزوا ما حُدّ لهم، لأن صيدها هو حبسها.

وروي عن الحسن أنهم اصطادوا يوم السبت مستحلّين بعدما نُهوا عنه. وقوله تعالى ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ إخبار عن سرعة فعله ومسخه إياهم، لا أنّ هناك أمراً، ومعناه: وجعلناهم قردة. قال ابن عباس: فمسخهم الله

---

١. البقرة: ٦٥.

تعالى عقوبة لهم، وكانوا يتعاوَون، وبقوا ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا، ثمّ أهلكهم الله تعالى، وجاءت ريح فهبت بهم وألقتهم في الماء، وما مسخ الله أمة إلاّ أهلكها.

وهذه القردة والخنازير ليست من نسل أولئك، ولكنّ مَسْخَ أولئك على صورة هؤلاء يدلّ عليه إجماع المسلمين، على أنه ليس في القردة والخنازير من هو مِن أولاد آدم، ولو كانت من أولاد الممسوخين لكانت من بني آدم. وقال مجاهد: لم يُمسَخوا قردة، وإنما هو مَثَلٌ ضربه الله، كما قال: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[١]. وحكي عنه أيضاً أنه مُسِخت قلوبهم فجُعِلت كقلوب القردة، لا تقبل وعظاً، ولا تتقي زجراً. وهذان القولان يخالفان الظاهر الذي أكثر المفسرين عليه من غير ضرورة تدعو إليه[٢].

بيان السيد المرتضى

وقال السيد المرتضى رضي الله عنه حين سأله سائل: تأوّل سيّدنا ـ أدام الله نعماءه ـ ما ورد في المسوخ مثل الدبّ والقرد والفيل والخنزير وما شاكل ذلك، على أنّها كانت على خِلَقٍ جميلة غير منفور عنها، ثمّ جعلت هذه الصور المسيئة على سبيل التنفير عنها والزيادة في الصدّ عن الانتفاع بها، وقال: لأن بعض الأحياء لا يجوز أن يصير حيّاً آخر غيره، إذا أريد بالمسخ هذا فهو باطل، وإن أريد غيره نظرنا فيه.

فما جواب من سأل عند سماع هذا عن الأخبار الواردة عن النبي والأئمةعليهم السلام بأن الله تعالى يمسخ قوماً من هذه الأمة قبل يوم القيامة كما مسخ

---

١. الجمعة: ٥، وسيأتيك توضيح أكثر لقول مجاهد بعد نهاية كلام السيد المرتضى.

٢. **مجمع البيان** ١: ٢٤٧.

في الأمم المتقدمة، وهي كثيرة لا يمكن الإطالة بحصرها في كتاب؟

وقد سلّم الشيخ المفيد رضي الله عنه صحّتها ضمن ذلك الكتاب الذي وسمه بالتمهيد، وأحال القول بالتناسخ، وذكر أن الأخبار المعوّل عليها لم ترد إلاّ بأن الله تعالى يمسخ قوماً قبل يوم القيامة. وقد روى النعماني كثيراً من ذلك، ويُحتمَل النسخ والمسخ معاً، فمما رواه ما أورده في كتاب (التسلي والتقوى).

وأُسند إلى الإمام الصادقعليه السلام حديث طويل يقول في آخره: «وإذا احتضر الكافر حضره رسول الله وعلي وجبرئيل وملك الموتعليهم السلام، فيدنو إليه عليعليه السلام فيقول: يا رسول الله، إنّ هذا كان يبغضنا أهلَ البيت فأبغضه. فيقول رسول الله: يا جبرئيل، إنّ هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأبغضه. فيقول جبرئيل لملك الموت: إنّ هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيته فأبغضه وأعنف به! فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله! أخذت فكاك رقبتك؟ أخذت أمان براءتك؟ تمسكت بالعصمة الكبرى في دار الحياة الدنيا؟ فيقول: وما هي؟

فيقول: ولاية علي بن أبي طالبعليه السلام فيقول: ما أعرفها ولا أعتقد بها. فيقول له جبرئيل: يا عدو الله! وما كنتَ تعتقد؟ فيقول: كذا وكذا، فيقول له جبرئيل: أبشر يا عدو الله بسخط الله وعذابه في النار! وأمّا ما كنت ترجو فقد فاتك، وأما الذي كنت تخافه فقد نزل بك. ثمّ يسلّ نفسه سلاً عنيفاً، ثمّ يوكل بروحه مائة شيطان كلّهم يبصق في وجهه ويتأذى بريحه، فإذا وُضع في قبره فُتح له باب من أبواب النار، يدخل عليه من فوح ريحها ولهبها.

ثم إنه يؤتى بروحه إلى جبال برهوت، ثمّ إنه يصير في المركبات حتى أنه يصير في دودة بعد أن يجري في كلّ مسخ مسخوط عليه، حتى يقوم قائمنا

أهل البيت فيبعثه الله ليضرب عنقه، وذلك قوله: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[١].

والله لقد أُتي بعمر بن سعد بعدما قُتل، وإنه لفي صورة قرد في عنقه سلسلة فجعل يعرف أهل الدار وهم لا يعرفونه، والله لا تذهب الدنيا حتى يُمسَخ عدوُّنا مسخاً ظاهراً، حتّى أنّ الرجل منهم ليمسخ في حياته قرداً أو خنزيراً، ومن ورائهم عذاب غليظ، ومن ورائهم جهنّم وساءت مصيراً»[٢].

والأخبار في هذا المعنى كثيرة قد جازت عن حد الآحاد، فإن استحال النسخ وعوّلنا على أنه أُلحق بها ودُلّس فيها وأُضيف إليها، فماذا يحيل المسخ؟ وقد صرح به فيها وفي قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾[٣]، وقوله: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[٤] وقوله ﴿وَلَوْ نَشَاء لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾[٥].

والأخبار ناطقة بأن معنى هذا المسخ هو إحالة التغيير عن بنية الإنسانية إلى ما سواها. وفي الخبر المشهور عن حذيفة أنه كان يقول: أرأيتم لو قلت لكم إنه يكون فيكم قردة وخنازير، أكنتم مصدّقيّ؟ فقال رجل: يكون فينا قردة وخنازير؟! قال: وما يُؤْمِنك من ذلك لا أمّ لك؟![٦]. وهذا تصريح بالمسخ، وقد تواترت الأخبار بما يفيد أن معناه تغيير الهيئة والصورة. وعلى هذا، فما

---

١. غافر: ١١ .

٢. نقله في **بحار الأنوار** ٥٨: ١١١، عن المرتضى .

٣. المائدة: ٦٠ .

٤. البقرة: ٦٥ .

٥. يس: ٦٧ .

٦. **بحار الأنوار** ٥٨: ١١١ .

تقدم من أن المسوخ لم تبق أكثر من ثلاثة أيام قد يكون خاصاً بالأمم السابقة، وهذا لا يمنع من جريان المسخ وحصوله في هذه الأمة.

وفي الأحاديث أن رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام وقد حكم عليه بحكم: والله ما حكمتَ بالحق! فقال له: «إخسأْ كلباً». وإن الأثواب تطايرت عنه وصار كلباً يمصع بذَنَبه! وإذا جاز أن يجعل الله جلّ وعزّ الجماد حيواناً فمن ذا الذي يحيل جَعْلَ حيوان في صورة حيوان آخر؟

فأجاب قدس سره: اعلم أنّا لم نحل المسخ، وإنما أحلنا أن يصير الحي الذي كان إنساناً الحي الذي كان قرداً أو خنزيراً، والمسخ أن يغير صورة الحي الذي كان إنساناً يصير بهيمة، لا أنه يتغير صورته إلى صورة البهيمة، والأصل في المسخ قوله تعالى: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾[2].

وقد تأول قوم من المفسرين آيات القرآن التي في ظاهرها المسخ على أنّ المراد بها أنّا حكمنا بنجاستهم وخسّةِ منزلتهم وإيضاع أقدارهم لما كفروا وخالفوا، فجروا بذلك مجرى القرود التي لها هذه الأحكام، كما يقول أحدنا لغيره: ناظرتُ فلاناً وأقمت عليه الحجة حتى مسخته كلباً، على هذا المعنى.

وقال آخرون: بل أراد بالمسخ أن الله تعالى غيّر صورهم وجعلهم على صور القرود على سبيل العقوبة لهم والتنفير عنهم، وذلك جائز مقدور لا مانع منه. وهو أشبه بالظاهر وأمر عليه، والتأويل الأول ترك الظاهر، وإنما تُترَك الظواهر لضرورة، وليست هاهنا.

---

١. البقرة: ٦٥ .

٢. المائدة: ٦٠ .

فإن قيل: فكيف يكون ما ذكرتم عقوبة؟

قلنا: هذه الخلقة إذا ابتدأت لم تكن عقوبة، وإذا غُيِّر الحي المخلوق على الخلقة التامة الجميلة إليها كان ذلك عقوبة؛ لأنّ تغير الحال إلى ما ذكرناه يقتضي الغمَّ والحسرة.

فإن قيل: فيجب أن يكون مع تغير الصورة ناساً قردة، وذلك متناف.

قلنا: متى تغيرت صورة الإنسان إلى صورة القرد لم يكن في تلك الحال إنساناً، بل كان إنساناً مع البنية الأولى، واستحق الوصف بأنه قرد لمّا صار على صورته، وإن كان الحي واحداً في الحالين لم يتغير، ويجب فيمن مُسخ قرداً على سبيل العقوبة له أن يذمه مع تغير الصورة على ما كان منه من القبائح، لأنّ تغير الهيئة والصورة لا يوجب الخروج عن استحقاق الذم، كما لا يخرج المهزول إذا سمن عما كان يستحقه من الذم، وكذا السمين إذا هزل.

فإن قيل: فيقولون: إن هؤلاء الممسوخين تناسلوا، وإن القردة في أزماننا هذه من نسل أولئك.

قلنا: ليس يمتنع أن يتناسلوا بعد أن مُسِخوا، لكن الإجماع حاصل على أنه ليس شيء من البهائم من أولاد آدم، ولولا هذا الإجماع لجوّزنا ما ذُكر. وعلى هذه الجملة التي قررناها لا يُنكر صحة الأخبار الواردة من طرقنا بالمسخ؛ لأنها كلّها يتضمن وقوع ذلك على من يستحق العقوبة والذم من الأعداء والمخالفين.

فإن قيل: أفتجوّزون أن يغير الله تعالى صورة حيوان جميلة إلى صورة أُخرى غير جميلة، بل مشوهة منفور عنها، أم لا تجوّزون؟

قلنا: إنما أجزنا في الأول ذلك على سبيل العقوبة لصاحب هذه الخلقة التي كانت جميلة ثمّ تغيرت، لأنه يغتم بذلك ويتأسف، وهذا الغرض لا يتم في

الحيوان الذي ليس بمكلف، فتغيير صورهم عبث، فإن كان في ذلك غرض يحسن لمثله جاز...انتهى[١].

وظاهر كلامه رحمه الله أولاً وآخراً أنّ الإنسان عند المسخ يخرج عن حقيقة الإنسانية ويدخل في نوع آخر، وفيه نظر.

والحق أن امتياز نوع الإنسان إذا كان بهذا الهيكل المخصوص وهذا الشكل والتخطيط والهيئة فلا يكون هذا إنساناً، بل قرداً وخنزيراً، وإن كان امتيازه بالروح المجرد أو الساري في البدن ـ كما هو الأصوب ـ كانت الإنسانية باقية غير ذاهبة، وكان إنساناً في صورة حيوان، ولم يخرج من نوع الإنسان ولم يدخل في نوع آخر[٢].

وقد روي عن أبي جعفر عليه السلام أن الفرقة المعتزلة عن أهل السبت لما دخلوا قريتهم بعد مسخهم، عرفت القردة أنسابها من الإنس، ولم يعرف الإنس أنسابها من القردة، فقال القوم للقردة: ألم ننهكم؟[٣]

وفي **تفسير الإمام العسكري** عليه السلام: فمسخهم الله كلّهم قردة وبقي باب المدينة مغلقاً لا يخرج منهم أحد ولا يدخل إليهم أحد، وتسامع بذلك أهل القرى، فقصدوهم وتسنموا حيطان البلد فاطّلعوا عليهم، فإذا كلّهم رجالهم ونساؤهم قردةٌ يموج بعضهم في بعض، يعرف هؤلاء الناظرون معارفهم وقراباتهم وخلطاءهم، يقول المطلع لبعضهم: أنت فلان، أنت فلان؟ فتدمع عيناه ويومئ برأسه بـ: لا أو نعم[٤].

---

١. **رسائل السيد المرتضى** ١: ٣٥٠.

٢. **بحار الأنوار** ٥٨: ١١٣.

٣. **تفسير العياشي** ٢: ٣٤ / ح٩٣، **تفسير القمي** ١: ٢٤٥، **بحار الأنوار** ١٤: ٥٣، و ج ٥٨: ١١٣.

٤. **التفسير المنسوب للإمام العسكري** عليه السلام: ٢٧٠، **بحار الأنوار** ١٤: ٥٨.

فهذان الخبران يدلان على أنهم لم يتخلعوا من الإنسانية، وكان فيهم العقل والشعور إلاّ أنهم كانوا لا يقدرون على التكلّم، قال النيسابوري في قوله سبحانه ﴿**كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾[١]: عن مجاهد أنه مَسَخ قلوبهم، بمعنى الطبع والختم، لا أنه مسخ صورهم، وهو مثل قوله: ﴿**كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً**﴾[٢].

واحتج: بأن الإنسان هو هذا الهيكل المحسوس، فإذا أبطله وخلق مكانه تركيب القرد رجع حاصل المسخ إلى إعدام الأعراض التي باعتبارها كان ذلك الجسم إنساناً وإيجاد أعراض أُخَر باعتبارها صار قرداً. وأيضاً لو جوّزنا ذلك لم نؤمن في كلّ ما نراه قرداً وكلباً أنه كان إنساناً عاقلاً، وذلك شك في المشاهدات.

وأجيب: بأن الإنسان ليس هذا الهيكل، لتبدله بالسمن والهزال، فهو أمر وراء ذلك، إما جسماني سارٍ في جميع البدن، أو جزء في جانب من البدن كقلب أو دماغ، أو مجرد كما تقوله الفلاسفة، وعلى التقادير فلا امتناع في بقاء ذلك الشيء مع تطرّق التغيّر إلى هذا الهيكل، وهذا هو المسخ.

وبهذا التأويل يجوز في المَلَك الذي تكون جثته في غاية العظم أن يدخل حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ولأنه لم يتغير منهم إلاّ الخلقة والصورة، والعقل والفهم باق، فإنهم يعرفون ما نالهم بشؤم المعصية من تغير الخلقة وتشويه الصورة وعدم القدرة على النطق، وسائر الخواص الإنسانية، فيتألمون بذلك ويتعذّبون[٣].

---

١. البقرة: ٦٥.

٢. الجمعة: ٥.

٣. **رسائل السيد المرتضى** ١: ٣٥٦.

لم يبقوا أكثر من ثلاثة أيام

ثم أولئك القرود بقوا أو أفناهم الله؟ فإن بقوا فهذه القرود التي في زماننا من نسلهم أم لا؟ الكل سائر عقلاً، إلاّ أن الرواية عن ابن عباس: أنهم ما مكثوا إلاّ ثلاثة أيام، ثمّ هلكوا[١]. أقول: قد ورد في أخبارنا أيضاً موافقاً لما روي عن ابن عباس، كما في تفسير العسكري عليه السلام: كانوا كذلك ثلاثة أيام، ثمّ بعث الله عليهم ريحاً ومطراً فجرفهم إلى البحر، وما بقي مسخ بعد ثلاثة أيام، وأما التي تَرَون من هذه المصورات بصورها فإنما هي أشباهها لا هي بأعيانها ولا من نسلها[٢].

وهذا الخبر صريح في تثبيت كلام ابن عباس لو سلم سند هذا الخبر، ويعتضد بما روى الصدوق في (العلل) بإسناده عن عبد الله بن الفضل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[٣] قال: «إنّ أولئك مُسِخوا ثلاثة أيام، ثمّ ماتوا ولم يتناسلوا، وإن القردة اليوم مثل أولئك، وكذلك الخنزير وسائر المسوخ ما وُجِد منها اليوم من شيءٍ فهو مثله، لا يحلّ أن يُؤكل لحمه...» الخبر[٤].

وروى في (العيون) بإسناده عن علي بن محمّد بن الجهم قال: سمعت المأمون يسأل الرضا عليه السلام عما يرويه الناس من أمر الزهرة، وأنها كانت امرأة فُتن بها هاروت وماروت، وما يَرْوُونه من أمر سهيل أنه كان عشّاراً باليمن.

---

١. مجمع البيان ١: ٢٤٧ .

٢. التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ٢٧٠، بحار الأنوار ٥٨: ١١٥ .

٣. البقرة: ٦٥ .

٤. علل الشرائع ١: ٢٢٧ .

فقال عليه السلام: «كذبوا في قولهم، إنهما كوكبان، وإنهما كانتا دابتين من دواب البحر، فغلط الناس وظنوا أنهما الكوكبان، وما كان الله ليمسخ أعداءه أنواراً مضيئة، ثمّ يُبقيهما ما بقيت السماء والأرض، وإن المسوخ لم يبقَ أكثر من ثلاثة أيام حتى ماتت، وما تناسل منها شيء، وما على وجه الأرض اليوم مسخ، وإنّ التي وقعت عليها اسم المسوخية مثل القرد والخنزير والدب وأشباهها، إنما هي مِثلُ ما مَسَخ الله عزّ وجلّ على صورها قوماً غضب الله عليهم ولعنهم، بإنكارهم توحيد الله وتكذيبهم رسلَه...» الخبر[1].

وقد ثبت بهذه الأخبار أن هذه الحيوانات ليست من نسل هؤلاء المسوخ ولا من نوعهم، وإنما هي على صورهم.

شبه عيسى

قد حصل تبدّل في خلقة واحد من حواريي نبي الله عيسى أو في جميع الذين كانوا معه، فصار كلّ واحد منهم يشبه النبي عيسى عليه السلام، قال الشيخ الطوسي في (التبيان) في ذيل قوله تعالى: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾[2].

واختلفوا في كيفية التشبيه الذي شبه لليهود في أمر عيسى، فقال وهب بن منبَّه: أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم، فلمّا دخلوا عليهم صيرهم الله كلّهم على صورة عيسى، فقالوا لهم: سحرتمونا!

---

١. **عيون أخبار الرضا** عليه السلام ٢: ٢٤٥ / ح ٢.

٢. النساء: ١٥٧ و ١٥٨.

ليبرزنّ لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعاً، فقال عيسى لأصحابه: من يشري نفسه منكم اليوم بالجنة؟ فقال رجل منهم: أنا. فخرج إليهم فقال: أنا عيسى. وقد صيره الله على صورة عيسى، فأخذوه وقتلوه، وصلبوه. فمِن ثَمّ شُبِّه لهم وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى، وظنت النصارى مثل ذلك أنه عيسى، ورفع الله عيسى من يومه ذلك. وبه قال قتادة والسدي وابن إسحاق ومجاهد وابن جريج.

ولم يذكر أحد غير وهب أن شَبهَه أُلقي على جميعهم، بل قالوا: ألقي شبهه على واحد، ورُفع عيسى مِن بينهم.

قال ابن إسحاق: وكان اسم الذي أُلقي عليه شبهه سرجس، وكان أحد الحواريين، ويقال: إن الذي دلّهم عليه ـ وقال: هذا عيسى ـ أحدُ الحواريين، أخذ على ذلك ثلاثين درهماً، وكان منافقاً، ثمّ إنه ندم على ذلك فاختنق حتى قتل نفسه، وكان اسمه بودس زكريا بوطا، وهو ملعون في النصارى، وبعض النصارى يقول: إن بودس زكريا بوطا هو الذي شُبِّه لهم فصلبوه، وهو يقول: لستُ بصاحبكم الذي دللتكم عليه!

قال الطبري: الأقوى قول ابن المنبه، وهو أنّ سبعة عشر أُلقي على جماعتهم شَبَهُ عيسى، لأنه لو كان ألقي على واحد منهم مع قول عيسى: أيكم يُلقى عليه شبهي وله الجنة؟! ثمّ رأوا عيسى قد رُفع من بين أيديهم لمّا اشتبه عليهم، وما اختلفوا فيه، وإن جاز أن يشتبه على أعدائهم من اليهود الذين لم يكونوا يعرفونه، لكن لما أُلقي شبهه على جميعهم فكان يُرى كلّ واحد بصورة عيسى، فلمّا قُتل واحد منهم اشتبه الحال عليهم. وهذا الذي ذكره قريب.

وقال الجبائي: وجه التشبيه أنّ رؤساء اليهود أخذوا إنساناً فقتلوه وصلبوه

على موضع عال، ولم يمكنوا أحداً من الدنو منه، فتغيرت حليته وتنكرت صورته وقالوا: قتَلْنا عيسى! ليُوهموا بذلك على عوامّهم، لأنهم كانوا أحاطوا بالبيت الذي فيه عيسى فلمّا دخلوه كان رفع عيسى من بينهم، فخافوا أن يكون ذلك سبب إيمان اليهود به، ففعلوا ذلك. والذين اختلفوا غير الذين صلبوا مَن صلبوه، وهم باقي اليهود.

فإن قيل: هل يجوز أن يُلقيَ الله شَبَهَ زيد على عمرو حتى لا يفصل الناظر إليهما بينهما، كما كان يفصل قبل إلقاء الشبه؟

قيل: ذلك مقدور لله بلا خلاف، ويجوز أن يفعله عندنا تغليظاً للمحنة وتشديداً للتكليف، وإن كان ذلك خارقاً للعادة، يجوز أن يجعل ذلك معجزة أو كرامة، لبعض أوليائه الصالحين، أو الأئمة المعصومين عليهم السلام. وعند المعتزلة لا يجوز ذلك إلاّ على يَدي الأنبياء أو في وقتهم، لأنه لا يجوز خرق العادة عنهم إلاّ على يده.

وقد قيل: إن أصحاب عيسى عليه السلام تفرقوا عنه حتّى لم يَبقَ غير عيسى، وغير الذي أُلقي شبهه عليه، فلذلك اشتبه على النصارى.

فإن قيل: كيف يجوز من الخلق العظيم أن يخبروا بالشيء على خلاف ما هو به، وقد علمنا كثرة اليهود والنصارى، ومع كثرتهم أخبروا أن عيسى صُلب وقتل، فكيف يجوز أن يكونوا مع كثرتهم كذّابين؟ ولئن جاز هذا لم نثق بعدُ بشيء من الأخبار أصلاً، ويؤدي ذلك إلى قول السنمية!

قلنا: هؤلاء القوم دخلت عليهم الشبهة، لأن اليهود لم يكونوا يعرفون عيسى، وإنما أُخبروا أنهم قتلوا واحداً، وقيل لهم: إنه عيسى! فهم في ذلك صادقون، وإن لم يكن المقتول عيسى. وأما النصارى فاشتبه عليهم، لأنه كان أُلقي شَبَهُه على غيره، فلمّا رأوا من هو في صورته مقتولاً ظنوا أنه عيسى،

فلم يخبر أحد من الفريقين بما ظن أن الأمر على ما أُخبر به، فلا يؤدي ذلك إلى بطلان الأخبار بحال(١).

وفي تفسير (مجمع البيان): قال ابن عباس: لما أراد ملك بني إسرائيل قتلَ عيسى عليه السلام، دخل خوخته، وفيها كوة. فرفعه جبرائيل من الكوة إلى السماء، وقال الملك لرجل منهم خبيث: أدخل عليه فاقتله. فدخل الخَوْخة(٢) فألقى الله عليه شَبَهَ عيسى، فخرج إلى أصحابه يخبرهم أنه ليس في البيت، فقتلوه وصلبوه وظنوا أنه عيسى!

وقال وهب: أسروه، ونصبوا له خشبة ليصلبوه، فأظلمّت الأرض، وأرسل الله الملائكة فحالوا بينه وبينهم، فأخذوا رجلاً يقال له يهوذا، وهو الذي دلّهم على المسيح، وذلك أن عيسى جمع الحواريين تلك الليلة وأوصاهم، ثمّ قال: ليكفرَنّ بي أحدُكم قبل أن يصيح الديك، ويبيعني بدراهم يسيرة. فخرجوا وتفرقوا. وكانت اليهود تطلبه، فأتى أحد الحواريين إليهم فقال: ما تجعلون لي إن أدلكم عليه؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً، فأخذها، ودلهم عليه.

فألقى الله عليه شَبَهَ عيسى عليه السلام لما دخل البيت، ورفع عيسى، فأُخذ، فقال: أنا الذي دللتكم عليه! فلم يلتفتوا إلى قوله، وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى. فلمّا صُلب شِبه عيسى عليه السلام وأتى على ذلك سبعة أيام، قال الله عزّ وجلّ لعيسى: اهبط على مريم لتجمع لك الحواريين، وتبثهم في الأرض دعاة. فهبط واشتعل الجبل نوراً، فجَمَعت له الحواريين، فبثهم في الأرض دعاة، ثمّ رفعه الله سبحانه(٣).

---

١. **التبيان** ٣: ٣٨٢.

٢. الخوخة: كُوّة تؤدّي الضوء إلى البيت.

٣. **مجمع البيان** ٢: ٣٠٤.

واختلفوا في كيفية التشبيه: فروي عن ابن عباس أنه قال: لما مسخ الله تعالى الذين سَبَوا عيسى وأمه بدعائه، بلغ ذلك يهوذا وهو رأس اليهود، فخاف أن يدعو عليه، فجمع اليهود فاتفقوا على قتله، فبعث الله تعالى جبرائيل يمنعه منهم، ويعينه عليهم. وذلك معنى قوله سبحانه: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[١]، فاجتمع اليهود حول عيسى، فجعلوا يسألونه فيقول لهم: يا معشر اليهود! إن الله تعالى يبغضكم! فساروا إليه ليقتلوه، فأدخله جبرائيل في خوخة البيت الداخل لها روزنة في سقفها، فرفعه جبرائيل إلى السماء، فبعث يهوذا رأس اليهود رجلاً من أصحابه اسمه طيطانوس، ليدخل عليه الخوخة فيقتله، فدخل فلم يره، فأبطأ عليهم، فظنوا أنه يقاتله في الخوخة، فألقى الله عليه شبه عيسى. فلمّا خرج على أصحابه، قتلوه وصلبوه!

وقيل: أُلقيَ عليه شبه وجه عيسى، ولم يُلقَ عليه شبه جسده، فقال بعض القوم: إن الوجه وجه عيسى، والجسد جسد طيطانوس! وقال بعضهم: إن كان هذا طيطانوس فأين عيسى؟ وإن كان هذا عيسى فأين طيطانوس؟ فاشتبه الأمر عليهم.

وبعض النصارى يقول: إن بودس زكريا بوطا، هو الذي شُبِّه لهم، فصلبوه وهو يقول: لستُ بصاحبكم! (أي لستُ عيسى الذي تطلبونه!) أنا الذي دللتكم عليه! وقيل: إنهم حبسوا المسيح ـ مع عشرة من أصحابه ـ في بيت، فدخل عليهم رجل من اليهود، فألقى الله تعالى عليه شبه عيسى ورفع عيسى فقتلوا الرجل، عن السدي: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾[٢]، قيل: يعني

---

١. البقرة: ٨٧.

٢. النساء: ١٥٧

بذلك عامّتَهم؛ لأن علماءهم علموا أنه غير مقتول، عن الجبائي.وقيل: أراد بذلك جماعة اختلفوا، فقال بعضهم: قتلناه، وقال بعضهم: لم نقتله[(١)].

متّهمو عيسى عليه السلام

مر عيسى برهط، فقال بعضهم لبعض: قد جاءكم الساحر ابن الساحرة، والفاعل ابن الفاعلة!! فقذفوه أمه، فسمع ذلك عيسى فقال: اللهمّ أنت ربي، خلقتَني ولم آتِهم من تلقاء نفسي، اللهمّ العنْ مَن سبّني وسبَّ والدتي! فاستجاب الله دعوته فمسخهم خنازير[(٢)].

مَسْخُ المَلَكِ ثعباناً يحرسها

أحد ملائكة الله الكروبيّين العابد لله سبحانه وتعالى، أصابته غفلة طرفة عين أدت به لأن يُطرَد من السماء إلى الأرض وأن يمسخ ثعباناً، وبقي على هذه الحالة إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله ثم رجع إلى ما كان عليه مع جماعته الكروبيين، ففي المروي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: أُهدي إلى النبي صلى الله عليه وآله قطف من العنب في غير أوانه، فقال لي: يا سلمان، اِئتِني بولدَيّ الحسن والحسين ليأكلا معي من هذا العنب.

قال سلمان الفارسي: فذهبت أطوف عليهما منزل أمهما فلم أرهما، فأتيت منزل أختهما أم كلثوم فلم أرهما، فجئت فخبرت النبي صلى الله عليه وآله بذلك فاضطرب ووثب قائماً وهو يقول: وا ولداه، وا قرة عيناه! من يرشدني عليهما فله على الله الجنّة.

فنزل جبرائيل عليه السلام من السماء وقال: يا محمّد، علامَ هذا الانزعاج؟ فقال:

---

١. مجمع البيان ٣: ٢٣٢ .

٢. الكشاف ١: ٥٧٩، مجمع البيان ٣: ٢٣٢ .

على ولدَيّ الحسن والحسين، فإني خائف عليهما من كيد اليهود. فقال جبرائيل: يا محمّد، بل خَف عليهما من كيد المنافقين، فإن كيدهم أشدّ من كيد اليهود، واعلم يا محمّد أنّ ابنَيك الحسن والحسين عليهما السلام نائمان في حديقة أبي الدحداح. فسار النبي صلى الله عليه وآله من وقته وساعته إلى الحديقة وأنا معه حتى دخلنا الحديقة، فإذا هما نائمان، وقد اعتنق أحدهما الآخر وثعبانٌ في فيه طاقة ريحان يروّح بها وجهَهما.

فلما رأى الثعبانُ النبي صلى الله عليه وآله ألقى ما كان في فيه وقال: السلام عليك يا رسول الله، لست أنا ثعباناً، ولكن ملَكٌ من ملائكة الله الكروبيين، غفَلتُ عن ذكر ربي طرفة عين، فغضب علَيّ ربي ومسخني ثعباناً كما ترى، وطردني من السماء إلى الأرض، وإني منذ سنين كثيرةٍ أقصد كريماً على الله فأسأله أن يشفع لي عند ربي، عسى أن يرحمني ويعيدني ملكاً كما كنت أولاً، إنّه على كلّ شيء قدير.

قال: فجثا النبي صلى الله عليه وآله يقبّلهما حتى استيقظا، فجلسا على ركبتَي النبي، فقال لهما النبي صلى الله عليه وآله: انظرا يا ولدَيّ إلى هذا المسكين، فقالا: أمّا هذا يا جَدّنا قد خِفنا من قبح منظره!

فقال: يا ولدَيّ هذا ملك من ملائكة الله الكروبيين قد غفل عن ذكر ربه طرفة عين فجعله الله هكذا، وأنا أستشفع إلى الله تعالى بكما، فاشفعا له. فوثب الحسن والحسين عليهما السلام فاسبغا الوضوء وصليا ركعتين وقالا: اللهم بحق جدنا الجليل الحبيب محمّد المصطفى، وبأبينا علي المرتضى، وبأمنا فاطمة الزهراء، إلاّ ما رددتَه إلى حالته الأولى.

قال: فما استتم دعاؤهما، فإذا بجبرائيل عليه السلام قد نزل من السماء في رهط من الملائكة، وبشّر ذلك الملك برضاء الله عنه، وبِردّه إلى سيرته الأولى، ثمّ

ارتفعوا به إلى السماء، وهم يسبحون الله تعالى، ثمّ رجع جبرائيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو متبسم، فقال: يا رسول الله، إن ذلك الملك يفتخر على ملائكة السبع سماوات ويقول لهم: مَن مِثلي وأنا في شفاعة السيدَينِ السندين الحسن والحسين عليهما السلام[1].

ونظير هذه القصّة قصّة الملك فُطْرُس، والكلام الذي يأتي في قضية فطرس يأتي هنا من حيث أنّ الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم، إلى غير ذلك.

مضافاً إلى ذلك أنّ أُم كلثوم بنت فاطمة الزهراء عليها السلام، لعلّ عمرها سنتان، والمقصود من منزلها حجرتها.

ويضاف إلى ذلك إن وقوع الخوف في قلبي الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام من منظر هذا الثعبان ونومهما فيه نظر لا يخفى على من عرف منزلة الإمامين المعصومين عليهما السلام.

إلقاء الشَّبَه ومسخ المال عقارب وحيات

إنّ رجلاً من محبي أمير المؤمنين عليه السلام كتب إليه من الشام: يا أمير المؤمنين، أنا بعيالي مثقل، وعليهم إن خرجت خائف، وبأموالي التي أُخلّفها إن خرجتُ ظنين[2]، وأحب اللحاق بك، والكون في جملتك، والحفوف في خدمتك، فجد لي يا أمير المؤمنين. فبعث إليه الإمام علي عليه السلام: «اجمع أهلك وعيالك، وحصّل عندهم مالك، وصلّ على ذلك كله على محمّد وآله الطيبين، ثمّ قل: اللهم هذه كلها ودائعي عندك بأمر عبدك ووليك علي بن أبي طالب،

---

١. **المنتخب** للطريحي: ٢٦١، **مدينة المعاجز** ٣: ٢٩٠ / ح ٦٠ ـ عن الفخري، **بحار الأنوار** ٤٣: ٣١٣.

٢. متّهم أو قليل الحيلة. وفي المصدر: ضَنين، بمعنى حريص أو بخيل.

ثمّ قم وانهض إليّ».

ففعل الرجل ذلك، وأُخبر معاوية بهربه إلى علي بن أبي طالب، فأمر معاوية أن يُسبى عياله ويُستَرقّوا، وأن يُنهب ماله. فذهبوا، فألقى الله عليهم شَبهَ عيال معاوية وحاشيته، وشبه أخص حاشية ليزيد بن معاوية[1]، يقولون: نحن أخذنا هذا المال وهو لنا، وأما عياله فقد استرققناهم وبعثناهم إلى السوق، فكفّوا لمّا رأوا ذلك.

وعرّف الله عياله أنه قد ألقى عليهم شبه عيال معاوية وعيال خاصة يزيد، فاشفقوا من أموالهم أن يسرقها اللصوص، فمسخ الله المال عقارب وحيات، كلّما قصد اللصوص ليأخذوا منه لُدِغوا ولُسِعوا، فمات منهم قوم وضَنِيَ[2] منهم آخرون، ودفع الله عن ماله بذلك.

إلى أن قال علي عليه السلام يوماً للرجل: «أتحب أن يأتيك عيالك ومالك؟» قال: بلى. قال علي عليه السلام: «اللهم ائتِ بهم». فإذا هم بحضرة الرجل لا يفقد من جميع ماله وعياله شيئاً. فأخبروه بما ألقى الله تعالى من شبه عيال معاوية وخاصته وحاشية يزيد عليهم، وبما مسخه من أمواله عقارب وحيات تلسع اللص الذي يريد أخذ شيء منه. قال علي عليه السلام: «إنّ الله ربما أظهر آية لبعض المؤمنين ليزيد في بصيرته، ولبعض الكافرين ليبالغ في الإعذار إليه»[3].

وبالنتيجة فإنّ هذا الخبر يتضمن نوعين من التبدل، الأول: إلقاء الشبه على أهل ذلك الموالي لأمير المؤمنين وعياله، وهذا التبدل مؤقت على الظاهر، أي

---

١. لأبناء الملوك حاشية كحاشية الملوك مهما صغر عمرهم.

٢. ضَنِيَ كرضي: مرض مرضاً مخامراً كلّما ظُن بُرؤُه نُكس.

٣. **التفسير المنسوب للإمام العسكري** عليه السلام ٤٢٣ / ح ٢٨٩، **مناقب آل أبي طالب** لابن شهر آشوب ٢: ١٥٤، **مدينة المعاجز** ١: ٤٣٤ / ح ٢٩٤، **بحار الأنوار** ٤٢: ٣٩ / ح ١٣.

إلى حين اندفاع الضرر أو إلى حين وصولهم إلى الكوفة، الثاني: تبدّل الأموال التي هي على الظاهر دراهم ودنانير أو ما شابه ذلك إلى حيّات وعقارب تلدغ وتلسع.

مسخ رجل سلحفاة

الإمام المعصومعليه السلام له ولاية تكوينية بإذن الله تعالى، وفي هذه القصّة يقول الإمامعليه السلام للرجل: اخسأ! فيُمسَخ سلحفاة، بإذن الله تعالى، ففي المروي عن أبي التحف[١] يرفعه برجاله إلى عمار بن ياسر، ذي الفضل والمآثر، رفع الله درجته، قال: كنت بين يدي مولاي أمير المؤمنينعليه السلام إذ دخل عليه رجل وقال: يا أمير المؤمنين، إليك المفزع والمشتكى، فقد حلّ بي ما أورثني سقماً وألماً!

فقالعليه السلام: ما قصتك؟

قال: ابن علي بن دوالب الصيرفي غصبني زوجتي، وفرّق بيني وبين حليلتي، وأنا من حزبك وشيعتك، فقال: «إئتني بالفاسق الفاجر». فخرجت إليه وهو يعرض أصحابه في السوق تُعرَف بسوق بني الحاضر، فقلت: أجب من لا يجوز عليه بهرجة الصرف[٢]. فنهض قائماً وهو يقول: إذا نزل التقدير، بطل التدبير. حتى أوقفتُه بين يدي أمير المؤمنينعليه السلام ورأيت بيدَي مولاي قضيباً من العوسج[٣]، فلمّا وقف الصيرفي بين يديه قال: يا مَن يعلم مكنون الأشياء،

---

١. هو الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم المصري، وقد يقال: أبو النجف، بالنون بدل من التاء، وهو تصحيف (**أعيان الشيعة** ٢: ٣٠٩) .

٢. البَهْرَجة: الرداءة، والدرهم البهرج الذي فضّته رديئة، كما في (**لسان العرب** ٢: ٢١٧) .

٣. العَوْسَج: مِن شجر الشوك وله ثمر مدوَّر، فإذا عظم فهو الغرقد، كما في (**مجمع البحرين** ٣: ١٧٩) .

وما في الضمائر والأوهام، ها أنا ذا واقف بين يديك، وقوفَ الذليل المستسلم إليك.

فقال: «يا لَعين ابن اللعين، والزنيم ابن الزنيم، أمَا تعلم أنّي أعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، وأنّي حجّة الله في أرضه بين عباده، تفتك بحُرم المؤمنين، أتراك أمِنتَ عقوبتي عاجلاً، وعقوبة الله آجلاً؟!».

ثم قال: «يا عمّار جرده من ثيابه». ففعلت ما أمرني مولاي، فقام إليه وقال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لا يأخذ قِصاصَ المؤمن غيري». ثمّ قرعه بالقضيب على كبده وقال: «إخسأ لعَنَك الله!»، فقال الثقة الأمين عمار: فرأيته والله قد مسخه الله سُلحفاة!

ثم قال عليه السلام: «رزقك الله في كلّ أربعين يوماً شربة من الماء، ومأواك القفار والبراري، هذا جزاء من أعار طَرْفَه وقُبُلَه وفرجه». ثمّ ولّى وتلا: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ * فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[1].

قال: ثمّ قال عمّار: ثمّ جعل عليه السلام يقول شعراً:

يقول قلبي لطَرْفي: أأنت كنت الدليلا؟
فقال طَرْفي لقلبي: أأنت كنت الرسولا؟
فقلتُ: كُفّا جميعاً تركتماني قتيلا![2]

إن قلت: إن المعروف المشهور ـ كما عليه كثير من الأحاديث المتقدمة ـ أن المسوخ لم تبق ولم تعش أكثر من ثلاثة أيام فكيف نفسّر ما جاء في هذا

---

١. البقرة: ٦٥ و ٦٦.

٢. **نوادر المعجزات**: ٤٩ / ح ١٩، **عيون المعجزات**: ٣٢، **مدينة المعاجز** ٢: ٦٦.

الحديث من أنه يعيش أكثر من المدة المقررة حيث فيه: «رزقك الله في كلّ أربعين يوماً شربة من الماء؟» قلت: يمكننا أن نخصّص عدم بقاء المسوخ أكثر من ثلاثة أيام بالمسخ الجماعي الذي كان يصيب الأمم السابقة، وأما هذا المسخ الفردي فيمكن أن يبقى مدة أكثر، والله العالم.

الرجل الذي مسخ كلباً بدعائه

المسلمون يعرفون الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ويعرفون منزلته وقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله ويعرفون ويروون معاجزه وكراماته الواحدة تلو الأخرى، ولأجل ذلك تراهم يستفسرون: كيف أن الذي له هذه القدرة يحتاج إلى جمع الأنصار واستنفار الناس ضد معاوية بن أبي سفيان؟ وجوابه الدائم عليه السلام أنّ هذا أمر الله سبحانه وتعالى، ونحن عباده لا نسبقه بإرادة ولا قول، فقد روي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان جالساً يوماً في المسجد، إذ دخل عليه رجلان فاختصما إليه، وكان أحدهما من الخوارج، فتوجه الحُكم على الخارجي، فحكم عليه أمير المؤمنين عليه السلام.

فقال له الخارجي: والله ما حكمتَ بالسوية، ولا عدلت في القضية، وما قضيتك عند الله بمرضيّة.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام وأومأ بيده إليه: «إخسأ عدوًّ الله»، فاستحال كلباً أسود. فقال من حضر: فوالله لقد رأينا ثيابه تطاير عنه في الهواء، وجعل يُبصبص لأمير المؤمنين، ودمعت عيناه في وجهه.

ورأينا أمير المؤمنين عليه السلام وقد رقّ له فلحظ السماء، وحرك شفتيه بكلام لم نسمعه، فوالله لقد رأيناه وقد عاد إلى حال الإنسانية، وتراجعت ثيابه من الهواء حتى سقطت على كتفيه، فرأيناه وقد خرج من المسجد وإن رجليه لتضطربان. فبُهِتْنا ننظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لنا: «ما لكم تنظرون

وتعجبون؟!».

فقلنا: يا أمير المؤمنين، كيف لا نتعجب وقد صنعت ما صنعت.

فقال: «أما تعلمون أنّ آصف بن بَرْخيا وصيٌّ سليمان بن داودعليه السلام قد صنع ما هو قريب من هذا الأمر، فقص الله جلّ اسمه قصته حيث يقول: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[1]، فأيما أكرم على الله نبيكم أم سليمان؟»، فقالوا: بل نبينا أكرم يا أمير المؤمنين، قال: «فوصيٌّ نبيكم أكرم من وصي سليمان، وإنما كان عند وصي سليمانعليه السلام من اسم الله الأعظم حرف واحد، فسأل اللهَ جلّ اسمُه، فخسف له الأرض ما بينه وبين سرير بلقيس فتناوله في أقل من طَرْف العين، وعندنا من اسم الله الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرفٌ عند الله تعالى استأثر به دون خلقه».

فقالوا له: يا أمير المؤمنين، فإذا كان هذا عندك فما حاجتك إلى الأنصار في قتال معاوية وغيره، واستنفارك الناس إلى حربه ثانية، فقال: «﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[2]، إنما أدعو هؤلاء القومَ إلى قتاله ليثبت المحجّة، وكمال الحُجّة، ولو أُذِن لي في إهلاكه لما تأخر، لكنّ الله تعالى يمتحن خلقه بما شاء. قالوا: فنهضنا من حوله ونحن نعظّم ما أتى بهعليه السلام[3].

وعلى هذا فاللازم علينا أن نفرق بين مقولتين:

---

١. النمل: ٣٨ ـ ٤٠ .

٢. الأنبياء: ٢٦ و ٢٧ .

٣. **خصائص الأئمة**: ٤٧ .

الأولى: أنّ رسول الله وابن عمه والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين، عندهم ولاية تكوينية، فيمكنهم التصرف في الأشياء الكونية.

الثانية: أنّ استعمال هذه الولاية والاستفادة منها وإبراز وإظهار المعاجز والكرامات لهم ولأوليائهم، أمرٌ موكول إلى الله تعالى، وهم عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

الرجل صار غراباً بدعائه عليه السلام

ذكر ابن شهر آشوب في (مناقب آل أبي طالب) أنّه لما قال الإمام علي عليه السلام: «ألا وإنّي أخو رسول الله وابن عمه، ووارث علمه ومعدن سره، وعيبة ذخره، ما يفوتني ما عَمِله رسول الله صلى الله عليه وآله ولا ما طَلَب، ولا يَعزُب علَيّ ما دبّ ودرج، وما هبط وما عرج، وما غسق وانفرج، كلّ ذلك مشروح لمن سأل، مكشوف لمن وعى»، قال هلال بن نوفل الكندي في ذلك وتعمق، إلى أن قال: فكن يا ابن أبي طالب بحيث الحقائق، واحذر حلول البوائق! فقال أمير المؤمنين: «هب إلى سفر!».

قال الراوي: فوالله ما تم كلامه حتى صار في صورة الغراب الأبقع، يعني الأبرص[1].

مَسَخ الرجلَ كلباً وردَّه إنساناً

ورد عن علي بن أبي حمزة قال: حججت مع الصادق عليه السلام فجلسنا في بعض الطريق تحت نخلة يابسة، فحرك شفتيه بدعاء لم أفهمه، ثمّ قال: «يا نخلة أطعمينا مما جعل الله فيكِ ممّا يرزق عباده».

---

١. **مناقب ابن شهر آشوب** ٢: ١١٤، **بحار الأنوار** ٤١: ٢٠٨ / ذيل ح ٢٣ وفيه: «هب إلى سقر».

قال: فنظرت إلى النخلة وقد تمايلت نحو الصادق عليه السلام أوراقُها وعليها الرطب، قال: «أُدنُ وقل: بسم الله فَكُل». فأكلت منها رطباً أطيبَ رطب وأعذبه، فإذا نحن بأعرابي يقول: ما رأيت كاليوم سحراً أعظم من هذا!

فقال الصادق عليه السلام: «نحن ورثة الأنبياء ليس فينا ساحر ولا كاهن، بل ندعو الله فيجيب دعانا، وإن أحببتَ أن أدعو الله أن يمسخك كلباً تهتدي إلى منزلك وتدخل عليهم فتبصبص[1] لأهلك». قال الأعرابي لجهله: بلى! فدعا الله فصار كلباً في وقته، ومضى على وجهه، فقال لي الصادق عليه السلام: «فاتبَعْه»، فاتبعته حتى صار إلى حيث يذهب، فدخل منزله، فجعل يبصبص لأهله ووُلده، فأخذوا العصا فأخرجوه، فانصرفتُ إلى الصادق عليه السلام فأخبرته بما كان، فبينا نحن في حديثه إذ أقبل حتى وقف بين يَدي الصادق عليه السلام وجعل دموعه تسيل، وأقبل يتمرّغ في التراب يعوي، فرَحِمه، ودعا الله تعالى فعاد أعرابياً. فقال له الصادق عليه السلام: «هل آمنتَ يا أعرابي؟»، قال: نعم ألفاً ألفاً[2].

وفي هذا الخبر دلالة صريحة على إمكان رجوع الممسوخ إلى حالته الأصلية.

وهذا الخبر وأمثاله يعطينا إمكان أن نقسّم الممسوخ إلى: ممسوخ يرجع إلى حالته، وإلى ما لا يرجع إلى حالته وقد يكون الملاك في الأول التوبة ودعاء الإمام المعصوم عليه السلام وإذن الله سبحانه وتعالى، وأما أُولئك الذين يموتون ولم يبقوا فوق ثلاث فأولئك أمرهم موكول إلى الله تعالى.

---

١. بَصْبَص وتبصبص الكلب: حرّك ذَنَبه.

٢. **الخرائج والجرائح** ١: ٢٩٥ / ح ٣، **الثاقب في المناقب**: ٢٠٠ **مدينة المعاجز** ٥: ٣٥٩/ ح ١٣٤، **بحار الأنوار** ٤٧: ١١٠ / ح ١٤٧.

إنطاق المسوخ له عليه السلام

روى محمّد بن إبراهيم، عن جعفر بن زيد القزويني، عن زيد الشحام، عن أبي هارون، عن ميثم التمار، عن سعد الخفّاف، عن الأصبغ بن نباتة قال: جاء نفر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: إنّ المعتمد يزعم أنك تقول: هذا الجريّ مسخ، فقال: «مكانَكم حتى أخرُج إليكم». فتناول ثوبه، ثمّ خرج إليهم، فمضى حتى انتهى إلى الفرات بالكوفة، فصاح: «يا جرّي»، فأجابه: لبيك لبيك، قال: «من أنا؟».

قال: أنت إمام المتقين، وأمير المؤمنين. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «فمن أنت؟»، قال: ممّن عُرِضَت علَيّ ولايتك فجحدتها ولم أقبلها، فمُسِختُ جريّاً، وبعض هؤلاء الذين معك يُمسَخون جريّاً!

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «فبيّنْ قصتك ممن كنت، ومَن مُسخ معك؟»، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، كنا أربعاً وعشرين طائفة من بني إسرائيل قد تمرّدنا وطغينا واستكبرنا، وتركنا المدن لا نسكنها أبداً، وسَكنّا المفاوز[1] رغبة منا في البعد عن المياه والأنهار، فأتانا آتٍ، أنت والله يا أمير المؤمنين أعرفُ به منّا، في ضحى النهار، فصرخ صرخة فجمَعَنا في جمع واحد وكنا منبثين في تلك المفاوز والقفار.

فقال لنا: ما لكم هربتم من المدن والأنهار والمياه وسكنتم هذه المفاوز؟! فأردنا أن نقول: لأنا فوق العالم تعززاً وتكبراً، فقال لنا: قد علمتُ ما في أنفسكم، أفعلى الله تعتزون وتتكبرون؟!

فقلنا له: لا، قال: أفليس قد أخذ عليكم العهد لتُؤمُنُنّ بمحمد بن عبد الله

---

١. أي الصحارى .

المكي؟ فقلنا: بلى، قال: وأخذ عليكم العهد بولاية وصيّه وخليفته من بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام؟ فسكتنا، فلم نجب بألسننا، وقلوبُنا ونياتنا لا نقبلها ولا نقرّ بها. قال لنا: أو لا تقولوا بألسنتكم؟ فقلنا جميعاً بألسنتنا.

فصاح بنا صيحةً وقال لنا: كونوا بإذن الله مُسوخاً كلّ طائفة جنساً، أيتها القفار كوني بإذن الله أنهاراً تسكنك هذه المسوخ، واتّصلي ببحار الدنيا وأنهارها حتى لا يكون ماء إلاّ كانوا فيه. فمُسِخنا ونحن أربع وعشرون طائفة، أربع وعشرون جنساً، فصاحت اثنتا عشرة طائفة منا: أيها المقتدر علينا بقدرة الله تعالى، بحقّه عليك لما أعفيتَنا من الماء، وجعلتنا على ظهر الأرض كيف شئت، فقال: قد فعلت.

قال أمير المؤمنينعليه السلام: «هيه يا جرّي، فبيّنْ لنا ما كانت الأجناس الممسوخة البرية والبحرية؟»، فقال: أما البحرية فنحن الجري، والرَّقّ[(١)]، والسلاحف[(٢)]، والزمّار[(٣)]، والسراطين، وكلاب الماء، والضفادع، وبنت يقرض[(٤)]، والعرضان، والكواسج، والتمساح.

فقال أمير المؤمنينعليه السلام: هيه، «فالبرّية ما هي؟»، قال: نعم يا أمير المؤمنين، الوزغ، والخنافس، والكلب، والدب، والقرد، والخنازير، والضفدع، والحرباء،

---

١. الرَّقّ بتشديد الراء وفتحها: نوع من دوابّ الماء شبه التمساح، وقيل: هو العظيم من السلاحف، كما في (**لسان العرب** ١٠: ١٢٣).

٢. معرَّب، أصله: حية السمك، كما في (**مجمع البحرين** ٣: ٤٨٥).

٣. الزمّار: سمكة جسمها ممدود شديد الانضغاط من الجانبين، مقدّمها طويل أحدب وجسمها أملس لا تغطيه القشور، كما في (**المعجم الوسيط** ١: ٣٩٩).

٤. في (**حياة الحيوان** ٢: ٣٢٠): ابن مقرض دويبة كحلاء اللون طويلة الظهر ذات قوائم أربع تقتل الحمام وتقرض الطوب.

والإوزّ[١]، والخفّاش، والضَّبُع، والأرنب.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فما فيكم من خلق الإنسانية وطبعها؟»، قال الجرّي: أفواهنا، والبعض لكل صورة وخلق، لكنّا تحيض منا الإناث، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «صدقت أيها الجري، وحَفِظتَ ما كان».

فقال: يا أمير المؤمنين، فهل من توبة؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الأجل هو يوم القيامة وهو الوقت المعلوم، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾»[٢].

قال الأصبغ بن نباتة: فسمعنا والله ما قال ذلك الجري ووعيناه، وكتبناه وعرضناه على أمير المؤمنين عليه السلام[٣].

وهذا الخبر فيه دلالة صريحة على أنّ هذا النوع من الممسوخات بقي إلى زمان أمير المؤمنين عليه السلام بل تبقى إلى يوم القيامة بخلاف الروايات المتقدمة الناطقة بأن الممسوخ لا يعيش فوق ثلاثة أيام، ويمكن حلّ هذا التغاير بأن بقاء الممسوخ وعدم بقائه مرهون بنوعية الذنب المرتكب ونوعية الدعاء المدعو عليهم، أو أن عدم بقاء المسخ أكثر من ثلاثة خاص بتلك المجموعات التي جاء ذكرها في القرآن الكريم.

المسخ للحجر

مؤنس الخادم (المولود سنة ٢٣١ هجرية والمتوفى سنة ٣٢١ هجرية)

---

١. في (**مستدرك الوسائل** ١٦: ١٧٢) جاء لفظ الورل بدل من الإوزّ، وهي دابة أكبر من الضبّ تكون في الرمال والصحارى، كما في (**لسان العرب** ١١: ٧٢٤).

٢. يوسف: ٦٤.

٣. **الهداية الكبرى**: ١٥٩، **مدينة المعاجز** ٣: ١٨٣ / ح ٨٢١.

والملقب بالمظفر المعتضدي، أحد الخدام الذين بلغوا رتبة الملوك، وكان من خدم المعتضد العباسي وكان أبيض، فارساً شجاعاً من الساسة الدهاة. بقي ستين سنة أميراً، ونُدب لحرب المغاربة العبيديين وولي دمشق للمقتدر، ثم حاربه. قتل المقتدرَ، وخلفه القاهر بالله، فلما تمكن القاهر قتله[١].

قال ابن كثير في (البداية والنهاية): ثمّ دخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة من المحرم، منها دخل الحجيج بغداد، وقد خرج مؤنس الخادم إلى الحجّ فيها في جيش كثيف، خوفاً من القرامطة، ففرح المسلمون بذلك وزُيِّنت بغداد يومئذ وضُرِبت الخيام والقباب لمؤنس الخادم، وقد بلغ مؤنساً في أثناء الطريق أن القرامطة أمامه، فعدل بالناس عن الجادة، وأخذ بهم في شعاب وأودية أياماً، فشاهد الناس في تلك الأماكن عجائب، ورأوا غرائب وعظاماً في غاية الضخامة، وشاهدوا ناساً قد مُسِخوا حجارة. ورأى بعضهم امرأة واقفة على تنور تخبز فيه قد مسخت حجراً، والتنور قد صار حَجَراً، وحمل مؤنس من ذلك شيئاً كثيراً إلى الخليفة ليصدّق ما يخبر به من ذلك. ذكر ذلك ابن الجوزي في (المنتظم). فيقال: إنهم من قوم عاد أو من قوم شعيب أو من ثمود، والله أعلم[٢].

حوِّلني امرأة وحوّل امرأتي رجلاً

إنّ رجلاً من أهل الشام أتى الإمام الحسن بن علي عليه السلام ومعه زوجته، فقال: يا ابن أبي تراب ـ وذكر بعد ذلك كلاماً تنزّهنا عن ذكره ـ إن كنتم في دعواكم صادقين فحوِّلني امرأة وحوّلِ امرأتي رجلاً! كالمستهزئ في كلامه،

---

١. **الأعلام** للزركلي ٧: ٣٣٥ .

٢. **البداية والنهاية** لابن كثير ١١: ١٨٨

فغضبعليه السلام، ونظر إليه شزراً، وحرك شفتيه ودعا بما لم يُفهَم، ثمّ نظر إليهما وأحدّ النظر، فرجع الشامي إلى نفسه وأطرق خجلاً ووضع يده على وجهه، ثمّ ولّى مسرعاً، وأقبلت امرأته وقالت: والله إني صرت رجلاً!

وذهبا حيناً من الزمان، ثمّ عادا إليه وقد وُلد لهما مولود، وتضرّعا إلى الإمام الحسنعليه السلام تائبين ومعتذرين مما فرطا فيه، وطلبا منه انقلابهما إلى حالتهما الأولى، فأجابهما إلى ذلك، ورفع يده، وقال: «اللهمّ إن كانا صادقَين في توبتيهما فتب عليهما، وحوّلهما إلى ما كانا عليه»، فرجعا إلى ذلك لا شكّ فيه ولا شبهة»[١].

أقول: للإمام المعصوم قدرة على تغيير الهوية والجنسية، فهو يتصرف بإذن الله سبحانه وتعالى، وتبديل الرجل امرأة وبالعكس غضب وانتقام إذا جلوس كلّ واحدٍ منهما في غير مجلسه. نعم، هنا مجال للسؤال، وهو: أنّ هذا المولود الذي وُلد مَن أُمّه ومن أبوه؟!

الرجوع للشباب

روى أبو عبيدة معمَّر بن المثنّى البصري التيمي قال: كانت في غطفان خلّة أشهرتهم بها العرب، كان منهم نصر بن دهمان، وكان من سادة غطفان وقادتها حتى خرف وحناه الكبَر، وعاش تسعين ومائة سنة، فاعتدل بعد ذلك شاباً وأسودّ شعره، فلا يُعرَف في العرب أعجوبة مثلها. وكذلك أصحاب السِّيَر ذكروا أن زَليخا امرأة العزيز رجعت شابّة طريّة وتزوجها يوسفعليه السلام، وقصتها

١. الثاقب في المناقب: ٣١١ / ح ٢٦٠، وقال: وجدت في بعض كتب أصحابنا الثقات رضي الله عنهم .

في ذلك معروفة[١].

صوفيات

دخل على الإمام الرضاعليه السلام بخراسان قوم من الصوفية، فقالوا له: إن أمير المؤمنين نظر فيما ولاّه تعالى من الأمر، فرآكم أهلَ البيت أولى الناس بأن تَؤمُّوا الناس، ونظر فيكم أهل البيت فرآك أولى الناس بالناس، فرأى أن يرد هذا الأمر إليك، والأمة تحتاج إلى من يلبس الخشن، ويأكل الجشب[٢]، ويركب الحمار، ويعود المريض.

قال: وكان الرضا متّكئاً فاستوى جالساً، ثم قال: «كان يوسفعليه السلام نبيّاً يلبس أقبية الديباج المزرّرة بالذهب، ويجلس على متّكآت آل فرعون ويحكم، إنما يُراد من الإمام قسطُه وعدله، إذا قال صدق، وإذا حكم عدل، وإذا وعد أنجز، إن الله لم يحرم ملبوساً ولا مطعوماً»، وتلا قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾[٣].

ونهى الإمام الهاديعليه السلام أصحابه وسائر المسلمين عن الاتصال بالصوفية والاختلاط بهم، كما دلّ على زيفهم بإظهار التقشف والزهد لإغراء عامة الناس وبسطائهم وغوايتهم، ووصَفَهم بأنهم حلفاء الشياطين في خداع الناس، وأن زهدهم ليس حقيقياً، وإنما لإراحة أبدانهم، وأنّ تهجدهم في الليل لم يكن نُسكاً وإخلاصاً في طاعة الله تعالى، وإنما هو وسيلة لاصطياد أموال الناس وإغوائهم، وأن أورادهم ليست عبادة خالصة لله بل هي رقص وغناء،

---

١. **الغَيبة** للطوسي: ٤٢١ / ح ٤٠٢.

٢. الجَشْب والجَشِب من الطعام: الغليظ منه.

٣. **كشف الغمة** ٣: ١٠٠، **الفصول المهمة**: ٢٥١، والآية من سورة الأعراف: ٣٢.

وأن الذي يتبعهم من الحمقى والسفهاء.

روى الحسين بن أبي الخطاب، قال: كنت مع أبي الحسن الهادي عليّ بن محمد عليهما السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري رضي الله عنه، وكان رجلاً بليغاً وكانت له منزلة عظيمة عنده عليه السلام، وبينما نحن وقوف إذ دخل جماعة من الصوفية المسجد فجلسوا في جانب منه، وأخذوا بالتهليل.

فالتفت الإمام إلى أصحابه فقال لهم: «لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخدّاعين، فإنّهم حلفاء الشياطين، ومخرّبو قواعد الدين، يتزهّدون لإراحة الأجسام، ويتهجّدون لصيد الأنعام، يتجوّعون عُمراً حتى يُدّيخوا للإيكاف[1] حُمراً، لا يهللون إلا لغرور الناس، ولا يقللون الغذاء إلا لملء العِساس، واختلاس قلب الدّفناس[2]، يُكلّمون الناس بإملائهم في الحبّ، ويطرحونهم بإدلائهم في الجُبّ. أورادهم الرقص والتصدية، وأذكارهم الترنّم والتغنية، فلا يتّبعُهم إلاّ السفهاء، ولا يعتقد بهم إلا الحمقاء، فمَن ذهب إلى زيارة أحدهم حياً أو ميتاً فكأنما ذهب إلى زيارة الشيطان وعَبَدَةِ الأوثان، ومن أعان أحداً منهم فكأنما أعان معاوية ويزيد وأبا سفيان!».

فقال له رجل من أصحابه: وإن كان معترفاً بحقوقكم؟ قال: فنظر إليه شبه المغضب وقال: «دع ذا عنك، مَن اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا، أما تدري أنهم أخسّ طوائف الصوفية؟ والصوفية كلهم من مخالفينا، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا، وإنْ هم إلاّ نصارى ومجوس هذه الأمة، أولئك الذين

---

١. ديّخها: أذلّها وقهرها، والإيكاف: الإيقاع في الإثم .

٢. الأغبياء والحمقى، والعِساس: القِداح الضخمة .

يجهدون في إطفاء نور الله، والله يُتمّ نوره ولو كره الكافرون»[١].

تطور الولي

أعطت جماعة الصوفية لرؤسائهم منزلة روحانية عدلت أو فاقت منزلة رسول الله والأئمة الطيبين الطاهرين من ذريته صلوات الله عليهم أجمعين.

فقالوا: التطور بأطوار مختلفة، وهو الذي يسميه الصوفية بعالم المثال، وبنوا عليه تجسّد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال، واستأنسوا له بقوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيًّا﴾[٢]، ومنه قضية قضيب البان. ثمّ ذكرها وذكر غيرها.

وقضيب البان هو الحسين بن عيسى بن يحيى الحسني، أبو عبد الله المولود سنة ٤٧١ هجرية والمتوفى سنة ٥٧٣ هجرية، متصوف من أهل الموصل. تفقه حنبلياً وصحب عبد القادر الگيلاني وغيره. له أخبار في الزهد كثيرة. وفي جامعة بغداد (الرقم ٥٤١) مخطوط باسم (جوهرة البيان في نسب السيد قضيب البان) لأبي ربيعة عيسى الحسني الموصلي[٣].

وذكر السفيري الحلبي من الشافعية في شرح صحيح البخاري عند قوله: (ثمّ حبّب إليه الخلاء): إنّ الشيطان كما لا يقدر أن يتمثّل بصورة النبي صلى الله تعالى عليه وآله لا يقدر أن يتمثّل بصورة الولي الكامل أيضاً بشرط ذكره ثمة. وقال من أكابر الحنفية أيضاً العلامة الشريف الجرجاني في أواخر (شرح المواقف) قبيل ذكر الفرق الإسلامية بصحة ظهور صور الأولياء للمريدين

---

١. **روضات الجنات** ٣: ١٣٤، **سفينة البحار** ٣: ١٤٦ ـ باب صوف، عن: **حديقة الشيعة**: ٦٠٢.

٢. مريم: ١٧ .

٣. **الأعلام** ٢: ٢٥١ .

وأخذهم الفيوض منها حتى بعد الموت، وكذا في أوائل حواشيه على (شرح المطالع)[١].

عدم الانحصار في صورة واحدة

قالت الصوفية: إنّ الأمر في عالم البرزخ والآخرة على خلاف عالم الدنيا، فينحصر الإنسان في صورة واحدة، يعني في عالم الدنيا المسمى بعالم الشهادة إلاّ الأولياء، كما نُقل عن قضيب البان أنه رئي في صور مختلفة، وسِرّ ذلك أنّ روحانيتهم غلبت جسمانيتهم، فجاز أن يُرى في صور كثيرة.

وقالوا: إن الروح إذا كانت كلية كروح نبيناﷺ ربّما تظهر في صورة سبعين ألف صورة، ذكر ذلك المحقق ابن أبي جمرة، فإذا جاز لأرواح الأولياء عدم الانحصار في صورة واحدة في عالم الدنيا، فتُرى في صور مختلفة، لغلبة روحانيتهم جسمانيتهم، فأحرى أن لا تنحصر أرواحهم في صورة واحدة في عالم البرزخ الذي الروح فيه أغلب على الجسمانية.

وقالوا أيضاً: الولي إذا تحقق في الولاية مُكّن من التصور في صور عديدة، وتظهر روحانيته في وقت واحد في جهات متعددة، فالصورة التي ظهرت لمن رآها حقّ، والصورة التي رآها آخر في مكان آخر في ذلك الوقت حقّ، ولا يلزم من ذلك وجود شخص في مكانين في وقت واحد، لأنّ فيما هنا تعددَ الصور الروحانية لا الجسمانية، فإذا جاز للروح أن تُرى في صور عديدة في دار الدنيا لمن تحقق في الولاية فأحرى أن تُرى في صور عديدة في عالم البرزخ الذي الغلبة فيه للأرواح على الأجسام.

ويقوّي ذلك ما ثبت في السنّة وصحّ أنّ النبيﷺ رأى موسى قائماً يصلي

---

١. **رسالة في تحقيق الرابطة** لخالد البغدادي: ٨.

في قبره ليلة الإسراء، ورآه في السماء السادسة تلك الليلة، وقد أثبت الصوفية عالماً متوسطاً بين الأجساد والأرواح سمَّوه عالم المثال. وقالوا: هو ألطف من عالم الأجساد وأكثف من عالم الأرواح، وبنوا على ذلك تجسّدَ الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال، وقد يُستأنس لذلك من قوله تبارك وتعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيًّا﴾، فتكون الروح كروح جبرئيل عليه السلام مثلاً في وقت واحد مدبرة لشبحه ولهذا الشبح المثالي، فإذا جاز تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من العالم المثالي في عالم الدنيا ففي البرزخ أولى، وعلى هذا فالذي يخرج من القبر الشبح المثالي[1].

وفي (الفتوحات المكية) شعر يبيّن حالات التجسد للأرواح، ونصه:

فمِنهم مَن تجسّد لي بأرضٍ ومنهم مَن تجسّد في الهواءِ
ومنهم مَن تجسّد حيث كنّا ومنهم مَن تجسّد في السماءِ
فيُخبرنا ونُخبره بعلمٍ ولكنْ لا نكون على السَّواءِ
فإنّي ثابتٌ في كلّ عينٍ وهم لا يَقْدِرون على البقاءِ
فهم يتصوّرون بكلّ شكلٍ كلونِ الماءِ من لون الإناءِ

عُمِلت هذه الأبيات في تجسّد الأرواح المفارقة لاجتماع أجسامها في الحياة الدنيا المسمى موتاً، وكنا رأينا منهم جماعة متجسّدين من الأنبياء والملائكة والصالحين من الصحابة وغيرهم، وهم يتجسدون في صور المعاني المتجسدة في صور المحسوسات، فإذا تجلى المعنى وظهر في صورة حسية تبعه الروح في صورة ذلك الجسد، كان ما كان، لأن الأرواح المدبرة تطلب الأجسام طلباً ذاتياً، فحيث ما ظهر جسم أو جسد حساً كان

---

١. رد الحموي على الوهّابية: ١٣ .

ذلك أو معنى تجسد كالعمل الصالح في صورة شاب حسن الوجه والنشأة والرائحة، فإن الروح تلزمه أبداً، في أي صورة ما شاء ركّبك، إذ لم تكن[١].

تبدّل أصحاب الطريقة

ويقول ابن عربي: وأعجب من هذا أن بعض الرجال من المحبين دخل على شيخ فتكلّم له الشيخ في المحبة، وقد رآه بعض الحاضرين قد دخل عليه، فما زال ذلك المحب يذوب في نفسه حساً من كلام ذلك الشيخ في المحبة لقوة تحقق ذلك المحب إلى أن رجع بين يدي ذلك الشيخ كفاً من ماء، فدخل عليه رجال فسألوه عن ذلك المحب أين هو؟ فإنا ما رأيناه خرج، فقال: هذا الماء هو ذلك المحب الذي بين يَديّ. فنظروا إلى ماء قليل على الحصير بين يدي الشيخ، فانظر كيف رجع إلى أصله الذي خُلق منه.

فيا ليت شعري أين تلك الأجزاء، فاعلم أنّ الإنسان في هذا الطريق يعطي من القوة ما يظهر به في هذه النشأة، كما يظهر في النشأة الأُخرى التي يظهر فيها على أي صورة شاء، فإن هذا في أصل هذه الصورة الدنياوية، ولكن لا يصل كلّ واحد إلى معرفة هذا الأصل، وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾[٢] وهي هذه النشأة الظاهرة، ثمّ قال: ﴿فِى أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[٣] أي هذه النشأة المسوّاة المعدّلة قابلة لجميع الصور، فيجليه الله تعالى في أي صورة شاء، فأعلمنا أن هذه النشأة تعطي القبول لأي صورة كانت، وكذلك

---

١. الفتوحات المكية لابن العربي ١: ٧٥٥.

٢. الانفطار: ٧.

٣. الانفطار: ٨.

قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾[1] بعد الفراغ من تسوية صورة الإنسان الظاهر، فعيّن له صورة من الصور التي في قوته وتركيبه أن يقبلها.

فإذا علم الإنسان بالكشف الإلهي أنّه على أصل وحقيقة تقبّل الصور، فيتعمل في تحصيل أمر، يتوصل به إلى معرفة الأمر فإذا فتح له فيه ظهر في عالم الشهادة في أي صورة من صور عالم الشهادة شاء، وظهر في عالم الغيب والملكوت في أي صورة من صوره شاء، غير أن الفرق بيننا وبين عالم الغيب أنّ الإنسان إذا تروحن وظهر للروحانيين في عالم الغيب يعرفون أنه جسم تروحن، والناس في عالم الشهادة إذا أبصروا روحاً تجسد لا يعلمون أنه روح تجسد ابتداء حتى يعرفوا بذلك[2].

وما نقلناه لك من كلام الصوفية لا نريد منه إثبات صحة دعاواهم وصدق كلامهم، وقد علمت من بعض الروايات المتقدّمة عن أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم أجمعين أنهم بعيدون عن الجادّة القويمة في الوصول إلى الله سبحانه وتعالى، وإنما نريد من النقل إثبات أن تبدّل الصور وتجسمها وانتقال الإنسان من صورة لأخرى أمر ممكن لا استحالة عقلية فيه، فتأمّل.

في إبطال التناسخ

قال التفتازاني في (شرح المقاصد) في علم الكلام: ولا تتعلق نفس واحدة إلاّ ببدن واحد: أمّا على سبيل الاجتماع فظاهر، وأما على سبيل التبادل والانتقال من بدن إلى بدن آخر فلِوُجوه:

الأول: أنّ النفس المتعلقة بهذا البدن لو كانت منتقلة إليه من بدن آخر لزم

---

١. المؤمنون: ١٤ .

٢. الفتوحات المكية ٣: ٤٢ .

أن تتذكر شيئاً من أحوال ذلك البدن، لأن العلم والحفظ والتذكر من الصفات القائمة بجوهرها الذي لا يختلف باختلاف أحوال البدن، واللازم باطل قطعاً.

الثاني: أنها لو تعلقت بعد مفارقة هذا البدن ببدن آخر لزم أن يكون عدد الأبدان الهالكة مساوياً لعدد الأبدان الحادثة، لئلا يلزم تعطّل بعض النفوس أو اجتماع عدة منها على التعلق ببدو واحداً وتعلق واحدة منها بأبدان كثيرة معاً، لكنا نعلم قطعاً بأنه قد يهلك في مثل الطوفان العام أبدان كثيرة لا يحدث مثلها إلاّ في أعصار متطاولة.

الثالث: أنه لو انتقلت نفس إلى بدن لزم أن تجتمع فيه نفسان منتقلة وحادثة، لأن حدوث النفس عن العلة القديمة يتوقف على حصول الاستعداد في القابل، أعني البدن، وذلك بحصول المزاج الصالح، وعند حصول الاستعداد في القابل يجب حدوث النفس لما تقرر من لزوم وجود المعلول عند تمام العلة.

لا يقال: لا بدّ مع ذلك من عدم المانع، ولعل تعلق المنتقلة مانع ويكون لها الأولوية في المنع بمالها من الكمال.

لأنا نقول: لا دخل للكمال في اقتضاء التعلّق، بل ربّما يكون الأمر بالعكس، فإذن ليس منع الانتقال للحدوث أولى من منع الحدوث للانتقال.

واعتُرِض على الوجوه الثلاثة بعد تسليم مقدماتها بأنها إنما تدل على أنّ النفس بعد مفارقة البدن لا تنتقل إلى بدن آخر إنساني، ولا يدلّ على أنها لا تنتقل إلى حيوان آخر من البهائم والسباع وغيرهما على ما جوّزه بعض التناسخية وسماه مسخاً، ولا إلى نبات على ما جوّزه بعضهم وسماه فسخاً، ولا إلى جماد على ما جوزه آخر وسماه رسخاً، ولا إلى جرم سماوي على ما يراه بعض الفلاسفة. وإنما قلنا بعد تسليم المقدمات، لأنه ربما يعترض على

الوجه الأول بمنع لزوم التذكر، وإنما يلزم لو لم يكن التعلق بذلك البدن شرطاً أو الاستغراق في تدبير البدن الآخر مانعاً أو طول العهد منسياً.

وعلى الثاني بمنع لزوم التساوي، وإنما يلزم لو كان التعلق ببدن آخر لازماً البتة وعلى الفور، وأما إذا كان جائزاً أو لازماً ولو بعد حين فلا، لجواز أن لا تنتقل نفوس الهالكين الكثيرين أو تنتقل بعد حدوث الأبدان الكثيرة.

وما توهم من التعطّل مع أنه لا حجة على بطلانه فليس بلازم، لأن الابتهاج بالكمالات أو التألم بالجهالات شغل.

وعلى الثالث بأنه مبني على حدوث النفس، وكون فاعلها قديماً موجباً لا حادثاً أو قديماً مختاراً، وكون الشرط هو المزاج الصالح دون غيره من الأحوال والأوضاع الحادثة وكون المزاج مع الفاعل تمام العلة بحيث لا مانع أصلاً، والكل في حيّز المنع.

أدلّة التناسخية

ويستمرّ التفتازاني قائلاً: وليس للتناسخية دليل يُعتَدّ به، وغاية ما تمسكوا به في إثبات التناسخ على الإطلاق أن انتقال النفس بعد المفارقة إلى جسم آخر إنساني أو غيره وجوه:

الأول: أنها لو لم تتعلق لكانت معطّلة، ولا معطل في الوجود، وكلتا المقدمتين ممنوعة.

الثاني: أنها مجبولة على الاستكمال، والاستكمال لا يكون إلاّ بالتعلق، لأن ذلك شأن النفس وإلاّ لكانت عقلاً لا نفساً.

ورُدّ بأنه ربما كان الشيء طالباً لكماله، ولا يحصل لزوال الأسباب والآلات بحيث لا يحصل لها البدل.

الثالث: أنها قديمة لما سبق من الأدلة فتكون متناهية العدد، لامتناع وجود

ما لا يتناهى بالفعل، بخلاف ما لا يتناهى من الحوادث كالحركات والأوضاع وما يستند إليها، فإنها إنما تكون على سبيل التعاقب دون الاجتماع والأبدان مطلقاً، بل الأبدان الإنسانية خاصة غير متناهية، لأنها من الحوادث المتعاقبة المستندة إلى ما لا يتناهى من الأدوار الفلكية وأوضاعها، فلو لم تتعلق كلّ نفس إلاّ ببدن واحد لزم توزع ما يتناهى على ما لا يتناهى، وهو محال بالضرورة.

وردّ بمنع قدم النفوس، ومنع لزوم تناهي القدماء لو ثبت، فإن الأدلة إنما تمت فيما له وضع وترتيب وضع لا يتناهى الأبدان وعللها، ومنع لزوم أن يتعلق بكل بدن نفس، وإن أريد الأبدان التي صارت إنساناً بالفعل اقتصر على منع لا تناهيها.

قال: والذي ثبت قد يُتوَهَّم أن من شريعتنا القول بالتناسخ، فإن مَسْخ أهل المائدة قردةً وخنازير ردٌّ لنفوسهم إلى أبدان حيوانات أُخر، والمعاد الجسماني ردّ لنفوس الكلّ إلى أبدان أُخر إنسانية؛ للقطع بأن الأبدان المحشورة لا تكون الأبدان الهالكة بعينها لتبدّل الصور والأشكال بلا نزاع.

والجواب: أنّ المتنازع هو أن النفوس بعد مفارقتها الأبدان تتعلق في الدنيا بأبدان أُخر، للتدبير والتصرف والاكتساب، لا أن تتبدّل صور الأبدان كما في المسخ، أو أن تجمع أجزاؤها الأصلية بعد التفرق، فترد إليها النفوس، كما في المعاد على الإطلاق، وكما في إحياء عيسى عليه السلام بعض الأشخاص.

قال: وما يحكيه بعضهم يعني أن القول بالتناسخ في الجملة، أي تعلّق بعض النفوس بأبدان أُخر في الدنيا محكي عن كثير من الفلاسفة إلاّ أنه حكاية لا تعضدها شبهة فضلاً عن حجة، ومع ذلك فالنصوص القاطعة من الكتاب والسنة ناطقة بخلافها، وذلك أنهم ينكرون المعاد الجسماني، أعني

حشر الأجساد، وكون الجنّة والنار داريْ ثواب وعقاب، ولذات وآلام حسية، ويجعلون المعاد عبارة عن مفارقة النفوس الأبدان والجنّة عن ابتهاجها بكمالاتها والنار عن تعلقها بأبدان حيوانات أُخر تناسبها فيما اكتسبت من الأخلاق، وتمكنت فيها من الهيئات، معذبة بما يلقى فيها من الذل والهوان، مثلاً تتعلق نفس الحريص بالخنزير، والسارق بالفأر، والمُعجَب بالطاووس، والشرّير بالكلب، ويكون لها تدرج في ذلك بحسب الأنواع والأشخاص، أي تنزل من بدن إلى بدن هو أدنى في تلك الهيئة المناسبة، مثلاً تبتدئ نفس الحريص من التعلق ببدن الخنزير ثمّ إلى ما دونه في ذلك حتى تنتهي إلى النمل، ثمّ تتصل بعالم العقول عند زوال تلك الهيئة بالكلية.

ثمّ إنّ من المنتمين من التناسخية إلى دين الإسلام يروّجون هذا الرأي بالعبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة، ويصرفون إليه بعض الآيات الواردة في أصحاب النار اجتراءً على الله وافتراءً على ما هو دأب الملاحدة والزنادقة، ومن يجري مجراهم من الغاوين المغوين الذين هم شياطين الإنس، الذين يوحون إلى العوام والقاصرين من المحصّلين زخرف القول غروراً.

فمن جملة ذلك ما قالوا في قوله تعالى: ﴿**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ**﴾ أي بالفساد ﴿**بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا**﴾[1]، أي بالكون، وفي قوله تعالى ﴿**كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا**﴾[2] أي من دركات جهنّم التي هي أبدان الحيوانات. وكذا في قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا**

١. النساء: ٥٦ .

٢. الحج: ٢٢ .

٣. غافر: ١١ .

ظَالِمُونَ﴾[١] وفي قوله عزّ وجل: **﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى الأَرْضِ﴾**[٢] الآية، معناه أنهم كانوا مثلكم في الخلق والمعايش والعلوم والصناعات فانتقلوا إلى أبدان هذه الحيوانات. وفي قوله تعالى: **﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾**[٣] أي بعد المفارقة، وفي قوله تعالى **﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾**[٤]، أي على صور الحيوانات المنتكسة الرؤوس، إلى غير ذلك من الآيات، ومَن نظر في كتب التفسير، بل في سياق الآيات، لا يخفى عليه فساد هذه الهذيانات.

وجوّز بعض الفلاسفة تعلق النفوس المفارقة ببعض الأجرام السماوية للاستكمال، وبعضهم على أنّ نفوس الكاملين تتصل بعالم المجردات، ونفوس المتوسطين تتخلص إلى عالم المثل المعلقة في مظاهر الأجرام العلوية على اختلاف مراتبهم في ذلك، ونفوس الأشقياء إلى هذا العالم في مظاهر الظلمانيات، والصور المستكرهة بحسب اختلاف مراتبهم في الشقاوة، فيبقى بعضهم في تلك الظلمات أبداً لكون الشقاوة في الغاية، وبعضهم ينتقل بالتدريج إلى عالم الأنواع المجردة[٥].

أقول: إنّ آيات القرآن الكريم وروايات رسول الله وذريته الطاهرين، كلّها ظاهرة في تحقق المسخ وتبدّل الشكل الظاهري من شكل إنسان إلى شكل حيوان، قردٍ أو خنزير أو غير ذلك، ويظهر من الروايات أن النفس أو الروح المدبّرة لذلك الجسم هي نفسها، فالإنسان الممسوخ يعرف عياله ويشخّص

---

١. المؤمنون: ١٠٧ .

٢. الأنعام: ٣٨ .

٣. البقرة: ٦٥ .

٤. الإسراء: ٩٧ .

٥. **شرح المقاصد** ٢:٣٨ .

الطرق ويدخل داره، لكن أهله وعياله لا يعرفونه لتبدل شكله الظاهري، فهو إنسان بروح آدمية متلبّس بشكل قرد، نعم يبقى سؤال حول علّة عدم إمكانه على التكلّم بلسان الآدميين، أو إذا كان له القدرة على التكلّم بلسان الحيوانات فإنه يسمع ويفهم ويتضرّع وتدمع عيناه و.... .

٢ـ تبدّل الجمادات

تقدم في المبحث السابق أنّ بعض الأشخاص بل بعض الأمم السابقة أصابهم تحول من الحالة الإنسانية إلى الحالة الحيوانية عقوبةً من الله تعالى، وفي هذا المبحث نتعرض إلى بعض التحولات والتبدلات التي صارت أو تصير في عالم الجمادات كالانتقال من جماد إلى جماد أو من جماد إلى كائن له حياة، أو بالعكس من ذلك. وكما هو المعلوم عند علماء الطبيعة بل عند سائر الناس أنّ هذا النحو من التبدّل يُعدّ خرقاً للنواميس الكونية والقوانين الطبيعية المعروفة عندنا.

نعم لتلك التبدّلات والتغيّرات توجيهات علمية تبين للقارئ المحترم أن هذا النوع من التبدل أمر ممكن مستساغ لا بُعدَ فيه، نعم هذا الأمر لم يحصل لكل شخص بل حصل للأنبياء وللأوصياء والأولياء في ظرف خاص إثباتاً لصحة دعواهم.

كوني برداً وسلاماً

النار بطبيعتها حارّة محرقة لا يقع فيها شيء إلاّ حوّلته إلى رمادٍ أو بخار، قال علماء المنطق: إنّ الحرارة والإحراق لازم ذاتي للنار، فلا نار بدون إحراق وبدون حرارة، لكنّ القرآن الكريم يحدّثنا أنّ الله تعالى جعل النار برداً وسلاماً على نبي الله إبراهيم الخليل، قال الطبرسي في تفسير (مجمع البيان)

في ذيل قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[1]: معناه: فلمّا جمعوا الحطب، وألقَوه في النار، قلنا للنار ذلك، وهذا مثل، فإن النار جماد لا يصح خطابه، والمراد: إنا جعلنا النار برداً عليه وسلامة، لا يصيبه من أذاها شيء، كما قال سبحانه وتعالى ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، والمعنى: إنّه صيرهم كذلك، لا أنه خاطبهم وأمرهم بذلك.

وقيل: يجوز أن يتكلّم الله سبحانه بذلك، ويكون ذلك صلاحاً للملائكة، ولطفاً لهم.

وذُكر في كون النار برداً على إبراهيم وجوه:

أحدها: أنّ الله سبحانه أحدث فيها برداً بدلاً من شدّة الحرارة التي فيها فلم تُؤْذِه.

وثانيها: أنّ الله سبحانه حال بينها وبينه، فلم تَصِلْ إليه.

وثالثها: أن الإحراق إنما يحصل بالاعتمادات التي في النار صعداً، فيجوز أن يُذهِب سبحانه تلك الاعتمادات، وعلى الجملة فقد علمنا أن الله سبحانه مَنَع النار من إحراقه، وهو أعلم بتفاصيله.

قال أبو العالية: لو لم يقل سبحانه ﴿وَسَلَامًا﴾ لكانت تُؤذيه من شدة بردها، ولَكان بردها أشدَّ عليه من حرها، فصارت سلاماً عليه، ولو لم يقل: ﴿عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ لكان بردها باقياً إلى الأبد.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «لما جلس إبراهيم في المنجنيق، وأرادوا أن يرموا به في النار، أتاه جبرائيل عليه السلام فقال: السلام عليك يا إبراهيم، ورحمة الله وبركاته، ألك حاجة؟ فقال عليه السلام: أمّا إليك فلا. فلمّا طرحوه دعا الله فقال: يا الله،

---

١. الأنبياء: ٦٩.

يا واحد، يا أحد، يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. فحسرت النار عنه، وإنه لَمُحتبٍ ومعه جبرائيل عليه السلام وهما يتحدّثان في روضة خضراء»[1].

وهذا الخبر صريح في ابتعاد النار عنه، بمعنى أنّها لم تصل إليه لا أن الإحراق والحرارة سُلِبا عن النار، فإن النار باقية على طبيعتها ولم تتبدّل ولم تتغير، نعم انحسرت وابتعدت عن نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام.

وقال الشيخ الطوسي في (التبيان): وقال قوم: إنّ إبراهيم لما أوثقوه ليلقوه في النار قال: (لا إله إلاّ أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد ولك المُلك لا شريك لك).

وروى الواحدي بالإسناد مرفوعاً إلى أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن نمرود الجبار لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار، نزل إليه جبرائيل عليه السلام بقميص من الجنة، وطنفسة من الجنة، فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة، وقعد معه يحدّثه».

وقال كعب: ما أحرقت النار من إبراهيم عليه السلام غير وثاقه. وقيل: إن إبراهيم عليه السلام أُلقي في النار وهو ابن ست عشرة سنة.

قال السدي: فجمعوا الحطب حتّى أنّ الرجل ليمرض فوصى بكذا وكذا من ماله فيُشترى به حطب، وحتى أن المرأة لتغزل فتشتري به حطباً، حتى بلغوا من ذلك ما أرادوا، فلمّا أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار لم يدروا كيف يُلقونه، فجاء إبليس فدلهم على المنجنيق، وهو أول منجنيق صُنعت فوضعوه فيها ثمّ رموه.

---

١. مجمع البيان ٧: ٩٨ .

وأقول: على مذهب الأشاعرة لا إشكال في ذلك، لأنهم يقولون: لا مؤثّر في الوجود إلاّ الله، وإنما أجرى عادته بالإحراق عند قرب شيء من النار، فإذا أراد غير ذلك لا يخلق الإحراق، وأما عند غيرهم من القائلين بتأثير الطبائع ولزوم الصفات لها فيشكل ذلك عندهم.

والأولى أن يقال: إحراق النار وتبريد الثلج وقتل السموم وغير ذلك من التأثيرات لما كانت مشروطة بشروط، كقابلية المادة وغيرها، فلِمَ لا يجوز أن تكون مشروطة بعدم تعلق إرادة القادر المختار بخلافه، فإذا تعلّقت بذلك انتفى تأثيرها، كما أنّ الله تعالى أقدَرَ العبادَ على أفعالهم، لكن بشرط عدم تعلق إرادته القاهرة بخلافه، ولذا ورد في الأخبار أنه لا يحدث شيء في السماء والأرض إلاّ بإذنه سبحانه[١].

وشيخنا الطوسي التجأ إلى هذه التفسيرات والتعليلات يضيفها إلى الرواية التي نقلناها لك عن تفسير (مجمع البيان) الظاهرة في ابتعاد النار وانحسارها عنه.

وقال الرازي في تفسيره: اختلفوا في أن النار كيف بردت، على ثلاثة أقوال: أحدها: أن الله تعالى أزال عنها ما فيها من الحر والإحراق، وأبقى ما فيها من الإضاءة والإشراق، والله على كلّ شيء قدير.

وثانيها: أن الله تعالى خلق في جسم إبراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النار إليه، كما يفعل بخزنة جهنّم في الآخرة، وكما أنه ركّب بنية النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة، وبدن السمندل بحيث لا يضره المكث في النار.

وثالثها: أنه سبحانه خلق بينه وبين النار حائلاً يمنع من وصول أثر النار

---

١. التبيان ٧: ٢٦٢ .

إليه، قال المحققون: والأول أولى؛ لأن ظاهر قوله: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا﴾ أن نفس النار صارت باردة حتى سلم إبراهيم من تأثيرها، لا أن النار بقيت كما كانت.

فإن قيل: النار جسم موصوف بالحرارة واللطافة، فإذا كانت الحرارة جزء من مسمى النار امتنع كون النار باردة، فإذا وجب أن يقال: المراد من النار الجسم الذي هو أحد أجزاء مسمى النار، وذلك مجاز فلم كان مجازكم أولى من المجازين الآخرين؟

قلنا: المجاز الذي ذكرناه يبقى معه حصول البرد، وفي المجازين اللذين ذكرتموهما لا يبقى ذلك، فكان مجازنا أولى.

أما قوله تعالى: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ فالمعنى أن البرد إذا أفرط أهلك كالحر، بل لا بد من الاعتدال، ثمّ في حصول الاعتدال ثلاثة أوجه: أحدها: أنه يقدّر الله تعالى بردها بالمقدار الذي لا يؤثر.

وثانيها: أن بعض النار صار برداً وبقي بعضها على حرارته، فتعادل الحر والبرد.

وثالثها: أنه تعالى جعل في جسمه مزيد حر فسلم من ذلك البرد، بل قد انتفع به والتذّ.

ثمّ هاهنا تساؤلات:

السؤال الأول: أو كلّ النار زالت وصارت برداً؟

الجواب: أن النار هو اسم الماهية، فلا بدّ وأن يحصل هذا البرد في الماهية، ويلزم منه عمومه في كلّ أفراد الماهية، وقيل: بل اختص بتلك النار، لأن الغرض إنما تعلّق ببرد تلك النار، وفي النار منافع للخلق فلا يجوز تعطيلها، والمراد خلاص إبراهيم عليه السلام لا إيصال الضرر إلى سائر الخلق.

السؤال الثاني: هل يجوز ما روي عن الحسن البصري! من أنه سلام من الله تعالى على إبراهيم عليه السلام؟

الجواب: الظاهر كما أنه جعل النار برداً جعلها سلاماً عليه حتى يخلص، فالذي قاله يبعد وفيه تشتيت الكلام المرتب.

السؤال الثالث: أفيجوز ما روي من أنه لو لم يقل وسلاماً لأتى البرد عليه؟

والجواب: ذلك بعيد؛ لأنّ برد النار لم يحصل منها، وإنما حصل من جهة الله تعالى، فهو القادر على الحر والبرد، فلا يجوز أن يقال: كان البرد يعظم لولا قوله سلاماً.

السؤال الرابع: أفيجوز ما قيل من أنه كان في النار أنعَمَ عيشاً منه في سائر أحواله؟

والجواب: لا يمتنع ذلك لما فيه من مزيد النعمة عليه وكمالها، ويجوز أن يكون إنما صار أنعَمَ عيشاً هناك لعِظَم ما ناله من السرور بخلاصه من ذلك الأمر العظيم، ولعظم سروره بظفره بأعدائه وبما أظهره من دين الله تعالى[1].

المشتري في صورة رجل

المسلّم والمعروف أنّ المشتري من الكواكب السيارة التي تجري حول الشمس، لكن ورد في الخبر أنّه نزل إلى الأرض في صورة رجلٍ، وفيه ظهور في أنّه من الأحياء في مقابل الجمادات، والبحث عن معقولية هذا المضمون وعدمها يستلزم أن نأتي بنصّ الخبر، حيث روى محمّد بن يحيى، عن سلمة ابن الخطاب، وعدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد جميعاً، عن علي بن حسان، عن علي بن عطية الزيّات، عن معلى بن خنيس قال: سألت أبا عبد

---

١. تفسير الرازي ٢٢: ١٨٩ .

اللهعليه السلام عن النجوم أحقّ هي؟ فقال: «نعم، إنّ الله عزّ وجلّ بعث المشتري إلى الأرض في صورة رجل، فأخذ رجلاً من العجم فعلّمه النجوم حتى ظنّ أنّه قد بلغ ثمّ قال له: أُنظر أين المشتري؟ فقال: ما أراه في الفلك وما أدري أين هو.

قال: فنحّاه وأخذ بيد رجل من الهند فعلّمه حتى ظنّ أنّه قد بلغ وقال: أُنظر إلى المشتري أين هو؟ فقال: إنّ حسابي ليدلّ على أنّك أنت المشتري، قال: وشهق شهقة فمات وورث علمَه أهلُه، فالعلم هناك»[١].

وقال العلاّمة المجلسي في ذيل قولهعليه السلام: (في صورة رجل): لعلّ المراد على تقدير صحة الخبر أن الله تعالى جعله في هذا الوقت ذا روح وحياة وعلم وبعثه إلى الأرض، لئلا ينافي إجماع المسلمين على عدم حياة الأجسام الفلكية وشعورها، وأما أنه كيف صار صغيراً بحيث وسعه الأرض وحضر عند الرجل؟

فيمكن أن يكون على التكاثف، أو على إعدام بعض الأجزاء سوى الأجزاء الأصلية التي بها تشخص الكوكب، ثمّ إيجاد تلك الأجزاء وإعادتها، كما أنّ الشخص تتبدّل أجزاؤه من أول العمر إلى آخره وتشخصه محفوظ بالأجزاء الأصلية، والخبر يدل على أنّ لهذا العلم أصلاً، ولا يدل على جواز النظر فيه وتعليمه وتعلمه واستخراج الأحكام منه لسائر الخلق، ولعله يكون فتنة كقصة هاروت وماروت[٢].

وقال الملا صالح المازندراني: الظاهر أنّ هذا محمول على ظاهره، ولا باعث للعدول عنه، لأن الذي يقدر أن يجعل العصا حية، ويُخرج الناقة

---

١. **الكافي** ٨: ٣٣٠ / ٥٠٧.

٢. **بحار الأنوار** ٥٥: ٢٧١ / ح ٥٨.

الجسيمة مع حملها من الجبل، يَقْدر أن يُنزل المشتري لتعليم بعض العلوم الغريبة والآثار السماوية. ثمّ هذه الرواية دلّت على حقيقة علم النجوم وحقيقة أهله، وقد وقع في بعض الروايات ذمهما، فوجهُ الجمع أنّ الله سبحانه جعل للأشياء أسباباً، كما جعل الشمس سبباً لإضاءة العالم، وجعل اتّصال الكواكب بعضها ببعض سبباً لنزول المطر أو لغير ذلك من الأمور المعلومة في علم النجوم، فمن جعل هذه الأمور أسباباً وعلامات لما يترتب عليها لا بالاستقلال بل بفعل الله تبارك وتعالى شأنه فهو ليس بمذموم، وأما من جعل هذه الأمور علّة موجدة بالاستقلال، سواء اعتقد ذلك أو لا، لكن أتى بعبارة موهمة لذلك فهو مذموم بل كافر بالله[1].

العصا تتبدّل إلى ثعبان

العصا جسم جامد، والثعبان حيوان له نَفْس، فهو غير العصا والعصا غيره، ولكنّ تبدّل الجماد وتحوّله إلى حيوان يتحرك يؤدي مأمورية خاصة ثمّ يرجع ويؤول إلى ما كان عليه ليس بالأمر العسير على الله تعالى، كيف وقد نطق القرآن الكريم بانقلاب عصا نبي الله موسىعليه السلام إلى ثعبان مبين، حيث قال الله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾[2].

قال الطبرسي في (مجمع البيان): حية عظيمة، وبيّن ظاهر أنه ثعبان بحيث لا يشتبه على الناس، ولم يكن مما يُخيَّل أنه حية وليس بحية. وقيل: إن العصا لما صارت حية أخذت قبة فرعون بين فكّيها، وكان ما بينهما ثمانون ذراعاً، فتضرّع فرعون إلى موسى بعد أن وثب من سريره، وهرب منها

١. شرح أصول الكافي ١٢: ٤٦٤.
٢. الأعراف: ١٠٧.

وأحدث! وهرب الناس، ودخل فرعون البيت، وصاح: يا موسى خذها، وأنا أؤمن بك. فأخذها موسى، فعادت عصا، وهذا منقول عن ابن عباس والسدي. وقيل: كان طولها ثمانين ذراعاً[1].

وقال السيد المرتضى في (الأمالي): إن سأل سائل فقال: ما تقولون في قوله تبارك وتعالى حكايةً عن موسى: ﴿**فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ**﴾، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿**وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ**﴾[2] والثعبان الحية العظيمة الخلقة، والجانّ الصغير من الحيات، فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة، وكيف يجوز أن تكون العصا في حالة واحدة بصفة ما عَظُم خَلْقُه من الحيات وبصفة ما صغر منها، وبأي شيءٍ تزيلون التناقض عن هذا الكلام؟

الجواب: أول ما نقوله: إنّ الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبراً عن قصّة واحدة ظنٌّ باطل، بل الحالتان مختلفتان، فالحال التي أخبر أن العصا فيها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة وقبل مصير موسى إلى فرعون، والحال التي صار العصا عليها ثعباناً كانت عند لقائه فرعون وإبلاغه الرسالة، والتلاوة تدل على ذلك.

وإذا اختلفت القصتان فلا مسألة، على أنّ قوماً من المفسرين قد تعاطوا الجواب على هذا السؤال: إمّا لظنهم أنّ القصّة واحدة، أو لاعتقادهم أنّ العصا الواحدة لا يجوز أن تنقلب في حالين، تارة إلى صفة الجان، وتارة إلى صفة الثعبان، أو على سبيل الاستظهار في الحجة، وإن الحال لو كانت واحدة على

---

١. **مجمع البيان** ٤: ٣٢٢.

٢. النمل: ١٠.

ما ظُنّ لم يكن بين الآيتين تناقض.

وهذا الوجه أحسن ما تُكُلِّف به الجواب لأجله، لأن الأوَّلين لا يكونان إلاّ عن غلط أو عن غفلة. وذكروا وجهين تزول بكل واحد منهما الشبهة من تأويلها:

أحدهما: أنه تعالى إنما شبّهها بالثعبان في إحدى الآيتين لعِظم خلقها وكِبَر جسمها وهول منظرها، وشبّهها في الآية الأخرى بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفّتها، فاجتمع لها مع أنها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجان وسرعة حركته، وهذا أبهر في باب الإعجاز وأبلغ في خرق العادة، ولا تناقض معه بين الآيتين.

وليس يجب إذا شبّهها بالثعبان أن يكون لها جميع صفات الثعبان، وإذا شبّهها بالجان أن يكون لها جميع صفاته، وقد قال الله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ﴾[1]، ولم يرد تعالى أنّ الفضة قوارير على الحقيقة، وإنما وصفها بذلك لأنه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقّتها، مع أنها من فضة، وقد تُشبِّه العرب الشيءَ بغيره في بعض وجوهه، فيشبّهون المرأة بالظَّبية، ونحن نعلم أن في الظباء من الصفات ما لا يُستحسن أن يكون في النساء وإنما وقع التشبيه في صفة دون صفة، ومن وجه دون آخر.

والجواب الثاني: أنه تعالى لم يرد بذكر الجانّ في الآية الأخرى الحية، وإنما أراد أحد الجن، فكأنه تعالى أخبر بأنّ العصا صارت ثعباناً في الخلقة وعِظم الجسم، وكانت مع ذلك كأحد الجن في هول المنظر وإفزاعها لمن

---

١. الإنسان: ١٥ و ١٦.

شاهدها، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾[١].

ويمكن أن يكون في الآية تأويل آخر استخرجناه ؛ إن لم يزد على الوجهين الأولين لم ينقص عنهما، والوجه في تكلفنا له ما بيّناه من الاستظهار في الحجة، وأن التناقض الذي تُوُهِّم زائل على كلّ وجه، وهو أنّ العصا لما انقلبت حية صارت أولاً بصفة الجان وعلى صورته، ثمّ صارت بصفة الثعبان، ولم تصر كذلك دفعةً واحدة فتتفق الآيتان على هذا التأويل، ولا يختلف حكمهما، وتكون الآية الأولى تتضمن ذكر الثعبان إخباراً عن غاية حال العصا، وتكون الآية الثانية تتضمن ذكر الحال التي ولّى موسى فيها هارباً، وهي حال انقلاب العصا إلى خلقة الجان وإن كانت بعد تلك الحال انتهت إلى صورة الثعبان.

فإن قيل: على هذا الوجه كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ وهذا يقتضي أنها صارت ثعباناً بعد الإلقاء بلا فصل؟

قلنا: لا تفيد الآية ما ظُن، وإنما فائدة قوله تعالى ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ الإخبارُ عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة، وأنه لم يَطُلِ الزمان في مصيرها كذلك، ويجري هذا مجرى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[٢]، مع تباعد ما بين كونه نطفة وكونه خصيماً مبيناً، وقولهم: ركب فلان من منزله، فإذا هو في ضيعته وسقط من أعلى الحائط فإذا هو في الأرض. ونحن نعلم أنّ بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زماناً، وأنه لم يصل إليها إلاّ على تدريج، وكذلك الهابط من الحائط، وإنما فائدة الكلام

---

١. القصص: ٣١.

٢. يس: ٧٧.

الإخبار عن تقارب الزمان وأنه لم يطل ولم يمتد[١].

وهنا سؤال آخر مفاده أنّ نبي الله موسى عليه السلام متى أخذها، بعد انقلابها عصا أو قبل ذلك؟

والجواب: رُوي أنه أدخل يده بين أسنانها فانقلبت خشبة، والقرآن يدل عليه أيضاً بقوله تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾[٢] وذلك يقع في الاستقبال، وأيضاً فهذا أقرب للكرامة، لأنه كما أنّ انقلاب العصا حية معجزة، فكذلك إدخال يده في فمها من غير ضرر معجزة، وانقلابها خشباً معجزة أخرى، فيكون فيه توالي المعجزات فيكون أقوى في الدلالة[٣].

هل يمكن قلب العصا إلى حية عظيمة؟!

لا شك في أن تبديل العصا إلى حية عظيمة معجزة، ولا يمكن تفسيرها بالتحليلات المادية المتعارفة، ولكنها مألوفة للموحّد الذي يعتبر جميع قوانين المادة محكومة للمشيئة الربانية وليس فيها ما يدعو للعجب، فلا عجب أن تتبدّل قطعة من الخشب إلى حيوان بقوةٍ ما فوق الطبيعة.

ويجب أن لا ننسى أن جميع الحيوانات في عالم الطبيعة توجد من التراب، والأخشاب والنباتات هي الأخرى من التراب، غاية ما هنالك أن تبديل التراب إلى حية عظيمة يحتاج عادة إلى ملايين السنين، ولكن في ضوء الإعجاز تقصر هذه المدة إلى درجة تتحقق كلُّ تلك التحوّلات والتكاملات في لحظة واحدة وبسرعة، وطيّ الزمان مألوفٌ عند أهل التوحيد والعرفان، فتتّخذ القطعةُ من الخشب ـ التي تستطيع وفق الموازين الطبيعية أن

---

١. **الأمالي** للسيد المرتضى ١: ١٨.

٢. سورة طه: ٢١.

٣. **تفسير الرازي** ٢٢: ٢٩.

تُغَيّر بهذه الصورة بعد مضي ملايين السنين ـ مِثلَ هذه الصورة في عدة لحظات.

والذين يحاولون أن يجدوا لمعاجز الأنبياء تفسيرات طبيعية ومادية ـ وينفوا طابعها الإعجازي، ويظهروها في صورة سلسلة من المسائل العادية مهما كانت هذه التفاسير مخالفة لصريح الكتب السماوية ـ يجب أن يوضحوا موقفهم: هل يؤمنون بالله وقدرته ويعتبرونه حاكماً على قوانين الطبيعة، أم لا؟ فإذا كانوا لا يؤمنون به ولا بقدرته، لم يكن كلام الأنبياء ومعجزاتهم إلاّ خيالاً لديهم.

تبديل يد موسى عليه السلام

الآية الشريفة تشير إلى معجزة أُخرى لنبي الله موسى عليه السلام ولها طابع الرجاء والبشارة، يقول تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ﴾[1]، ونزع تعني في الأصل أخذَ شيء من مكان، مثلاً أخذ العباءة من الكتف واللباس عن البدن، يُعبَّر عنه في اللغة العربية بالنزع، فيقال: نزع ثوبه ونزع عباءته، وهكذا أخذُ الروح من البدن يطلق عليه نَزْعاً.

وبهذه المناسبة قد يُستعمل في الاستخراج، وقد جاءت هذه اللفظة في الآية بهذا المعنى. ومع أن هذه الآية لم يرد فيها أي حديث عن محل إخراج اليد، ولكن من الآية الشريفة في سورة القصص ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء﴾[2] ويستفاد أنّ موسى كان يُدخل يده في جيبه ثمّ يخرجها ولها بياض خاص، ثمّ تعود إلى سيرتها وحالتها الأولى. ونقرأ في بعض الأحاديث

---

١. الأعراف: ١٠٨ .

٢. القصص: ٣٢ .

والروايات والتفاسير أن يد موسى كانت ـ مضافاً إلى بياضـها ـ تشـع بشـدة، ولكن الآيات القرآنية ساكتة عن هذا الموضوع، مع عدم تنافٍ بينهما[١].

إن هذه المعجزة والمعجزة السابقة حول العصا ليس لها جانب طبيعـي أو عادي، بل هي من صنف خوارق العادة التي جاء بها الأنبياء، وهي غير ممكنة من دون تدخّل قوة غير طبيعية في الأمر.

الطمس

نبي الله موسى عليه السلام لما رأى آل فرعون لا يـزدادون إلاّ كفـراً، دعـا علـيهم فقال داعياً ومخاطباً: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾[٢]، فطمس الله أموالهم حجـارة فلم يَبقَ لهم شيءٌ مما خلق الله تعالى يملكونه، لا حنطة ولا شـعير ولا ثـوب ولا سلاح ولا شيء من الأشياء إلاّ صار حجارة[٣].

قال الطوسي في (التبيان) فـي ظـلّ قولـه عـزّ وجـل: ﴿رَبَّنَـا اطْمِـسْ عَلَـى أَمْوَالِهِمْ﴾: إخبار عن موسى أنه دعا علـى قومـه، فسـأل الله أن يطمـس علـى أموالهم، والطمس محو الأثر، تقول: طمستُ عينَه أطمسـها طمسـاً وطموسـاً، وطمَسَتِ الريحُ آثارَ الديار، فدعا موسى عليه السلام علـيهم بـأن يقلـب حـالهم عـن الانتفاع بها.

قال قتادة والضحاك وابن زيد وأبو صالح: صارت أموالهم حجارة[٤].

---

١. **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل** ٥:١٤٢ .

٢. يونس: ٨٨ .

٣. **قصص الأنبياء** للراوندي: ١٧٢، **بحار الأنوار** ١٣: ١١٥ .

٤. **التبيان** ٥: ٤٢٣ .

وقال الطبرسي في (مجمع البيان): والمراد بالطمس على الأموال: تغييرها عن جهتها إلى جهة لا ينتفع بها. قال مجاهد وقتادة، وعامة أهل التفسير: صارت جميع أموالهم حجارة حتى السُّكّر[١].

وعن القرظي أنّه قال: اجعل سكّرهم حجارة. وعن الربيع بن أنس قال: صارت حجارة. وعن معمَّر، عن قتادة: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ قال: بلَغَنا أن حروثاً لهم صارت حجارة. عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ قال: جعلها الله حجارة منقوشة على هيئة ما كانت[٢].

انقلاب الماء دماً

قد كثرت مخالفة بني إسرائيل لأنبيائهم، وكان جزاء أعمالهم أنواعاً من العذاب، وقد ذكر القرآن الكريم مشاهدَ من ذلك، وفي كلّ مرة يرون فيها العذاب يعلنون توبتهم أمام نبيهم، لكنّهم سرعان ما يرجعون إلى ما كانوا عليه، وهذا دأبهم، إلى أن قال فرعون لموسى: أُدع لنا ربك، لئن كشفت عنا القُمّلَ لأكفّنّ عن بني إسرائيل. فدعا موسى حتى ذهب القمّل، بعدما أقام عندهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فنكثوا، فأنزل الله عليهم في السنة الرابعة ـ وقيل: في الشهر الرابع ـ الضفادعَ فكانت تكون في طعامهم وشرابهم، وامتلأت منها بيوتهم وأبنيتهم، فلا يكشف أحد ثوباً ولا إناءً ولا طعاماً ولا شراباً، إلاّ وجد فيه الضفادع، وكانت تَثِب في قدورهم فتُفسد عليهم ما فيها، وكان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع، ويهمّ أن يتكلّم

١. **مجمع البيان** ٥: ٢٢٠ .
٢. **جامع البيان** ١١: ٢٠٣ .

فيثب الضفدع في فيه، ويفتح فاه لأكْلته فيسبق الضفدع أكلته إلى فيـه، فلَقَـوا منها أذى شديداً!

فلمّا رأوا ذلك بكوا وشكوا إلى موسى، وقالوا: هذه المرة نتوب ولا نعـود، فادْعُ الله أن يُذهب عنا الضفادع، فإنا نؤمن بك ونرسـل معـك بنـي إسـرائيل. فأخذ عهودهم ومواثيقهم، ثمّ دعا ربـه فكشـف عـنهم الضـفادع بعـدما أقـام عليهم سبعاً من السبت إلى السبت، ثمّ نقضوا العهد وعادوا لكفرهم.

فلما كانت السنة الخامسة أرسل الله عليهم الدم، فسـال مـاء النيـل علـيهم دماً، فكان القبطي يراه دماً، والإسرائيلي يراه ماءً، فإذا شـربه الإسـرائيلي كـان ماءً، وإذا شربه القبطي كان دماً، وكان القبطي يقول للإسرائيلي: خذ الماء فـي فيك، وصُبَّه في فيّ فكان إذا صبه فـي فـم القبطـي تحـول دمـاً، وإن فرعـون اعتراه العطش حتى إنه لَيُضطَرّ إلى مضغ الأشجار الرطبة، فإذا مضـغها يصـير ماؤها في فيه دماً، فمكثوا في ذلك سبعة أيام، لا يأكلون إلاّ الدم، ولا يشربون إلاّ الدم!

قال زيد بن أسلم: الدم الذي سُلّط علـيهم كـان الرُّعـاف[١]، فـأتوا موسـى فقالوا: أُدعُ لنا ربك يكشف عنـا هـذا الـدم، فنـؤمن لـك ونرسـل معـك بنـي إسرائيل. فلمّا دفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا، ولم يخلوا عن بني إسرائيل[٢].

اخضرار اليابس

نقل الشيخ الصدوق ـ في باب علة صُفرة لون المشـمش وحـلاوة بعـض نواها دون بعض ـ عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وآله:

---

١. الرُّعاف: الدم الذي يخرج من الأنف .

٢. **مجمع البيان** ٤: ٣٤٠ .

«إنّ نبياً من أنبياء الله بعثه الله تعالى إلى قومه فبقي فيهم أربعين سنة فلم يؤمنوا به، فكان لهم عيد في كنيسة، فاتّبعهم ذلك النبي فقال لهم: آمنوا بالله.

قالوا له: إن كنت نبياً فادعُ لنا الله أن يجيئنا بطعام على لون ثيابنا. وكانت ثيابهم صفراء، فجاء بخشبة يابسة فدعا الله تعالى عليها، فاخضرت وأينعت، وجاء بالمشمش حملاً فأكلوا فكلّ من أكل ونوى أن يُسلم على ذلك النبي خرج ما في جوف النوى مِن فيه حلواً، ومن نوى أنه لا يسلم خرج ما في جوف النوى مِن فيه مرّاً»[١].

وكما ذكرنا سابقاً بأنّ هذا التبدّل والتغيّر صار ويصير بدعاء الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لكي يؤمن القوم، ويصدّقوا أن ما جاء به النبي هو من الله تعالى.

انقلاب الرغيفين رجلين

عكرمة [٢] مولى ابن عباس نقل لنا: أن ملكاً من بني إسرائيل كان قد نادى في قومه أنّه لا يتصدّق أحد من أهل بلدة إلاّ قطع يده وأزعجه[٣] من بلده،

---

١. **علل الشرائع** ٢: ٥٧٣ الباب ٣٧٥، والسند هكذا: عن أحمد بن محمّد بن عيسى العلوي الحسيني، قال: حدثّنا محمّد بن أسباط، قال: حدثّنا أحمد بن محمّد بن زياد القطان، قال: حدثّني أبو الطيب أحمد بن محمّد بن عبد الله، قال:حدثّني عيسى بن جعفر العلوي العمري، عن آبائه عن عمر بن علي، عن أبيه .

٢ . قال العلامة في **خلاصة الأقوال**: ٢٤٥ عكرمة مولى ابن عباس ليس على طريقتنا ولا من أصحابنا، وفي **رجال الكشي**: ٢١٦ أنّه مات على غير الإيمان وانظر ترجمته في **منتهى المقال** ٤: ٣١٤ .

٣ . أي أقلقه وأقلعه من مكانه، والمزعاج المرأة التي لا تستقر في مكان كما في **الصحاح** للجوهري ١: ٣١٩ وفي **لسان العرب** ٨: ٥١ .

فتصدّقت امرأة برغيفين به، فسمع الملك، فأخرجها من البلد وقطعها، فخرجت ومعها طفل، ثم إنّها دنت من نهر تريد أن تشرب، فسقط طفلها في النهر، وبقيت متلدّدة[١]، فإذا هي برجلين، فقالا لها: ما تقولين إن ردّ الله عليك يدك وولدك؟

قالت: وأنّى لي بذلك؟! فدعوا لها فردّ الله عليها اليد والولد، فقالت: بالله من أنتما؟ قالا: نحن رغيفاك[٢].

انقلاب الطومار[٣] ثعباناً

أشدّ الناس عناداً وأكثرهم تشكيكاً بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله اليهود والذين أشركوا، فما من حجة دامغة يأتي بها رسول الله إلاّ كانوا يردّونها ولم يقبلوها، إلى أن وصل الأمر أن يحتج عليهم النبي الكريم بالتوراة الموجودة عندهم، لكن مع ذلك ظهر منهم العناد والخلاف وعدم الانصياع إلى الحق، فقد قال الإمام أبو محمّد الحسن العسكري عليه السلام في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾[٤]: «خاطب الله تعالى بها قوماً من اليهود لبسوا الحق بالباطل، بأن زعموا أن محمداً صلوات الله عليه نبي، وأن علياً وصي، ولكنهما يأتيان بعد وقتنا هذا بخمسمائة سنة. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: أترضون التوراة بيني وبينكم حَكَماً؟ قالوا: بلى.

فجاؤوا بها، وجعلوا يقرؤون منها خلاف ما فيها، فقلب الله الطومار الذي

---

١. التلدّد: التلفت يميناً وشمالاً كما في **غريب الحديث** لابن قتيبة ١: ٣٣٧.

٢. **سلوة الحزين** للراوندي: ٢٠٧.

٣. الطومار: الصحيفة، والجمع طوامير.

٤. البقرة: ٤٢.

كانوا يقرؤون فيه، وهو في يد قرائين منهم مع أحدهما أوله، ومع الآخَر آخِرُه، فانقلب ثعباناً له رأسان، وتناول كلّ رأس منهما يمين من هو في يده، وجعل يرضضه[1] ويهشمه[2]، ويصيح الرجلان ويصرخان.

وكانت هناك طوامير أُخر فنطقت وقالت: لا تزالان في هذا العذاب حتى تقرءا بما فيها من صفة محمّد صلى الله عليه وآله ونبوته، وصفة علي وإمامته على ما أنزل الله تعالى فيها[3]، فقرءاه صحيحاً، وآمنا برسول الله صلى الله عليه وآله، واعتقدا إمامة عليٍّ ولي الله ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله»[4].

فيكون طيراً بإذن الله

ضعاف العقول يطلبون من الأنبياء عليهم السلام المعجزة تلو المعجزة، فإذا رأوا استجابة النبي لهم قالوا: هذا سحر مبين! وارتدوا على أعقابهم، أما العالم العاقل فيكفيه على صحة دعوى النبوة والرسالة وقبولها معجزةٌ واحدة، وقد أمر جالينوس ـ المعاصر لنبي الله عيسى عليه السلام ـ الناس بلزوم الإيمان بما جاء به.

بيان ذلك: قال تعالى: ﴿**أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[5]، المشهور بين المفسرين من الخاصة والعامة أن الطير كان هو الخفاش، قال أبو الليث في تفسيره: إنّ الناس سألوا عيسى على وجه التعنّت فقالوا له: أخلقْ لنا خفاشاً واجعل فيه روحاً إن كنت من الصادقين. فأخذ طيناً وجعله خفاشاً ونفخ فيه، فإذا هو يطير بين السماء والأرض، وكان

---

١. رضضه: بالغ في رضّه أي دقّه وجرشه.

٢. هشم الشيء: بالغ في هشمه أي كسره.

٣. أي في التوراة.

٤. **التفسير المنسوب للإمام العسكري** عليه السلام: ٢٣٠، **مدينة المعاجز** ١: ٤٧٨، **بحار الأنوار** ٩: ٣٠٨.

٥. آل عمران: ٤٩.

تسوية الطين والنفخ من عيسى عليه السلام، والخلق من الله تعالى، ويقال: إنما طلبوا منه خلق خفاش لأنه أعجب من سائر الخلق.

ومن عجائبه أنه دم ولحم يطير بغير ريش، ويلد كما يلد الحيوان، ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور، ويكون له الضَّرْع ويخرج منه اللبن، ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل، وإنما يرى في ساعتين: بعد غروب الشمس ساعة، وبعد طلوع الفجر ساعة قبل أن يسفر جداً، ويضحك كما يضحك الإنسان، وتحيض كما تحيض المرأة.

فلما رأوا ذلك منه ضحكوا وقالوا: هذا سحر مبين! فذهبوا إلى جالينوس فأخبروه بذلك، فقال: آمِنُوا به.. الخبر[1].

وفي (العيون) و(العلل): في خبر الشامي أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن ستة لم يركضوا في رَحِم فقال: «آدم وحواء، وكبش إسماعيل وعصا موسى وناقة صالح، والخفاش الذي عَمِله عيسى بن مريم عليه السلام فطار بإذن الله تعالى»[2].

إنّ قضية إحياء الموتى التدريجي بإذن الله ليست عويصة، لأننا نعلم أن جميع الكائنات الحية مخلوقة ابتداءً من التراب والماء، إلاّ أن المعجزة في أن هذا الخلق الذي تحقق على امتداد سنوات طويلة، فما الذي يمنع من أن يكثّف الله تلك العوامل والأسباب بحيث تتمّ مراحلُ الخلق بسرعة فائقة، ويتحوّل الطين إلى كائن حي؟ بديهي أنّ تحقق هذا الأمر في ذلك المحيط، وفي أي محيط آخر، سند حي ودليل واضح على علاقة صاحب المعجزة

---

١. ينظر: تفسير السمرقندي ١: ٢٤٠، وبحار الأنوار ٦١: ٣٢٢.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٢١، علل الشرائع: ٥٩٥.

بعالم ما وراء الطبيعة، وعلى قدرة الله غير المتناهية[١].

شقّ القمر

من الواضح أنه لا خلاف بين المفسرين ورواة الحديث حول حدوث ظاهرة شق القمر الذي شُوهد في مكة المكرمة وخارجها، في حين يستفاد من البعض الآخر أن حدوث هذا الأمر قد وقع قرب هجرة الرسولﷺ وفي آخر عهده بمكة، وكان استجابةً لطلب جماعة قدموا من المدينة لمعرفة الحق وأتباعه، إذ إنّهم بعد رؤيتهم لهذه المعجزة آمنوا وبايعوا رسول اللهﷺ في العَقَبة.

ونقرأ في بعض الروايات أيضاً أن سبب اقتراح شق القمر كان من أجل المزيد من الاطمئنان بمعاجز الرسولﷺ وأنها لم تكن سحراً، لأن السحر عادة يكون في الأمور الأرضية. ومع ذلك فإنّ قسماً من المتعصّبين والمعاندين لم يؤمنوا على الرغم من مشاهدتهم لهذا الإعجاز، وتعللوا بأنهم ينتظرون قوافل الشام واليمن، فإن أيدوا هذا الحادث ورؤيتهم له آمنوا، ومع إخبار المسافرين لهم بذلك إلاّ أنهم بقوا مصرين على الكفر رافضين للإيمان.

يقول الشيخ الطبرسي في (مجمع البيان): لقد أجمع المفسرون والمحدثون ـ سوى عطاء والحسين والبلخي الذين ذكرهم ذكراً عابراً ـ أن معجزة شق القمر كانت في زمن الرسول الأكرمﷺ. ونُقل أن حذيفة ـ وهو أحد الصحابة المعروفين ـ ذكر قصّة شق القمر في جمع غفير في مسجد المدائن، ولم يعترض عليه أحد من الحاضرين، مع العلم أن كثيراً منهم قد عاصر زمن الرسولﷺ.

---

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٢: ٥٠٥ .

فمسألة شق القمر أمر غير قابل للإنكار، سواء من الآية نفسها والقرائن الموجودة فيها، أو من خلال الأحاديث والروايات، أو أقوال المفسرين.

السؤال المهم المطروح في هذا المبحث هو:

هل أن الأجرام السماوية يمكنها أن تنفصل وتنشق؟ وما هو موقف العلم الحديث من ذلك؟

وللإجابة على هذا السؤال، وبناءً على النتائج التي توصل إليها العلماء الفلكيون، فإنّ مِثل هذا الأمر في نظرهم ليس بدرجة من التعقيد بحيث يستحيل تصوّره.

إنّ الاكتشافات العلمية التي توصل إليها الباحثون تؤكد أن مثل هذه الحوادث ـ مضافاً إلى أنها ليست مستحيلة ـ فقد لوحظت نماذج عديدة من هذا القبيل ولعدة مرات مع اختلاف العوامل المؤثرة في كلّ حالة. وبعبارة أخرى: فقد لوحظ أن مجموعة انفجارات وانشقاقات قد وقعت في المنظومة الشمسية، بل في سائر الأجرام السماوية، ويمكن ذكر بعض النماذج كشواهد على هذه الظواهر:

أ ـ ظهور المنظومة الشمسية: إن هذه النظرية المقبولة لدى جميع العلماء تقول: إن جميع كُرات المنظومة الشمسية كانت في الأصل جزءاً من الشمس، ثمّ انفصلت عنها، حيث أصبحت كلّ واحدة منها تدور في مدارها الخاص بها، غاية الأمر هناك كلام في السبب لهذا الانفصال... .

يعتقد (لابلاس) أن العامل المسبب لانفصال القطع الصغيرة من الشمس هو القوة الطاردة التي توجد في المنطقة الاستوائية لها، حيث إنّ الشمس كانت تُعتبَر ولحد الآن كتلة ملتهبة، وضمن دورانها حول نفسها، فإن السرعة الموجودة في المنطقة الاستوائية لها تُسبِّب تناثر بعض القطع منها في الفضاء،

مما يجعل هذه القطع تدور حول مركزها الأصلي (الشمس).

ولكن العلماء الذين جاؤوا بعد (لابلاس) توصّلوا من خلال تحقيقاتهم إلى فرضية أُخرى تقول: إن السبب الأساس لحدوث الانفصال في الأجرام السماوية عن الشمس هو حالة المدّ والجزر الشديدين التي حدثت على سطح الشمس نتيجة عبور نجمة عظيمة بالقرب منها.

ب ـ (الأسترويدات): وهي قِطع من الصخور السماوية العظيمة تدور حول المنظومة الشمسية، ويُطلق عليها في بعض الأحيان بالكُرات الصغيرة و(شبه الكواكب السيارة)، يبلغ قطر كبراها (٢٥) كم، لكن الغالبية منها أصغر من ذلك.

ويعتقد العلماء أن الأسترويدات هي بقايا كوكب عظيم كان يدور في مدار بين مدارَي المريخ والمشتري، تعرّض إلى عوامل غير واضحة، مما أدى إلى انفجاره وتناثره. لقد تم اكتشاف ومشاهدة أكثر من خمسة آلاف من (الأسترويدات) لحد الآن، وتمّ تسمية عدد كثير من هذه القطع الكبيرة، كما تمّ حساب حجمها ومقدار ومدة حركتها حول الشمس، ويعلّق علماء الفضاء أهمية بالغة على الأسترويدات، حيث يعتقدون أنّ بالإمكان الاستفادة منها في بعض الأحيان كمحطات للسفر إلى المناطق الفضائية النائية.

ج ـ الشهب: وهي أحجار سماوية صغيرة جداً، حتّى أنّ البعض منها لا يتجاوز حجم البندقة، وهي تسير بسرعة فائقة في مدار خاص حول الشمس، وقد يتقاطع مسيرها مع مدار الأرض أحياناً فتنجذب إلى الأرض، ونظراً لسرعتها الخاطفة التي تتميز بها تصطدم بشدة مع الهواء المحيط بالأرض، فترتفع درجة حرارتها بشدة، فتشتعل وتتبين لنا كخط مضيء وهّاج بين طبقات الجو يُسمّى بالشهاب.

وأحياناً نتصور أن كلّ واحدة منها تمثّل نجمة نائية في حالة سقوط، إلاّ أنها في الحقيقة عبارة عن شهاب صغير مشتعل على مسافة قريبة يتحول فيما بعد إلى رماد، ويلتقي مدارا الشهب والكرة الأرضية في نقطتين هما نقطتا تقاطع المدارين، وذلك في شهري آب وكانون الثاني، حيث يصبح بالإمكان رؤية الشهب بصورة أكثر في هذين الشهرين.

يقول العلماء: إن الشهب هي بقايا نجمة مُذنَّبة انفجرت وتناثرت أجزاؤها بسبب جملة عوامل غير واضحة... وهذا أُنموذج آخر من الانشقاق في الأجرام السماوية.

وعلى كلّ حال، فإن الانفجار والانشقاق في الكرات السماوية ليس بالأمر الجديد، وليس بالأمر المستحيل من الناحية العلمية، ومن هنا فلا معنى حينئذ للقول بأن الإعجاز لا يمكن أن يتعلّق بالحال.

هذا كلّه عن مسألة الانشقاق، وأما موضوع رجوع القطعتين المنفصلتين إلى وضعهما الطبيعي السابق تحت تأثير قوى الجاذبية التي تربط القطعتين فهو الآخر أمر ممكن، ورغم أن الاعتقاد السائد قديماً في علم الهيئة القديم طبق نظرية بطليموس واعتقاده بالأفلاك التسعة التي هي بمثابة قشور البصل في تركيبها ـ الواحدة على الأخرى ـ فأي جسم لا يستطيع أن يخترقها صعوداً أو نزولاً.

ولذلك فان أتباع هذه النظرية ينكرون المعراج الجسماني واختراقه للأفلاك التسعة، كما أنه لا يمكن وفقاً لهذه النظريات انشقاق القمر، ومن ثمّ التئامه. ولذلك أنكروا مسألة شق القمر، ولكن اليوم أصبحت فرضية (بطليموس) أقرب للخيال والأساطير منها إلى الواقع، ولم يبق أثر للأفلاك التسعة، وأصبحت الأجواء لا تساعد لتقبل مثل هذه الآراء. وغني عن القول أن ظاهرة

شق القمر كانت معجزة، ولذا فإنها لم تتأثر بعامل طبيعي اعتيادي، والشيء الذي يراد توضيحه هنا هو بيان إمكانية هذه الحادثة، لأن المعجزة لا تتعلق بالأمر المحال[١].

تبدّل الجريدة سيفاً

ذو الفَقار سيف أعطاه رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام ففعل ما فعل وأنجز ما أنجز، وسُمِّي ذلك السيف بذي الفقار لما في ظهره من الفقرات كفقرات الظهر، أو لكونه يقطع فقرات الكفّار[٢]. وقد ورد في حقه كلام كثير منه أنه جاء به جبرئيل من الجنة، ومنه أنه كان في يد رسول الله جريدةً رطبة فانقلبت إلى سيف ذي الفَقار.

قال ابن حمّاد:

فأنزل اللهُ ذا الفَقارِ لَهُ ... مَعْ جبرئيلَ الأمين مُنتجَبا
وقيل: إنّ النبيَّ ناوَلَهُ ... جريدةً رطبةً لها اجتلبا
فانقلَبتْ ذا الفقار في يدِهِ ... كرامةً من إلهِهِ وَحِبا
سيفٌ يكون الإلهُ طابعَهُ ... فكيف ينبو وإن لن يُقالَ نبا

وورد في (علل الشرائع) بسند ذكره عن علاّن الكليني رفعه إلى الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «إنّما سُمِّي سيف أمير المؤمنين ذا الفَقار؛ لأنّه كان في وسطه خط في طوله، فشُبِّه بفقار الظهر، فسمي ذا الفقار بذلك، وكان سيفاً نزل به جبرئيل من السماء، وكانت حلقته فضّة، وهو الذي نادى به مناد من

---

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٧: ٢٩٣ .
٢. النهاية في غريب الحديث ٣: ٤٦٤ .

السماء: لا سيفَ إلاّ ذوالفَقار ولا فتى إلاّ عليّ»[١].

ويتأيد هذا المضمون بروايات كثيرة، منها ما ورد عن صفوان بن يحيى قال: سألت أبا الحسن الرضاعليه‌السلام عن ذي الفقار سيف رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله، فقال: «نزل به جبرائيل من السماء، وكانت حلْقته فضّة»[٢].

والحلقة بسكون اللام، وقد تُفتَح وتكسر، معروفة والجمع حِلَق بالتحريك وبكسر الحاء وفتح اللام، وفي بعض النسخ حِلْيتُه.

فأصل السيف كان لرسول الله قد أتى به جبرئيل من السماء، ورسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله أهداه لأمير المؤمنينعليه‌السلام، وعلى هذا فما ذكره أصحاب السير من أنه كان سيف مُنبِّه بن الحجّاج أو عاص بن منبِّه أُخِذ منه يوم بدر واصطفاه رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله ثمّ أعطاه علياً، ليس له أصل.

قال ابن شهر آشوب في (مناقب آل أبي طالب): إنّه روى كافة أصحابنا، أنّ المراد بهذه الآية ـ يعني قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾[٣] الآية ـ ذوالفَقار، أُنزل من السماء على النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله فأعطاه علياًعليه‌السلام[٤].

وعن الصفار، عن عباد بن سليمان، عن سعد بن سعد، عن يحيى، عن أبي الحسن الرضاعليه‌السلام قال: «أتى أبي بسلاح رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله» إلى أن قال: «فسألته عن ذي الفقار، سيف رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله.

---

١. **علل الشرائع** ١: ١٦٠ .

٢. **الكافي** ٨: ٢٦٧/ ح ٣٩١، **شرح أُصول الكافي** للمازندراني ١٢: ٣٧٠/ ح ٣٩١ والسند هكذا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن علي بن محمّد بن أشيم، عن صفوان.

٣. الحديد: ٢٥ .

٤. **مناقب آل أبي طالب** لابن شهرآشوب ٣: ٣٣٩، وفي طبعة أُخرى ٣: ٨١، وعنه في (**غاية المرام**) للسيد هاشم البحراني ٤: ٢٦٧ ـ الباب السابع والستون ومائة وص ٢٧٢ .

فقال: نزل به جبرئيل من السماء، وكانت حليته فضة، وهو عندي»[١].

وروى محمّد بن سليمان بسند ذكره عن محمّد بن عبيد الله عن أبيه عن جده قال: لما قَتل عليٌّ عليه السلام أصحابَ الألوية سمعوا صوتاً ولا يرون أحداً يقول: لا فتى إلاّ علي، ولا سيفَ إلاّ ذو الفَقار[٢].

والنتيجة المتحصلة من الروايات المتقدّمة أنّ سيف ذي الفقار سيف نزل به جبرئيل من السماء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ورسول الله أهداه لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وهو باق عند أئمة الهدى قد ورثه واحد عن واحد إلى أن بلغ إمام زماننا عجل الله تعالى فرجه الشريف.

إن قلت: قد ورد في الخبر أنّ سيف ذي الفقار أنزله الله تعالى مع نبي الله آدم صلوات الله عليه وأنّ له تاريخاً آخر غير ما ذكرتم، فقد ورد في تفسيرقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[٣] من طريق العامة عن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أنزل الله آدم من الجنّة ومعه سيف ذي الفقار، خُلق من ورق آس الجنّة.

ثم قال: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فكان يحارب به آدم أعداءه من الجن والشياطين، وكان عليه مكتوباً: لا يزال أنبيائي يحاربون به نبيٌّ بعد نبي وصدّيقٌ بعد صديق، حتى يرثه أمير المؤمنين فيحارب به مع النبيّ الأميّ، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ لمحمد وعلي ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ منيع بالنقمة من الكفار

---

١. **بصائر الدرجات:** ٢٠٩ / ح ٥٧، **مناقب أمير المؤمنين** للكوفي ٢: ٥٣٦ .

٢. **مناقب أمير المؤمنين** للكوفي ٢: ٥٣٦، والسند هكذا: محمّد بن سليمان قال: حدثّنا علي بن رجاء بن صالح القرشي قال: حدثّنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي، قال: حدثّنا إبراهيم ابن إسحاق الصيني عن حِبّان بن علي عن محمّد بن عبيد الله عن أبيه عن جده .

٣. الحديد: ٢٥ .

لعلي بن أبي طالب[١].

قلت: إنّ ما ذُكر لم ينقل عن إمام معصوم، بل كان عن ابن عباس، وكلام ابن عباس لا يصمد أمام كلام المعصومين أوصياء النبي صلوات الله عليه وعليهم، وقد تقدم ذكر الروايات عنهم صلوات الله عليهم أجمعين.

ولو سلّمنا اعتبار خبر ابن عباس، فمع ذلك نقول بعدم التنافي بين أن يكون هذا السيف هو نفس السيف الذي خُلق من ورق آس الجنّة، والذي نزل مع نبي الله آدم عليه السلام من الجنّة، ثمّ صار عند أنبياء الله تعالى إلى أن وصلت بعثة نبيّنا المكرم صلى الله عليه وآله فأعطاه جبرئيل إلى رسول الله وراثةً من أنبياء الله تعالى، ثمّ بعد ذلك وصل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، هذا وقد ذكرنا في كتاب (ما نزل من الجنّة والسماء إلى الأرض) أنّ هذا السيف من الجنّة، لكننا ذكرناه هنا لوجود أحد الأقوال في أنه كان جريدة ثمّ انقلب سيفاً.

سيوف أُخرى

ورد في مناقب ابن شهر آشوب أنّ عكاشة انقطع سيفه يوم بدر، فناوله رسول الله صلى الله عليه وآله خشبة وقال: قاتل بها الكفار، فصارت سيفاً قاطعاً يقاتل به حتى قتل به طليحة في الردة.

وأعطى عبد الله بن جحش يوم أحد عسيباً من نخل[٢] فرجع في يده سيفاً.

وأعطى صلى الله عليه وآله يوم أحد لأبي دجانة سعفة نخل فصارت سيفاً فأنشأ أبو دجانة:

نصرنا النبي بسعف النخيل فصار الجريد حساماً صقيلاً
وذا عجب من أمور الاله ومن عجب الله ثم الرسولا

---

١. **مناقب آل أبي طالب** لابن شهر آشوب ٣: ٣٣٩ ـ وعنه: **غاية المرام** ٤: ٢٦٨.

٢. العسيب من النخل: جريدة كشط خوصها.

وقال غيره:

ومـــن هز الجريدة فاستحالت رهيف الحد [١] لم يلق الفتونا [٢]

وفي امتاع الأسماع أنّ عيسى كان يخلق من الطين كهيئة الطير فيكون طيرا بإذن الله، وكان لنبيناﷺ نظير ذلك فإن عكاشة انقطع سيفه يوم بدر، فدفع لـه رسول اللهﷺ قضيباً من حطب، قال: قاتل بهذا، فعاد سيفاً فـي يـده شـديد المتن أبيض الحديدة طويل القامة فقاتل به، حتى فتح الله على المسلمين، ثـم لم يزل يشهد به المشاهد إلى أيام الردة.

فالمعنى الذي أمكن به نبينا أن تصير الخشبة حديداً يبقى على الأيام، هـو المعنى الذي خلق به عيسى من الطين كهيئة الطير، بل ذلك أعظم وأبدع، فإنه لم يعهد قط أن الحديد يخرج من الخشب، وقد عهد أن الحيوان يتكون مـن الطين. وأيضا فإن هذا الحديد القاطع الذي تولـد مـن الخشـب بقـي أعوامـاً كثيرة، ولم ينقل أن الطير الذي خلقه عيسى من الطين بقي لذلك[٣].

عقوق الوالد

قصص الأنبياء نقلها لنا رسول اللهﷺ والقرآن الكريم لغاية النظـر والتأمـل والاعتبار، فإن أولئك القوم أصـابهم مـا أصـابهم بسـبب مـا فعلـوا مـن آثـام ومعاص، وهذه الآثام والمعاصي لو تكررت منا تكـرر ذلـك الغضـب الربـاني وأصابنا ما أصابهم، فقد ورد في (التفسير المنسوب للإمام العسكريعليه السلام) أنّـه قال أمير المؤمنينعليه السلام: «وأمّا الطمس لأموال قوم فرعون فقـد كـان مِثلُـه آيـةً

---

١. أي رقيق الحد.

٢. **مناقب آل أبي طالب** لابن شهر آشوب ١: ١٠٤، **بحار الأنوار** ١٧: ٣٨٢.

٣. **امتاع الأسماع** للمقريزي ٤: ٢١٤.

لمحمد وعلي عليهما السلام، وذلك أنّ شيخاً كبيراً جاء بابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والشيخ يبكي ويقول: يا رسول الله، ابني هذا غذوتُه صغيراً، وصنته طفلاً عزيزاً، وأعنته بمالي كثيراً، حتى إذا اشتد أزره، وقويَ ظهره، وكثر ماله، وفُنيت قوتي، وذهب مالي عليه، وصرت من الضعف إلى ما ترى، قعد بي، فلا يواسيني بالقوت الممسك لرمقي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للشاب: ماذا تقول؟ قال: يا رسول الله، لا فضل معي عن قُوتي وقوت عيالي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للوالد: ماذا تقول؟

قال: يا رسول الله، إنّ له أنابير[1] حنطة وشعير وتمر وزبيب، وبِدَر الدراهم[2] والدنانير وهو غني.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للابن: ما تقول؟ قال الابن: يا رسول الله، مالي شيءٌ مما قال. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اتّقِ الله يا فتى، وأحسِنْ إلى والدك المحسن إليك يُحسنِ الله إليك، قال: لا شيءَ لي.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فنحن نعطيه عنك في هذا الشهر، فأعطه أنت فيما بعده، وقال لأسامة: أعطِ الشيخ مائة درهم نفقة شهر لنفسه وعياله. ففعل، فلمّا كان رأس الشهر جاء الشيخ والغلام، فقال الغلام: لا شيء لي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لك مال كثير، ولكنك تمسي اليوم وأنت فقير وقير، أفقر من أبيك هذا، لا شيء لك!

فانصرف الشاب، فإذا جيران أنابيره قد اجتمعوا عليه يقولون: حوّلْ هذه

---

١. أي مخازن، أو مذاخر، مفردها: أنبار، قيل: معرّبة عن الفارسيّة، معناها: بيت التاجر الذي تُنضَد فيه الغِلال والمتاع.

٢. البِدَر جمع بَدْرة، وهي عشرة آلاف درهم ـ كما في (**الصحاح** ٢: ٥٨٧).

الأنابير عنا. فجاء إلى أنابيره، فإذا الحنطة والشعير والتمر والزبيب قد نتن جميعه، وفسد وهلك، وأخذوه بتحويل ذلك عن جوارهم، فاكترى أُجراء بأموال كثيرة فحولوها وأخرجوها بعيداً عن المدينة.

ثم ذهب ليخرج إليهم الكِراء من أكياسه التي فيها دراهمه ودنانيره فإذا هي قد طُمست ومُسخت حجارة، وأخذه الحمالون بالأجرة، فباع ما كان له من كسوة وفرش ودار وأعطاها في الكراء، وخرج من ذلك كله صفراً، ثمّ بقي فقيراً وقيراً لا يهتدي إلى قوت يومه، فسقم لذلك جسده وضني.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أيها العاقّون للآباء والأمهات اعتبروا، واعلموا أنه كما طمس في الدنيا على أمواله فكذلك جعل بدل ما كان أُعدّ له في الجنّة من الدرجات مُعَدّاً له في النار من الدركات.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تعالى ذم اليهود بعبادة العجل من دون الله بعد رؤيتهم لتلك الآيات، فإياكم وأن تضاهوهم في ذلك. وقالوا: وكيف نضاهيهم يا رسول الله؟ قال: بأن تطيعوا مخلوقاً في معصية الله، وتتوكلوا عليه من دون الله، فتكونوا قد ضاهيتموهم»[1].

انقلاب الجذوع أفاعي

دلائل نبوة الرسول العظيم صلوات الله عليه وعلى آله الكرام أقوى وأدوم من دلائل سائر الأنبياء، ومعجزته الخالدة القرآن الكريم شاهد حي على الثبوت والدوام، لكن مع ذلك كله كان بعض ضعاف النفوس من اليهود والمشركين يطلبون معاجز أُخرى، فكانت الاستجابة لهم حُجّة أخرى عليهم عسى أن يهتدوا، فقد ورد في الخبر أن قوماً من اليهود أتوا النبي محمداً صلى الله عليه وآله

---

١. التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ٤٢١ / ح ٢٨٨ .

فسألوه وجادلوه، فما أتوه بشيءٍ إلاّ أتاهم في جوابه بما بهرهم. فقالوا له: يا محمّد، إن كنت نبياً فأتِنا بمثل عصا موسى عليه السلام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الذي أتيتكم به أعظم من عصا موسى؛ لأنه باق بعدي إلى يوم القيامة، معرَّض لجميع الأعداء والمخالفين، لا يقدر أحد منهم أبداً على معارضة سورة منه، وإنّ عصا موسى زالت ولم تبق بعده فتُمتحَن، كما يبقى القرآن فيمتحن، ثمّ إني سآتيكم بما هو أعظم من عصا موسى عليه السلام وأعجب»، فقالوا: فأتِنا.

فقال: «إنّ موسى كانت عصاه بيده يلقيها، فكانت القبط يقول كافرهم: هذا موسى يحتال في العصا بحيلة، وإن الله سوف يقلب خشباً لمحمد ثعابين بحيث لا تمسها يد محمّد ولا يحضرها إذا رجعتم إلى بيوتكم واجتمعتم الليلة في مجمعكم. في ذلك البيت قلب الله تعالى جذوع سقوفكم كلها أفاعي، وهي أكثر من مائة جذع، فتتصدع مرارات أربعة منكم فيموتون، ويُغشى على الباقين منكم إلى غداة غد، فيأتيكم يهود فتخبرونهم بما رأيتم فلا يصدّقونكم، فتعود بين أيديهم، وتملأ أعينهم ثعابين كما كانت في بارحتكم، فيموت منهم جماعة، ويخبل جماعة، ويغشى على أكثرهم».

قال الإمام عليه السلام: «فوالذي بعثه بالحق نبياً، لقد ضحك القوم كلّهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله لا يحتشمونه ولا يهابونه، يقول بعضهم لبعض: انظروا ما ادّعى؟ وكيف قد عدا طوره؟!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن كنتم الآن تضحكون، فسوف تبكون وتتحيرون إذا شاهدتم ما عنه تُخبَرون، ألا فمن هاله ذلك منكم، وخشي على نفسه أن يموت أو يخبل فليقل: اللهمّ بِجاهِ محمّد الذي اصطفيتَه، وعليٍّ الذي ارتضيتَه، وأوليائهم الذين من سلم لهم أمرهم اجتبيته، لمّا قويتَني على ما أرى. وإن كان من يموت هناك ممن تحييه وتريد إحياءه فليدع له بهذا

الدعاء، ينشره الله عزّ وجلّ ويقويه. قال: فانصرفوا، واجتمعوا في ذلك الموضع، وجعلوا يهزؤون بمحمدﷺ وقوله: إن تلك الجذوع تنقلب أفاعي.

فسمعوا حركة من السقف، فإذا تلك الجذوع انقلبت أفاعي، وقد ولّت رؤوسها عن الحائط وقصدت نحوهم تلتقمهم، فلمّا وصلت إليهم كفّت عنهم، وعدلت إلى ما في الدار من أحباب[١] وجرار وكِيزان[٢] وصلايات[٣] وكراسيّ وخشب وسلاليم وأبواب، فالتقمتها وأكلتها. فأصابهم ما قال رسول اللهﷺ أنه يصيبهم، فمات منهم أربعة، وخبل جماعة، وجماعة خافوا على أنفسهم فدعَوا بما قال رسول اللهﷺ فقويت قلوبهم.. إلى آخر الخبر[٤].

انقلاب الجبل فضّة

يظهر من بعض الأخبار أن رسول الله محمداًﷺ قد كرس جهوده في مواطن عديدة من أجل بيان عظمة شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أنسبيّته للخلافة، فكان صلوات الله عليه وآله يذكّر القوم به وبلزوم اتباع أمره ويحذرهم من مخالفته، ففي المروي عن الإمام الكاظم أنّ رسول الله بعد واقعة الغدير وتنصيبه علياًعليه السلام خليفة بعده أحسّ من بعضهم عدم الوفاء بالبيعة، وحينها جاء الأمر أن اخرُجْ بهؤلاء القوم إلى خارج المدينة، فقال لعليعليه السلام لما استقر عند سفح بعض جبال المدينة: «يا علي، إنّ الله عزّ وجلّ أمر هؤلاء بنصرتك ومساعدتك، والمواظبة على خدمتك، والجدّ في طاعتك، فإن أطاعوك فهو خير لهم، يصيرون في جنان الله ملوكاً خالدين

---

١. جمع حُبّ: الجَرّة الكبيرة.

٢. جمع كُوز: إناء كالإبريق لكنّه أصغر منه. (كلمة فارسيّة).

٣. الصلاية: كلّ حجر عريض يُدَقّ عليه.

٤. **التفسير المنسوب للإمام العسكري**عليه السلام: ٤١٠ / ح ٢٨٠، **بحار الأنوار** ١٧: ٢٦٤ / ح ٦.

ناعمين، وإن خالفوك فهو شرّ لهم، يصيرون في جهنّم خالدين معذّبين».

ثم قال رسول الله ﷺ لتلك الجماعة: «إعلموا أنكم إن أطعتم علياً سُعِدتم، وإن خالفتموه شَقِيتم، وأغناه الله عنكم بمن سيُريكموه، وبما سيريكموه». ثمّ قال رسول الله ﷺ: «يا علي، سَلْ ربك بجاه محمّد وآله الطيبين الذين أنت بعد محمّد سيدُهم، أن يقلب لك هذه الجبال ما شئت»، فسأل ربه تعالى ذلك، فانقلبت فضة.

ثم نادته الجبال: يا علي، يا وصي رسول رب العالمين، إن الله قد أعدّنا لك إن أردت إنفاقنا في أمرك، فمتى دعوتنا أجبناك لتُمضيَ فينا حكمك، وتُنفِّذ فينا قضاءك. ثمّ انقلبت ذهباً أحمر كلها، وقالت مقالة الفضة، ثمّ انقلبت مسكاً وعنبراً وعبيراً وجواهر ويواقيت، وكلّ شيءٍ منها ينقلب إليه يناديه: يا أبا الحسن، يا أخا رسول الله، نحن المسخَّرات لك، أُدْعُنا متى شئت لتنفقنا فيما شئت نُجِبْك، ونتحول لك إلى ما شئت. ثمّ قال رسول الله ﷺ: «أرأيتم قد أغنى الله عزّ وجلّ علياً ـ بما ترون ـ عن أموالكم؟».

ثم قال رسول الله ﷺ: «يا علي، سل الله عزّ وجلّ بمحمد وآله الطيبين الذين أنت سيدهم بعد محمّد رسول الله، أن يقلب لك أشجارها رجالاً شاكي الأسلحة، وصخورها أُسوداً ونموراً وأفاعي»، فدعا اللهَ عليٌّ بذلك، فامتلأت تلك الجبال والهضاب وقرار الأرض من الرجال الشاكي الأسلحة الذين لا يفي بواحد منهم عشرةُ آلاف من الناس المعهودين، ومن الأسود والنمور والأفاعي حتى طُبّقت تلك الجبال والأرضون والهضاب بذلك، وكلٌّ ينادي: يا علي يا وصي رسول الله، ها نحن قد سخّرنا الله لك، وأمرنا بإجابتك ـ كلّما دعوتنا ـ إلى اصطلام كلّ من سلّطتَنا عليه، فمتى شئت فادْعُنا نُجِبْك، وبما

شئت فأمُرنا به نُطِعْك[1].

ونحن نقول: هذا الأمر والأمر السابق لا مانعَ عقليّاً منه، ولا استحالة فيه، فهو ممكن والله على كلّ شيء قدير، نعم الكلام يبقى في الوقوع والتحقق الخارجي.

القوس ثعبان كالبعير

تظافرت الروايات في نقل المعجزات الباهرة على يد الإمام علي عليه السلام، وما ذاك إلاّ حجج دامغة من العزيز الجبار لمن خالف الحق وسار في طريق لا يدري هل يُتصَوَّر أنه الحق أم لا؟ وعلى أي حال، فقد روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنّه قال: إن علياً عليه السلام بلغه عن عمر ذكر شيعته، فاستقبله في بعض طرقات بساتين المدينة وفي يد علي عليه السلام قوس عربية، فقال علي: «يا عمر، بلغني عنك ذِكرُك لشيعتي»، فقال: أربِعْ على ظلعك[2]. فقال علي عليه السلام: «إنك لَها هنا»، ثمّ رمى بالقوس على الأرض، فإذا هي ثعبان كالبعير فاغرٌ فاه[3]، وقد أقبل نحو عمر ليبتلعه، فصاح عمر: اللهَ اللهَ يا أبا الحسن، لا عُدت بعدها في شيء! وجعل يتضرّع إليه، فضرب علي يده إلى الثعبان، فعادت القوس كما كانت، فمضى عمر إلى بيته مرعوباً.

قال سلمان: فلمّا كان في الليل دعاني علي عليه السلام فقال: «صِرْ إلى عمر، فإنّه حُمِل إليه من ناحية المشرق مال، ولم يعلم به أحد، وقد عزم أن يحبسه، فقل له: يقول لك علي: أخرج ما حمل إليك من المشرق ففرّقْه على مَن جُعِل

---

١. **التفسير المنسوب للإمام العسكري** عليه السلام: ١١٥، **بحار الأنوار** ٣٧: ١٤٢/ ح٣٦.

٢. أي قف عند حدّك، وفي كتاب (**العين** ٢: ١٣٣) أي انتظر، وفي (**القاموس المحيط** ٣: ٦٠) أي أنّك ضعيف فانتهِ عما لا تُطيقه. الظَّلَع: العيب.

٣. أي فاتح فمه.

لهم، ولا تحبسه فأفضَحَك!».

قال سلمان: فمضيت إليه وأدّيت الرسالة، فقال: حيّرني أمر صاحبك، فمن أين علم هو به؟! فقلت: وهل يخفى عليه مثل هذا؟ فقال: يا سلمان، إقبلْ مني ما أقول لك: ما علي إلاّ ساحر! وإني لمشفق عليك منه، والصواب أن تفارقه وتصير في جملتنا. قلت: بئس ما قلت، لكنّ علياً وارث من أسرار النبوة ما قد رأيت منه، وعنده ما هو أكثر مما رأيت منه.

قال: ارجع إليه فقل له: السمع والطاعة لأمرك. فرجعت إلى عليعليه السلام، فقال: «أُحدثك بما جرى بينكما»، فقلت: أنت أعلم به مني. فتكلّم بكلّ ما جرى بيننا، ثمّ قال: إنّ رعب الثعبان في قلبه إلى أن يموت[1].

وهذا الحادث وظهور المعجز على يديهعليه السلام أمام عمر ليس بالبعيد، لكنّ الأمر الإلهي والنبوي والمصلحة العليا للإسلام شاءت أن تكون مجاري الأمور هكذا، كما أننا قد ذكرنا سابقاً أن القول بكون الولاية التكوينية عندهم عليهم السلام مغاير للاستفادة منها، فهذا شيء وذلك شيء آخر.

انقلاب الحجر ذهباً أحمر

الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام لم تكن بركاته وآثاره ظاهرة بعد وفاة النبي الأكرم فقط، بل كانت تلك الآثار والمعاجز والكرامات ظاهرة عليه في حياة رسول الله الكريم، كما في الخبر أعلاه. وفي المأثور أنهعليه السلام وجد مؤمناً لازَمَه منافق بالدَّين، فقال: «اللهم بحق محمّد وآله الطاهرين لمّا قضيت عن عبدك هذا الدين»، ثمّ أمره بتناول حجر ومدر، فانقلبت له ذهباً أحمر فقضى دَينه،

---

١. الخرائج والجرائح ١: ٢٣٢، بحار الأنوار ٣١: ٦١٤، مدينة المعاجز ٣: ٢٠٩ / ح ٨٣٤.

وكان الذي بقي أكثر من مائة ألف درهم[١].

وفي خبر آخر أنّ رسول الله قال بمحضر جمع من الصحابة: أيكم قضى البارحة ألف درهم وسبعمائة درهم؟ فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، فحدّثْ إخوانك المؤمنين كيف كانت قصته، أصدّقك لتصديق الله إياك، فهذا الروح الأمين أخبرني عن الله تعالى أنه قد هذّبك عن القبيح كله، ونزّهك عن المساوئ بأجمعها، وخصك بالفضائل من أشرفها وأفضلها، لا يتّهمك إلاّ من كفر به وأخطأ حظّاً نفسه.

فقال علي عليه السلام: مررت البارحة بفلان ابن فلان المؤمن، فوجدت فلاناً وأنا أتهمه بالنفاق، وقد لازمه وضيّق عليه، فناداني المؤمن: يا أخا رسول الله، وكشّافَ الكُرب عن وجه رسول الله، وقامعَ أعدائه عن حبيبه، أغِثْني واكشف كربتي ونجّني من غمي، سل غريمي هذا لعله يجيبك ويؤجّلني فإني معسر، فقلت له: الله، إنك لَمعسر؟

فقال: يا أخا رسول الله صلى الله عليه وآله لئن كنت أستحلّ الكذب فلا تأمنّي على يميني أيضاً، فإني معسر وفي قولي هذا صادق، وأُوقّر الله وأُجلّه أن أحلف به صادقاً أو كاذباً فأقبلت على الرجل فقلت: إني لأُجلّ نفسي عن أن يكون لهذا علَيّ يد، وأُجلّك أيضاً عن أن يكون له عليك يد أو منّة، وأسألُ مالك المُلك الذي لا يُؤنَف من سؤاله ولا يُستحيى من التعرض لثوابه.

ثم قلت: اللهم بحق محمّد وآله الطيبين لمّا قضيت عن عبدك هذا هذا الدَّين. فرأيت أبواب السماء تنادي أملاكها: يا أبا الحسن، مُرْ هذا العبد أن يضرب بيده إلى ما شاء مما بين يديه من حجر ومدر وحصاة وتراب

---

١. مناقب آل أبي طالب ٢: ١٥١، بحار الأنوار ٤١: ٢٦٦ / ح ٢٢.

يستحيل في يده ذهباً، ثمّ يقضي منه دينه ويجعل ما يبقى نفقته وبضاعته التي يسدّ بها فاقته ويموّن بها عياله.

فقلت: يا عبد الله، قد أذن الله بقضاء دَينك وإيسارك بعد فقرك، اضرب بيدك إلى ما تشاء مما أمامك فتناوله، فإن الله يحوله في يدك ذهباً إبريزاً. فتناول أحجاراً ثمّ مدراً فانقلبت له ذهباً أحمر، ثمّ قلت له: افصل له منها قَدْر دينه فأعطه، ففعل. قلت: فالباقي لك رزق ساقه الله تعالى إليك.

فكان الذي قضاه من دينه ألفاً وسبعمائة درهم، وكان الذي بقي أكثر من مائة ألف درهم، فهو من أيسر أهل المدينة[1].

وهذه القصّة تبين المكانة العظمى لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وتبين أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان بصدد بيان هذه المكانة للناس، وهذا يدخل في المراحل التمهيدية للخلافة والولاية، كما أنّ الرواية هذه تعضد ما تقدم. وسيأتي أنّ المعصوم عليه السلام أعطاه الله سبحانه وتعالى سلطة وولاية بحيث يتصرف بمثل هذه التصرفات التكوينيّة.

انقلاب قوسه عليه السلام كعصا موسى عليه السلام

روى سلمان رضي الله عنه قال: كان بين رجل من شيعة علي عليه السلام وبين رجل آخر من شيعة غيره اختلاف، فاختصما إلى ذلك الغير، فمال مع شيعته على شيعة علي، فشكا إلى أمير المؤمنين عليه السلام صاحبه، فذهب.

وقال: «ألم أنهك أن يكون بينك وبين شيعتي عمل!».

قال سلمان: قال لي ذلك الغير: يا سلمان، فلمّا سمعت ذلك منه خفت من هيبته وشجاعته، وفي يده قوس عربية فما شبّهتُه إلاّ بموسى بن عمران عليه السلام

---

١. التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ١٠٠ / ح ٥٤، بحار الأنوار ٤٢: ٢٢.

وقوسه بعصاه، وفتح فاه ليبتلعني حتى قلت له: يا علي بحق أخيك رسول الله إلاّ عفوتَ عني، فردّه[١].

تبدّل حصى المسجد

إذا كان للمؤمن مثل عمار بن ياسر بدعائه يتبدّل الحجر ذهباً، فلا غرابة في جريان أمثال ذلك على يد من عصمه الله تعالى وأعدّه للإمامة العظمى، بل هو أولى بذلك من غيره، فقد روي عن عمر بن علي بن عمر بن يزيد، عن الثمالي، عن بعض من حدثه عن الإمام علي عليه السلام أنه كان قاعداً في مسجد الكوفة وحوله أصحابه، فقال له أحد أصحابه: إني لأعجب من هذه الدنيا التي في أيدي هؤلاء القوم وليست عندكم!

فقال: «أترى أنّا نريد الدنيا فلا نُعطاها؟!» ثمّ قبض قبضة من حصى المسجد فضمها في كفه، ثمّ فتح كفه عنها فإذا هي جواهر تلمع وتزهر، فقال: «ما هذه؟!» فنظرنا، فقلنا: من أجود الجواهر، فقال: «لو أردنا الدنيا لكانت لنا، ولكن لا نريدها». ثمّ رمى بالجواهر من كفه، فعادت كما كانت حصى[٢].

نعم، المصداق الأكمل والأتم للحديث القدسي: «عبدي أطعني تكن مِثْلي (أو: مَثَلي)، أقول للشيء: كن، فيكون، وتقول للشيء: كن، فيكون،»

---

١. **الثاقب في المناقب**: ١٥٤ / ح ٣، **مدينة المعاجز** ١: ٤٧٨ / ح ٣١٣.

٢. **الاختصاص** للمفيد: ٢٧٠، **الخرائج والجرائح** ٢: ٧٠٦، **مدينة المعاجز** ١: ٤٣١. ورواه الصفار في (**بصائر الدرجات**: ٣٧٥ / ح ٣) عن عمر بن علي بن عمر بن يزيد، عن علي بن الثمالي، عن بعض من حدثه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنه كان مع أصحابه في مسجد الكوفة، وذكر الحديث بعينه. ورواه المفيد في (**الاختصاص**: ٢٦٤) عن عمر بن علي بن عمر ابن يزيد، عن علي بن ميثم التمار، عمن حدثه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنه كان مع بعض أصحابه في مسجد الكوفة، فقال رجل، وذكر الحديث بعينه.

والإمامعليه السلام مشيئته من مشيئة الله تبارك وتعالى... وهو أطوع الناس لله وأنزههم عن معصيته.

تبدّل الفهر سفرجلة

الفهر هو الحجر ملء الكف(١)، وقيل: هو الحجر مطلقاً(٢)، وقد انقلب سفرجلة لولي الله سبحانه وتعالى، ففي المروي عن الشيخ أبي محمّد الحسن ابن محمّد بن محمّد بن نصر يرفعه إلى أبي يعقوب بن إسحاق بن محمّد ابن أبان بن لاحق النخعي رفع الله درجته أنه سمع مولانا الحسن الزكي الأخيرعليه السلام يقول: سمعت أبي يحدث عن جده علي بن موسىعليهما السلام أنه قال: «اعتلّ صعصعة بن صُوحان العبدي رضي الله عنه، فعاده مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه في جماعة من أصحابه، فلمّا استقر بهم المجلس فرح صعصعة، فقال أمير المؤمنين: لا تفتخرن على إخوانك بعيادتي إياك.

ثمّ نظر إلى فهر في وسط داره، فقال لأحد أصحابه: ناولنيه. فأخذه منه وأداره في كفه، وإذا به سفرجلة رطبة، فدفعها إلى أحد أصحابه وقال: قطِّعْها قطعاً وادفع إلى كلّ واحد منا قطعة، وإلى صعصعة قطعة، وإليّ قطعة. ففعل ذلك، فأدار مولانا القطعة من السفرجلة في كفه، فإذا بها تفاحة.

فدفعها إلى ذلك الرجل وقال له: اقطعها وادفع إلى كلّ واحد قطعة، وإلى صعصعة قطعة، وإلي قطعة. ففعل الرجل، فأدار مولانا عليعليه السلام القطعة من التفاحة في كفه فإذا هي حَجَر فهر، فرمى به إلى صحن الدار، فأكل صعصعة القطعتين واستوى جالساً وقال: شفيتَني وازددت في إيماني وإيمان أصحابك

١. **الصحاح** ٢: ٧٨٤ .

٢. **النهاية في غريب الحديث** ٢: ٤٨١ .

صلوات الله عليك ورضوانه»[١].

والفرق واضح بين من يرى المعجزة ويؤمن بأن من جرى على يديه ذلك نبي من أنبياء الله تعالى أو وصي من أوصيائه، وبين من يتّهمه بالسحر ويفتري الافتراءات عليه، وهذه المعجزات تزيد المؤمن إيماناً والكافر كفراناً!

انقلاب السوط أفعى

لسلمان المحمدي تاريخ عريق في الإيمان بالله تعالى وأنبيائه ورسله صلوات الله عليهم أجمعين، وقد كان من المنتظِرين لخاتم النبوة محتفظاً بجملة من خصائصه وعلاماته التي سمعها من علماء الأُمة المسيحية، وقد رزقه الله بعد إسلامه علماً وأجرى على يديه كرامات، نذكر منها المناسب لهذا الموضوع، فقد ذكرت الأخبار أن جماعة من اليهود آذوا سلمان فاحتمل أذاهم، قالوا له ـ وهم ساخرون ـ: لا تسأل الله كفّنا عنك، ولا تُظهر لنا ما نريد منك لنكفَّ به عنك، فادعُ علينا بالهلاك إن كنت من الصادقين في دعواك، إن الله تعالى لا يرد دعاءك بمحمد وآله الطيبين الطاهرين.

فقال سلمان: إني لأكره أن أدعو الله بهلاككم مخافة أن يكون فيكم من قد علم الله أنه سيؤمن بعد، فأكون قد سألت الله تعالى انقطاعه عن الإيمان.

فقالوا: قل: اللهم أهلك من كان في علمك ومعلومك أنه يبقى إلى الموت على تمرده، فإنك لا تصادف بهذا الدعاء ما خِفتَه. قال: فانفرج له حائط البيت الذي هو فيه مع القوم وشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: يا سلمان، ادع عليهم بالهلاك، فليس فيهم أحد يرشد، كما دعا نوح عليه السلام على قومه لمّا عَرَف أنه لن

---

١. نوادر المعجزات: ٥٧، عيون المعجزات: ٤١، مدينة المعاجز ١: ٤٣٣، ومستدرك سفينة بحار الأنوار ٨: ٣٣٩.

يؤمن من قومه إلاّ من قد آمن.

فقال سلمان: كيف تريدون أن أدعو عليكم بالهلاك؟ قالوا: نريد أن تدعو أن يقلب الله سوط كلّ واحد منا أفعى تعطف رأسها، ثمّ تمشش عظام[1] سائر بدنه. فدعا الله بذلك، فما من سياطهم سوط إلاّ قَلَبه الله تعالى عليهم أفعى ولها رأسان، فتتناول برأس رأسه، وبرأس آخر يمينه التي كانت فيها سوطه، ثمّ رضضتهم ومششتهم وبلعتهم والتقمتهم.

فقال رسول الله ﷺ وهو في مجالسة معاشر المسلمين: إن الله قد نصر أخاكم ساعتكم هذه على عشرين من مردة اليهود والمنافقين، قلب أسياطهم أفاعي رضضتهم ومششتهم وهشمت عظامهم والتقمتهم، فقوموا بنا ننظر إلى تلك الأفاعي المبعوثة لنصرة سلمان.

فقام رسول الله ﷺ وأصحابه إلى تلك الدار وقد اجتمع إليها جيرانها من اليهود والمنافقين لما سمعوا ضجيج القوم بالتقام الأفاعي لهم، وإذا هم خائفون منها نافرون من قربها، فلمّا جاء رسول الله ﷺ خرجت كلها من البيت إلى شارع المدينة وكان شارعاً ضيقاً، فوسّعه الله تعالى وجعله عشرة أضعافه.

ثم نادت الأفاعي: السلام عليك يا محمّد يا سيد الأولين والآخرين، السلام عليك يا علي يا سيد الوصيين، السلام على ذريتك الطيبين الطاهرين الذين جُعِلوا على الخلائق قوامين، ها نحن سياط هؤلاء المنافقين الذين قلبنا الله أفاعي بدعاء هذا المؤمن سلمان.

فقال رسول الله: الحمد الله الذي جعل من أمتي من يضاهي بدعائه ـ عند

---

١. مشش وتمشّش العظم: مصّه واستخرج العظم من البدن .

كفه وعند انبساطه ـ نوحاً نبيَّه.

ثمّ نادت الأفاعي: يا رسول الله، قد اشتد غضبنا على هؤلاء الكافرين وأحكامك وأحكام وصيك جائزة علينا في ممالك رب العالمين، ونحن نسألك أن تسأل الله أن يجعلنا من أفاعي جهنّم التي نكون فيها لهؤلاء معذِّبين، كما كنا لهم في هذه الدنيا ملتقمين. فقال رسول اللهﷺ: قد أجبتكم إلى ذلك، فالحقوا بالطبق الأسفل من جهنّم بعد أن تقذفوا ما في أجوافكم من أجزاء أجسام هؤلاء الكافرين ليكون أتمّ لخزيهم، وأبقى للعار عليهم إذا كانوا بين أظهرهم مدفونين، يعتبر بهم المؤمنون المارّون بقبورهم، يقولون: هؤلاء الملعونون المخزيون بدعاء ولي محمّدﷺ سلمان الخير من المؤمنين.

فقذفت الأفاعي ما في بطونها من أجزاء أبدانهم، فجاء أهلوهم ودفنوهم، وأسلم كثير من الكافرين، وأخلص كثير من المنافقين، وغلب الشقاء على كثير من الكافرين والمنافقين، فقالوا: هذا سحر مبين... إلى آخر الخبر[1].

وهذا الخبر، كما أنه كاشف عن قوة إيمان سلمان المحمدي، فإنّه كاشف عن جزاء العناد الصريح والاستخفاف بالمؤمنين، وكاشف عن سعة قلب سلمان المحمدي الذي لم يستجب لهم بالدعاء عليهم إلاّ بعد إصرارهم، كما أنّ تلك الأفاعي كانت أسواط أُولئك الكفار انتقمت منهم ولفظتهم كي يكونوا عبرة للباقين، وكما عرفت فقد سارت تلك الأفاعي إلى جهنّم بأمر رسول الله لتجازي كلّ كفار أثيم.

ولا يختلج الريب قلبك فتقول باستحالة ذلك، فإنّ كلّ هذا وأكثر منه داخل

---

١. التفسير المنسوب للإمام العسكريعليه السلام: ٧٠ / ح ٣٥، مدينة المعاجز ١: ٤٣٩ / ٢٩٦، بحار الأنوار ٢٢: ٣٧٠.

في عالم الإمكان وليس على الله ببعيد. نعم في عالم الإثبات قد يكون الكلام مفتوحاً من الناحية السَنَديّة.

تبدّل مصوّرة الأسد

صورة الأسد مرسومة على الجدار في دار هارون العبّاسي، وهذه الصورة تنقلب وتتحول إلى أسد مفترس ممتثل لأمر الإمام المعصوم عليه السلام يلتهم عدو الله من غير رجعة، دلّ على ذلك ما ورد عن علي بن يقطين، قال: استدعى الرشيد رجلاً يُبطل به أمر أبي الحسن الكاظم موسى بن جعفر عليهما السلام ويَقْطعه ويُخجله في المجلس، فانتدب له رجل مُعْزِم[1]، فلمّا أُحضرت المائدة عمل ناموساً[2] على الخبز. فكان كلّما رام خادم أبي الحسن عليه السلام تناوُلَ رغيف من الخبز طار من بين يديه، واستفزّ هارونَ الفرح والضحك لذلك، فلم يلبث أبو الحسن عليه السلام أن رفع رأسه إلى أسد مصوَّر على بعض الستور، فقال له: «يا أسد الله، خُذْ عدوّ الله!».

قال: فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع، فافترست ذلك المعزم، فخرّ هارون وندماؤه على وجوههم مغشياً عليهم، وطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوه، فلمّا أفاقوا من ذلك بعد حين، قال هارون لأبي الحسن عليه السلام: أسألك بحقّي عليك، لمّا سألتَ الصورة أن تردّ الرجل.

فقال: «إن كانت عصا موسى عليه السلام ردّت ما ابتلعته من حبال القوم وعِصيِّهم، فإن هذه الصورة تردّ ما ابتلعته من هذا الرجل»، فكان ذلك أعمل الأشياء في

---

١. هو الذي يعمل بالعزيمة والرُّقى، كما في (**لسان العرب** ١٢: ٤٠٠).

٢. ما يُتنَمَّس به من الاحتيال.

إفاقة نفسه[١].

وورد نظير هذه الحادثة عن زرافة حاجب المتوكل[٢] أنه قال: وقع رجل مُشَعبذ من ناحية الهند إلى المتوكل يلعب لعب الحُقّة[٣] لم يُرَ مِثله، وكان المتوكل لعاباً، فأراد أن يُخجل عليّ (الهادي) بن محمّد بن الرضا عليهم السلام، فقال لذلك الرجل: إن أنت أخجلته أعطيتك ألف دينار زكية، قال: تقدم بأن يُخبَز رقاق خفاف، واجعلها على المائدة وأقعدني إلى جنبه. ففعل وأحضر علي بن محمّد عليهما السلام للطعام.

وجُعِلت له مِسْوَرة[٤] عن يساره، وكان عليها صورة أسد، وجلس اللاعب إلى جانب المسورة، فمد علي بن محمّد عليهما السلام يده إلى رقاقة فطيّرها ذلك الرجل في الهواء، ومدّ يده إلى أُخرى فطيرها، ذلك في الهواء، ومدّ إلى أُخرى ثالثة فطيرها فتضاحك الجميع، فضرب علي بن محمّد عليهما السلام يده على تلك الصورة التي في المسورة وقال: «خذ عدو الله!»، فوثبت تلك الصورة من المسورة فابتلعت الرجل، وعادت في المسورة كما كانت، فتحير الجميع، ونهض علي بن محمّد عليهما السلام يمضي. فقال له المتوكل: سألتك إلاّ جلست وردته، فقال: «والله لا يُرى بعدها، أتُسلِّط أعداء الله على أولياء الله؟!»،

١. **عيون أخبار الرضا** عليه السلام ٢: ٩٠، **أمالي الصدوق**: ٢١٢ / ح ٢٣٦.

٢. راجع **الكامل في التاريخ** ٧: ٩٧ .

٣. الحق والحقة بالضم: الوعاء من الخشب وغيره، وكان المُشعبذون يلعبون بالحقة نحواً من اللعب، يجعلون فيها شيئاً بعيان الناس ثمّ يفتحونها وليس فيها شيء، أو كان آلات لعبهم في حقة خاصة قسموا بذلك، ولذلك يعرفون عند الأعاجم حقه باز أي اللاعب بالحقة (عن: **بحار الأنوار**) .

٤. المسور والمسورة: متّكأ من جلد .

وخرج من عنده فلم يُرَ الرجل بعد ذلك[١].

وأنت ترى أن روح القصّة الاولى والثانية واحد، ولا مانع من التكرار والتعدد، خصوصاً وأن لسان الرواية الأُولى يرتبط بالإمام الكاظم عليه السلام وهارون العباسي، ولسان الرواية الثانية يرتبط بالإمام الهادي عليه السلام والمتوكل، نعم اسم الرجل الذي أكله السبع مجهول في القصتين.

وهناك موقف ثالث نُقل في (دلائل الإمامة) لمحمد بن جرير الطبري، قال: أخبرني أبو الحسين محمّد بن هارون بن موسى، عن أبيه، قال: حدّثنا أبو علي محمّد بن همام، قال: حدّثنا أبو عبد الله جعفر بن محمّد الحميري، عن أحمد بن محمّد بن خالد البرقي، عن محمّد بن هُذَيل، عن محمّد بن سنان قال: وجّه المنصور إلى سبعين رجلاً من أهل بابل، فدعاهم فقال لهم: ويحكم! إنكم تزعمون أنكم ورثتم السحر عن آبائكم أيام موسى، وأنكم تُفرّقون بين المرء وزوجه، وأن أبا عبد الله جعفر بن محمّد ساحر مثلكم، فاعملوا شيئاً من السحر، فإنكم إن أبهتّموه أعطيتكم الجائزة العظيمة، والمال الجزيل.

فقاموا إلى المجلس الذي فيه المنصور، وصوّروا له سبعين صورة من

---

١. **الثاقب في المناقب**: ٥٥٥ / ح ١٥، **الخرائج والجرائح** ١: ٤٠١، **مدينة المعاجز** ٧: ٤٧٢ / ح ٢٤٧٤، وفيه: حضر مجلس المتوكل مُشعبِذ هندي، فلعب عنده بالحُقّ فأعجبه، فقال له المتوكل: يا هندي، الساعةَ يحضر مجلسنا رجل شريف، فإذا حضر فالعب عنده بما يُخجله.
قال: فلمّا حضر أبو الحسن عليه السلام المجلس لعب الهندي فلم يلتفت إليه.
فقال له: يا شريف ما يعجبك لعبي؟ كأنك جائع. ثمّ أشار إلى صورة مدورة في البساط على شكل الرغيف وقال: يا رغيف، مُر إلى هذا الشريف. فارتفعت الصورة، فوضع أبو الحسن عليه السلام يده على صورة سَبُعٍ في البساط وقال: قم فَخُذْ هذا!، فصارت الصورة سبعاً وابتلع الهندي وعاد إلى مكانه في البساط، فسقط المتوكل لوجهه و هرب مَن كان قائماً.

صور السباع، لا يأكلون ولا يشربون، وإنما كانت صوراً، وجلس كلّ واحد منهم تحت صورته، وجلس المنصور على سريره، ووضع إكليله على رأسه، ثمّ قال لحاجبه: إبعثْ إلى أبي عبد الله.

فقام فدخل عليه، فلمّا أن نظر إليه وإليهم وما قد استعدوا له، رفع يده إلى السماء، ثمّ تكلّم بكلام، بعضه جهراً وبعضه خفياً، ثمّ قال: «وَيْحكم! أنا الذي أُبطل سحركم»، ثمّ نادى برفيع صوته: «قسورة، خُذْهم»، فوثب كلّ سبع منها على صاحبه وافترسه في مكانه، ووقع المنصور من سريره وهو يقول: يا أبا عبد الله، أقلني، فوالله لا عدتُ إلى مثلها أبداً. فقال له: «قد أقلتك».

قال: يا سيدي، فرُدَّ السباع إلى ما أكلوا.

قال: «هيهات، إن عادت عصا موسى فستعود السباع»[1].

وأنت قد رأيت في القصص المتقدمة أنّ المأكول الملتقم من قبل السباع لا يعود ولا يرجع، ودليل الإمامعليه السلام ما جرى وحصل في قضية عصا نبي الله موسى بن عمرانعليه السلام نعم، يفترق هذا الدعاء النافي للرجعة للحالة الأُولى عن دعاء الإمامعليه السلام على بعض العاصين بالمسخ والتبدل إلى صورة حيوان، فإنه قد مرّ عليك أن بعض الممسوخين عاد إلى حالته الأُولى بعد توبته.

ظهور سبائك

الولاية التكوينية للرسول الكريم وللإمام المعصوم من أوصيائه صلوات الله عليهم أجمعين ثابتة، وقد مرّت شواهد تاريخية كثيرة على ذلك، يضاف إلى ذلك ما ورد عن إسماعيل بن أبي الحسن قال: كنت عند الإمام الرضاعليه السلام

---

١. **دلائل الإمامة** لمحمد بن جرير الطبري: ٢٩٩، وفي **الثاقب في المناقب**: ٢٠٧ / ح ١٨٣ عن الربيع حاجب المنصور.

فمسح يده على الأرض فظهرت سبائك من فضّة، ثمّ مسح يده فغابت. فقلت: أعطني واحدة منها، فقال: «إنّ هذا الأمر لم يأنِ وقتُه».

قال البُرسي عقيب ذلك: أقول: الفرق بين الشعبذة والسحر والسيمياء والكرامات والمعجزات، الأول منها قلب العين حتّى يرى الإنسان شيئاً فيُخيَّل له ولا حقيقة له ولا يبقى. وأمّا المعجزات والكرامات فقلبُ أعيان الأشياء وتحويلها إلى حقيقة أُخرى باقية لا تزول إلاّ إذا أراد المُظهر لها زوالَها[١].

قلب الحجر ذهباً

تُقضى حاجة المحتاج ويزداد يقينه بعظمة الإمام المعصوم صلوات الله عليهم عندما يرى منه خوارق العادات، وكل ذلك ليس على الله ببعيد، ففي المروي عن علي بن أسباط، قال: ذهبت إلى الرضا عليه السلام في يوم عرفة فقال لي: «أسرِجْ لي حماري»، فأسرجت له حماره، ثمّ خرج من المدينة إلى البقيع يزور فاطمة عليها السلام، فزار وزرت معه، فقلت: سيدي على كم أُسلّم؟

فقال لي: «سلّم على فاطمة الزهراء البتول، وعلى الحسن والحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى محمّد بن علي، وعلى جعفر بن محمّد، وعلى موسى بن جعفر عليهم أفضل الصلاة وأكمل التحيات». فسلّمت على ساداتي ورجعت، فلمّا كان في بعض الطريق: قلت: يا سيدي إني مُعدَم، وليس عندي ما أنفقه في عيدي هذا. فحَكّ الأرض بسوطه، ثمّ ضرب بيده فتناول سبيكة ذهب فيها مائة دينار، فقال لي: «خذها»، فأخذتها فأنفقتها في أموري[٢].

ومثل ذلك ما رواه إبراهيم بن موسى، قال: ألححت على أبي الحسن

---

١. **مشارق أنوار اليقين**: ١٤٨، **مدينة المعاجز** ٧: ٢٣٣ .

٢. **الثاقب في المناقب**: ٤٧٣ / ح ٣٩٦ .

الرضاعليه السلام في شيءٍ طلبته منه لحاجتي، وكان يعدني، فخرج ذات يوم ليستقبل والي المدينة، وكنت معه، فجاء إلى قرب قصر فلان ونزل تحت شجرة ونزلتُ معه وليس معنا ثالث، فقلت له: جُعلت فداك، هذا أوان ما وعدتني مراراً، وأنا معدم درهماً فما سواه.

قال: فحك بسوطه الأرض حكاً شديداً، ثمّ ضرب بيده فتناول سبيكة ذهب من موضع الحك، وقال: «خذها وانتفع بها، واكتم علَيّ ما رأيت، والحمد لله رب العالمين»[1].

أقول: مرّ عليك مراراً أنّ تبدّل حقيقة التراب إلى سبيكة ذهب أمرٌ ممكن ليس بمستحيل على من أعطاه الله سبحانه وتعالى ولاية التصرّف في الكون، كلّ ذلك بأمره تعالى وإذنه.

إراءة الجنّة والنار وقلب الحصى درّاً

يظهر من بعض الأخبار أن بعض الصحابة كان يطلب من الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام مثلما كان يطلب جماعة بني إسرائيل من أنبيائهم، كلّ ذلك للاطمئنان القلبي على صحة دعوى الإمامة الإلهية، وكأنّ في نفسهم شيئاً من الشك، وعلى أي حال فكان أمير المؤمنينعليه السلام يستجيب مشترطاً عليهم أن لا يتّهموه بسحر أو كذب أو غير ذلك، فقد رُوي عن أبي جعفرعليه السلام أنه قال أصحاب عليعليه السلام: يا أمير المؤمنين، لو أريتَنا ما نطمئن إليه مما أنهى إليك رسول الله، قال: «لو رأيتم عجيبة من عجائبي لكفرتم ولَقُلتم ساحر كذاب وكاهن، وهو من أحسن قولكم».

قالوا: ما منا أحد إلاّ وهو يعلم أنك ورثتَ رسول اللهصلى الله عليه وآله وصار إليك علمه.

---

١. **الكافي** ١: ٤٨٨ / ح ٦، **مدينة المعاجز** ١: ٤٣١.

قال: «علم العالم شديد، ولا يحتمله إلاّ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، وأيده بروح منه»، ثمّ قال: «أما إذا أبيتم إلاّ أن أُريكم بعض عجائبي وما آتانيَ الله من العلم، فاتّبعوا أثري إذا صلّيتُ العشاء الآخرة». فلمّا صلاها أخذ طريقه إلى ظهر الكوفة واتبعه سبعون رجلاً كانوا في أنفسهم خيار الناس من شيعته.

فقال لهم عليعليه السلام: «إني لست أريكم شيئاً حتّى آخذ عليكم عهد الله وميثاقه ألاّ تكفّروني ولا ترموني بمعضلة، فوالله ما أريكم إلاّ ما علّمني رسول الله». فأخذ عليهم العهد والميثاق أشد ما أخذ الله على رسله من عهد وميثاق.

ثمّ قال: «حوّلوا وجوهكم عني حتى أدعو بما أريد»، فسمعوه جميعاً يدعو بدعوات لم يسمعوا بمثلها، ثمّ قال: «حوّلوا وجوهكم»، فحولوها، فإذا جنات وأنهار وقصور من جانب، والسعير تتلظى من جانب، حتى أنهم لم يشكّوا في معاينة الجنّة والنار.

فقال أحسنهم قولاً: إنّ هذا لسحرٌ عظيم! ورجعوا كفاراً إلاّ رجلين، فلمّا رجع مع الرجلين قال لهما: «قد سمعتما مقالتهم، وأخذي العهود والمواثيق عليهم ورجوعهم يكفّرونني، أما والله إنها لحجتي عليهم غداً عند الله تعالى، فإن الله ليعلم أني لست بساحر ولا كاهن، ولا يعرف هذا لي ولا لآبائي، ولكنه علم الله وعلم رسوله، أنهاه الله إلى رسوله، وأنهاه رسول الله إليّ، وأنهيته إليكم، فإذا رددتم علَيّ رددتم على الله». حتى إذا أتى مسجد الكوفة دعا بدعوات وهما يسمعان، فإذا حصى المسجد درّ وياقوت.

فقال لهما: «ما الذي تريان؟»، فقالا: هذا در وياقوت.

فقال: «صدقتما، لو أقسمت على ربي فيما هو أعظم من هذا لأبرّ قسمي»، فرجع أحدهما كافراً، وأمّا الآخر فثبت.

فقال لهعليه السلام: «إن أخذت شيئاً ندمت، وإن تركت ندمت»، فلم يَدَعْه حرصه

حتى إذا أخذ درة فصرّها في كُمّه، حتى إذا أصبح نظر إليها فإذا هي درة بيضاء لم ينظر الناس إلى مثلها قط.

فقال: يا أمير المؤمنين، إني أخذت من ذلك الدر واحدة، وهي معي. قال: «وما دعاك إلى ذلك؟»، قال: أحببت أن أعلم أحق هو أم باطل؟ فقال له: «إنك إن رددتها إلى الموضع الذي أخذتها منه عوّضك الله منها الجنة، وإن أنت لم تردها عوضك الله بها النار»، فقام الرجل فردها إلى موضعها الذي أخذها منه، فحولها الله حصاة كما كانت، فبعضهم قال: كان هذا ميثم التمار، وقال بعضهم: إنه كان عمرو بن الحَمِق الخزاعي(١).

وكلاهما معروف بولائه وثباته على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

أما ميثم التمار، فقد كان مؤمناً شاكراً في الرخاء صابراً في البلاء، وقد ذكر الكشّي قصة إخبار أمير المؤمنين عليه السلام بشهادته وتحقّق ذلك(٢). وأما عمرو بن الحمق الخزاعي، فهو من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، كان عظيم المنزلة جليل القدر(٣).

انقلاب الماء ياقوتاً أحمر وزمرّداً

ينقلب الماء ياقوتاً أحمر وزمرداً أخضر ودرّاً أبيض ببركة الإمام السجّاد عليّ بن الحسين عليهما السلام، فقد روي أن رجلاً مؤمناً من أكابر بلاد بَلْخ كان يحج إلى بيت الله الحرام، ويزور قبر النبي صلى الله عليه وآله في أكثر الأعوام، وكان يأتي إلى الإمام علي بن الحسين عليهما السلام فيزوره ويحمل إليه الهدايا والتحف، ويأخذ

---

١. **مختصر بصائر الدرجات**: ١١٧، **الخرائج والجرائح** ٢: ٨٦٢ / ح ٧٩، **مدينة المعاجز** ١: ٥٠٧.

٢. **منتهى المقال** ٦: ٣٦٣ / الرقم ٣٠٩٤.

٣. **منتهى المقال** ٥: ١٠٥ / الرقم ٢١٥٥.

مصالح دينه منه، ثمّ يرجع إلى بلاده.

فقالت له زوجته: أراك تهدي تحفاً كثيرة، ولا أراه يجازيك عنها بشيء! فقال: إنّ هذا الرجل الذي نهدي إليه هدايانا هو مَلِك الدنيا والآخرة، وجميع ما في أيدي الناس تحت ملكه، لأنه خليفة الله في أرضه وحجته على عباده، وهو ابن رسول الله، هو إمامنا ومولانا ومقتدانا. فلمّا سمعت ذلك منه أمسكت عن ملامته.

قال: ثمّ إنّ الرجل تهيأ للحج مرة أُخرى في السنة القابلة، وقصد دار علي ابن الحسين عليهما السلام فاستأذن عليه بالدخول، فأذن له، ودخل فسلم عليه وقبّل يديه، ووجد بين يديه طعاماً فقرّبه إليه وأمره بالأكل معه، فأكل الرجل حسب كفايته، ثمّ استدعى بطشت وإبريق فيه ماء، فقام الرجل فأخذ الإبريق وصب الماء على يدَي الإمام.

فقال الإمام عليه السلام: «يا شيخ أنت ضيفنا، فكيف تصب على يدي الماء!»، فقال: إني أحب ذلك. فقال الإمام عليه السلام: «حيث إنّك أحببت ذلك، فوالله لأُريك ما تحب وترضى وتَقرّ به عيناك»، فصب الرجل الماء على يديه حتى امتلأ ثلث الطست. فقال الإمام عليه السلام للرجل: «ما هذا؟»، قال: ماء. فقال الإمام: «بل ياقوت أحمر»، فنظر الرجل إليه فإذا هو قد صار ياقوتاً أحمر بإذن الله تعالى. ثمّ قال الإمام عليه السلام: «يا رجل صُبَّ الماء أيضاً»، فصب على يدي الإمام مرة أُخرى حتى امتلأ ثلثا الطست، فقال عليه السلام له: «ما هذا؟» قال: هذا ماء. فقال الإمام: «بل هو زُمرُّد أخضر»، فنظر الرجل فإذا هو زمرد أخضر. ثم قال الإمام عليه السلام أيضاً: «صبَّ الماء يا رجل»، فصب الماء على يدي الإمام عليه السلام حتى امتلأ الطست، فقال للرجل: «ما هذا؟»، فقال: هذا ماء. قال: «بل هو در أبيض»، فنظر الرجل إليه فإذا هو در أبيض بإذن الله تعالى، وصار الطست ملآنَ من

ثلاثة ألوان: در وياقوت وزمرد، فتعجب الرجل غاية العجب، وانكب على يدي الإمام يقبلهما.

فقال له الإمام عليه السلام: «يا شيخ، لم يكن عندنا شيء نكافئك على هداياك إلينا، فخذ هذه الجواهر، فإنها عوض هديتك إلينا، واعتذرْ لنا عند زوجتك، لأنها عتبت علينا»، فأطرق الرجل رأسه خجلاً، وقال: يا سيدي، ومَن أنبأك بكلام زوجتي؟ فلا شكّ أنك من بيت النبوّة[1].

---

١. **مدينة المعاجز** ٤: ٣١١ / ح ١٣٣٦ وفيه عن الشيخ الفاضل التقي الزاهد الشيخ فخر الدين النجفي، رأيته بالنجف ولي منه إجازة، ومن باب إتمام الفائدة لا بأس بذكر بقية القصّة، تقول الرواية: ثمّ إنّ الرجل ودّع الإمام عليه السلام وأخذ الجواهر، وسار بها إلى زوجته وحدثها بالقصة، فقالت: ومن أعلمه بما قلت ؟ فقال: ألم أقل لك إنه من بيت العلم والآيات الباهرات؟ فسجدت لله شكراً، وأقسمت على بعلها بالله العظيم أن يحملها معه إلى زيارته والنظر إلى طلعته، فلمّا تجهّز بعلها للحج في السنة القابلة أخذها معه، فمرضت المرأة في الطريق وماتت قريباً من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، فجاء الرجل إلى الإمام باكياً حزيناً وأخبره بموت زوجته وأنها كانت قاصدة إلى زيارته وإلى زيارة جده رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقام الإمام عليه السلام وصلّى لله تعالى ركعتين ودعا الله سبحانه وتعالى بدعوات لم تُحجَب من رب السماوات، ثمّ التفت إلى الرجل فقال له: قم وارجع إلى زوجتك، فإن الله عزّ وجلّ قد أحياها بقدرته وحكمته، وهو يحيي العظام وهي رميم . فقام الرجل مسرعاً وهو فرح بين مصدق ومكذب، فدخل إلى خيمته فرأى زوجته جالسة في الخيمة على حال الصحة، فزاد سروره واعتقد ضميره، وقال لها: كيف أحياك الله تعالى ؟

فقالت: والله لقد جاءني ملك الموت وقبض روحي، وهمّ أن يصعد بها، وإذا أنا برجل صفته كذا وكذا ... وجعلت تعدّ أوصافه الشريفة عليه السلام وبعلها يقول لها: نعم صدقتِ، هذه صفة سيدي ومولاي علي بن الحسين عليهما السلام .

قالت: فلمّا رآه ملك الموت مقبلاً انكب على قدميه يقبلهما ويقول: السلام عليك يا حجة الله في أرضه، السلام عليك يا زين العابدين، فردّ عليه السلام وقال له: يا ملك الموت، أعدْ روح هذه المرأة إلى جسدها، فإنها قاصدة إلينا، وإني قد سألت ربي تعالى أن يبقيها ثلاثين سنة أخرى،

انقلاب الحائط ذهباً

روى أحمد بن منصور الرشادي قال: حدّثنا عبد الرزاق قال: حدّثنا مهلب ابن قيس قال: قلت للصادق عليه السلام: بأيّ شيء يَعرِف العبد إمامه؟ قال: «إن فعل كذا»، ووضع يده على حائط فإذا الحائط ذهب، ثمّ وضع يده على أسطوانة، فأورقت من ساعتها، فقال: «بهذا يُعرَف الإمام»[١].

وقد تقدم نظير هذا في طلب بعض بني إسرائيل من نبيهم أن يأتيهم بطعام على ألوان ثيابهم، فجاء بخشبة يابسة فدعا الله تعالى عليها فاخضرّت وأينعت.

انقلاب الرمل سَويقاً[٢]

الإمام موسى بن جعفر كاظم أهل البيت عليهم السلام، معروف بسماحته وتجاوزه عمن أساء إليه وعمّن أساء به الظنّ، وقد ظهرت الدلائل والمعاجز على يديه بما يدفع الشكّ عن قلب المريب، أو يزيد الشاك طغياناً وكفراً، وقصة شقيق البلخي خير شاهد على ذلك.

ورد عن أبي المفضل محمّد بن عبد الله قال: حدّثنا محمّد بن علي بن

ويحييها حياة طيبة لقدومها إلينا زائرة لنا، فإن للزائر علينا حقاً واجباً . فقال له الملك: سمعاً وطاعة لك يا ولي الله ! ثمّ أعاد روحي إلى جسدي، وأنا أنظر إلى ملك الموت قد قبّل يده الشريفة عليه السلام وخرج عني . فأخذ الرجل بيد زوجته وأتى بها إلى مجلس الإمام عليه السلام وهو بين أصحابه وانكبت على ركبتيه تقبّلهما وهي تقول: والله هذا سيدي ومولاي، هذا الذي أحياني الله ببركة دعائه . قال: ولم تزل المرأة مع بعلها مجاورين عند علي بن الحسين عليهما السلام بقية أعمارهما بعيشة طيبة في البلدة الطيبة إلى أن ماتا رحمة الله عليهما . (**بحار الأنوار ٤٦: ٤٧** عن بعض مؤلفات أصحابنا) .

١. **دلائل الإمامة:** ٢٥١ / ح٩، **مدينة المعاجز ٥:** ٢١٧ / ح ١٥٨١ .

٢. السَّوِيق: دقيق مقلوّ يُعمَل من الحنطة أو الشعير، ويضاف إليه السكّر.

الزبير البلخي ببلخ، قال: حدّثنا هشام بن حاتم الأصم، قال: حدّثني أبي، قال: قال لي شقيق يعني ابن إبراهيم البلخي: خرجتُ حاجّاً إلى بيت الله الحرام في سنة تسع وأربعين ومائة فنزلنا القادسية. قال شقيق: فنظرت إلى الناس في زيّهم بالقباب والعماريات والخيم والمضارب وكل إنسان منهم قد تزيّا على قَدْره، فقلت: اللهم إنهم قد خرجوا إليك فلا تَرُدَّهم خائبين.

فبينما أنا قائم وزمام راحلتي بيدي وأنا أطلب موضعاً أنزل فيه منفرداً عن الناس، إذ نظرت إلى فتى حَدَث السن، حسن الوجه، شديد السمرة، عليه سيماء العبادة وشواهدها، وبين عينيه سجّادة كأنها كوكب درّي، وعليه من فوق ثوبه شملة من صوف، وفي رجله نعل عربي، وهو منفرد في عزلة من الناس، فقلت في نفسي: هذا الفتى من هؤلاء الصوفية المتوكلة يريد أن يكون كلّاً على الناس في هذا الطريق، والله لأمضين إليه ولأوبّخنه!

قال: فدنوت منه، فلمّا رآني مقبلاً نحوه قال لي: «يا شقيق! ﴿**اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا**﴾[1]»، وقرأ الآية، ثمّ تركني ومضى. فقلت في نفسي: قد تكلّم هذا الفتى على سرّي، ونطق بما في نفسي، وسمّاني باسمي، وما فعل هذا إلاّ وهو ولي الله، ألحَقُه وأسأله أن يجعلني في حِلّ، فأسرعت وراءه فلم ألحَقْه، وغاب عن عيني فلم أره، وارتحلنا حتى نزلنا واقصة[2] فنزلت ناحية من الحاج، ونظرت فإذا صاحبي قائم يصلي على كثيب رمل وهو راكع وساجد، وأعضاؤه تضطرب، ودموعه تجري من خشية

---

١. الحُجرات: ١٢ .

٢. قال في (**معجم البلدان ٥: ٣٥٤**): واقصة منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة وقبل العقبة .. وقال يعقوب: واقصة أيضاً ماء لبني كعب .. وواقصة أيضاً بأرض اليمامة . قال الحفصي: واقصة هي ماء في طرف الكرمة، وهي مدفع ذي مرخ .

الله عزّ وجلّ.

فقلت: هذا صاحبي، لأمضينّ إليه ثمّ لأسألنه أن يجعلني في حِلّ، فأقبلت نحوه، فلمّا نظر إليّ مقبلاً قال لي: «يا شقيق! ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[1]»، ثمّ غاب عن عيني فلم أره.

فقلت: هذا رجل من الأبدال، وقد تكلّم على سري مرتين، ولو لم يكن عند الله تعالى فاضلاً ما تكلّم على سري، ورحل الحاجُّ وأنا معهم حتى نزلنا زُبالة[2] فإذا أنا بالفتى قائم على البئر وبيده ركوة[3] يستقي بها ماءً، فانقطعت الركوة في البئر، فقلت: صاحبي والله، فرأيته قد رمق السماء بطرفه وهو يقول:

أنت ربي إذا ظَمِئتُ من الماء وقُوتي إذا أردتُ الطعاما

إلهي وسيدي ما لي سواها فلا تعدمنيها.

قال شقيق: فوالله لقد رأيتُ البئر وقد فاض ماؤها حتى جرى على وجه الأرض، فمدّ يده فتناول الركوة فملأها ماءً، ثمّ توضأ وأسبغ الوضوء وصلى ركعات، ثمّ مال إلى كثيب رمل أبيض فجعل يقبض بيده من الرمل ويطرحه في الركوة، ثمّ يحرّكها ويشرب.

فقلت في نفسي: أتراه قد تحول الرمل سَويقاً؟! فدنوت منه، فقلت له: أطعِمْني رحمك الله من فضل ما أنعم الله به عليك، فنظر وقال لي: «يا شقيق، لم تزل نعمة الله علينا أهل البيت سابغة، وأياديه لدينا جميلة، فأحسِنْ ظنَّك بربك فإنّه لا يضيع من أحسن به ظناً». فأخذت الركوة من يده فشربت فإذا

---

١. طه: ٨٢ .

٢. زبالة بضم أوله: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة فيها أسواق بين واقصة والثعلبية ـ كما في (**معجم البلدان** ٣: ١٢٩) .

٣. إناء صغير يُشرَب فيه الماء .

سويق وسكّر، فوالله ما شربت شيئاً قط ألذّ منه، ولا أطيب رائحة، فشبعت ورُويت وأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً، فدفعت إليه الركوة.

ثم غاب عن عيني، فلم أره حتى دخلت مكة وقضيت حجي، فإذا أنا بالفتى في هدأة من الليل وقد زهرت النجوم، وهو إلى جانب بيت قبّة الشراب راكعاً وساجداً لا يريد مع الله سواه، فجعلت أرعاه وأنظر إليه وهو يصلي بخشوع وأنين وبكاء ويرتّل القرآن ترتيلاً، فكلّما مرّت آية بها وعد ووعيد رددها على نفسه ودموعه تجري على خده، حتى إذا دنا الفجر جلس في مصلاه فسبح ربّه وقدّسه.

ثم قام يصلّي الغداة وطاف بالبيت أسبوعاً (أي سبعة أشواط) وقد خرج من باب المسجد، فخرجت فرأيت له حاشية وموالي، وإذا عليه لباس خلاف الذي شاهدت، وإذا الناس من حوله يسألونه عن مسائلهم ويسلّمون عليه، فقلت لبعض الناس أحسبه من مواليه: من هذا الفتى؟

فقال لي: هذا أبو إبراهيم عالم آل محمّد. قلت: مَن أبو إبراهيم؟

قال: موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. فقلت: فوالله ما توجد هذه الشواهد إلاّ في هذه الذريّة[1].

صيرورة الرمل ذهباً

ورد عن علي بن محمّد المقعد قال: حدّثني يحيى بن زكريا الخزاعي، عن أبي هاشم قال: خرجت مع أبي الحسن (الهادي)عليه السلام إلى ظاهر سُرّ من رأى نتلقّى بعض الطالبيين، فأبطأ حرسه، فطُرح لأبي الحسن عليه السلام غاشية السرج، فجلس عليها، ونزلتُ عن دابتي وجلست بين يديه وهو يحدّثني، وشكوت

---

١. **دلائل الإمامة**: ٣١٨، **نوادر المعجزات**: ٣١٧ / ح ١٢٣، **مدينة المعاجز** ٦: ١٩٤ / ح ١٩٣٧ .

إليه قصور يدي، فأهوى بيده إلى رمل كان عليه جالساً، فناولني منه أكفّاً وقال: «اِتّسعْ بهذا يا أبا هاشم واكتم ما رأيت»، فخبّأته معي، فرجعنا فأبصرته فإذا هو يتّقد كالنيران ذهباً أحمر. فدعوت صائغاً إلى منزلي وقلت له: اسبك لي هذا، فسبكه وقال: ما رأيتُ ذهباً أجود منه، وهو كهيئة الرمل، فمن أين لك هذا؟! فما رأيت أعجب منه، قلت: هذا شيء عندنا قديماً تدّخره لنا عجائزنا على طول الأيام[١].

الحصاة التي صارت ذهباً

رُوي عن أبي أحمد بن راشد، عن بعض إخوانه من أهل المدائن قال: كنت مع رفيق لي حاجاً قبل أيام، فإذا شاب قاعد عليه إزار ورداء، فقوّمناهما مائة وخمسين ديناراً، وفي رجليه نعل صفراء ما عليها غبار ولا أثر السفر، فدنا منه سائل، فتناول من الأرض شيئاً فأعطاه، فأكثر له السائل الدعاء، وقام الشاب وذهب وغاب. فدنونا من السائل فقلنا: ما أعطاك؟ فأرانا حصاة من ذهب، قدّرناها عشرين مثقالاً.

فقلت لصاحبي: مولانا معنا ولا نعرفه؟! إذهب بنا في طلبه. فطلبنا الموقف كله فلم نقدر عليه، ثمّ رجعنا وسألنا عنه مَن كان حوله، فقالوا: شاب علوي من المدينة يحج في كلّ سنة ماشياً[٢].

تبدّل الماء إلى حجارة

جاء في (طبقات المحدثين بأصبهان) لعبد الله بن حِبّان: ومن خواص أصبهان رستاق قاشان في قرية يقال لها كرمند، فيها معين يخرج منه ماء غزير

---

١. **الثاقب في المناقب**: ٥٣٢، **مدينة المعاجز** ٧: ٤٥٢ / ح ٢٤٥٥، **بحار الأنوار** ٥٠: ١٣٨ / ح ٢٢.

٢. **الخرائج والجرائح** ٢: ٦٩٤ ح ٨ **مدينة المعاجز** ٨: ١٦٥ ح ٢٧٦٤، **بحار الأنوار** ٥٢: ٥٩.

يُسقى منه زروع القرية، ويشربه الناس والبهائم وما يفضل منه ينصب إلى جدول فيتحول حجارة، ومن خواصها كهف في جبل من رستاق قهستان بقرية يقال لها: فازة، يقطر من قُلّته ماء فإذا استقر في الأرض تحول حجراً [1].

اللحم الذي صار حجراً

ورد في الخبر عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: أُهدي إليّ بضعة من لحم، فقلت للخادم: ارفعها إلى رسول الله ﷺ، وجاء سائل فقام على الباب، فقال: تصدّقوا بارك الله فيكم. وذهب السائل، وجاء النبي ﷺ فقلت للخادم: أقربي إليه اللحم. فجاءت بها، فإذا هي قد صارت مروة حجر.

فقال النبي ﷺ: «أتاكم اليوم سائل فرددتموه؟!»، قلت: نعم، قال: «فإنّ ذاك لذاك»، فما زالت حجراً في ناحية بيتها تدق حتى ماتت [2].

وجاء في (أخبار الزمان) للمسعودي: إن في بحر الهند حيواناً يشبه السرطان، فإذا خرج من الماء صار حجراً، يُتّخَذ منه كحل لبعض علل العين [3].

وفي (إعانة الطالبين) للبكري الدمياطي أن ببلاد الصين نوعاً من حيوان البحر يسمونه سرطاناً، وشأنه أنه متى خرج من البحر انقلب حجراً، وجرت عادتهم باستعماله في الأدوية، بل هو ما يُسمّى سمكاً لانطباق تعريف السمك عليه فهو طاهر، يحل الانتفاع به في الأدوية وغيرها... انتهى [4].

---

١. **طبقات المحدثين بأصبهان** ١: ١٦١، **ذكر أخبار أصبهان** ١: ٣٣ .

٢. **سبل الهدى والرشاد** للصالحي الشامي ١٠: ٥٦ .

٣. **أخبار الزمان** للمسعودي: ٤٨ .

٤. **إعانة الطالبين** للبكري الدمياطي ٢: ٤٠١ .

مع الشيخ البهائي

لما اجتمع السيد ماجد البحراني بالشيخ البهائي، كان في يد الشيخ سبحة من التربة الحسينية على مشرّفها سلام الله، فتلا الشيخ على السبحة فقطر منها ماءٌ على طريقة ما تستعمله أهل الشعابذة والعلوم الغريبة، فسأل السيّد: أيجوز التوضؤ به؟ فقال السيد: لا يجوز! وعلّله بأنه ماء خيالي لا حقيقي، وليس من المياه المتأصّلة المنزلة من السماء أو النابعْة من الأرض، فاستحسنه الشيخ[١].

ونقل صاحب (حدائق المقرّبين) عن والد صهره المولى محمد تقي المجلسي رحمه الله أنّه سمع من شيخه الشيخ بهاء الدين محمد العاملي ولد هذا الجليل رحمه الله أنه يقول: إن آباءنا وأجدادنا في جبل عامل كانوا دائماً مشتغلين بالعمل والعبادة والزهد، وهم أصحاب كرامات ومقامات، وأنه نُقل عن جده الشيخ شمس الدين أنّ في يوم من الأيام نزل ثلج عظيم بديارنا ولم يكن في منزل جدّنا ما يقوّت به عياله، وكان الأطفال يبكون ويريدون منه الطعام.

فقال جدنا لجدتنا: سكّتي الأطفال لندعو الله كي يطعمهم وإيانا. فأخذت جدتنا شيئاً من الثلج وذهبت به إلى التنور المحمى وقالت: هذا هو الخبز أطبخه لكم. ثم أوقد عليه وجعل الثلج شبه الرغائف يضربها بالتنور وجدُّنا مشغول بالدعاء، فلم تمضِ ساعة إلاّ أن خرج من التنور رغائف متعددة. فلما رأى جدنا ذلك شكر الله سبحانه. قال: ثمّ إنّ الشيخ البهائي قال بعد إيراده لهذا الحكاية: كنا كذلك في جبل عامل ولما وردنا ماء العجم سلبنا جميع ذلك ويتمثّل بشعر الحافظ بالفارسية:

---

١. خاتمة المستدرك ٢: ٢٢٩ .

من ملك بودم وفردوس برين جايم بود
آدم آورد در ايـن ديـر خـراب آبـادم

وفي (الرسائل الرجالية) أنّ شيخنا البهائي ذكر من جملة كرامات جده أنـه كان الثلج، ولم يكن في بيته شيء مـن القـوت، وكـان أولاده يبكـون، فقـال لجدتنا: أسكتيهم ببعض الحيل، وندعو الله تعالى حتى يرزقنـا. فأخَـذَت مـن الثلج وأوقعته في إجانة الخمير، وقالت لهم: هذا الخميـر يتهيـأ ونخبـز لكـم، فذهب الأولاد إليه وقالوا: يا أبانـا تهيـأ الخميـر. فلمـا رآه رأى أن الله تعـالى جعل الثلج لهم خميراً، فشكروا الله تعالى. فقال شيخنا: هكذا كان حالنا، فلمـا جئنا إلى العجم ذهبت تلك الأحوال. ثم قرأ:

من ملك بودم وفردوس برين جايم بـــود
آدم آورد درين ديــــر خــــراب آبــادم[1]

وهنا أُمور:

الأمر الأول: الفرق بين المعجزة والسِّحر

الفرق بين المعجزة وبين غيرها من الأعمال الخارقة يـتلخّص فـي الأمـور التالية:

أ: عدم التعلّم في المعجزة: فإن الآتي بالمعجزة يقوم بالإتيان بالمعجزة من دون سبق تعلّم، في حين يتمّ الإتيان بالأعمال الخارقة الأخرى نتيجة سلسـلة من التعليمات والتمرينات.

ب: عدم إمكان معارضة المعجزة: فإن المعجزة لكونها تنبع من قـدرة الله المطلقة لا يمكن معارضتها أو الإتيان بمثلها قط، بينما يمكن معارضة السـحر

---

١. **الرسائل الرجالية** للكلباسي ٢: ٤٧١، **روضات الجنات** ٢: ٣٣٨، **نقد الرجال** ٤: ١٨٦ .

والشعوذة، وما شابههما مما يفعله المرتاضون بمثلها لكونها تنشأ من قدرة البشر المحدودة المتناهية.

ج: التحدّي: إنّ الآتي بالمعجزة يتحدّى الآخرين بمعجزته، أي يدعوهم إلى معارضته ومقابلته بمثله، بينما لا يفعل السحرة والمرتاضون ذلك، لإمكان معارضتهم، ومقابلتهم بمثل ما يأتون به.

د: عدم المحدودية: فإن معاجز الأنبياء ليست محدودة بنوع أو نوعين، بل هي متنوعة بحيث لا يمكن الإشارة إلى جامع مشترك بينها. فمثلاً أين إلقاء العصا وانقلابه إلى حية، وإدخال اليد في الجيب وإخراجها بيضاء تنير؟ وكذا أين هاتان المعجزتان وأين إنباع الماء واستخراجه من صخرة بضربة من عصا لا غير؟ كما وأين هذه المعاجز الثلاث وأين تجفيف البحر، وفتح ممرات يابسة عظيمة في قاعه بضربة من عصا على الحجر أيضاً؟

وإنّ عيسى عليه السلام صنع من الطين كهيئة الطير، ثم نفخ فيها الروح فصارت طيوراً حية بإذن الله. كما أنه عليه السلام كان بالمسح بيده على وجوه العميان وأجساد المصابين بالبرص يمنحهم الشفاء، بل ويحيي الموتى، وينبئ عما ادّخره الناس في بيوتهم، إلى غير ذلك من المعاجز العديدة.

هـ: وأساساً إن الذين يأتون بالمعجزة والكرامة يمتازون عن السحرة الذين يأتون بالخوارق من الأعمال من حيث الهدف، وكذا من حيث النفسيات، فالفريق الأول يهدفون إلى غايات سامية وأغراض قيمة، بينما يهدف الفريق الثاني إلى أهداف دنيوية[١].

---

١. العقيدة الإسلامية: ١٢٣ .

الأمر الثاني: تسليم الولاية وإعطاؤها

إنّ تدخّل القدرة الإلهية المباشرة لا يمنع من وجود هذا النحو من الولاية، إذ من الممكن لهذه القدرة المقدسة أن تضع بعض مفاتيحها بيد من تشاء وتهبه لمن تريد وفق مصلحة ترتئيها، وهذا من حيث الإمكان العقلي ممكن نتيجة لما نألفه من الممارسة الإلهية مع هذه الخليقة، وهو أمر نحسّ به بشكل طبيعي.

فإذا كانت قدراتنا في الاختيار هي جعلاً إلهياً لنا، وهذا الجعل يمثل ولاية واضحة على مقدار من الظاهرة الكونية، ثبت أن لا ممانعة إلهية ـ من حيث المبدأ ـ على منح نمط من أنماط الولاية لأحد من الناس أو لمجموعة منهم، كأن تكون على نحو التقدير والتمييز لهؤلاء، أو على نحو الائتمان، خصوصاً وأننا نجد أن القدرة الإلهية سبق لها وأن أوكلت شؤوناً من هذه الولاية إلى عناصر متعددة، كأن تكون طبيعية، كما في ولاية العلل على بعضها، كأن تُبخّر النارُ الماء، أو يطفئ الماء النار، أو يزيل الدواء الداء، أو أن تعمل الجبال كرواسي في الأرض، أو في تخصيص عمل الملائكة، فيكون هذا مَلَكاً للموت، وذلك ملكاً يتوسّط ما بين الله وأنبيائه، وآخر خازناً للجنة، ورابع خازناً للنار، وخامس للنفخ في الصور، وسادس للعذاب، وسابع للرزق، وما إلى ذلك، فهذا بمجموعه يجعل إمكانية الإيلاء والجعل الإلهي قائمة.

وليس ثمة محذور من وجود هذا الجعل، ففي العادة يمكننا أن نفكر ببعض المحاذير والموانع التي تمنع من هذا الجعل، كأن يقال بأن المجعول له يمكن أن يسيء التصرّف بما جُعل له، أو أن تؤدي طبيعة الاستفادة إلى تداخل في مسيرة النظام العام، فيؤدي ذلك إلى اضطراب المسيرة الكونية، أو أن مَن جُعلت الولاية له لا يراعي حدود الأمانة ومقتضياتها، أو أن يؤدي ذلك

إلى وهم يخدش مسار التوحيد الإلهي، حيث يمكن للعمل الخارق أن يوهم المجعول له، أو الرائي لتصرفاته الولايتية بأن له نِدّيّة ونُظَرائية مع القدرة الإلهية أو ما شاكل.

وهذا بمجموعه مردود، مرة لمواصفات الجاعل ـ وهو الله جل شأنه ـ، وأخرى لمواصفات المجعول له ـ وهو الإنسان ـ، ولربما لمواصفات المادة المجعولة ثالثاً. إذ حاشا لله أن تكون إرادته وقراراته تتم على التخمين والظن، إذ إن هذه الأمور من شأنيّات البشر، أما الله فهو العليم الحكيم الخبير، يعلم لمن يولي هذه الأمانة، وخبير في جعلها لمن يرى فيه أهليّة النوء بحملها، وحكيم في وضع هذا الأمر في محله، خصوصاً وأن الآيات القرآنية التي تحدثت عن عمليات إيلاء هذه الولاية حفلت بتعليق ذلك بالمشيئة الإلهية، ومفروغ عن أن هذه المشيئة هي عين الحكمة، لذا حاشا لله أن يهب هذه الولاية لمن يمكن أن يسيء رعايتها، وهي على أيّ حال ولاية في كنف ولاية الله، وتابعة لها.

هذا من جهة الجاعل، وأمّا من جهة المجعول لله، فهو في المصافّ الأول: النبيّ الأكرمﷺ، وسائر الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين. وهؤلاء كلّهم لا يمكن أن يرد عليهم ما أشاروا إليه، إذ لو كانوا غير جديرين بهذا الأمر، فهم من باب أولى غير جديرين بالنبوّة والإمامة؛ لأن مرتبة الولاية التكوينية ـ بمقدارها ـ دون مرتبة النبوة والإمامة ـ بمقدارها ـ بما لا يمكن المقايسة بينهما، وإذا كان الله قد اشترط أن لا ينال عهدَه الظالمون، إذ إنّ ذلك يشترط فيهم العصمة، فمن الطبيعي إذ إن ما أشكلوا عليه باطل[1].

---

١. الولاية التكوينية، الحق الطبيعي للمعصوم عليه السلام: ١٢١.

الأمر الثالث: لماذا لم يستخدم المعصوم عليه السلام الولاية؟

ربّما يقال: إن المعصوم لو كانت لديه قدرة التصرف بشؤون الولاية التكوينية لَاستخدمها في جلب الخير لنفسه ومنع الضرّ عنها، ويساوقه في هذه الشبهة الشبهات التي تتحدث عن أن المعصوم عليه السلام لو كان لديه علم خاص لما تعرض للأذى والقتل وما إلى ذلك، فبإمكان النبي صلى الله عليه وآله أن يدفع عنه أذى قريش وثقيف والأحزاب، وبإمكان الأئمة أن لا تقع عليهم كلّ هذه المظالم لو كانوا يعلمون مثل هذا العلم الخاص.

ولربما يعود منشأ هذه الشبهة هو أن المنكرين يستصحبون أفهامهم ويقيسون المعصوم صلوات الله عليه على هذه الأفهام، ولهذا تجدهم يتساءلون عن المسوّغات الواقعية لحركة الإمام عليه السلام بحيث إنّهم إن لم يجدوا مثل هذه المسوغات في أذهانهم فدَعَوا إلى إهمالها.

فقد يبرز سؤال في ذلك عن ضرورتها ما دامت الرسالة التي أمروا بالحفاظ عليها، كما أُمر النبي صلى الله عليه وآله بتبليغها ـ لا تفرض ذلك، وما داموا لم يمارسوها في حياتهم بشكل آخر، لا سيما أن النبي صلى الله عليه وآله ينفي عن نفسه هذه القدرة على نحو الاستقلالية فيما حدّثنا القرآن عنه في جوابه للمشركين الذين اقترحوا عليه القيام ببعض الأفعال الخارقة للعادة.

وذلك بقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَراً رَّسُولاً﴾[1]، ما يوحي بأن الرسولية لا تفرض وجود مثل هذه القدرة في دوره ومهمته على نحو الأصالة والاستقلالية.

إن القضية ليست في الحديث عما هو في الممكن والمستحيل في الجانب

---

١. الإسراء: ٩٣.

التجريدي من حيث الحكم العقلي، بل هي في إيجاد المسوغات الواقعية للمضمون على أساس العلاقة بين النبوة أو الإمامة وبين هذه الأمور لا بد أن يُرَدَّ علمه إلى أهله.

والجواب عنها يتمحور أولاً في ضرورة تشخيص طابع الضراء وطابع السراء، فمن الواضح أنّ الضراء والسراء من المفاهيم الاعتبارية، أي أن تفاعلها مع النفس الإنسانية يختلف من شخص لآخر وبحسب الاعتبار والأهمية التي وليها هذا الشخص أو ذاك لمصداق الضر والخير، فلربما كان البعض ممن يحسب أن كسب المال هو قمة الخير بينما لا يوليه الآخر نفس هذه القيمة، لأن المال لديه ليس بنفس القيمة الموجودة في نفس الأول، بل قد نجد أن البعض قد يعد المال مصداقاً من مصاديق الضر.

ولربما كان البعض ممّن حسب أن التعرض إلى البلاء الفلاني هو قمة الضر، فيما يعده البعض الآخر ليس بهذه الصورة من الشر أو قد يحسبه البعض من صور الخير، كما في تعرض الجبان إلى الموت، وإقدام المجاهد عليه.

ولهذا نرى أن الأفهام في موقفها من الخير والضر تبقى متفاوتة، وهو الأمر الذي يعكس حالة المواقف الإرادية المتفاوتة تجاه مسائل الخير والضر، وأسباب ذلك متعددة، منها ما يعود إلى طبيعة العلم بالمفهوم، كأن يعرف الإنسان أن هذا المفهوم يعني له الضر أو غيره، ومنها ما يعود إلى طبيعة الإنسان وموقفه من المفهوم، يمكن أن يغفل هذا الإنسان عن حقيقة هذا المفهوم، والعكس بالعكس. وعليه فليس في المقدور تشخيص المفهومين إلاّ بمقدار اقتراب الإنسان من الحقيقة اليقينية، وإدراكه لمقاصد الشارع المقدس في حال ارتباط الموضوع في الأمور الرسالية، ولهذا تجد الإنسان إذا ما وعى

شيئاً يقينياً، فإن ردة الفعل الغالبة ستكون واحدة، كما هو الحال لمن عرف أن النار محرقة، عندئذ سنجد هذا الإنسان لا يقترب منها.

الاختلاف في تشخيص المصلحة

من هذا المنطلق نقول: إن تشخيص ما نتصوّره ضراً قد يكون لدى غيرنا هو الخير بعينه، ولهذا فتصورنا في أن المعصوم عليه السلام عالم يبحث عن الخير مسألة متوقفة وغير تامة، لأننا لم ندرك كنه الخير الذي في إدراك المعصوم، خصوصاً وأنه ليس مثلنا حيث يدخل في حساباتنا البعد الذاتي لشخصيّتنا، وإنما ينظر دائماً وأبداً إلى مصالح العهد الرباني الذي بين يديه، وهو لم ينله إلاّ بعد أن آلَ على نفسه أن يتحمل الضر في سبيل مصلحة العقيدة والرسالة الربانية.

ومعلوم أن مصالح الشريعة لا تُدرَك بالضرورة من غير المعصوم عليه السلام، ولهذا فإن كان المعصوم يعتبر خدمة الشريعة تفوق في الاعتبار أي ضرر شخصي يتوجه إليه، فإنّه سوف يتحمل هذا الضرر بكل رضى.

وما أروع النبي يوسف عليه السلام حينما يعبر عن هذا المفهوم بقوله: ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾[1]، فهو يتحمل ضراء السجن وما يترتب عليه من أجل خدمة العقيدة والرسالة الموكلة إليه، ولا يتحمل ذلك حسب، وإنما يذهب إلى حد حب هذا الضر وطلبه. حتّى كان أحبَّ إليه من دعوة الشرّ والباطل والضلال والمعصية.

ومن قَبل يوسف عليه السلام كانت لنا قصّة ذبح إسماعيل من قِبل إبراهيم عليهما السلام المشار إليها في الآية الكريمة: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي**

---

١. يوسف: ٣٤.

الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[١]، وهاهنا نجد الأب إبراهيم، والابن إسماعيل عليهما السلام في مقام الرضى والتسليم بالضر الظاهري.

وعليه يمكن عندئذ أن نُدخل الكثير من موارد التصرف بشؤون الولاية التكوينية في مضمار جلب الخير ودفع الضر، ألا تحسب أن سليمان حينما جلب عرش بلقيس ضمن مقايس التصرف بالولاية قد جلب الخير لنفسه، مع ملاحظة أن نفسه هنا قد تمازجت مع رسالته بحيث أصبح الاثنان واحداً، وهذا هو مقام الخُلَّص من أولياء الله.

على أننا ينبغي أن نعي حقيقةَ أن التفاضل المطروح بين الأولياء إنما هو في الصبر على البلايا، ولهذا تجد منهم من آثر تَحمّل العناء على أمر التصرف بشؤون الولاية التكوينية مع قدرته عليه، كما نجد ذلك في قصّة النبي نوح عليه السلام، لذلك أُثنيَ عليه ووُصِف بالمحسنين كما توضحه الآية: **﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾**[٢].

ووصفُ المحسنين إنما يُمنَح لمن يقوم بأداء الحق، فلا يكتفي بالذي عليه من الحق، بل يعمد إلى تنجيز ما هو أكثر منه، ومنهم من لم يتحمل ذلك، فآثر العكس ولم يصبر، وهذا ما يفيدنا أن النبي والأئمة صلوات الله عليهم حينما قبلوا بمبدأ استقبال البلاء والضراء فبسبب رغبتهم في مزيد الطاعة لله تبارك وتعالى.

وفي الروايات الصحيحة أن الإمام علياً والحسن والحسين سلام الله عليهم

---

١. الصافّات: ١٠٢ .

٢. الصافّات: ٧٩ و٨٠ .

لو أرادوا التخلص من الظلم الذي حيق بهم، لـدَعَوُا الله تعـالى فنجّـاهم مـن الظالمين، ولكنهم لم يفعلوا ذلك لمبالغتهم في طلب مرضاة الله تعالى، والتـي نالوها بأعلى درجاتها من خلال قبـول الـبلاء والصـبر عليـه توخّيـاً للهـدف المقدّس.

وحينما لا يتصـرفون بالشـأن الكـوني نصـرة لأنفسـهم علـى الـرغم مـن استطاعتهم، إنما يعبّرون عن مدى تسابقهم على رضوان الله الأكبر، وتفـانيهم في ذاته وفي عشقه، وهو أمر لا يـتمكن مـن إدراكـه إلاّ مـن تـذوق حـلاوة التفاني في ذات الله عظمت آلاؤه وتقدست أسماؤه[1].

انفعالات

علماء الطبيعة لهم تفسيرات خاصّة بهم لبعض الحوادث الكونية، كما أنهم عالمون بزمان وقـوع بعضـها طبقـاً للحسـابات الموجـودة عنـدهم، وهكـذا استمرت سيرتهم في معاملة المواد الكيميائية بعضها مع بعـض وهـي منتجـة لأشياء جديدة، لكن مع ذلك لم يتصوروا وجود الارتباط بين بعـض الأعمـال الإنسانية وبين بعض الحوادث الكونية، بل بيان ذلك موكول إلى مَـن عصـمه الله تعالى وآتاه منه حُكماً وعلماً من الأنبياء والأوصياء، فـنحن لا نعلـم السـرّ بين مقتل نبي أو وصي وبين ما يجري في الكون ممـا هـو غيـر مـألوف مـن السنن الكونية.

في مقتل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

مقتل النبي أو الوصي فاجعة عظمى تُبكي السماء والأرض، وتظهـر آثـاره

---

١. يراجع: **الولاية التكوينية**: ٢٣٦ .

على الأرض والجبال والبحار، وقد نُقل في بعض الأخبار ما يكشف عن تلك الآثار، فقد ورد في الخبر عن ابن شهاب قال: قَدِمتُ دمشق وأنا أريد العراق فأتيت عبد الملك لأسلّم عليه فوجدته في قبة على فرش يفوت القائم وتحته سماطان، فسلّمت ثمّ جلست، فقال: يا ابن شهاب، أتعلم ما كان في بيت المقدس صباح قتل علي بن أبي طالب؟ فقلت: نعم، قال: هلمّ. فقمت من وراء الناس حتى أتيت خلف القبة وحوّل إليّ وجهه وأحنى عليه فقال: ما كان؟

فقلت: لم يُرفَع حجر من بيت المقدس إلاّ وُجد تحته دم، فقال: لم يبق أحد يعلم هذا غيري وغيرك، فلا يسمعوا منك! فما حدّثتُ به حتى تُوفّي. أخرجه ابن الضحّاك(١).

وفي (أربعين) الخطيب أنه سأل عبدُ الملك بن مروان الزهريَّ: ما كانت علامة يومِ قتلِ عليعليه السلام؟ قال: ما رُفعت حصاة من بيت المقدس إلاّ كان تحتها دم عبيط! (أي طريّ)

ونقل ابن شهر آشوب عن أبي حمزة، عن الصادقعليه السلام وقد رواه أيضاً عن سعيد بن المسيب أنه لما قُبض أمير المؤمنينعليه السلام لم يُرفَع من وجه الأرض حجر إلاّ وُجد تحته دم عبيط(٢).

وعن (عيون المعجزات) عن كتاب (الأنساب) لقريش عن الزهري، قال: قال عبد الملك بن مروان ـ وكنت آتياً من بيت المقدس ـ: يا زهري، ما كانت علامة اليوم الذي قُتل فيه علي بن أبي طالبعليه السلام؟ فقلت: أصبح الناس

١. **ذخائر العقبى** لأحمد بن عبد الله الطبري: ١١٥ .

٢. حكاه عنه ابن شهر آشوب في (**مناقب آل أبي طالب** ٢: ١٧٠) والعلامة المجلسي في (**بحار الأنوار** ٤٢: ٣٠٨) .

ببيت المقدس وما يَقلِب أحد حجراً إلاّ وتحته دم عبيط[١].

قال ابن عباس: لقد قتل أمير المؤمنينعليه السلام على الأرض بالكوفة فأمطرت السماء ثلاثة أيام دماً[٢].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: قال أبو جعفرعليه السلام: «لمّا كانت الليلة التي قُتل فيها عليعليه السلام لم يُرفَع عن وجه الأرض حجر إلاّ وُجد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر، وكذلك كانت الليلة التي قُتل فيها يُوشَع بن نونعليه السلام، وكذلك كانت الليلة التي رُفع فيها عيسى بن مريمعليه السلام، وكذلك الليلة التي قُتل فيها الحسينعليه السلام»[٣].

قارورة الدم في مقتل الحسين

لما أراد الإمام الحسين بن عليعليه السلام الذهاب إلى العراق قالت له أم سلمة: لا تخرج إلى العراق؛ فقد سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: يُقتَل ابني الحسين بأرض العراق، وعندي تربة دفعها إليّ في قارورة. فقال: «والله إني مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلونني أيضاً، وإن أحببتِ أن أُريَكِ مضجعي ومصرع أصحابي». ثمّ مسح بيده على وجهها، ففسح الله في بصرها حتى أراها ذلك كلّه، وأخذ تربة فأعطاها من تلك التربة أيضاً في قارورة أخرى، وقالعليه السلام: «فإذا فاضتا دماً فاعلمي أني قد قُتلت!».

فقالت أم سلمة: فلمّا كان يومُ عاشوراء نظرتُ إلى القارورتين بعد الظهر

---

١. **عيون المعجزات**: ٤٥، **مدينة المعاجز** ٣: ٦٩ / ح ٧٣٤.

٢. **مناقب آل أبي طالب** لابن شهر آشوب ٢: ١٧٠، **بحار الأنوار** ٤٢: ٣٠٨، **مدينة المعاجز** ٣: ٦٨.

٣. **مناقب آل أبي طالب** لابن شهر آشوب ٢: ١٧٠، **بحار الأنوار** ١٣: ٣٦٨ / ح ١٢ وج ١٤: ٣٣٦ / ح ٤.

فإذا هما قد فاضتا دماً! فصاحت. ولم يُقلَب في ذلك اليوم حجر ولا مدر إلاّ وُجد تحته دم عبيط[١].

وعن نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد قال: حدثني أبو معشر، عن الزهري قال: لما قُتل الحسينعليه السلام أمطرت السماء دماً قال عمر بن سعد: وحدثني أبو معشر، عن الزهري قال: لما قُتل الحسينعليه السلام لم يبق في بيت المقدس حجر إلاّ وُجِد تحته دم عبيط[٢].

وعن الشافعي أنه قال: ما رُفع حجر في الدنيا يوم قتل الحسينعليه السلام، إلاّ وجد تحته دم عبيط، ولقد قطرت السماء يوم قتله دماً، حتى بقي أثره على النبات حتى فَنِي[٣].

دم عبيط من شجرة

ورد في الخبر عن هند بنت الجون، قالت: لما نزل رسول اللهصلى الله عليه وآله بخيمة أم معبد توضّأ للصلاة ومجّ ماءً مِن فيه على عوسجة[٤] يابسة فاخضرّت وأنارت، وظهر ورقها وحسن حملها، وكنا نتبرك بها ونستشفي بها للمرضى، فلمّا توفي رسول اللهصلى الله عليه وآله ذهبت بهجتها ونضارتها، فلمّا قُتل أمير المؤمنينعليه السلام انقطع ثمرها، فلمّا كان بعد مدة طويلة أصبحنا يوماً وإذا بها قد انبعث من ساقها دم عبيط وورقها، بل يقطر مثل ماء اللحم، فعلمنا أنه حدث أمرٌ عظيم! فبتنا ليلتنا مهمومين فزعين، نتوقع الداهية.

---

١. **الخرائج والجرائح** ١: ٢٥٣ .

٢. **مدينة المعاجز** ٤: ١٥١ / ح ١١٦٠ .

٣. نفسه ٤: ١٨٧ / ح ١٢١٣ . ويراجع في هذا الموضوع: **إحقاق الحقّ** ـ الملحقات ج ١١ المتعلّق بسيرة الإمام الحسين عليه السلام.

٤. العوسجة: ضرب من الشوك ـ كما في (**الصحاح** ١: ٣٢٩) .

فلما أظلم الليل علينا سمعنا بكاءً وعويلاً من تحتها وجَلْبةً شديدة ورّجة، وصوتَ باكية تقول: يا ابن النبي، يا ابن الوصي، ويا ابن البتول ويا بقية السادة الأكرمين. ثمّ كثرت الرنات والأصوات ولم أفهم كثيراً مما يقولون، فأتى بعد ذلك قتلُ الحسينعليه السلام ويبست الشجرة وجفَّ أثرها وذهب[١].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: «سأل هشام بن عبد الملك أبيعليه السلام فقال: أخبِرْني عن الليلة التي قُتل فيها علي بن أبي طالبعليه السلام بما استدل النائي عن المصر الذي قُتل فيه علي، وما كانت العلامة فيه للناس؟ وأخبرني هل كانت لغيره في قتله عبرة؟

فقال له أبي: إنه لما كانت الليلةُ التي قُتل فيها علي صلوات الله عليه لم يُرفَع عن وجه الأرض حجر إلاّ وجد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر. وكذلك كانت الليلة التي فُقِد فيها هارون أخو موسى صلوات الله عليهما. وكذلك كانت الليلة التي قُتل فيها يُوشَع بن نون. وكذلك كانت الليلة التي رُفع عيسى بن مريم صلوات الله عليه. وكذلك الليلة التي قُتل فيها الحسين صلوات الله عليه»[٢].

صار الورس دماً

الورس نبت أصفر يكون باليمن تُتَّخَذ منه الغمرة للوجه[٣]، وقد نُقل: أنه لما قُتل الحسين صار الورس دماً، وانكسفت الشمس إلى ثلاثة أسبات، وما في الأرض حجر إلاّ وتحته دم، وناحت عليه الجن كلّ يوم فوق قبر النبي

---

١. **مدينة المعاجز** ٤: ١٨٨ ح ١٢١٦، **بحار الأنوار** ٤٥: ٢٣٣ عن بعض كتب المناقب المعتبرة .

٢. **قصص الأنبياء** للراوندي: ١٤٦، **بحار الأنوار** ٤٢: ٣٠٢ / ح ٢ .

٣. **الصحاح** ٣: ٩٨٨ .

إلى سنة كاملة[١].

قلم من حديد

نقل في (المعجم الكبير) للطبراني عن زكريا بن يحيى الساجي، حدثنا محمّد بن عبد الرحمن بن صالح الأسدي، حدثنا السريّ بن منصور بن عمار، عن أبيه، عن ابن لهيعة، عن أبي معيط قال: لما قُتل الحسين بن علي رضي الله عنهما احتزُّوا رأسه وقعدوا في أول مرحلة يشربون النبيذ يتحيَّون بالرأس، فخرج عليهم قلم من حديد من حائط فكتب بسطر دم:

أترجو أمّةٌ قتَلَت حسيناً ... شفاعةَ جدِّه يومَ الحسابِ؟!

فهربوا وتركوا الرأس ثمّ رجعوا!

وعن محمّد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا محمّد بن غورك، حدثنا أبو سعيد التغلبي، عن يحيى بن يمان، عن إمام لبني سليم، عن أشياخ له غَزَوُا الروم فنزلوا في كنيسة من كنائسهم فقرؤوا في حجر مكتوب:

أيرجو معشرٌ قتلوا حسيناً ... شفاعةَ جدِّه يوم الحسابِ؟!

فسألناهم: منذ كم بُنِيَت هذه الكنيسة؟ قالوا: قبل أن يُبعَث نبيّكم بثلاث مائة سنة[٢].

صار الذهب نحاساً

عن مشايخ طي قالوا: وجد شمر بن ذي الجوشن في رحل الحسين عليه السلام ذهباً فدفع بعضه إلى ابنته فدفعه إلى صائغ يصوغ منه حليّاً، فلمّا أدخله النار

---

١. **مناقب آل أبي طالب** لابن شهر آشوب ٣: ٢١٨ .

٢. **المعجم الكبير** للطبراني ٣: ١٢٣ / ح ٢٨٧٣، **تهذيب الكمال** للمزّي ٦: ٤٤٣.

صار نحاساً، وقيل: ناراً! وما تطيبت امرأة من ذلك الطيب إلاّ برصت![1].

خلاصة الفصل الرابع:

١ـ أنّ المسخ والتبدل من الحالة الإنسانية إلى حالة حيوانية جاء بها الذكر الحكيم وتكرر نقلها في السنّة الشريفة، فإنها من الأُمور الواقعة والجارية على الأمم الغابرة، بل دلت الأدلة على حصولها على يد المعصومين من أهل بيت النبوة عليهم السلام.

٢ـ كما أن العلم الحديث تمكّن من تغيير جنسية الرجل إلى إمرأة وبالعكس. وللصوفية وأصحاب الطريقة إدعاءات في هذا المجال ذكرنا بعضها.

٣ـ أثبتت الآيات الشريفة والروايات الكريمة أنّ بعض الجمادات قد جرى عليها التبدّل، فتبدّلت عصا موسى إلى ثعبان مبين، وحصلت معاجز الأنبياء بهذا التبدل السريع.

٤ـ ودلّت الأخبار على حصول انفعالات وتغيرات كونية على أثر شهادة نبي الله يحيى بن زكريّا والإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وشهادة ولده الحسين عليه السلام.

حرره بيده الفقير إلى رحمة الله تعالى وإلى شفاعة الرسول المصطفى وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين عبد الحليم بن عليوي بن سعيد بن طاهر بن حسن بن عوض الحلي في مدينة مشهد المقدسة، وقد كان الفراغ منه في شهر ربيع الأول من سنة ١٤٣٠ هجرية، والحمد لله ربّ العالمين.

---

١. **مثير الأحزان** لابن نما الحلي: ٦٣ .

فهرس المصادر

القرآن الكريم ونهج البلاغة والصحيفة السجادية.

إثبات عذاب القبر: أحمد بن الحسين البيهقي (ت سنة ٤٥٨ هجرية)، تحقيق: الدكتور شرف محمود القضاة، الجامعة الأردنية، الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٢م، نشر دار الفرقان.

إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: محمد بن الحسن الحر العاملي (ت سنة ١١٠٤ هجرية)، نشر دار الكتب الإسلامية، إيران.

الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي،(ت سنة ٥٦٠ هجرية)، تحقيق وتعليق: السيد محمد باقر الخرسان، طبع سنة ١٩٦٦م، نشر دار النعمان للطباعة والنشر، بيروت.

إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل: القاضي السيد نور الله التستري الشهيد (ت سنة ١٠١٩ هجرية)، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم.

اختيار معرفة الرجال (أو **رجال الكشي**): الشيخ أبو جعفر الطوسي (ت سنة ٤٦٠ هجرية)، مع تعليقات الميرداماد الاسترآبادي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، سنة ١٤٠٤ هجرية، قم.

الأربعون حديثاً: الشيخ البهائي (ت سنة ١٠٣١هجرية)، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

الأربعون: محمد طاهر القمي الشيرازي (ت سنة ١٠٩٨ هجرية)، تحقيق: السيد مهدي

الرجائي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ هجرية، نشر المحقق، قم.

إرشاد القلوب: الشيخ حسن بن أبي الحسن الديلمي، (ت قرن ٨ هجري)، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٩ هجرية، نشر: الشريف الرضي، قم.

الاستبصار: أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت سنة ٤٦٠ هجرية)، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة الرابعة سنة ١٣٦٣ شمسية، مطبعة خورشيد، نشر دار الكتب الإسلامية، إيران.

أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير (ت سنة ٦٣٠ هجرية)، طبع سنة ١٩٧٠م، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله: الشيخ محمد بن علي الصبان (ت سنة ١٢٠٦ هجرية)، في هامش نور الأبصار.

الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت سنة ٨٥٢ هجرية)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥ هجرية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

الأصول الستة عشر: عدة المحدثين، من أعلام القرن الثاني الهجري، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٥ هجرية، نشر دار الشبستري للمطبوعات، قم.

إعانة الطالبين: ابو بكر المشهور بالسيد البكري الدمياطي (ت سنة ١٣١٠ هجرية)، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ هجرية، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

الأعلام: خير الدين الزركلي (ت سنة ١٤١٠ هجرية)، الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٠م، نشر دار العلم للملايين، بيروت.

أعلام الدين: الشيخ الجليل الحسن بن أبي الحسن الديلمي، (ق ٨ هجرية)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي (ت سنة ١٣٧١ هجرية)، تحقيق: حسن الأمين، نشر دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

إكمال الكمال: ابن ماكولا (ت سنة ٤٧٥ هجرية)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الإلهيّات: الشيخ جعفر السبحاني، المعاصر، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هجرية، نشر الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

أمالي الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت سنة ٣٨١ هجرية)، تحقيق ونشر: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧ هجرية.

أمالي الشيخ الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت سنة ٤٦٠ هجرية)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤ هجرية، نشر دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم.

أمالي السيد المرتضى: الشريف أبو القاسم علي بن طاهر (ت سنة ٤٣٦ هجرية)، تحقيق وتعليق: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٥ هجرية، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم.

أمالي الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان التلعكبري البغدادي (ت سنة ٤١٣ هجرية)، تحقيق: حسين الاستاد ولي، علي اكبر الغفاري، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤ هجرية، نشر دار المفيد، بيروت.

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي المعاصر.

أمل الآمل في علماء جبل عامل: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت سنة ١١٠٤ هجرية)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، نشر مكتبة الأندلس، بغداد.

الأنوار النعمانية: السيد نعمة الله الجزائري (ت سنة ١١١٢ هجرية)، طبع في تبريز.

أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور: ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي، نشر الشريف الرضي، قم.

أوائل المقالات: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (ت سنة ٤١٣ هجرية)، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤ هجرية، نشر

دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت سنة ١١١١ هجرية)، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣ هجرية، نشر مؤسسة الوفاء، بيروت.

البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت سنة ٧٧٤ هجرية)، تحقيق وتعليق: علي شيري، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٨ هجرية، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

البراهين العلمية في إثبات القدرة الإلهية: الشيخ عبد الجبّار الربيعي، المعاصر، نشر مؤسسة النعمان، بيروت.

البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت سنة ٧٩٤ هجرية)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هجرية، نشر دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاءه.

بشارة المصطفى: محمد بن علي الطبري، (ق ٦ هجرية)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠ هجرية، طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمدﷺ: محمّد بن الحسن الصفّار (ت سنة ٢٩٠ هجرية)، تحقيق وتعليق: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، طبع سنة ١٤٠٤ هجرية، مطبعة الأحمدي، طهران، نشر مؤسسة الأعلمي، طهران.

البلاغة الواضحة: علي الجارم ومصطفى أمين، المعاصرين، طبع دار الثقافة، قم.

تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي (ت سنة ١٢٠٥ هجرية)، تحقيق: علي شيري، طبع سنة ١٤١٤ هجرية، طبع ونشر دار الفكر، بيروت.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين بن محمد بن أحمد الذهبي (ت سنة ٧٤٨ هجرية)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هجرية، ونشر دار الكتاب العربي، بيروت.

تاريخ بغداد أو مدينة السلام: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت سنة ٤٦٣ هجرية)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبع سنة ١٤١٧ هجرية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

تاريخ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت سنة ٣١٠ هجرية)، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلاء، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٣ هجرية، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت سنة ٥٧١ هجرية)، تحقيق: علي شيري، طبع سنة ١٤١٥ هجرية، نشر في دار الفكر، بيروت.

تأويل الآيات الباهرات: السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي النجفي (ت سنة٩٦٥ هجرية)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي (عج)، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هجرية، مطبعة أمير، قم.

التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت سنة ٤٦٠ هجرية)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هجرية، طبع ونشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم.

تحريرات في الاصول: السيد مصطفى الخميني، (الشهيد سنة ١٣٩٨ هجرية)، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨ هجرية، طبع ونشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني رحمه الله.

التحصين: السيد رضي الدين علي بن طاووس الحلي (ت سنة ٦٦٤ هجرية)، تحقيق: الأنصاري، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هجرية، مطبعة نمونة، نشر مؤسسة دار الكتاب الجزائري، قم.

تحف العقول عن آل الرسول: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، (ق ٤ هجرية)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٤ هجرية، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

التحفة السنية: الفيض الكاشاني (ت سنة ١٠٩١ هجرية)، وشرح السيد عبد الله الجزائري (مخطوط) في مكتبة الآستانة، مشهد المقدسة.

تذكرة الحفاظ: شمس الدين بن محمد بن أحمد الذهبي (ت سنة ٧٤٨ هجرية)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

التعجب: أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي (ت سنة ٤٤٩ هجرية)، تحقيق وتصحيح: فارس حسون كريم.

التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: القرطبي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي, نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: عبد العظيم المنذري (ت سنة ٦٥٦ هجرية)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: الإمام أبو محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام (الشهيد سنة ٢٦٠ هجرية)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي (عج)، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هجرية، قم.

تفسير أبي حمزة الثمالي: أبو حمزة الثمالي (ت سنة ١٤٨ هجرية)، أعاد جمعه وتأليفه: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، مراجعة وتقديم: الشيخ محمد هادي معرفة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠ هجرية، طبع ونشر دفتر نشر الهادي.

تفسير أبي الفتوح: الرازي، (ت ق ٦ هجرية)، طبع ونشر مكتبة السيد المرعشي، قم.

تفسير البيضاوي: أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، طبع ونشر دار الفكر، بيروت.

تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن): عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (ت سنة ٨٧٥ هجرية)، تحقيق: عبد الفتاح أبو سنة، وعلي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ هجرية، طبع ونشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي (ت سنة٩١١

هجرية)، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

تفسير الرازي = المشتهر **بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**: محمّد بن عمر الفخر الرازي (ت سنة ٦٠٦ هجرية)، نشر دار الفكر، بيروت.

تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت سنة ٦٧١ هجرية)، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

تفسير القرآن العظيم: عماد الدين بن كثير القرشي الدمشقي (ت سنة ٧٧٤ هجرية)، نشر دار المعرفة، بيروت.

تفسير القمّي: أبو الحسن علي بن إبراهيم القمّي، (قرن ٣ و٤ الهجريين)، تصحيح وتعليق: السيد طيب الموسوي الجزائري، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٤ هجرية، نشر مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم.

تفسير كنز الدقائق: الميرزا محمد المشهدي بن محمد رضا القمي (ت سنة ١١٢٥ هجرية)، تحقيق: الحاج مجتبى العراقي، طبع سنة ١٤٠٧ هجرية، نشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

تفسير المنار (أو: **تفسير القرآن الحكيم**): محمّد رشيد رضا (ت سنة ١٣٥٤ هجرية) نشر دار المعرفة، بيروت.

تفسير نور الثقلين: عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت سنة ١١١٢ هجرية)، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الطبعة الرابعة سنة ١٤١٢ هجرية، طبع ونشر مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم.

تفسير الصافي: المولى محسن الفيض الكاشاني (ت سنة ١٠٩١ هجرية)، الطبعة الثانية سنة ١٤١٦ هجرية، مطبعة مؤسسة الهادي، قم، نشر مكتبة الصدر، طهران.

تفسير العياشي: أبو النظر محمّد بن مسعود السلمي السمرقندي المعروف بالعيّاشي (ت سنة ٣٢٠ هجرية)، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، نشر المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

تفسير القرآن الكريم: السيد مصطفى الخميني، (الشهيد سنة ١٣٩٨ هجرية)، تحقيق ونشر: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني﴿، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ هجرية.

تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت سنة ٨٥٢ هجرية)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الثانية سنة ١٤١٥ هجرية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

تهذيب الأحكام: أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت سنة ٤٦٠ هجرية)، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة الثالثة سنة ١٣٦٤ شمسي، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران.

تهذيب الكمال: جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزّي (ت سنة ٧٤٢ هجرية)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٦ هجرية، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

التوحيد: أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق (ت سنة ٣٨١ هجرية)، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

الثاقب في المناقب: ابن حمزة الطوسي (ت سنة ٥٦٠ هجري)، تحقيق: نبيل رضا علوان، الطبعة الثانية سنة ١٤١٢ هجرية، مطبعة الصدر، نشر مؤسسة أنصاريان، قم.

ثواب الأعمال: أبو جعفر محمّد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق (ت سنة ٣٨١ هجرية)، تحقيق: السيد محمد مهدي=السيد حسن الخرسان، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٨ شمسي، مطبعة أمير، نشر الشريف الرضي، قم.

جامع الأخبار والآثار عن النبي والأئمّة الأطهار: محمّد باقر الموحّد الأبطحي الإصفهاني، المعاصر، نشر مؤسسة الإمام المهدي﴿، قم.

جامع البيان: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت سنة ٣١٠ هجرية)، تحقيق: الشيخ خليل الميس، وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، طبع سنة ١٤١٥

هجرية، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
جامع الرواة: محمد علي الأردبيلي الغروي الحائري (ت سنة ١١٠١ هجرية)، نشر مكتبة المحمدي.
جمهرة اللغة = ترتيب جمهرة اللغة: ابن دريد (ت سنة ٣٢١ هجرية)، تحقيق: عادل البدري، نشر الآستانة الرضوية، مشهد.
الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: محمد صدر الدين الشيرازي (ت سنة ١٠٥٠ هجرية)، الطبعة الثالثة سنة ١٩٨١م، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
حلية الأبرار: السيد هاشم الحسيني البحراني (ت سنة ١١٠٧ هجرية)، تحقيق: الشيخ غلام رضا مولانا البروجردي، الطبعة الأولى سنة ١٤١١ هجرية، مطبعة بهمن، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم.
حلية الأولياء: أبو نعيم الإصفهاني أحمد بن عبد الله (ت سنة ٤٣٠ هجرية)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي (ت سنة ٥٧٣ هجرية)، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي (عج)، بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هجرية، قم.
الخصال: أبو جعفر محمّد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق (ت سنة ٣٨١ هجرية)، تحقيق وتعليق: علي أكبر الغفاري، طبع سنة ١٤٠٣ هجرية، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.
خصائص الأئمة: أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي المعروف بالشريف الرضي (ت سنة ٤٣٦ هجرية)، تحقيق: محمد هادي الاميني، طبع سنة ١٤٠٦ هجرية، نشر مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدسة.
خلاصة الأقوال: الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي المعروف بالعلامة الحلي (ت سنة ٧٢٦ هجرية)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧

هجرية، نشر مؤسسة نشر الفقاهة.

الخلاف: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت سنة ٤٦٠ هجرية)، تحقيق : جماعة من المحققين، طبع سنة ١٤٠٧ هجرية، طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

دراسات في المكاسب المحرمة: الشيخ المنتظري (ت سنة ١٤٣١ هجرية)، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥ هجرية، مطبعة القدس، نشر تفكر، قم.

دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام: أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت سنة ٣٦٣ هجرية)، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، طبع سنة ١٣٨٣ هجرية، نشر دار المعرفة، القاهرة.

دلائل الإمامة: أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري (ت سنة ٣١٠ هجرية)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هجرية، نشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم.

الذريعة إلى تصانيف الشيعة: العلّامة آقا بزرگ الطهراني (ت سنة ١٣٨٩ هجرية)، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣ هجرية، نشر دار الأضواء، بيروت.

ذخائر العقبى: الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت سنة ٦٩٤ هجرية)، طبع سنة ١٣٥٦ هجرية، نشر مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي، القاهرة.

ذكر أخبار أصبهان: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني (ت سنة ٤٣٠ هجرية)، طبع سنة ١٩٣٤م، مطبعة بريل، ليدن المحروسة.

رجال النجاشي: الشيخ أبو العباس أحمد بن علي النجاشي الأسدي الكوفي (ت سنة ٤٥٠ هجرية)، الطبعة الخامسة سنة ١٤١٦ هجرية، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

رد الحموي على الوهابية: السيد أحمد الحموي (ت سنة ١٠٩٨ هجرية)، طبع سنة ١٣٩٦ هجرية، نشر مكتبة ايشيق، استانبول.

رسالة في تحقيق الرابطة: خالد البغدادي (ت سنة ١٢٤٢ هجرية).

رسائل السيد المرتضى: الشريف المرتضى (ت سنة ٤٣٦ هجرية)، تحقيق: السيد

أحمد الحسيني، طبع سنة ١٤٠٥ هجرية، مطبعة سيد الشهداء، نشر دار القرآن، قم.

الرسائل العشر: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت سنة ٤٦٠ هجرية)، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

الروح: ابن قيم الجوزية، طبع سنة ١٣٩٩ هجرية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: المولى محمد تقي المجلسي (ت سنة ١٠٧٠ هجرية)، نشر بنياد فرهنگ إسلامي.

روضة الواعظين: الشيخ محمد بن الفتال النيسابوري، (الشهيد سنة ٥٠٨ هجرية)، تحقيق: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، نشر الشريف الرضي، قم.

زاد المسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القريشي (ت سنة ٥٩٧ هجرية)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هجرية، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

زبدة البيان في أحكام القرآن: المحقق الأردبيلي (ت سنة٩٩٣ هجرية)، تحقيق: محمد باقر البهبودي، نشر المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران.

الزهد: حسين بن سعيد الكوفي (ت قرن ٣ هجري)، تحقيق: الميرزا غلامرضا عرفانيان، طبع سنة ١٣٩٩ هجرية، المطبعة العلمية، قم.

سبل الهدى والرشاد: في سيرة خير العباد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت سنة ٩٤٢ هجرية)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد المعوض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤ هجرية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

سلوة الحزين وتحفة العليل الشهير **بالدعوات**: قطب الدين الراوندي (ت سنة ٥٧٣ هجرية)، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٧ هجرية، نشر دليل ما، قم.

السنة: عمرو بن أبي عاصم (ت سنة ٢٨٧ هجرية)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٣ هجرية، طبع ونشر مكتب الإسلامي، بيروت.

سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني (ت سنة ٢٧٣ هجرية)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

السنن الكبرى: أحمد بن الحسين البيهقي (ت سنة ٤٥٨ هجرية)، طبع ونشر: دار المعرفة، بيروت.

سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي (ت سنة ٢٧٩ هجرية)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣ هجرية، طبع ونشر: دار الفكر، بيروت.

سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن بهرام الدارمي (ت سنة ٢٥٥ هجرية)، طبع سنة ١٣٤٩ هجرية، مطبعة الاعتدال، دمشق.

الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى (ت سنة ٤٣٦ هجرية)، الطبعة الثانية سنة ١٤١٠ هجرية، طبع ونشر مؤسسة إسماعيليان، قم.

شجرة طوبى: الشيخ محمد مهدي الحائري (ت سنة ١٣٦٩ هجرية)، الطبعة الخامسة سنة ١٣٨٥ هجرية، نشر المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

شرح الأخبار: القاضي النعمان المغربي التميمي (ت سنة ٣٦٣ هجرية)، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤ هجرية، طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

شرح الأسماء الحسنى: الملا هادي السبزواري (ت سنة ١٣٠٠ هجرية)، نشر بصيرتي، قم.

شرح أُصول الكافي: المولى محمد صالح المازندراني (ت سنة ١٠٨١ هجرية)، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١ هجرية، طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

شرح أُصول الكافي: الملا صدر الدين الشيرازي (ت سنة ١٠٥٠ هجرية)، الطبعة الحجرية.

شرح التجريد: علاء الدين القوشجي (ت سنة ٨٧٩ هجرية)، الطبعة الحجرية.

شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور: جلال الدين السيوطي (ت سنة ٩١١ هجرية)، طبع ونشر دار المعرفة، بيروت.

شرح صحيح مسلم: النووي (ت سنة ٦٧٦ هجرية)، طبع سنة ١٤٠٧ هجرية، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

شرح معاني الآثار: أحمد بن محمد بن سلمة (ت سنة ٣٢١ هجرية)، تحقيق: محمد زهري النجار، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٦ هجرية، طبع ونشر دار الكتب العلمية، بيروت.

شرح المقاصد في علم الكلام: سعد الدين التفتازاني (ت سنة ٧٩١ هجرية)، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هجرية، طبع ونشر: دار المعارف النعمانية، باكستان.

شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي (ت سنة ٦٥٦ هجرية)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٨ هجرية، نشر دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركائه.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت سنة ٣٩٣ هجرية)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٧ هجرية، نشر دار العلم للملايين، بيروت.

صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القُشيري النيسابوري(ت سنة ٢٦١ هجرية)، طبع ونشر: دار الفكر، بيروت.

الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: علي بن يونس العاملي النباطي (ت سنة ٨٧٧ هجرية)، تحقيق: محمد باقر البهبودي، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤ هجرية، نشر المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران.

الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد (ت سنة ٢٣٠ هجرية)، طبع ونشر دار صادر، بيروت.

طبقات المحدثين بأصبهان: لعبد الله بن حبان (ت سنة ٣٦٩ هجرية)، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، الطبعة الثانية سنة ١٤١٢ هجرية، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

الطرائف: السيد علي بن موسى بن طاووس الحسني (ت سنة ٦٦٤ هجرية)، طبع دفتر

نشر نويد إسلام، وطبع في مطبعة الخيام سنة ١٣٩٩ هجرية، الطبعة الأولى، قم.

علل الشرائع: أبو جعفر محمّد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق (ت سنة ٣٨١ هجرية)، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، طبع سنة ١٣٨٥ هجرية، نشر المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف.

علم اليقين في أُصول الدين: محمد محسن الملقب بالفيض الكاشاني، تحقيق ونشر: محسن بيدار فر.

عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية: محمد بن علي الإحسائي المعروف بابن أبي جمهور (ت سنة ٨٨٠ هجرية)، تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هجرية، نشر سيد الشهداء، قم.

العوائد والفوائد: السيد مصطفى الخميني (الشهيد سنة ١٣٩٨ هجرية)، تحقيق ونشر: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ هجرية.

العين: الخليل الفراهيدي (ت سنة ١٧٠ هجرية)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٩ هجرية، طبع ونشر مؤسسة دار الهجرة، قم.

عيون أخبار الرضاعليه السلام: أبو جعفر محمّد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق (ت سنة ٣٨١ هجرية)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، طبع سنة ١٤٠٤ هجرية، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي (ت قرن ٦ هجري)، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، الطبعة الأولى، نشر دار الحديث.

عيون المعجزات: حسين بن عبد الوهاب (ت قرن ٥ هجري)، طبع سنة ١٣٦٩ هجرية، نشر: محمد كاظم الشيخ محمد صادق الكتبي، النجف الأشرف.

الغارات أو **الاستنفار والغارات**: إبراهيم بن محمد بن سعيد المعروف بابن هلال الثقفي (ت سنة ٢٨٣ هجرية)، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، طبع ونشر دار الأضواء، بيروت.

غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام: السيد هاشم البحراني (ت سنة ١١٠٧ هجرية) تحقيق: السيد علي عاشور.

الغدير في الكتاب والسنة والأدب: الإمام عبد الحسين بن أحمد الأميني النجفي (ت سنة ١٣٩٢ هجرية)، الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٧ هجرية، طبع ونشر دار الكتب العربي، بيروت.

غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، نشر مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، قم.

فتح الباري لشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت سنة ٨٥٢ هجرية)، الطبعة الثانية، مطبعة ونشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

الفتوحات المكية: أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بابن العربي (ت سنة ٦٣٨ هجرية)، طبع ونشر دار صادر، بيروت.

الفصول الغروية في الأُصول الفقهية: الشيخ محمد حسين الحائري (ت سنة ١٢٥٠ هجرية)، طبع سنة ١٤٠٤ هجرية، طبع دار أحياء العلوم الإسلامية، قم.

الفصول المهمة في أُصول الأئمة: محمد بن الحسن الحر العاملي (ت سنة ١١٠٤ هجرية)، تحقيق وإشراف: محمد بن محمد الحسين القائيني، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ هجرية، مطبعة نگين، نشر مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام، قم.

الفضائل: أبو الفضل شاذان بن جبرائيل القمي (ت سنة ٦٦٠ هجرية)، طبع سنة ١٣٨١ هجرية، نشر المطبعة الحيدرية ومكتبتها، النجف الأشرف.

فضائل الشيعة: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت سنة ٣٨١ هجرية)، نشر كانون انتشارات عابدي، طهران.

فضائل الصحابة: النسائي (ت سنة ٣٠٣ هجرية)، طبع ونشر دار الكتب العلمية، بيروت.

الفقيه (من لا يحضره الفقيه): أبو جعفر محمّد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق (ت سنة ٣٨١ هجرية)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، نشر

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

فيض القدير (شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير): محمد المناوي (ت سنة ١٠٣١ هجرية)، تحقيق: أحمد عبد السلام، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥ هجرية، طبع ونشر دار الكتب العلمية، بيروت.

قرب الإسناد: أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري، من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام (ت سنة ٣٠٠ هجرية)، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هجرية، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت سنة ٨١٧ هجرية)، طبع في دار الجيل، بيروت.

قصص الأنبياء: قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت سنة ٥٧٣ هجرية)، تحقيق: الميرزا غلام رضا عرفانيان اليزدي الخراساني، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ هجرية، نشر مؤسسة الهادي، قم.

الكافي: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت سنة ٣٢٩ هجرية)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الخامسة، مطبعة الحيدري، طبع ونشر دار الكتب الإسلامية، طهران.

كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت سنة ٣٦٧ هجرية)، تحقيق: الشيخ القيومي ولجنة التحقيق، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧ هجرية، نشر مؤسسة نشر الفقاهة، قم.

كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار: السيد إعجاز حسين النيسابوري الكنتوري (ت سنة ١٢٨٦ هجرية)، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٩ هجرية، مطبعة بهمن، نشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم.

كشف الخفاء ومزيل الالتباس: إسماعيل بن محمد العجلوني (ت سنة ١١٦٢هجرية)، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٨ هجرية، طبع ونشر دار الكتب العلمية، بيروت.

كشف الظنون: حاجي خليفة (ت سنة ١٠٦٧ هجرية)، طبع ونشر دار إحياء التراث

العربي، بيروت.

كفاية الأثر: علي بن محمد الخزّاز القمّي (ت سنة ٤٠٠ هجرية)، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، طبع سنة ١٤٠١ هجرية، مطبعة الخيام، نشر: بيدار، قم.

كمال الدين وتمام النعمة: أبو جعفر محمّد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق (ت سنة ٣٨١ هجرية)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، طبع سنة ١٤٠٥ هجرية، طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

كنز العمال: علاء الدين بن حسام الدين الهندي (ت سنة٩٧٥ هجرية)، تحقيق: الشيخ بكري الحياني، سنة الطبع ١٤٠٩ هجرية، طبع ونشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

كنز الفوائد: العلامة محمد بن علي الكراجكي (ت سنة ٤٤٩ هجرية)، الطبعة الثانية، مطعبة غدير، نشر مكتبة المصطفوي، قم.

الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي (ت سنة ١٣٥٩ هجرية) طبع ونشر مكتبة الصدر، طهران.

لسان العرب: محمد بن منظور الأفريقي (ت سنة ٧١١ هجرية)، طبع سنة ١٤٠٥ هجرية، نشر أدب الحوزة، قم.

المبدأ والمعاد: صدر الدين محمد الشيرازي (ت سنة ١٠٥٠ هجرية)، تحقيق: جلال الدين الآشتياني، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم.

مثير الأحزان: نجم الدين محمد بن جعفر بن نما الحلي (ت سنة ٦٤٥ هجرية)، طبع سنة ١٣٦٩ هجرية، نشر المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

المجازات النبوية أو مجازات الآثار النبوية: محمد بن الحسين بن أحمد الموسوي الشريف الرضي (ت سنة ٤٠٦ هجرية)، تحقيق: طه محمد الزيني، نشر مكتبة بصيرتي، قم.

مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي (ت سنة ١٠٨٥ هجرية)، طبع مؤسسة الوفاء بيروت، واستفدنا من طبعة إيران بتحقيق: السيد أحمد الحسيني، الطبعة

الثانية سنة ١٤٠٨ هجرية، نشر: مكتب نشر الثقافة الإسلامية.

مجمع البيان في تفسير القرآن: أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت سنة ٥٦٠ هجرية)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٥ هجرية، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي الهيثمي (ت سنة ٨٠٧ هجرية)، طبع في مكتبة القدسي، القاهرة، وطبعة أخرى في دار الكتب العلمية سنة ١٤٠٨ هجرية، بيروت.

المحاسن: أبو جعفر أحمد بن أبي عبد الله محمد بن خالد البرقي (ت سنة ٢٧٤ أو ٢٨٠ هجرية)، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، طبع سنة ١٣٧٠ هجرية، نشر: دار الكتب الإسلامية، طهران.

المحتضر: حسن بن سليمان الحلي (ت قرن ٨ هجري)، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤ هجرية، مطبعة شريعت، نشر: المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

مختار الصحاح: محمد بن عبد القادر الرازي (ت سنة ٧٢١ هجرية)، تحقيق: أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥ هجرية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

مدينة المعاجز: السيد هاشم البحراني (ت سنة ١١٠٧ هجرية)، طبع في مكتبة المحمودي، طهران (الطبعة الحجرية)، واستفدنا من الطبعة الحديثة: تحقيق: الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هجرية، مطبعة بهمن، نشر: مؤسسة المعارف الإسلامية.

مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ﷺ: المولى محمد باقر المجلسي (ت سنة ١١١١ هجرية)، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران.

مستدركات علم رجال الحديث: الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت سنة ١٤٠٥ هجرية)، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ هجرية، مطبعة شفق، طهران.

مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت سنة ١٤٠٥ هجرية)، تحقيق: الشيخ حسن بن علي النمازي، طبع سنة ١٤١٨ هجرية، نشر مؤسسة النشر

الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت سنة ١٣٢٠ هجرية)، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هجرية، تحقيق وطبع مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

مسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي (ت سنة ٣٠٧ هجرية)، تحقيق: حسين سليم أسد، طبع ونشر دار المأمون للتراث.

مسند أحمد: أحمد بن حنبل (ت سنة ٢٤١ هجرية)، نشر: دار صادر، بيروت.

مسند زيد بن علي: زيد بن علي رضي الله عنه (ت سنة ١٢٢ هجرية)، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت.

مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام: الحافظ رجب البرسي (ت سنة ٨١٣ هجرية)، تحقيق: السيد علي عاشور، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩ هجرية، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: أبو الفضل على الطبرسي (ت قرن ٧ هجري)، تحقيق: مهدي هوشمند، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ هجرية، نشر: دار الحديث.

مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار: السيد عبد الله شبر (ت سنة ١٣٤٢ هجرية)، نشر: مكتبة بصيرتي، قم.

مصادقة الإخوان: أبو جعفر محمّد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق (ت سنة ٣٨١ هجرية)، تحقيق: السيد علي الخراساني الكاظمي، نشر: مكتبة الإمام صاحب الزمان العامة، الكاظمية.

المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت سنة ٧٧٠ هجرية) الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٥ هجرية، نشر: دار الهجرة، قم.

مصنف عبد الرزاق: عبد الرزاق الصنعاني (ت سنة ٢١١ هجرية)، تحقيق وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي، من منشورات المجلس العلمي.

المعاد: الشيخ جعفر سبحاني المعاصر، طبع في قم.

معاد جهان پس از مرگ: الشيخ مكارم الشيرازي المعاصر، طبع في قم.

معاني الأخبار: أبو جعفر محمّد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق (ت سنة ٣٨١ هجرية)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، طبع سنة ١٣٧٩ هجرية، طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم.

معاني القرآن: أبو جعفر النحّاس (ت سنة ٣٣٨ هجرية)، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هجرية، نشر: جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

معجم البلدان: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت سنة ٦٢٦ هجرية)، طبع سنة ١٣٩٩ هجرية، طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

معجم **رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة**: السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت سنة ١٤١١ هجرية)، الطبعة الخامسة سنة ١٤١٣ هجرية، طبع ونشر مطبعة نمونة، قم.

المعجم الصغير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت سنة ٣٦٠ هجرية)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت سنة ٣٦٠ هجرية).

المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠ هجرية)، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، طبع سنة ١٤١٥ هجرية، نشر: دار الحرمين للنشر والطباعة التوزيع.

مقتل الحسينعليه السلام: الخوارزمي أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم (ت سنة ٥٦٨ هجرية)، نشر مكتبة المفيد، قم.

مكارم الأخلاق: رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي (ت سنة ٥٤٨ هجرية)، الطبعة السادسة سنة ١٣٩٢ هجرية، نشر الشريف الرضي، قم.

مناقب آل أبي طالب: محمّد بن علي بن شهرآشوب المازندراني (ت سنة ٥٨٨

هجرية)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، طبع سنة ١٣٧٦هجرية، نشر: المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف.

مناقب أمير المؤمنينعليه السلام: محمد بن سليمان الكوفي (ت سنة ٣٠٠ هجرية)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هجرية، مطبعة النهضة، نشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم.

منتخب الكلام في تفسير الأحلام: محمد بن سيرين (ت قرن ١ هجري)، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٩ هجرية، طبع ونشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

منتقى الاصول= تقريرات السيد الروحاني: عبد الصاحب الحكيم (الشهيد سنة ١٩٨٢م)، الطبعة الثانية سنة ١٤١٦ هجرية، نشر: مطبعة الهادي، قم.

منتهى المطلب: الحسن بن يوسف الحلي (ت سنة ٧٢٦ هجرية)، تحقيق ونشر: مجمع البحوث الإسلامية التابع للآستانة الرضوية المقدسة، مشهد.

منتهى المقال في أحوال الرجال: محمد بن إسماعيل المازندراني (ت سنة ١٢١٦ هجرية) تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيتعليهم السلام لإحياء التراث، بيروت.

من هدى القرآن: السيد محمد تقي المدرسي المعاصر، الطبعة الاولى، نشر : مكتب العلامة المدرسي ، قم.

موطأ مالك: مالك بن أنس (ت سنة ١٧٩ هجرية)، طبع دار الكتب العلمية، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

المؤمن: حسين بن سعيد الكوفي (ت قرن ٣ هجري)، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هجرية، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهديعليه السلام، قم.

ميزان الحكمة: محمدي الريشهري المعاصر، الطبعة الأولى، تحقيق ونشر: في دار الحديث، قم.

نظم درر السمطين: الزرندي الحنفي (ت سنة ٧٥٠ هجرية)، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٧ هجرية.

نقد الرجال: السيد مصطفى الحسيني التفرشي (ت قرن ١١ هجري)، الطبعة الاولى،

تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مطبعة ستاره، قم.

النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير الجزري (ت سنة ٦٠٦ هجرية)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الطبعة الرابعة، نشر مؤسسة إسماعيليان، قم.

نهج البلاغة : جمع السيد الرضي لكلام أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق: الشيخ محمد عبده، طبع في مطبعة النهضة، قم، سنة ١٤١٢ هجرية، ومؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

نوادر المعجزات : محمد بن جرير الطبري الشيعي (ت قرن ٤ هجري)، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هجرية، نشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم.

نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار: الشيخ الشبلنجي المدعو بمؤمن، طبع دار الكتب العلمية، بيروت.

نور البراهين= أنيس الوحيد في شرح التوحيد: السيد نعمة الله الجزائري (ت سنة ١١١٢ هجرية)، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧ هجرية، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

الهداية: أبو جعفر محمّد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق (ت سنة ٣٨١ هجرية)، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ هجرية، مطبعة اعتماد ، قم.

الهداية الكبرى: حسين بن حمدان الخصيبي (ت سنة ٣٣٤ هجرية)، الطبعة الرابعة سنة ١٤١١ هجرية، نشر مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر، بيروت.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان (ت سنة ٦٨١ هجرية)، تحقيق: إحسان عباس، طبع دار الثقافة، بيروت.

وسائل الشيعة: محمد بن الحسن الحر العاملي (ت سنة ١١٠٤ هجرية)، طبع في دار إحياء التراث العربي، بيروت، واستفدنا أيضاً من الطبعة المحققة في مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤ هجرية، مطبعة مهر، قم.

الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم: الشيخ جلال الصغير المعاصر، الطبعة الثانية سنة ١٤١٩ هجرية، نشر: دار الأعراف للدراسات ، بيروت.

الفهرس